المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أكرمني الله تعالى بشرح كتاب «التحبير في علم التفسير» للإمام السيوطي منذ أكثر من عشرين سنة، وكان ذلك في جامع التعاون بحي الصفا بجدة المحروسة، ولم يدر بِخَلَدِي آنذاك أن أنقل هذا الشرح من مسموع إلى مقروء؛ وذلك لأن هذا الصنيع مفتقر إلى جهد قد يفوق الجهد الذي بذلته من أجل شرح الكتاب، فكيف لي بالعودة إلى تخريج الأحاديث والآثار، والعناية بالتراجم، والتواريخ، وتخريج الغوامض من الكلمات والمصطلحات، فذلك عمل لا أقوى عليه لاشتغالي بتصنيف الكتب، وإعداد البحوث للمؤتمرات والندوات، هذا عدا عن عملي في الخطوط السعودية، وأشغال أخرى دعوية واجتماعية، فهيهات ثم هيهات فذاك جهد وراء قدرتي وطاقتي.

لكن الله تعالى بفضله أراد أمرًا آخر، فقد عَرَضَتْ عَلَيَّ الأختُ الفاضلة الشيخة كاملة الكواري أن تنقل ما في الأشرطة المسجَّلة إلى الأوراق لتكون كتابًا، فوافقْتُ بعد تردُّد، فأرسلت إليَّ ما صنعَتْهُ فإذا هو درة فاخرة، وحُلَّة وافية صافية، فقد خَرَّجَتِ الأحاديث والآثار، وتَرْجَمَتْ للأعلام، وشرحت غوامِضَ الكلام والمصطلحات، وتعَدَّى جُهْدَهَا إلى أن خَرَّجَتْ أقوال العلماء من مصادرها، ثم لم تكتفِ بِذلك حتى ضَبَطَتِ النَّصَّ المشروح ضبطًا لا مزيد عليه، وأنا أُقِرُّ أني لو أردت أن أفعل ذلك لعجَزْتُ عنه، ولقصرت قدرتي عن مثله، فللهِ دَرُّهَا ودَرُّ صَنِيعِهَا، وقد أصْبَحَ لَهَا في عنقي مِنَّةٌ ويَدٌ لا أدري كيف

أكافئها عليها، ولا كيف أجازيها، لكن الله تعالى هو المسئول أن يُثيبَهَا، ويُبَيِّضَ وجْهَهَا، ويثقل مَوَازِينَهَا، ويرْضَى عنها، إنه جَوَاد كَرِيم.

ثم إن صَنِيعَهَا هذا يُنْبِئُ عن قدرة علمية، وحُسْنِ تَصَرُّف في النصوص، وحَمَاسَة لِخِدْمَةِ هذه العلوم الشريفة، فلذلك كله أرغب إليها أن تُوَاصِلَ مَسِيرَتَهَا المباركة، فهي بذلك حقيقة وجديرة.

وصل اللهم وسَلِّمْ على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه حامدًا مصليًا: العبد المذنب الضعيف

محمد بن موسى الشريف

في السابع من شهر محرم الحرام من سنة ١٤٣٨هـ



تقديــم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للناس، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وبعد:

فإنَّ من أجلِّ وأشرفِ العلوم التي ينبغي لكل طالب علم أن يُشمِّر عن ساعد الجد، وأن يشحذ الهمة، وأن يبذل غاية الجهد فيها، هي تلك العلوم الشريفة التي تتعلق بكتاب الله تعالى النور الهادي، والسراج المنير، فهو الكتاب الحق الذي هدى الله تعالى به الناس من ضلالة، وعلَّمهم به من جهالة، وأنار به سبيلهم من ظلمة، وشرح به صدورهم للإيمان بعدما عشش فيها ضلالات الشرك، وخيمت ظلمات الأوثان، فنصب لهم الدليل، وأنار السبيل، وأوضح الحجة، وأبلغ المحجة، وكتب سبحانه وتعالى على نفسه أن رحمته تسبق غضبه.

والعلوم التي تتعلق بكتاب الله ﷻ كثيرة لا نستطيع عدها ولا حصرها، لا تنقضي عجائبه، ولا يخْلَق على كثرة الرد. ويأتي على قمة هذه العلوم: علم التفسير وأصوله، فلا شكَّ أنَّ علم التفسير هو من أشرفِ وأجلِّ وأسمَى عُلوم الشريعة المطهرة، وليس ذلك إلا لتعلقه بفهم أشرف وأفضل كلام ألا وهو كلام الله تبارك وتعالى، ولا يسمو عليه علم إلا علم التوحيد؛ لتعلقه بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فشرف العلم بشرف المعلوم.

وقد اجتهد علماء الشريعة المطهرة في أنْ يجعلُوا لهذا العلم العظيم قواعد وأصولًا وضوابطَ وقيودًا، تعصمُ مراعاتُها أذهان المفسرين لكتاب الله عن الوقوع في فتنة القول على الله تعالى بغير علم، فـ«من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»(١)، فلا عبرة بالحق إذا جاء اتفاقيًّا، أي: من غير اجتهاد وبذل وسع ممن توفرت فيه أهلية النظر والاستنباط من كتاب الله تبارك وتعالى، ولا تتسع الأسطر ولا المجلدات للحديث عن جهود العلماء في صيانة دلالات كتاب الله عز وجل عن التحريف والتبديل، بعد أن تولى الله تعالى بذاته العلية حفظ مبانيه وحروفه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

ومن المصنفات الجليلة الشأن العظيمة القدر في هذا الشأن «كتاب التحبير في أصول التفسير» للحافظ جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩١١هـ)، وكان السيوطي آية من آيات الله تعالى في شتى العلوم، مثل: علم التفسير وأصوله، وعلم الحديث وأصوله، وعلم الفقه وأصوله، وعلوم العربية على تشعبها وتنوعها، وقد وصف نفسه بقوله: «ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفًا بأقوالها وأدلتها -النقلية والعقلية- ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت»(٢).

وقد عدد بعض العلماء مصنفات السيوطي فبلغ بها الألف مصنف.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢).

(٢) حسن المحاضرة (١/ ٣٣٩).

أما عن كتاب التحبير في علم التفسير فهو من الكتب التي صحت نسبتها إلى السيوطي كما ذكر ذلك أغلب مَنْ تَرْجَم له، وهو كتاب حوى الفوائد والدرر، والأصول التي لا يستغني عنها المفسر، لا سيما في أزماننا هذه التي تجرأ فيها مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى الكلام في كتاب الله تبارك وتعالى بغير علم ولا هدى.

وهذا الشرح (شرح التحبير في أصول التفسير) الذي نتشرف بالاعتناء به وبإخراجه؛ خِدْمَة لطلاب العلم في أرجاء المعمورة، شرح معاصر بلُغَة سهلة خالية من الحشو والتعقيد، وبأسلوب ذلل صعبه، وشرح غريبه، وأخرج مكنون كنوزه، وأبان عن أوجه مخدراته(١)، مع المحافظة على المضمون العلمي الذي احتواه الكتاب، والإضافة عليها كثيرًا من الاجتهادات والآراء التي أثْرَت هذا الكتاب.

فكل الشكر والتقدير لشارحه فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن موسى الشريف وفقه الله، الذي أطال النفس، وعمق البحث، ودقق النظر، وأعمل الفكر؛ لكي يصل طلاب العلم بتراث آبائهم وأجدادهم من أسلافنا الصالحين.

وقد جاء منهج عملنا في الكتاب مشتملًا على تفريغ المادة الصوتية ومطابقتها على الأصل، ثم مراجعة المتن وضبطه، مع التصحيح اللغوي للشرح، والعناية بعلامات الترقيم، وتخريج الآيات والأحاديث، مع عنونة الفقرات التي تحتاج إلى عنونة، ثم صنع الفهارس العلمية اللازمة حتى تكون مفتاحًا لكنوز هذا الكتاب القيم.

---

(١) قال في الصحاح: الخدر: الستر. وجارية مخدرة، إذا لازمت الخدر. والمراد بها هنا الفوائد المستترة الغامضة. انظر الصحاح (٢/ ٦٤٣).

وفي الختام نسأل الله ﷻ أن يجزي المصنف والشارح خير الجزاء، وأن يجعل عملنا في خدمة هذا السِّفْر القيم خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم شرقًا وغربًا إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبته

خادمة العلم الشريف

كاملة الكواري

١٧ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ-١٩/ ٩/ ٢٠١٦م



مقدمة الشارح

الحمد لله باري البريات، غافر الخطيَّات، عالم الخَفِيَّات، المُطَّلِع على السرائر والنِّيَّات، أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمة وحلمًا، وقَهَرَ كل مخلوق عزَّة وحكمًا، أحمده سبحانه - وهو المحمود - وهو للحمد أهل، وأشكره - وهو المشكور - وهو للشكر أهل، وأصلي وأسَلِّم على صفوته من خليقته سيدنا محمد النبي الأُمي، وعلى آله وصحْبه، وأسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فإن هذه الدروس هي فاتحة خير في هذه المدينة المحْروسة إن شاء الله؛ إذْ لم تُقَم في هذا البلد - فيما علمت- دروس في علم القرآن، والله أعلم، وسَأَلْت - بغْيَة أن أُكْفَى مؤونة مثل هذه الدروس- عن دروس مماثلة قَدْ تُقَام في أي مدينة أخرى؛ فلم أجد جوابًا، وسَأَذْكُر ذلك إن شاء الله تعالى في أسباب طَرحي مثل هذا الدرس.

وقبل الشروع في المقصود حري بنا أن نعلم أنَّ البشرية لم تَعْرِف دينًا ولا مَذْهبًا ولا نظامًا أقَرَّ بوجوب تعليم العلم بين النَّاسِ كالإسلام، فقد رَفَعَ الإسلام قَدْرَ العِلْمِ، وكَرَّمَ حَمَلَتَهُ، وأَمَرَ الناس باتباعه، وبالسؤال عَمَّا أشكل من أمورِهِمْ، ووعد الله تبارك وتعالى أهل العلم بالجزاء الوَافِرِ في الدين والدنيا والآخرة، وهذا - والله أعلم - لا يوجد إلا في هذا الدِّينِ العَظِيم، دين الإسلام، فقد حَثَّ الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم على العلم.

وفي المقابل: إذا نَظَرْنَا في الأسْفَار القديمة الباقية اليوم – وكذا في كل المذاهب والشرائع، سماوية مُحَرَّفة كانت أو وضعية، شَرْقًا أو غربًا - فلا نجد

ذِكـرًا لِكَلِمَـات مِثْـل: العِلْـم، أو العَقْـل، أو التَّفَكّـر، أو التَّـدَبّر، أو البُرْهَـان، أو الحكمـة، أو البـصيرة مثـل مـا نجـدها في القـرآن الكـريم، بَـلْ نكـاد لا نجـد هـذه الألفاظ في أسفار القدماء أبدًا، وهذا ليس بعجب؛ فإنَّ ديـن النـصارى قـائم عـلى مناقضات ومُغَالَطَات وأمور لا تُسَلّم أبـدًا في منطـق العقـل، حتـى إنَّ قـساوستهم ورُهبانهم كانوا يقولون: اتْرُكْ عقلك واتَّبِعْنَا! وكانوا يقولون: آمِنْ ثم اعلم، ومثـل هذه الترّهَات كثير.

بينمـا نجـد في كتـاب الله تبـارك وتعـالى مجـيءَ كلمـة العِلـم فقـط -مُنكَّـرَة أو معرَّفَـة- ثمـانين مَـرَّة، أمـا مُـشتقات العِلـم مثـل: يعلمـون، وتعلمـون، وعَلِمْـتُم، وعُلِّمْـتُمْ... إلـى آخـر مُـشْتَقَّات كلمـة العِلـم فقـد وردت فيـه مئـات المَـرَّات، بـل وَصَلَتْ إلى ألْفِ مَرَّة.

أما كلمات الفِكْروالبرهان والبصيرة ومُشتقاتها فقد وَرَدَتْ فيه عَشَرات المرَّات.
كما نجد أنَّ الإسلام قـد أوْجَـبَ عـلى المـسلم – وعـلى مـن يريـد أن يَعْتَنِـقَ هَـذَا الدِّينَ – أن يُفَكّر مَلِيًّا، ويوازن بينه وبَيْنَ غيره من الأديان؛ فلم يَقْبَـل الإسـلامُ مِـنَ المُسْلِمِ أن يُقَلّد في إيمانه وعقيدته آباءه وإخوانه وأصحابه، إنما لا بـد للمـسلم – حتى يكون مسلمًا– أن يؤمن عن معرفة وعن يقين وقناعة، مُفَادها أنَّ هـذا الـدِّين هو دِين الله تبارك وتعالى الخالِد إلى الأبَد.

كما حثّ الإسلام على النظـر في الكـون والتفكّـر والتَّـدَبّر فيـه؛ لتنبيـه العقـل، وتخليـصه مـن أسْـرِ التَّقْلِيـد، والجمـود، ورِبقـة البَقَـاءِ عـلى مـا كـان عليـه الآبـاء والأجداد مِنْ أخطاء في الاعتقـاد أو الأفْعَـال، وحتـى يتحـصَّل كـل شـخص عـلى العلم اليقيني بما هو أصلح له في الحياة.

وفي السُّنة ورَدَتْ أحاديث كثيرة في فضل العلم، سَأوردها إن شاء الله تبارك وتعالى بعد حِين.

أَمَّا لِمَاذَا كانت الدروس المختارة في كتاب الله تبارك وتعالى؟

فَلِهَذَا أسباب، منها:

السبب الأوَّل: أَنْ نَدْخُلَ في الخَيْرِيَّة المُطْلَقَة التي أخبر عنها ﷺ فيما أخرجه الإمام البُخَارِي بسنده إلى أبي عبد الرَّحْمَن السُّلَمي رَحِمَهُ اللَّهُ عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١)، فهي خَيْرِيَّة مُطْلَقَة تشمل كلّ مَنْ تَعَلَّم هذا الكتاب العظيم وعَلَّمَهُ لِغَيْرِهِ مِنَ النَّاس.

وأخرج النسائي وغيره بِسَنَد صحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلهِ أَهْلِينَ مِنْ خَلْقِهِ**» قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(٢).

فلأجل هذا كان الاختيار أنْ ندْرس كِتَاب الله تبارك وتعالى ونَتَدَارَسهُ معًا؛ حتى نفوز بهذه الخَيْرِيَّة المطلقة، ونكون -بِإِذْنِ الله - من أهل الله تبارك وتعالى.

يقول الإمام ابن الجَزَرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣) في أوَّل طَيِّبَتِهِ(٤) مشجِّعًا الناس على تداول هذا العلم القُرْآني العظيم فيما بينهم:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

(٢) رواه ابن ماجه في السنن(٢١٥)، والنسائي في الكبرى (٧٩٧٧)،وأحمد (١٢٢٩٢، ١٣٥٤٢)، والحاكم (٢٠٤٦)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقيّ ثم الشيرازي الشافعيّ، الشهير بابن الجزري ولد سنة (٧٥١هـ)، وتوفي سنة ٨٣٣هـ رحمه الله تعالى. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٢٤٧).

(٤) طيبة النشر (ص ٣١).

وَبَعْــدُ فَالإِنْــسَانُ لَــيْسَ يَــشرُفُ إلا بِمَــــا يَحْفَظُــــهُ ويَعْـــــرِفُ
لِـــذَاكَ كَـــانَ حَـــامِلُو القُـــرْآنِ أَشْــرَافَ الامَّــةِ أُولــي الإِحْــسَانِ
وَإِنَّهُـــمْ فِـــي النَّــاسِ أَهْــلُ اللهِ وَإِنَّ رَبَّنَـــــا بِهِـــــمْ يُبَـــــاهِي
وَقَــالَ فِــي القُــرْآنِ عَــنْهُمْ وَكَفَــى بِأَنَّـــهُ أَوْرَثَـــهُ مَـــنِ اصْـــطَفَى
وَهْــوَ فِــي الاخْــرَى شَــافِعٌ مُــشَفَّعُ فِيـــهِ وَقَوْلُـــهُ عَلَيْـــهِ يُـــسْمَعُ
يُعْطَــى بِــهِ المُلْــكَ مَــعَ الخُلْــدِ إِذَا تَوّجَــــهُ تَـــاجَ الْكَرَامَـــةِ كَـــذَا
يَقْــــرَا وَيَرْقَــــى دَرَجَ الجِنَــــانِ وَأَبَـــــوَاهُ مِنْــــهُ يُكْـــــسَيَانِ
فَلْيَحْــرِصِ الــسَّعِيدُ فِــي تَحْــصِيلِهِ وَلَا يَمَـــلّ قَـــطُّ مِـــنْ تَرْتِيلِـــهِ

السَّبَبُ الثاني: هو أننا بهذه الدراسة نكون قد أَدَّيْنَا جزءًا من واجب التدبر لهذا الكتاب العظيم، فقد أُمِرْنَا به في كتاب الله تبارك وتعالى، وفي سُنَّة رسوله ﷺ، وفي أقوال الصَّحابة والتابعين سَلَفِنا رضي الله عنهم.

أما في الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال جَلَّ مِنْ قَائِل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وأصل التدبر: التأمّل والنَّظَر في أي شيء كان، ثُمَّ أُطْلِقَ التدبر على النظر والتفكّر في حقيقة الشيء وأجزائه، أو في سوابقه، أو في لواحقه وتوابعه[١].

وأمَّا فِي سُنَّةِ رسول الله ﷺ: فقد ورد في الحديث المشهور أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنْ يَقْرَأَ القرآن في أقل من ثلاث، ولَيْسَ

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٦٥٥)، المصباح المنير (١/ ١٨٨).

ذلك - والله أعلم - إلا ليتدَبّر كتاب الله تبارك وتعالى على الوَجْهِ المأمول المَرْجُو، وهو ما يظهر من قوله ﷺ له: «**لا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»(١).

وأما في عَمَلِ سَلَفِنَا رضي الله عنهم: فقد كانوا كما قال أبو عبد الرحمن السّلَمِي(٢): «أَخَذْنَا القُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى العَشْرِ الأُخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ، فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ القُرْآنَ وَالعَمَلَ بِهِ، وَسَيَرِثُ القُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شُرْبَ المَاءِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»(٣)، وهذه هي حالنا في هذه الأعصر المتأخِّرة إلا مَن رَحم الله تبارك وتعالى.

وكان لأحمد بن محمد بن عطاء - الزاهد العابد الذي تُوُفّي سنة تسع وستين وثلاثمائة - في كل يوم ختمة لِكِتَاب الله، وكَانَ له في رمضان تسعون ختمة، لَكِنّه بقي في ختمة واحدة يقرأ ويَتَدَبّر ويتفكر فيها في كتاب الله تبارك وتعالى على الوجه الذي أُمِرْنَا بضع عَشْرَةَ سنة(٤)، رحمهم الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٦)، وابن ماجه (١٣٤٧) في السنن، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١٣).

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي، مقرئ الكوفة بلا مدافعة؛ اسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة. قرأ القرآن على: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وسمع منهم ومن عمر. توفي سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة ثلاث، وقيل: توفي في إمرة بشر بن مروان، وقيل غير ذلك. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٨٩٧)، تهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٤٨٢)، قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه عطاء بن السائب، اختلط في آخر عمره.

(٤) انظر: تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤).

وكان كثير من السَّلَفِ يَبْكي حال سَماعِهِ لِكِتَابِ الله، فقد أتى وفد الأشعريين إلى رسول الله ﷺ من اليَمَنِ - وهم أَرَقّ أفْئِدَة، وأعظم إيمانًا[١]، كما أخبر ﷺ- فلما قرئ عَلَيْهِم القرآن كانوا يَتَسَاقَطون من البكاء رضي الله عنهم، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «هكذا كُنَّا ثم قست القلوب»[٢]. وأبو بكر مَعْرُوف بأنه بَكَّاء حال تلاوته لكتاب الله تبارك وتعالى، وكان يقشعر جلده، كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وكان كثير من السلف كذلك.

بل كان بعضهم يُغْشَى عليه أحيانًا، وربما خر أحدهم ميتًا، وما أمْر عَلِيٍّ ابن الفضيل بن عياض رحمه الله[٣] بِخَافٍ؛ حيث إنَّ هذا الفتى كان ابنًا للفُضَيْلِ الزاهد المشهور، وكان الفُضَيْل رحمه الله مِنْ أئمة المسلمين الزهاد العُبَّاد الثِّقَات الذين نَجَوا من بدع الصوفية، كما كان عالمًا صالحًا، وكان ولده كذلك، حتى إنه عندما مات كان الفضيل رحمه الله[٤] يبكي عليه، ويقول: كان يساعدني على الحُزْن والبكاء.

وكان عليٌّ هذا إذا سَمِعَ بعض الآيات يُغْشَى عليه، وسَمِعَ مَرَّة قوله تبارك

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٥٢٤)

(٣) علي بن الفضيل بن عياض التميمي، مات قبل أبيه بمدة من آية سمعها تقرأ، فغشي عليه، وتوفي في الحال. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨/ ٤٤٣) وما بعدها.

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، ولد سنة (١٠٥ هـ)، وتوفي بمكة سنة (١٨٧ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨/ ٤٢١)، وما بعدها.

وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] فغُشِيَ عليه، ثم مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

وهكذا كان حال كَثِير من الزّهّاد -زُهَّاد السلف- وأهل الصّلاح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهكذا ينبغي لنا أن نكون: تقشعر جلودنا عندما نقرأ كتاب الله تبارك وتعالى، ونتأثّر بما فيه.

ولعل هذه العلوم التي توجد في كتاب «التحبير» تكون مُسَاعِدَة على تَدَبّر كتاب الله والعَمَلِ بِمَا فِيهِ، نسأل الله تبارك وتعالى ذلك.

ثُمّ إن الله تبارك وتعالى أَخْبَرَ أن هذا القرآن رُوح تَسْرِي فِي الأَجْسَادِ الخَاوِيَة، تَسْرِي في الهِمَمِ السَّافِلَة(٢) فتُعْلِيهَا وتجعلها هِممًا عالية، تجعل هذه الأجساد الخاوية مُتَحَرِّكَة لدين الله تبارك وتعالى، تعطي ما عندها بدون حساب، وتُضَحِّي بالغالي والنفيس من أجل دين الله تبارك وتعالى، قال جل مِنْ قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وسَنَنَال ذلك إن شاء الله، ونظفر بذلك الخير كله إن تَدَبَّرْنَا كتاب الله تبارك وتعالى وفَهِمْنَاه.

السبب الثالث: أنَّ القَلْبَ يتأَثَّر أَشَدّ التأثر عندما نلاحظ أن دُرُوسَ علم القرآن لا تكاد توجد في هذا البلد الكريم، ولَا أدري لماذا ينصرف طلبة العلم عن هذا القرآن العظيم؟! وماذا يطلبون إن لم يطلبوا كتاب الله تبارك وتعالى؟!

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٥٤-٤٩٤).

(٢) المتدنية، من السفل الذي هو ضد العلو. انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (٢/ ٨٤٧).

ولا أقصد بطَلَب كتاب الله تبارك وتعالى قراءته أو تَدَبّره فَقَط وإن كانا مُهِمَّيْن مَطْلُوبَيْن، ولَكِنِّي أقصد مع ذلك مُدَارَسَة علوم هذا الكتاب العظيم.

إِنَّ انْصِرَافَنَا عن القرآن مدارسة وعِلْمًا وتعليمًا خَسَارَة عظيمة فادِحَة، وهَذَا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1] عندما فَهِمَ ودرس كتاب الله تبارك وتعالى وتَعَمَّقَ فيه ندم في آخر حياته أشد النَّدَم أنه لم يَتَفَرَّغ لدراسة كتاب الله تبارك وتعالى منذ اللحظات الأولى لطَلَبِهِ للعلم، وهو العَالِم المُفَسّر الفاهم لكتاب الله تبارك وتعالى.

وهذا ابن الأخرم رَحِمَهُ اللَّهُ[2] -وكان مِنْ عُلَمَاء المسلمين الذين أوْقَفُوا أنفسهم على دراسة كتاب الله وتدريسه-، يقول أحد الناس: قمتُ ليلة سَحرًا -أي: قبل الفجر- لآخذ النوبة على ابن الأخرم، فذهبت إليه في مسجده، فَوَجَدْتُ أنه قد سبقني إليه ثلاثون قارئًا، ولم تدركه النوبة إلى العصر[3].

وأنَا كُلَّمَا مررتُ على هذه الحادثة أتَعَجّب مِنْ همة سلفنا -رحمهم الله- بينما نحن اليوم لا نفعل عُشْرَ مِعْشَار هذا، ولا قريبًا منه.

وهذا مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تخبر عنه أخته أنه كان شغْلُه الشَّاغِل في بيته: المصحف

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية. تلميذ ابن تيمية. مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة (٦٩١هـ)، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه علما جمًّا، وتوفي في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة (٧٥١هـ). انظر: الرد الوافر، لابن ناصر الدين (ص٦٨).

(٢) محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي الدمشقي، مقرئ دمشق، كانت له حلقة عظيمة بجامع دمشق، يقرءون عليه من بعد الفجر إلى الظهر. توفي سنة (٣٤١ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٤)، وما بعدها.

(٣) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٢٧١).

والتلاوة وتدبُّر كتاب الله تبارك وتعالى(١).

وكذا روي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عندما سُئل عن عمله في بيته، فقيل لهم: لا تُطِيقُونَ ذَلِك، قالوا: وما هو؟ قالوا: الوضوء لكل صلاة، والمصحف والتلاوة(٢).

وكان شعبة(٣) - وهُوَ أَمِير المؤمنين في الحديث وعالمُهم المُقَدّم - يُحَذِّرُ تَلَامِيذَهُ من أصحاب الحديث، فيقول: يا قوم، إِنَّكُمْ كُلَّمَا تَقَدَّمْتُمْ فِي الحديث تأَخَّرْتُم في القرآن(٤).

وقال نوفل: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غَفَرَ لِي بِرِحْلَتِي فِي الحَدِيث، ثم أوصاه قائلًا: عَلَيْكَ بالقرآن، عليك بالقرآن(٥).

صحيح أن هَذَا مَنَام لا نَأْخُذُ مِنْه حُكْمًا شَرْعِيًّا، لكن يَحْسُنُ بِنَا ذكر هذه الرُّؤَى؛ لنستأنس بما كان يأتي للأَئِمَّة مِنْ رُؤًى في منامهم.

وقد رُؤِي الإمام القُدوَة شَيْخُ الإِسْلَام أبو منصور الخياط رَحِمَهُ اللَّهُ(٦) بعد موته،

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (٤/ ٧١٩).

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣١/ ١٢٨).

(٣) شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي، الإمام، الحافظ، عالم أهل البصرة، وشيخها، وكان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه، ولد سنة (٨٢هـ) وتوفي سنة (١٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وما بعدها.

(٤) انظر: سير السلف الصالحين، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، قوام السنة (١٠١٣).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٣٩١).

(٦) محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق أبو منصور البغدادي، الزاهد المعروف بالخياط، مؤلف كتاب «المهذب في القراءات»، أستاذ كبير، ثقة شهير، ولد سنة (٤٠١هـ) بلغ عدد من أقرأهم القرآن سبعين ألفًا، وتوفي سنة (٤٩٩هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٧٤).

فقيل له: ما فعَلَ اللهُ بكَ؟ قال: غَفَرَ لِي بِتَعَلِيمِ الصِّبْيَان الفاتحة[١].

والإمام أَحْمَد قَدْ ثبَتَ عنه في أَحْدَاث كثيرة، وأخبار متعددة أنه رأى رَبَّ العزة في المنام، فقال له: يا رب، بِمَ يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد. قال: يا رب، بِفَهْم أو بغير فهم؟ قال: بِفَهْمٍ وبغير فهم يا أَحْمَد[٢].

هَذِه الرؤى والأخبار عن السَّلَفِ نستأنس بها، ونرى منها وجُوب رُجُوعِنَا مَرَّةً أخرى لِتَدَارُسِ هَذَا الكتاب العظيم: كتاب الله تبارك وتعالى.

ثم إنَّ لهذا الكتاب المختار خِصِّيصَتَيْن:

الأولى: أَنَّهُ مخْتَصَر جامِع نافع مفيد إن شاء الله، فَيَصْلُح للتَّدْرِيس في المساجد، ويصلح فيه أيضًا تَقْرِير الدليل والرَّاجِح والمرجوح.

الثَّانِيَة: أنَّ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ لم يَقْتصر في كتابه هذا عَلَى عُلوم القرآن فقط، فلم يكن محصورا في معرفة أوَّل ما نزل وآخر ما نَزَلَ، وما نَزَلَ فِي مَكَّةَ، ومَا نَزَلَ في المدينة، وما نَزَلَ في بَيْتِ المَقْدِس ونحو ذلك، إنَّمَا تَعَدَّى ذلك إلى علوم شَرْعِيَّة مُتَنَوِّعَة، فَقَد أورد في كتابه علوم اللغة العربية على سعتها، وأورد بعضًا من علوم الأصول، وبعضًا من علوم الحديث، فالدارس لهذا الكتاب دَارِس لعلوم جَمَّة.

فَنَرْجُو من الله تبارك وتعالى أَنْ يُفِيدَنَا به.

والمصنفات في علوم القرآن كثيرة، ولكن الكتاب عندما يكون لإمام متقدِّم فَإِنَّ بركة ذلك الإمام تتضح في ذلك الكتاب؛ فحَسْبُنَا أن نتدارسه؛ بغية أن ينفعنا الله تبارك وتعالى بعلم الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللهُ، وقد كان لأسلوبه سلاسة، وطريقته قويمة في الكتاب، فحَسُنَ أن ندرس هذا الكتاب، والله تبارك وتعالى هو

---

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٧/ ٩٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١١/ ٣٤٧).

المسئول والمأمول أن يفيدنا، وأن نكون بِهِ مِنَ الفائزين، وأن نكون ممن تدارس القرآن وتدبّره.

وكما ذكرت سابقًا: فقد سألت كثيرًا عن وجود دروس للقرآن؛ بُغْيَة أن أُكْفَى المئونة، ولَكِنِّي عندما لم أجد استخرت الله تبارك وتعالى؛ فَصَحّ العَزْم مِنِّي على أنْ أبدأ بِمِثْلِ هذه العلوم المباركة، عسى أن ننظم جميعًا في سلْكِ أهل القرآن أهل الله تبارك وتعالى وخاصَّته.

ولما كانت عادة كثير من أسلافنا قبل أن يبدءوا بتدريس الكتاب أن يقدموا له بِمُقَدِّمَات، فسأبدأ بمُقدِّمات خمس، ثم نشرع بعدها في شرح هذا الكتاب إن شاء الله تبارك وتعالى.

أما المقدمة الأولى ففي العِلم: تعريفه، وفضله، وأهميته، وكيفيَّة طلبه، وضوابط هذا الطلب.

وأما المقدمة الثانية: فتنقسم إلى قسمين:

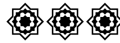
- القسم الأوَّل: آداب يجب على طالب العلم أنْ يسلكها إن أراد أن يَطْلُبَه.

- والقسم الآخر: ما يجب أن تَحْوِيَه مكتبة طالب العلم من الكتب التي تسَاعِدُهُ في فهم هذا العلم وغيره.

المقدمة الثالثة: تحْوي طرفًا مِن تاريخ التدوين في عُلوم القرآن.

المقدمة الرابعة: تَحْوي طرفًا مِنْ حَيَاةِ الحافظ الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبيانًا مختصرًا عَنْ عَصْرِهِ، والناحية العِلْمية فيه.

المقدمة الخامسة: وفيه طرف عنْ كِتَاب التحبير وجهود المُحَقّق حفظه الله، وتَحْوي أيضًا طرفًا عن طريقة تدريس هذا الكتاب المبارك.



المقدّمة الأولى
العِلم، وفضله، وأهميته، وطلبه

تعريف العلم:

للعِلْم تعريفات كثيرة، بلَغَتْ -فيما أعْلَم- قرابة عشرين قولًا، وهذه الأقوال المتشابكة المُتَداخلة في تعريف الْعِلم تأثرت بعلوم المنطق وبغيرها من العلوم، وسأقتصر على ثلاثة من التعريفات أناقشها وأخْلص منها إلى الراجح إن شاء الله تبارك وتعالى.

التعريف الأول للعلم: (هو الذي يُوجِب كَوْن مَنْ قَامَ به عالمًا)(١).

وهذا التعريف مَدْخُول؛ أي: دَخَلَهُ الفساد؛ للدور(٢)، والدور: هو توقّف أحد الشيئين على الآخر، كما تقول: الدَّجَاجَة مِنَ البَيْضَة والبيضة من الدجاجة، وهكذا يستمر الدور لا ينتهي! حيث يتوقّف كل واحد من الشيئين على الآخر(٣).

وهو هنا يقول: (العلم هو الذي يوجب كَوْنَ مَنْ قَامَ به عالمًا)، ففيه عُلِّقَ شَيْء عَلَى شيء، وأنيط شيء بشيء، فَلَمْ نَعُدْ نَفْهم المراد.

وللدور أنواع عديدة، منها -وهو الذي يهمنا هنا- الدور في التعاريف العلمية، أو الدَّوْر العلمي، وهو: تَوَقُّف العِلْم بِكُلّ مِنَ المَعْلُومَيْنِ عَلَى الآخَر(٤)، وهَذَا لا يَصِحّ أَبَدًا في الأذهان، إذ لا بُدَّ أن نُعَرِّفَ عِلْمًا باستقلاله عَنْ

---

(١) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٦١٢).

(٢) انظر: إرشاد الفحول، الشوكاني (١/ ٢٠).

(٣) انظر: الكليات للكفوي (ص ٤٤٧)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري (١/ ٧٨).

(٤) انظر: الكليات للكفوي (ص ٤٤٧).

شَيْء آخر، ويكون تَعْرِيفًا جامعًا مَانِعًا مُستقلًّا عَنْ غيره.

التعريف الثاني: (تَبْيِين المَعْلُوم على ما هُوَ بِهِ)(١).

وهذا التعريف فيه حَشْوٌ وَتَطْوِيل وزيادة، وفيه دور أيضًا.

أَمَّا الدَّوْرُ: فهو في قَوْلكَ: تَبْيِينُ المَعْلُوم، فقولك: (المعلوم) هذا هو الدور الَّذِي هَرَبْنَا منه سابقًا.

وأما الزيادة: ففي قولك: (تبيين المَعْلُوم)؛ لأن التبيين هو المعرفة التي تُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِكَ: (على ما هو به). وأيضًا التبيين يُشْعِرُ بالظهور بعد الخفاء(٢)، فيَخْرج منه علم الله تبارك وتعالى؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى عِلْمُهُ لا يُقَالُ عَنْه: تبيين؛ إذ التبيين هو الظهور بعد الخَفَاءِ، والله تَبَارَكَ وتَعَالَى لَا يَخْفَى عليه شَيْء في الأرض ولا في السماء، فهذا التعريف غير جامع(٣).

التعريف الثالث: هو (حُصُول صورة الشيء في العقل)(٤)، وهو تعريف منتقد أيضًا؛ لأن حصول صورة الشيء في العقل قد يكون بالظن، وبالوهم، وبالشك، وبالجَهْلِ المُرَكَّبِ، وبالتقليد، فكل هذه أمور يَنْتج عنها حصول صورة الشيء في العقل، لَكِنَّهَا صورة باطلة غير صحيحة، ولكن نقول: حَصَلَتْ صورة الشيء في عَقْلِ فلان بِوَهْم أو بظن أو بشك أو بِتَقْلِيدٍ أَوْ بجهل مُرَكب، وكل ذلك لا يَصِحّ في تعريف العلم.

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٣٩).

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي (ص ٤٣).

(٣) انظر: إرشاد الفحول (١/ ١٩)، كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٢٢٢).

(٤) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ١٥٥)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي (ص ١٣٢).

والشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] يقول: «الأَوْلَى عندي أن يُقَالَ في تحديده: (هُوَ صِفَة يَنْكَشِفُ بها المطلوب انكشافًا تامًّا)»؛ أي: صفة إذا تعلَّقت بالشَّخص انكشف له المطلوب انكشافًا تامًّا. قال رحمه الله: «وهذا لا يَرد عليه شيء مما تَقَدَّمَ»[(٢)]؛ أي: كما ورد على التعاريف الأخرَى - سواء التي ذَكَرْتها أو التي لم أذكرها - من فَسَاد، والله أعلم.

فهذا تعريف مختصر للعِلم.

بيان فضل العلم وشرفه وأهميته:

قَدْ ورد في كُتُب كثيرة الكثير في فَضْلِ العلم وشَرَفِهِ وأَهميته، واستقلت كتب كثيرة بالتصنيف في هذا الباب، صنفها كثير من أئمة السلف والخلف[(٣)]، وقد جاء الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»[(٤)] بِقُرَابة أَرْبَعِين ومائة وجه في أهمِّيَّة العلم وفضله.

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، من علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكمًا بها. انظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٢) انظر: إرشاد الفحول (١/ ٢١).

(٣) منها: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ)، و«العلم» لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت: ٢٣٤هـ)، و«مأخذ العلم» لأحمد بن فارس القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، و«اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، و«تقييد العلم» للخطيب البغدادي أيضًا، و«الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه» لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، و«نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف» للوصابي الشافعي (ت: ٧٨٦ هـ)، و«كتاب العلم» للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، و«حلية طالب العلم» للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد (ت: ١٤٢٩هـ).

(٤) مطبوع.

وقد اختصرت كثيرًا مما ورد في هذه الكتب وهَذَّبْتُهَا في النقاط التالية:

أولًا: أَنَّ العِلْمَ سببٌ لرفع الدرجات في الدنيا والآخرة، فقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، والمراد: درجات دنيوية، ودرجات أخروية.

وقال جَلَّ مِنْ قَائِل: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال جَلَّ مِن قائل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فقد قرَن الله تبارك وتعالى شهادة أَهْلَ العِلْمِ بشهادته هو وملائكته على أنه الله لا إله غيره سبحانه وتعالى، وأَعْظِمْ بِهَا من شهادة! وأَعْظِم بهذا مِنْ فَخْر، أن يُدْرَج أهل العلم مع الله تبارك وتعالى ومع ملائكته![1].

ثانيًا: أَنَّه طَرِيق إلى الجَنَّة، فقد أخرج الإمام مُسلم رَحِمَهُ اللَّهُ[2] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجنَّة**»[3].

ثالثًا: العِلم يُورِثُ خَشْيَة الله تبارك وتعالى؛ فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فحَصَرَ -سبحانه وتعالى- الخشية في

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٤٨).

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صاحب الصحيح، ولد: سنة (٢٠٤هـ)، وتوفي سنة (٢٦١هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٢/ ٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

العُلَماء(١)، فـ(إنما) أداة حَصْر؛ أي: إنَّ العُلماء هُم أولى الناس أنْ يخشوا الله تبارك وتعالى حَقَّ الخشية، ويخافونه حقَّ الخَوْف سبحانه وتعالى؛ بما يَعْرِفُونَهُ من عَظَمته ومن صفاته العَظيمة تبارك وتعَالى.

رابعًا: أنه مِن منن الله تعالى على عِبَاده، فإنَّه لما مَنَّ على أنبيائه وأوليائه مَنَّ عليهم بالعِلْم والحِكْمة، فقال جلَّ مِنْ قائل: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، والفضل العظيم هو تعليمه العِلْم والحِكْمة.

وقال سبحانه وتعالى في يوسف عليه الصلاة السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وقال جل مِنْ قائل في موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤].

وقال سُبحانه وتعالى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠]، فعَدَّ سبحانه وتعالى تعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل مِنْ أعْظَم النعم عليه عليه الصلاة والسلام.

وقال تعالى في داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٣٠٠).

وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].

وقال تعالى أيضًا: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وهو الخضر رحمه الله ورضي عنه.

ثم مَنَّ الله تبارك وتعالى على المؤمنين جميعًا بِالْعِلْمِ والحكمة، فقال جَلَّ من قائل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤][١].

خامسًا: أنَّ أَوَّلَ سُورة نزلت من السماء بعد انتظار طويل من أهل الأرض لِوَحْيِ السماء هي سُورة صُدِّرَتْ بلفظ: (اقرأ)، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]؛ فَدَلَّ هَذَا عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ، وعلى عِظَمِ مَكَانَتِهِ عند الله تبارك وتعالى[٢].

سادسًا: أنَّ العِلْم يُورِثُ الخيرية بين الناس؛ فقد قال ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[٣]، ومفْهوم المخالفة أنَّ الله تبارك وتعالى إذا لم يُرِدْ بِعَبْدِهِ خيرًا جَعَلَهُ من الجاهلين الغافلين[٤]، أعاذنا الله من ذلك المقام.

سابعًا: من فضائل العلم أنَّ المخلوقات في السماوات وفي الأرض وفي قَعْرِ

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٣٠٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٥٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٦٠، ٨٩).

البِحَار تَسْتَغْفِرُ لطالب العِلْم، فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»(١).

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم بأسانيد أقل ما يقال فيها: حَسَنة، عَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»(٢).

ومصداق هذا الحديث قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غافر: ٧-٨](٣).

وإن لم يكن هذا قَمِنًا وجديرًا بأهل العلم، فما أدري بمَنْ يَكُون جديرًا؟!

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الحديث فُسِّرَ أيضًا بما جاء في حديث صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٤٢١٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣). وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٦٢٩٧).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥).

قال: قلت: يَا رَسُولَ الله، إني جِئْتُ أَطْلُب العلم، قال: «**مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، فَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ**»(١)، وهذا الحديث أخرجه الحاكم(٢)، وقال: صحيح.

وقال ابن عبد البر(٣): هذا حديث صحيح حَسَن ثابت محْفُوظ، لا يُقَال مثله مِنْ جِهَة الرَّأْيِ(٤). أي: أنَّه رَحِمَهُ اللهُ يحسِّن هذا الحديث.

فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، وتحف به، فوَضْعُها لأَجْنِحَتَها مِنْ بَابِ التَّوَاضع له والتوقير والتبجيل والاحترام، وأَمَّا حفهم لَهُ فهو مِنْ بَابِ حِمَايَتِهِ وحِفْظِهِ مِنْ بَيْن يديه ومن خلفه، فماذا تُرِيد أكثر من ذلك؟! ملائكة تحفظك من بين يديك ومِنْ خَلْفِكَ، ومَلَائِكَة تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لَكَ رِضًا بما تطلب، وتواضُعًا وتَوْقِيرًا وتَبْجِيلًا لَكَ، فَاهْنَأْ بِهَذَا يا طالب العلم.

يقول الطبراني رَحِمَهُ اللهُ(٥): سَمِعْت أبا يحيى زَكَرِيَّا بن يحيى الساجي رَحِمَهُ اللهُ(٦)

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٣٤٧). قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد (١/ ١٣١)، وحسنه الألباني في صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (١/ ١٣٩)

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١٥٥).

(٣) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الأندلسي، القرطبي، المالكي ، توفي سنة (٤٦٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٨/ ١٥٣)، وما بعدها.

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٨).

(٥) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة.، إمام عالم جليل. ولد سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي سنة (٣٦٢هـ)انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٦/ ١١٩)، وما بعدها.

(٦) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن. الإمام، الثبت، الحافظ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها، توفي سنة (٣٠٧هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٤/ ١٩٧)، وما بعدها.

يقول: «كُنَّا نَمْشِي فِي أَزِقَّةِ الْبَصْرَةِ إِلَى بَابِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ، وَكَانَ مَعَنَا رَجُلٌ مَاجِنٌ مُتَّهَمٌ فِي دِينِهِ، فَقَالَ: ارْفَعُوا أَرْجُلَكُمْ عَنْ أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ لَا تكسروها! كالمستهزئ بِالْحَدِيثِ، فَمَا زَالَ عَنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى جُفَّتْ رِجْلَاهُ وَسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ!»(١)، لم يُغادر مكانه حتى حصَل فيه ذلك.

ثامنًا: أنَّ النبي ﷺ لَعَنَ الدُّنيا، واستثنى منها عددًا مِن الأشياء، فقال ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْر اللهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»(٢)، وهذا الحديث قال فيه الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا حديث حسَن.

تاسعًا: أنَّ الله تبارك وتعالى فضَّل آدم على الملائكة، وبَيَّنَ لهم أنَّ سَبَب التَّفْضِيل هو العلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١- ٣٢]؛ فقد فُضِّلَ آدَمُ عَلَيْهِ الصلاة والسلام على الملائكة بِمَزِيَّةِ العلم(٣).

عاشرًا: أنَّ العِلم تَبْقَى فَائِدَته إلى ما بعْد الموت، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابن آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه**»(٤).

وأنا أُوصي دائمًا إخواني طَلَبَة العِلْمِ أَنْ يُوَرِّثُوا لِمَنْ بَعْدَهُم عِلْمًا نَافِعًا، إِمَّا

---

(١) انظر: الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي (ص ٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢) قال صدر الدين أبو المعالي في كَشْفُ المنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ في تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ (٤/ ٣٧٨): سند الترمذي وابن ماجه جيد.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣١)

بالتصنيف إنْ كانوا أهْلًا لِذَلِكَ، أَوْ بِالتَّعْلِيم؛ فإنَّ العلم وِرَاثَة كوراثة المال، وهذا الذي يبقى، فنحن نذكر في مجالسنا هذه أئمة فُضلاء علماء مَاتُوا قبل ألف سنة أو أكثر، وهذا مِنْ فَضْلِ العلم عليهم، فهو الذي أبْقَى ذِكْرَهُم طوال هذه القرون المتطاولة.

حادي عشر: أنَّ العِلْم يُنْتَفَع به، حتى إنَّ الحيوانات تَنْتَفع بالعلم، فإنَّ الكلب المعلَّم ينتفع بالتَّعَلّم والتعليم، حيث يَحِلّ صَيْده لِصَاحِبِه، ولا يحلُّ صيد الكلب الجاهِل(١).

وهذا الهدهد عندما هَدَّده سليمان عليه الصلاة والسلام وأَوْعَدَهُ بالذبح أو بالتَّعْذِيب، وقَفَ أَمَامَه بكل جرأة، ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢]، فخَاطَبه بقلب واثق بما حَصَلَ عنده مِنَ العلم عن القوم الذين فيهم ملكتهم بلقيس في اليمن(٢).

وقَالَ الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِنْ شرف العلم أنَّ كُلّ مَنْ نُسِبَ إليه ولو في شيء حَقِير فَرِحَ به، وكُلّ مَنْ رُفِعَ عَنْهُ حَزِنَ لأجل ذلك الرفع ولو في شيء حقير»(٣).

أي: أنه لو قيل: فُلَان جَاهِل بكذا لحزن ذلك الشخص! ولو كان ذلك في شيء يسير.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ عَظُمَتْ قِيمَتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الفِقْه نَما قدره، ومن كَتب الحديث قَوِيَتْ حُجَّته، ومن نظر في اللغة رَقّ طَبْعُه، ومن نظر

(١) انظر: المغني، لابن قدامة (٩/ ٣٦٩)، مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٥٥).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٧٣).
(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/ ٢٥٠)، وإحياء علوم الدين، أبو حامد الغزاالي (١/ ٨).

في الحساب جَزل رَأْيُه»(١).

لهـذه المزايـا وغيرهـا كـان الـسَّلَف -رحمهـم الله تبـارك وتعـالى، ورَضِـيَ عنهم- يُفَضّلون طلب العلم على نوافل العبادات، بَلْ كان الجمهور الأعظم من السلف يُفَضِّلُونَ طَلَبَ العِلْم على نوافل الجهاد الذي هو فَرْض كفاية، لا فَرْض عَين، وقد رُوِيَ ذَلِك عن كَثِير مِنَ السلف يضيق المقام عن ذكرهم وإيرادهم(٢).

وكان أحَد التابعين الكبار - مُطَرِّف بن عبدالله بـن الـشِّخِّير رَحِمَهُ اللهُ(٣)- يقـول: «حَظٌّ مِنْ عِلْـمٍ أَحَـبّ إِلَـيَّ مِـنْ حَـظٍّ مِـنْ عِبَـادَة»(٤)، أي: نَـصِيب مِـنْ عِلـم أعْلَمُـه أحبّ إِلَيّ مِنْ نصيب مِنْ عبادة أتَعَبَّد بها.

وقَـال قَتـادة(٥): قـال ابـن عبـاس: «تَـذَاكُر العِلْـم بَعْـض لَيْلَـة أَحَـبّ إلـيَّ مِـنْ إحْيَائِهَا»(٦)، أي: مِنْ إحياء تلك الليلة.

وقـال الرَّبيـع بـن سـليمان رَحِمَهُ اللهُ(٧): سَـمِعْتُ الـشَّافِعِيَّ يَقُـول: «لَطَلَـب العِلْـمِ أَفْضَلُ مِنْ صلاة النافلة»(٨).

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٣٤)، المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي (٥١١).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١١٩- ١٢٠).

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري ، أبو عبد الله البصري، أخو يزيد بن عبدالله بن الشخير وهاني بن عبد الله بن الشخير. قال الحافظ: ثقة عابد فاضل. توفي سنة [٩٥هـ]. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٦٧).

(٤) انظر: جامع بيان العلم، لابن عبد البر (١/ ١١٧).

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل غير ذلك في نسبه، أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى. قال الحافظ: ثقة ثبت. توفي سنة [٦٠أو٦١هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٥).

(٦) انظر: جامع بيان العلم، لابن عبد البر (١/ ١١٧)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢٧٩).

(٧) الربيع بن سليمان الجيزي، أبو محمد الأزدي، مولاهم الأعرج. قال الحافظ: ثقة. وقال الذهبي: ثقة. توفي سنة: [٢٥٦هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٥)، تهذيب الكمال (٩/ ٨٦).

(٨) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (٩/ ١١٩).

وقال وكيع(١): سَمِعْتُ سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) يقول: «لا أعلَم من العبادة شيئًا أَفْضَل مِنْ أَنْ يُعَلَّم النَّاس العِلم»(٣).

وأما بيان فضله على نفل الجهاد: فقد رُوي أنه أَتَى رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ وَإِنَّ وَالِدَيَّ لَيَبْكِيَانِ. قال: «**ارْجِعْ إِلَيْهِما فَأَضْحِكْهما كما أبْكَيْتهما**»(٤).

وهذا مِنَ الفِقْهِ والعِلْم الذي لا بُدَّ أَنْ يعرفهما طَالِب الجِهَاد، فلذلك فَضَّلَ السَّلَفُ -رحمهم الله تبارك وتعالى- طلب العِلم على طلب الجهاد.

هذه مقدِّمة في فضل العِلم وأهميته.

- كيفية وصول علم السلف إلينا:

أما كيف وصل إلينا علم السلف؟ وكَيْفَ أُلِّفَت هذه المؤلفات وصُنِّفَتْ هَذِهِ المصنفات؟ فَلَها قِصَّة طويلة، أَخْتَصِرُهَا قائلًا:

إن القَرْنَ الأَوَّل لم يَكُنْ فِيهِ تَأْليف وتصنيف إلا أقَل القليل، وكان في أواسط القَرْنِ الأَوَّل قَدْ نُهِيَ النَّاس عن الكتابة؛ لئلا تَخْتَلِطَ الكُتُب المُصَنَّفَة بكتاب الله تبارك وتعالى، أو بحديث رسول الله ﷺ؛ فيُقَصِّر النَّاس فِي حَقّ كتاب الله تبارك

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى، أبو سفيان الكوفى، من قيس عيلان. قال الحافظ: ثقة حافظ عابد. توفي سنة [١٩٦أو ١٩٧هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٠).

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق. شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الكوفي، الفقيه. توفي سنة [١٦١هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٣٨٢).

(٣) انظر: المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي (٤٧١)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٤).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٦٤٩٠) وأبو داود (٢٥٢٨)، وابن ماجه (٢٧٨٢) في سننهما، والحديث صحيح. البدر المنير، لابن الملقن (٩/ ٤٠).

وتعالى أو في حق أحاديث رسول الله ﷺ، ثم استقر الإجماع على جَواز كتابة العِلم.

وكان العلم يُتَدَاوَل بين الناس في الحلقات الخاصة للعُلَمَاء والمُعَلّمين، فلم يكن العلم مشاعًا - كما هو اليوم - في كل زاوية ومكتبة وبيت، حيث شاعت اليوم كتب العلم بين الناس، فيأخذها العالم والجاهل، والحقيق بطلب العلم ومن ليس له بأهل، بل كان العلم مقصورًا على فئات يُسْتَحْسَن منها أن تطلب العلم.

ثُمَّ بَعْد ذلك منذ أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني ظهرت المُصَنَّفات، وانتشرت انتشارًا عظيمًا في القرن الثالث وما بَعْدَهُ.

وكانت بداية العلوم بداية أَوَّلِيَّة؛ حيث كَانَتْ قواعد العُلوم تُسْتَقَى من العالم، بأن يُسْأَل فيُحفظ قوله وأجوبته، أو تُكْتَب، وقد شكلت هَذِهِ الأقوال بدايات العلوم المصنفة، ثُمَّ بعد ذلك زِيدَ عَلَيْهَا وحُسِّنَتْ وطُوِّرَتْ حَتَّى أَصْبَحَتْ عُلُومًا معروفة متداولة بين الناس.

ولَيْسَ أَدَلَّ على ذلك من علم النحو؛ فلم يكن العَرَب الأقحاح[1] الأوائل يَعْرِفُون مصطلح الفاعل والمفعول به، والمفعول معه، والمفعول له، والأحوال، والصفات، والنعوت، والتمييز، بل كانوا يرفعون الفاعل، وينصبون المفعول على السَّلِيقة[2]، إنما طَرَأَتْ هذه المصطلحات كلها ونَشَأَتْ بَعْد ذَلِك، وكان مِنْ أَوَائِل ما وُضِعَ في علم النحو في أيام الخليفة الراشد عَلِيّ بن أبي

(١) أي: العرب الخلص. انظر: الكنز اللغوي في اللَّسَن العربي، ابن السكيت (ص ٣٧).

(٢) والسليقة: طبع الرجل. انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٣٠٩).

طَالِب رضي الله عنه، لما أمر أبا الأَسْوَد الدؤلي أن يَضَع للناس شيئًا تَسْتَقِيم به ألسنتهم؛ لأن -فيما قيل- أعرابيًّا سمع قارئًا يَقْرَأ: أن الله بريء مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولِه - بكسر لام رسوله- والآية: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] بضم اللام، فصَدَر مِنَ الأعرابي ما يُفْهم منه أَنَّهُ تبرأمن بَرِئَ منه الله تبارك وتعالى، فقال عَلِيّ رضي الله عنه له: وَيْحَك يا أَعْرَابِيّ! تَتَبَرَّأ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففَهَّمَهُ الأعرابي أنه سَمِعَ القارئ يقرأ كذلك وهو جَاهِل، فحَزِنَ لِذَلِكَ عَلِيّ رضي الله عنه، وأَمَرَ أبَا الأسود أن يَضَعَ للناس شيئًا تستقيم به ألسنتهم[1].

وقيل: إنَّ أبا الأسود رحمه الله - ويسمّى: ظالم بن عمرو، وكان مِنْ أَقْحَاحِ العَرَبِ وفصحائهم[2]- سَمِعَ ابْنَتَهُ تقول له: يا أَبَتِ، مَا أجملُ السماء؟ فقال: نجومها -ظَنّ أنها تَسْتَفْهم منه عن أجْمَل ما في السماء، أي: أن (ما) هنا استفهامية-، قالت: يا أبت إنما أردت أن أَتَعَجَّب مِنْ جَمَال السماء، فقال: أَوَ قَدْ فَشَا اللَّحْنُ في الناس؟[3] يعني: ظَهَر فيهم، فقد كان على ابنته إذا أرادت أن تتعجب من جمال السماء أن تقول: ما أجملَ السماءَ! فتفتح لام (أجمل)، فحَزِنَ لِذَلك أَبُو الأسود، فَوَضَعَ قَوَاعِد للنحو ليست مثل القواعد المعروفة اليوم، إِنَّمَا هي قَوَاعِد أولية لإقامة أَلْسُنِ النَّاسِ، فَلَمَّا عَرَضَهَا على عَلِيّ رضي الله عنه قال: يا أبا الأسود، ما أجملَ هذا النحو الذي نَحَوْتَ! يعني: في التأليف، فسُمِّيَ

(١) انظر: الخصائص، لابن جني (٢/ ١٠).

(٢) أبو الأسود الدؤلي، ويقال: الديلي، قاضي البصرة، اسمه ظالم بن عمرٍو على الأشهر. قال الحافظ: ثقة فاضل مخضرم. قال أحمد العجلي: ثقة، وهو أول من تكلم في النحو. توفي سنة [٦٩هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ١٢)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٧٥٣).

(٣) انظر: البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ص ٨٤).

النحو لذلك: نحوًا(١).

وهَكَـذَا العلـوم كلهـا؛ فالـشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرسـالة» وَضَـعَ أُصُـولَ عِلْـمِ الأصـول(٢)، وكـذا القَوَاعِـد الفِقْهِيَّـة وضـع لهـا أصـولًا في رسـالته، ولـم يَكُـن المُحَدِّثُون قَبْلَ ذلك يعرفون أصول الفقه ولا يعرفـون كيـف يتجـادلون مـع أهـل الـضلال والزيـغ، حتـى جـاء الـشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣)؛ لِـذَلِكَ كـان الإمـام أحمـد يَـدْعُو للشافعي في سجوده، حتى تعجب مِنْهُ ابنـه مـن كَثْـرَةِ مـا يـدعو للـشافعي، قـال: يـا بُنَيّ إِنَّ الشافعي كان كالشَّمْسِ للدنيا، وكالعافية للنـاس. فـانظر هـل يُـسْتَغْنَى عـن هذين؟!(٤) فكذلك كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال المحدِّثُون: للـشافعي منـة في عُنُـقِ كُـلّ مُحَـدّث. أَوْ كَمَـا قـالوا رَحِمَهُـم الله. فهذه بدايات العلوم وبدايات تطورها.

ثم بعد ذلك في عصْرِ الدَّوْلَةِ العبَّاسِيَّةِ نـشط بعـض خلفـاء بنـي العبـاس(٥) في اسْتِجْلَاب بعض كتب علوم اليونان، وكان هذا أول دَخَل يدخل على المـسلمين في عُلُومِهِم، حتى إن المأمون أمر بنبش قبر عَظِيم من عظمـائهم -عظمـاء الكفـار القدماء- لما سَمِع أن هناك تابوتًا فيه كتب قَدِيمـة دُفِنَـتْ مَعَـه، إلـى هـذه الدرجـة وصـل اهتمـام خلفـاء بنـي العبـاس بعلـوم اليونـان! فأُخِذَتْ كتبهم إلـى حَاضِـرَة الخلافة، وجُعِلَـتْ لهـا مَكْتَبَـات عظيمـة كبيـرة تُتَرْجَم فيهـا هـذه الكتـب. ودَخَـلَ

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ٧٣٥ وما بعدها).

(٢) علم الأصول ملكة مركوزة في طبائع العرب، وسليقة مغروسة في نفوسهم؛ كالعربية، ثم جاء الشافعي فدَوَّنَ هذا العلم.

(٣) انظر: الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/ ٤٥).

(٥) وهو المأمون.

علينا من علومهم الشيء النافع، والكثير من الأمور الضارة، وخاصة في أمور العقائد؛ فإن اليونانيين والرومان كانوا متوغِّلِين جدًّا في الإلهيات من ناحية العَقْلِيَّات وليس من ناحية السَّمْعِيَّات والأدلة عن الله تبارك وتعالى وعن أنبيائه، فَظَهَر فساد عظيم بترجمة علوم اليونان، وظَهَرَ ما يُعْرَف بعلم الكلام، وقد رَدّ السَّلَف على مَنْ يتعلم هذا العلم، أو مَنْ يَقُول بوجوب تعلّم مثل هذه العلوم من علوم اليونان -كعلم الكلام والمنطق والفلسفة- ودَخَل على المسلمين شَرّ كثير لا زلنا نُعَانِي منه إلى أَيَّامِنَا هَذِهِ[1].

ولذلك عندما رأى النبي ﷺ نسخة من التوراة في يد عمر رضي الله عنه غضب لذلك ﷺ وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟**» أي: أأنتم شاكون فيما جئتكم به يا ابن الخطاب؟ «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[2] صلى الله عليهما وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثم هذه الكتب الهائلة التي صُنِّفَتْ منذ بدايات القرن الثاني إلى الأَعْصُرِ المتأَخِّرَة قَدَّرَهَا مُقَدِّر بثلاثة ملايين من المخطوطات، وفي تقديري أنه تقدير قريب جدًّا إلى الواقع إن لم يكن الواقع أكثر مِنْ ذلك، وقَدَّر المُقَدّرون أن الذي طُبِعَ منها إلى يومنا هذا يوازي خَمْسة بالمائة فقط من علوم المسلمين ومصنفاتهم، والباقي ذَهَبَ في الكوارث والحرائق والزلازل التي كانت في العالم الإسلامي، وذهبت في الحروب والنكبات، فالتتار عندما دخلوا بغداد أتلفوا كثيرًا مِنْ علوم المسلمين، والصليبيون عندما دخلوا بيت المقدس وذبحوا فيه

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٥١٥٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٤): فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء (٦/ ٣٤) بشواهده.

سبعين ألفًا من المسلمين لم يتورَّعُوا عن أن يَحْرِقُوا كتب المسلمين ويُتْلِفُوهَا، والنَّكَبات المتتالية التي حَلَّتْ ببلاد الأندلس من غرناطة وأشبيلية وجيان وقرطبة وكانت مهد العلوم... إلى آخره، فكان الصليبيون عندما يدخلون بلدًا محاصرة ينتقمون مِنْ أَهْلِهَا بالقتل والسلب والنهب، وكانوا يَجْمَعُون الكتب كُلّها فِي أكْبَر حي من أحياء ذلك البلد ويحرقونها على مَرأى من المسلمين، فالكتب ذَهَبت وضاع كثير منها في نكبات متتالية.

وأيضًا كانت الكتب تُحْفَظ في المساجد وفي المكتبات الخاصة في البيوت، وتحفظ في أماكن كثيرة، وكان يعتني بها العلماء والجهال: أما اعتناء العلماء بها فواضح، وأما اعتناء الجُهَّال بها فلأن بعضهم كان يحب الفخر، وبعضهم يحب الامتلاك -امتلاك أي كتاب كان- وبعضهم كان يجعلها قراطيس لطعامه... إلى آخر ما هنالك، فضاعت الكتب.

وسَمِعْت بأذني الأستاذ المحقق عبد الفتاح الحلو رَحِمَهُ اللَّهُ، -وهو مِنْ أعْلَامِ المُحَقّقين في العالم العربي- في مجلس يقول: ذَهَبْنَا في بعثة من الجامعة العربية في سنة سبع وستين بعد الحرب -حرب حزيران- لنجمع مخطوطات من العالم الإسلامي، فَذَهَبْنَا إلى بلد من البلاد، فقيل لنا: إن في ظاهر هذه البلد مغارَة كبيرة فيها كتب كثيرة محْفُوظة لعلماء كثيرين، وكان ذلك البلد يقع على البحر، فذهبنا ومعنا مسئولون من ذلك البلد، ودخلنا إلى المغارة، فوجدناها مظلمة بها آثار دِمَاء، وفيها كثير من القوارض والزَّوَاحِف، فكُنَّا نمسك بالمخطوطة الثمينة الغالية، فتتساقط من أيدينا بسبب عوامل الرطوبة؛ لأن ذلك البلد على البحر، فسألنا لمن هذه الدماء؟ فقيل: هذه دماء العلماء الذين قُتِلُوا على يَدِ بَعْض

الجَهَلَةِ في ذلك البلد، ولم نخْرج بشيء يُذْكَر من تلك المغارة ؛ إذ كثير من الكتب قد أتَتْ عَلَيْهَا الزواحف والقوارض وعوامل الرطوبة في زمانهم ذاك، هَكَذا كانت الكتب، خَاصَّة بعد القرن العاشر، فبعد القرن العاشر من الهجرة فَشا الجهل في العالم الإسلامي، وفشت قلة الاعتناء بالكتب والمصنفات ففُقِدَ كثير منها.

وكذا الاستعمار عندما جاء إلى العالم الإسلامي أَخَذَ كَثِيرًا من تلك الكتب أيضًا، ولكن كان ذلك من عناية الله تبارك وتعالى، فكان ظاهره فيه العذاب وباطنه فيه الرحمة لنَا حيث أَخَذَ الاستعمارُ كُتُبَنَا فحَفِظَهَا في مكتباتهم شرقًا وغربًا، فإنك عندما تطلب كتابًا مِنْ مَكْتَبَات الدول العربية أو ترغب في تصوير مخطوط أو كتاب أعجبك تجد عنتًا عظيمًا، أما إذا طلبت الكتاب بالبريد من أي مكتبة أوروبِّيَّة أو أمريكية فإنه يأتي إليك بالميكروفيلم صورة من الكتاب في ظَرْفٍ إلى عنوانك وإلى مكانك في بلادك، ويقول لك: حسابك كذا، فأَرْسِلْه لنا بالبريد، هكذا بكل سهولة، فحَفِظَ اللهُ كثيرًا من المصنفات على أيدي هؤلاء المستعمِرين، وإن كانت نيتهم فيها غير حسنة.

ثم أيضًا تأخرت الطباعة في العالم الإسلامي تأخرًا عظيمًا، فالطباعة بدأت في أوروبا منذ القرن العاشر الهجري، ولم يَعْرِف العالم الإسلامي المطْبَعة إلا عندما جَلَبَهَا نابليون في أول احتلاله لمصر في أوائل القرن الثالث عشر: سنة اثنتين ومائتين وألف، أي: بَعْدَ ثلاثمائة سنة من دخول المطبعة إلى أوربا - وخاصة في الفاتيكان حيث كانوا يطبعون الإنجيل بها- فأَوَّل طابعة دَخَلَتِ العالم العربي هي التي أتى بها نابليون معه! فقيل: إنه رَجَعَ بِهَا. وقيل: إنها بَقِيَتْ،

لَكِنَّها فَسَدَتْ بعد ذهابه، ثم بعد ظهور المطبعة بأربعمائة سنة بأوروبا فشَتِ المطابع في بعض بلدان العالم الإسلامي، وبعد خمسمائة سنة تقريبًا دَخَلَتِ المطبعة بعض بلدان العالم الإسلامي، وبعض بلدان العالم الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع عشر لم يعرفوا المطبعة وليس لهم عهد بها! بينما أوروبا تطبع الكتب منذ بدايات القرن الحادي عشر الهجري.

والمصنفات التي جاءت إما مصنفات منثورة؛ أي: مكتوبة كتابة خالية من النظم أو من التعقيب، أو تكون مصنفات منظومة، على شكل قصائد ومنظومات، هذه المصنفات يَشْرَحُهَا بعض العلماء، ثم يأتي عالم آخر فيَرَى بهذا الشرح نقصًا -مثلًا- فيُحَشِّي عليه؛ أي: يجعل هامشًا لذلك الشرح أو شرحًا لذلك الشرح يسمى: الحاشية[1]، فالمُصَنَّفَات إِمَّا مُتُون -أي: أصل كلام العالم متن منثور أو منظوم- ثم شرحٌ لذلك المتن، ثم حواشٍ لذلك المتن، وقد يكون هناك حواشٍ لتلك الحواشي.

هذه المصنفات - خاصة بعد القرن العاشر - كثرت فيها الحواشي وكثرت الشروح، ونَدر أن يأتي عالم جهْبذ يَسْتَقِل بالعلم ويُؤَلِّف فيه، بل قيل: إِنَّ خَاتِمَة الحفاظ هو صَاحِب كتابنا هذا الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، وحُقَّ لَهُ أن يَكُون كذلك كما سَأُبَيِّن في حياته بعد ذلك في المقدمة الثالثة إن شاء الله.

حيال هذا التراث العلمي الضخم ماذا يصنع طالب العلم؟ ماذا يأخذ؟ وماذا يذر؟ ماذا يحفظ؟ وما الذي تتَّجِه همته إليه؟ خاصَّة والشواغل كثيرة، وأحوال

---

(١) الحاشية: من كل شيء جانبه وطرفه، ومن الإبل صغارها التي لا كبار فيها، والأهل والخاصة يقال: هؤلاء حاشيته. وما علق على الكتاب من زيادات وإيضاح. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧٧).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، للسيوطي (ص ٢٥٢).

الزمان عجيبة فقد تَعَقَّدَتِ الحياة، وتعقدت طلبات الأهل والأرحام، ونَحْن -حقيقة- في حيرة عظيمة.

لا بُدَّ أن نعلم أن العِلْمَ يَنْقَسِم إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: مطلوب لذاته.

والقسم الثاني: مطلوب لغيره.

أمَّا القِسْم المطلوب لذاته فهو مثل عِلْم الكِتَاب والسنة والفِقْه في الدين المُسْتَنْبط من الكتاب والسنة، فَهَذَا مطلوب لذاته ولا شَكَّ، وعِلْم الطب وعلم الأخلاق هذه كلها مطلوبات لذاتها.

وأما ما لَيْسَ مطلوبًا لذاته وإنما هو مُوصل إلى العلم المطلوب لذاته فهو ما يُعْرَف بِعُلوم الآلة؛ كعلم النحو والصرف وعلوم البلاغة: مِنَ البيان والبديع والمعاني، فهذه كلها مطلوبة لغيرها؛ فيُطْلَب النحو لإصلاح اللسان وفهم خطاب الشارع... إلى آخره.

والعلوم أيضًا تنقسم من حيث حكمها إلى قسمين: علوم تَعَلّمها فَرْضٌ على كل أحد، وعلوم يكتفي بتعلمها البعض دون البعض الآخر، فكل ما أوجبه الشرع على خاصّة نفسك -أيها العبد- فهو مطلوب لك طلبًا عَيْنِيًّا، ومفروض عليك فرض عين أن تتعلمه، وكل ما أوجبه الشرع على المجموع؛ ليعْمَلوا به لا على كل شخص بذاته، فهو مَطْلُوب طلبًا كِفَائِيًّا.

وعليه فالَّذِي يَنْبَغِي لطالب العلم هو أن تتجه همته أولًا إلى معرفة كتاب الله تبارك وتعالى: فهمًا وحفظًا، أو حفظ ما يستطيع منه ويوفقه الله تبارك وتعالى إليه، وقِيلَ: بأنها خمسمائة آية من آيات الأحكام إذا حفظها الإنسان فَقَدْ أحَاطَ

بمقصود القرآن مِن الأحكام الشرعية، فينبغي على الطالب أن تتجِهَ هِمَّتُهُ إلى هذا الكتاب العظيم: حفظًا، علمًا، مُدَارَسَة، فهمًا، هكذا كان السلف رحمهم الله[1].

وقبل ذلك لا بد أن يعْرَف عدة أشياء: أن يَعْرِفَ الله تبارك وتعالى، فيَعْرِف أسْمَاءَهُ وصِفَاتِهِ بِغَيْر تَكْيِيف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه[2]، بل يعرفه كما عَرَفه السلف الصالح رضي الله عنهم، ويُمِرّ أحاديث الصفات كما جاءت لا يتأوّلها ولا يتكيّفها بعقله القاصر المحدود، [3]، ويعرف أن الله تبارك وتعالى مُنَزَّه عن الشبيه والمثيل لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ثُمّ يجب عليه أن يعرف فروض الأعيان -كما أسلفت- من طهارة وصلاة وحج إن وجب عليه، وزكاة إن وجبت عليه... إلى آخره.

ويَتَعَلَّم ما يحِلّ لَهُ ومَا يحرم عليه مِنَ المأكل والمَشْرَب والملبس والمنكَح إن كان له زوجة، وإلا فليس فَرْض عين أن يعلم ذلك، ويتعلم كيف يُطَهّر نفسه من المعاصي، ويُطَهّر قلبه من الوساوس والدخائل، ومن الحقد والحسد والضغينة والغش للمسلمين، فإن هذا أول ما يتعلَّمه العبد، ويجب عليه أن يُعَلّم نفسه ذلك، ويعلم مَنْ يَعُول أيضًا من زوج وأولاد وخادم وخادمة ونحو ذلك، فلا بد له أن يعلمهم ذلك كله.

---

(١) ذكر الغزالي في شروط الاجتهاد: إنه لا يلزم المجتهد حفظ القرآن كلّه، بل يكفي منه خمسمائة آية يستدل بها، وهي آيات الأحكام. انظر: المستصفى، الغزالي (ص ٣٤٢).

(٢) انظر: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، أبو محمد الجويني (ص ٣٠).

(٣) انظر: قواعد العقائد، أبو حامد الغزالي (ص ١٣٦).

ثم بعد فراغه من ذلك يطلب العلوم؛ فيطلب القرآن حفظًا ودراسة، وتفسيرًا وفهمًا، ويَعْرِفُ العَقَائِدَ الصَّحِيحَة من الفاسدة، ويَعْرِف كيف يرد شبهات الضالين، والمُلْحِدين، وشبهات الكافرين في دينه، فيَجِبُ عليه أن يعرف ذلك ولو معرفة إجمالية. أعني بهذا: طالب العلم ليس كل الناس.

ثم يعرف الحديث النبوي معْرِفَة كافية تُتِيح له فهم مصطلحاته إذا قرأها في الكتب، ولَيْسَ تِلْكَ المَعْرِفة التي ينتهي إليها الشخص في علمه، ولَكِنْ عَلَى الأقل أن يعرف كثيرًا من متون السنة، ويعرف مصطلحات الحديث، بحيث إِذَا مَرَّ بها في كتاب علمي يَفْهَم ماذا يُرَاد منها.

ثم عليه معرفة لغة العرب ولسانهم الذي يتخاطبون به؛ ليعرف بذلك مَرَامِي الشرع ومَقَاصِدَه.

ويقْبح بطالب العلم أشد القبح أن يظل سنوات طويلة يُعَانِي من عدم معرفته للغة العرب ولسانهم، فلو كنت مريضًا لبذلت كل جهدك للتداوي والتشافي، وأنت مريض في لسانك! فعَالِجْه وبِكُل سرعة ممكنة! ولا تقل: اللغة صعبة، أنا لا أعرف، أنا لا أفهم! فهذه كلها حواجز نفسية، عَلَيْكَ أن تتَعَدَّاها، فإن لم يُصْلِح طلبة العلم ألسنتهم فمن الذين يُصلحون ألسنتهم؟!

ثم الفقه، فلا بد أن يعرف طريقة استنباطات الأئمَّة ﵃ مِنَ الكتاب والسنة، والأولى به في بدايات طلَبِهِ أن يلتزم مذهبًا فقهيًّا، لا نقول: لا يخرج عنه؛ تعصبًا وتشنجًا، وإنما يخرج عنه إذا عرف الدليل ووثق بمن يخبره بالدليل، ولكن يجمل به أن يلتزم مذهبًا فقهيًّا؛ حتى لا يتشتت ولا يشط[1] ولا

(١) يبعد. انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ١٣٧).

يجنح، ولا يشذ في أفكاره وفتاواه التي يستقي منها.

ثـم أيـضًا الأصـول والقواعـد الفقهيـة[١] علـم مهِـمّ ينبغـي لطالـب العلـم أن تشمل معارفه معرفِةَ هـذا العلـم، أو علـى الأقـل أن ينظـر فيـه نظـرًا كافيًا لِمَعْرِفَـة مَقاصده ومراميه.

ثـم يجمـل بـه أن يعـرف سِـيرَة رسـول الله ﷺ[٢]، وتـواريخ الرجـال الأبطـال الشجعان[٣] أولي الهمم، سلفنا رضي الله عنهم؛ حتى يقتدي بهم على علم ويقين.

ضوابط طلب العلم:

أولى تلك الضوابط هـي أنـه: إذا اسـتطاع طالـب العلـم أن يلتحـق بكليـة مـن الكليات الشَّرْعِيَّة، فهو أولى له وأرشد، وأهدى به أن يصنع ذلك؛ لسببين:

أمـا الـسبب الأول: فـلأن الكليـات العلميـة لهـا مـن التَّجْرِبَـة وطرائـق العلـم ومناهج البحث الكفاية؛ فهي تدل الإنسان على مراتب العلـوم وكيـف يتـدرج في الطلب، فلو تُرِكَ الإنسان بينـه وبـين نفسـه لَرُبَّمـا يـزل أو لا يهتـدي إلـى مـا يأخـذ بالتدرج المطلوب.

والـسبب الآخـر: أن الـشيوخ الـذين يُطْلَبُ العلـم علـى أيـديهم طلبًـا شـاملًا كاملًا كما كان سَلَفُنَا يصنع أندرُ مـن الكبريـت الأحمـر[٤] كمـا كـان يُقَـال، وأقـل

---

(١) مثل كتاب: الرسالة للشافعي، والبرهان في أصول الفقه للجويني، والبحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي.

(٢) مثل كتاب: السيرة النبوية لابن كثير، وسيرة ابن هشام، والسيرة النبوية، وأخبار الخلفاء لابن حبان.

(٣) مثل كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر.

(٤) هذا مثل يضرب لشدة الندرة. انظر: الأمثال المولدة، الخوارزمي (ص ٢٨٤).

وأندر من عَنْقَاء مُغْرِب(١)!

فالشيوخ ينقسمون إلى قسمين:

شيوخ كبار، وهؤلاء قد تداولتهم الهيئات العلمية والمجامع الفقهية، ولم يبق لهم وقت يُدَرِّسون الناس فيه إلا لمامًا(٢)، وخاصة في مناطقنا هذه فإنه يقل فيها الشيوخ الكبار الذين يتفرَّغون لتدريس الناس وتعليمهم كما كان سلفنا رضي الله عنهم يصنعون.

وإما شيوخ أكاديميون علميون جامعيون ملتزمون التزامات عظيمة: بتدريس طلاب وطالبات، وبإشراف على طلاب وطالبات، وبمحاضرات وبدروس كثيرة فلا يستطيعون تدريس الطالب المبتدئ كما ينبغي، فإذا استطاع الإنسان -لكل هذا- أن يلتزم كلية من الكليات أو معهدًا من المعاهد العلمية فلا يتَوَانَى عن ذلك أبدًا؛ فإن ذلك وسيلة في عصرنا هذا إلى طلب العلم لا بأس بها.

ثم إنه في هذا الزَّمَانِ كثير الشجون والشئون والمداخلات على طالب العلم من الصعب أن يوازن بين ما يريد أن يتعلَّمَهُ أولًا ثم ثانيًا ثم ثالثًا؛ إذ ليس بمقدوره أبدًا -وأنا أقول ذلك عن تجربة وسؤال، ويكاد يبلغ إلى حد اليقين- في زَمَانِنَا هذا أن يجمع العلوم كما جمَعَها سلفنا الأوائل، وأن يُحِيطَ بِهَا كإِحَاطَةِ علمائنا الأوائل بها، فهذا أمْر جِدّ صعب؛ لأن سلفنا رضي الله عنهم فَرَّغُوا أنفسهم؛ من يستطيع منا أن يترك أهله ووطنه طلبًا للعلم عشرين سنة متتالية أو ثلاثين سنة

(١) عنقاء مغرب: كلمة لا أصل لها، يقال: إنها طائر عظيم لا يرى إلا في الدهور، ثم كثر ذلك حتى سموا الداهية عنقاء مغرب. انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (٢/ ٩٤٢).

(٢) قال في مختار الصحاح ص٢٨٥: فلان يزورنا لمامًا، أي: في الأحايين.

متتالية؟! من يستطيع منا أن يظل خمسين سنة متواصلة يُصَلِّي الفَجْرَ بوضوء العشاء يقوم الليل في طلب العلم كما كان مالك يصنع رَحِمَهُ اللهُ ؟!(١).

مَنْ مِنَّا ومن مِنَّا... لو ظللنا نتحدث عَنْ هِمَّة السلف وطرائقهم في طلب العلم ورحلاتهم وأشغالهم، لأتينا بشيء عَجَب.

فمحمد بن جرير الطبري(٢) ومحمد بن نصر المَرْوَزِيّ(٣) ومحمد بن خزيمة(٤) أئمة المسلمين في أعصارهم، فابن خزيمة كان يقال له: إمام الأئمة، وابن جرير الطبري وما أدراكم من هو، ومحمد بن نصر أيضًا عالم كبير، فهؤلاء المُحَمَّدُون الثلاثة انقطعوا في مصر لطلب العلم، أَتَوْا من بغداد إلى مِصْرَ لِطَلَبِ العلم، فَظلوا ثلاثة أيام متواليات لم يجدوا شيئًا يُدْخِلُونَه في جوفهم -ذكر هذه الحادثة: الذَّهَبِيّ في السير(٥)- حتى إن أميرًا من الأمراء رأى رسول الله ﷺ في منَامِهِ يقول له: أغِثِ المُحَمَّدين! أغِث المحمدين! فسأل عنهم، فوجدهم بعد

---

(١) أَبو عبد اللهِ مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامرٍ الأصبحي، المدني، حليف بني تيمٍ من قريشٍ. توفي سنة [١٧٩هـ].

قال الحافظ: إمام دار الهجرة، رأس المتقنين، وكبير المتثبتين حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٢)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٦).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري. الإمام صاحب التصانيف. من أهل آمل طبرستان. [المتوفى: ٣١٠ هـ]. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٥٤٨)، تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ١٦٠).

(٣) أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام. ولد ببغداد. وتوفي سنة ٢٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٣٣) وما بعدها.

(٤) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي، النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، أحد أبرز علماء الحديث. عُني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان. رحل إلى الشام، والعراق، ومصر، والجزيرة. توفي سنة ٣١١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١١/ ٣١٠).

أن حَلَّتْ لهم الميتة، واقْتَرَعُوا من يخرج منهم لسؤال الناس في جَامِع مصر في ذلك الزمان، يريدون أن يأكلوا، ثَلاثَةٌ من أئمَّة المسلمين لم يجدوا شيئًا فِي زَمَانٍ غَلَاء وَمَجَاعَة، فتَصَوَّرُوا كيف كان الأسلاف وهم يطلبون العلم؟!

وأبو حاتم الرازي(١): إمام من أئمة المسلمين في الجرح والتعديل، ارتحل إلى مصر، فمكَث مُدَّة طويلة لا يجد إلا ما يُقِيم صُلْبَه، ومَكَث أيضًا أيامًا لم يجد شيئًا، فوجد معه درهمًا، فذهب واشترى به سمكة، يريد أن يأكلها، فمكثت هذه السمكة حتى تَغَيَّرَتْ؛ لأنهم لا يجدون وقتًا لشواء تلك السمكة، ثم بعد أن تَغَيَّرَتْ أكلها نيئة، رحمهم الله، تصوروا! كيف هذه الهمة العالية؟!

يقول أحد السلف(٢): مكَثْتُ ثلاثين سنة أشتهي أن آكُلَ العصيدة(٣)، يمنعه من ذلك البكور لطلب الحديث عند المحدثين رحمهم الله. وما أجاب نَفْسَهُ إلى ذلك في يوم من الأيام، ثلاثون سنة كاملة. هؤلاء أئمتنا، فَمَن يستطيع أن يصنع صنيعهم؟! ما أتصور ذلك وما أعلمه يكون، والله أعلم.

ثم بعد أن يطلع على تلك العلوم ويدرسها دراسة -كما أسْلَفْت- عليه أن يَتَخَصَّص في علم من العلوم؛ لأنه ليس بقادر على جمع العلوم كلها إلا فيما نَدَر، ولا أعلمه يكون في زماننا، والله أعلم.

---

(١) أبو حاتمٍ الرَّازي محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، وابنه الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحنظلي الغَطَفاني، من تميم بن حنظلة بن يربوع. قال الحافظ: أحد الحفاظ. توفي سنة [٢٧٧هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧).

(٢) هو عيسى بن موسى بن أبي محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل الهاشمي، سمع: محمد بن خلف ابن المرزبان، وأبا بكر ابن أبي داود السجستاني، ومن في طبقتهما وبعدهما... وكان ثقة ثبتًا، حسن الأخلاق، جميل المذهب. تاريخ بغداد (١٢/ ٥١٣).

(٣) دقيق يلت بالسمن ويطبخ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٢٩١)(عصد).

ثم على طالب العلم أن يوازِنَ بين طلبه للمسائل الشرعية وطلبه للمسائل القلبية؛ لأن القلب إذا تُرِكَ جفت روح الإنسان، وقسا قلبُه؛ فلا يَعُودُ يتذَكَّر خشية الله تبارك وتعالى وهيمنته ومراقبته سبحانه وتعالى، فَيَضِل طالب العلم، ويَتَحَوّل إلى عالم سوء والعياذ بالله، لذا عليه أن يوازن بين طلب المسائل الشَّرْعِيَّة وطَلَب المسائل القَلْبية؛ فقد كان هذا مقصود السلف الأعظم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ثم لا بد لطالب العلم أن يوازن بين الثقافة الشرعية التي يدرسها، والثقافة الإنسانية والإسلامية؛ أما الثقافة الإسلامية فيقبح به أن لا يعرف من أحوال إخوانه شيئًا، ويقبح به أن لا يعرف ما يدور حوله في هذه الحياة. يقبح به أن لا يعرف مُجَاهَدَات المُجَاهِدِين، وأن لا يَعْرِف شَجَاعَات الشجعان، ولا يعرف بطولات الأبطال شرقًا وغربًا، ولا يعرف الهيئات العِلْمِيَّة، يقْبح به جدًّا ألا يحيط علمًا بالثقافة الإسلامية وهو طالب للعلم الشرعي، وكذلك يقبح به جِدًّا أن يَنْعَزِلَ عَنِ الثقافة الإنسانية، فلا يطلع على جوانب مهمة منها فيُخْطِئ خطأً جَمًّا عندما يختلط بالناس ويتحدث معهم.

ثم بعد ذلك لا بد عليه من المشاركة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ أَدَاءً لزكاة العلم، فإن للعلم زكاة وهي العمل، والعمل: الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أَشْرَف مقامات العبد: الدلالة على الحق سبحانه وتعالى»(١).

واعلموا أن لِلْعِلْمِ لذة لا تُقَاوَم، بَلْ هِيَ من أعظم اللذات التي عَرَفَهَا البشر، فإذا كان الأمر كذلك، فطالب العلم إذا غاص في عِلْمِهِ فلا يريد أن يُنَغِّص عليه

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٥٤).

شيء من المنغصات، فيُقَصِّر في حق أهله؛ في حَقِّ أولاده، في حق أرْحَامِهِ، في حق أقاربه، ليس ذلك بملكه، وإنما هو في لذة عظيمة لا يُرِيد أن يقطعه عنها قاطع، ولا أن يشغله عنها شاغل.

فَيَجْمل بطالب العلم أن يُبْعِدَ عنه سهام اللائمين ولو بالقَدر اليسير؛ حتى لا ينقطع، فلا يصل إلى مطلوبه. ثم إن تربية الأولاد من الأمور المهمة،حيث لم يكن في عهد سلفنا رحمهم الله مظاهر الفساد العظيمة هذه، إِنَّما كانت حياتهم أولية سهلة لا تعقيد فيها ولا فساد فيها بالدَّرَجة التي وصلنا إليها اليوم حيث يوجد الفساد في الإعلام وفي مجتمعات الناس، وفي الشوارع، والمنتديات والمحافل، فنحن في حاجة عظيمة إلى تربية الأولاد ومراعاتهم وحفظهم والانتباه لهم، وهذا كله مما يأخذ من أوقاتنا الشيء الكثير، ولكن لا بُدَّ منه، إما أن نربيهم بأنفسنا، أو نكفل لهم أُمًّا صالحة مُهَذَّبَة رَاقِيَة في علمها ودعوتها وفِقْهِهَا فتكفلهم، أو أن نجلب لهم مُؤَدّبين، كما كان السلف يفعل، وهؤلاء المؤدبون يمكن أن يكون تأديبهم للأولاد من باب تحفيظ القرآن، المُهِم أن نتجاوز هذه العَقَبة العظيمة، فإنا قد رأينا أشخاصًا ملتزمين يُسْتَحْيَى -والله- مِنْ أولادهم، فليتنبه لذلك.

ثُمَّ الحذر كل الحذر مِنَ التَّعَالم، والنقد قبل الفقه، وطَعْن أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا، وطعن أئمة السلف والخلف؛ فَمَنْ صَنَعَ هذا فإنه لا بركة في علمه، وعَلَيْهِ الوزر العظيم، كما سيأتي إن شاء الله في المقدمة الثانية.

ثم لا بد مِنْ هِمَّة متوسطة إلى عالية؛ فمن ليس له همة متوسطة -على الأقل- فلا ينبغي له أن يخوض في طلب العلم؛ إذ لا يُسْتَطَاع العِلْم براحة

الجَسَد(١).

وينبغي أن يكون له قوة حفظ متوسطة على الأقل، ولو أتيت بأخبار العرب كيف كانوا يحفظون؟ وكيف كانت صدورهم وعاء للعلم! لطال العجَبُ، لكن حسبي أن أورِدَ نتفًا من ذلك:

يقول أبو السمح الطائي: كنت مع أعمامي -أي: من بني طيئ- في مجلس يتناشدون الشعر ويتذاكرونه، فعندما أستعيدهم لبيت من الأبيات يسبونني ويزدرونني ويقولون: تسمع شيئًا وتنساه! تصوروا كيف كان العرب!!

وكان الأصمعي عبد الملك بن قُرَيْب(٢) إمام العرب المشهور في اللغة والفَصَاحَة، يَحْفَظ اثنتي عشرة ألف أرجوزة(٣)، كل أرجوزة ما بين المائة إلى المائتين من الأبيات.

والسيوطي رَحِمَهُ اللهُ إمامنا وعالمنا الذي نَدْرس كتابه يقول: أحفظ مائتي ألف حديث، ولا أظن على ظهر الأرض غيرها(٤).

والإمام الكبير إسحاق بن راهويه(٥) يقول لعبد الله ابن الإمام أحمد: كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث؛ أي: مليونًا من الأحاديث؛ يعني الأحاديث،

(١) انظر: بستان العارفين، النووي (ص ٤٠).

(٢) عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ، أبو سعيد الباهلي الأصمعي البَصْرِيُّ، صاحب اللغة، قيل: اسم أبيه عاصم، ولَقَبُهُ قُريب. قال الحافظ: صدوق. وقال الذهبي: كان إمام زمانه في علم اللّسان. توفي سنة [٢١٦هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٤١٧)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ٣٨٣).

(٣) انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ٢٠٦).

(٤) انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ٢٢٩).

(٥) لعله المراد أبو زرعة.

والآثار، وأقوال التابعين بتعدد طرقها. قال: وما أدراك؟ قال: ذَاكَرْتُه على الأبواب[١]؛ أي: ذاكرته على أبواب الأحاديث، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَحْفَظ هذا المقدار! فأمْرُ العرب في الحفظ شيء خارق!

وعندما كان المأمون صغيرًا يُؤَدّبه المؤدب ذهب إلى أحد المحدثين الكبار -وهو عبدالله بن إدريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فَحَدَّثَهُ بمائة حديث بأسانيدها، فَلَمَّا فَرَغ قال: تُحِبّ أن أعيدها لك؟ قال: إن شئت، قال: فأعَادَهَا كلها مِنْ حِفْظِهِ مُتُونًا وأسانيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

كانوا شيئًا عَجِيبًا حقًّا، فلا بد لطالب العلم اليوم أن تكون له قوة حافظة فإن لم تكن فمتوسطة على الأقل؛ لأنه لا بُدَّ لَهُ أن يحفظ بعض الأشياء في طَلَبِهِ للعلم.

ثم بعد ذلك لا بد له مِنْ تَفَرّغ مَعْقُول يمكِّنُه مِنْ طَلَبِ مَا يريد، أَمَّا أن يَأْتِي إنسان عنده دوامان في العمل: صباحي ومسائي، يعمل من السابعة صباحًا إلى الخامسة مساء أو إلى السادسة ومع ذلك يريد أن يطلب العلم! هيهات له ذلك، لا يمكن أن يأتيه العلم أبدًا! لأنه قيل: العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك[٣]، فكيف بمن يعطيه جزءًا يسيرًا فقط، هذا لا يعطيه شيئًا أبدًا.

ثم بعد ذلك يحذر مِنَ التَّقْصِير في العبادة كما أسْلَفت، فتَجِفّ روحه، ويَقِلّ وَرَعُه، وتَضْمَحِلّ مُراقبة الله تبارك وتعالى في نفسه.

---

(١) انظر: العواصم والقواصم (٤/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ٢٣٩.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٧٤).

أختم بمسألة العلم الدّنيوي، وَهَذِهِ مَسْأَلة حَارَ فِيهَا كَثِير من الناس، كيف نعمل بالعلم الدنيوي؟

نقول: العلم الدنيوي من علوم الوسائل لا من علوم المقاصد والغايات، وهذا العلم -خاصَّة في عَصْرِنَا- فتنة لكثير من الناس، والمفتونون بالعلم الغَرْبي المادي الأوربي، نسوق لهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦- ٧].

فبعد أن قال: (لا يعلمون) أثْبَتَ لهم علمًا؛ أي: كأن هذا العلم الذي يعلمونه ليس بعلم، وكأنهم لا يعلمون شيئًا، هذا هو العلم الغَرْبي، عِلْم وسائل لا علم مقاصد وغَايَات. هذا العلم قَرَّبَ لنا البعيد، وألان لنا الحديد كما تعلمون، واختصر لنا الزمان، وطوى لنا المكان، فلا يحسن بالمسلمين أن يتركوه، بل عليهم أن يتعلموا ذلك العلم.

وقَدْ كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يتحَسّر من ترك المسلمين لعلم الطب في زمانه؛ ويقول: ضيعوا العلم -علم الطب- ووكَلُوه إلى اليهود والنصارى[١]، لأن اليهود والنصارى قد برعوا في ذلك العلم.

وتحسر الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ تحسُّر الشافعي على تَرْكِ المسلمين علم الطب في زمَانِه أيضًا[٢]؛ فالعلوم الدنيوية هذه عُلُوم مَطْلُوبة، ولكن كيف نطلبها؟ هذا أمر مهم، فهي فرض على الكفاية.

يقول العلماء: إذا احتاجت الأمة الإسلامية شيئًا -من الإبرة إلى الصاروخ-

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٥٨).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ١٦).

وَجَب أن يكون لهم ذلك في بلادهم يصْنَعُونه بأنفسهم، فإن لم يفعلوا ذلك أَثِمَتِ الأمة جميعًا، فَهَؤُلاء طلاب العلم في كليات علمية مِنْ طِبٍّ وهندسة... إلى آخره، هَؤُلاء يَقُومون بفروض كثيرة من الكفاية عن الأمة، فلا ينبغي لنا أن نستهزئ بهم أو بعلمهم أو أن نتنقصهم.

ولا ينبغي أيضًا لبعضنا أن يترك كلياته العلمية؛ ليلتحق بكليات شرعية، فَمَنْ كان صاحب همة عالية يستطيع أن يجمع بين الاثنين فليفعل كما فعل سلفنا: فابن رشد فقيه مالكي(١)، وهو صاحب الكليات في الطِّب، والخوارزمي(٢) الذي اخترع علم الجبر وعلم التفاضل والتكامل؛ ليحل به مسائل صعبة من الوصايا والمواريث.

وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بأشياء كثيرة في مفتاح دار السعادة ممَّا يُعْرَف اليوم بِعِلْمِ الجِرَاحَة، وبعلم التشريح وفَهْمِ جَسَدِ الإنسان، أتى بأشياء كثيرة في هذا المصنف(٣)، وفي مصنفات غيره.

فعلماء المسلمين قديمًا كانوا يحيطون بالعلوم الدنيوية إحاطتهم بالعلوم الشرعية، بل بعضهم كان يبرع في هذا المجال.

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة، صنف نحو خمسين كتابًا: منها (بداية المجتهد ونهاية المقتصد)، (الكليات في الطب) وغيرها. توفي سنة [٥٩٥هـ]. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣١٨).

(٢) محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله، رياضي فلكي مؤرخ، من أهل خوارزم، ينعت بالأستاذ. أقامه المأمون العباسي قيمًا على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها. توفي سنة [٢٣٢هـ]. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١١٦)، الدرر الثمين في أسماء المصنفين (١١٢).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٣٣، ٢٣٤).

فينبغي لنا أن نحصل أسباب القوة المادِّية؛ حتى لا نتَخَلَّفَ عن الركب، بل إن الإسلام العظيم هو الذي سبق إلى الحَثّ على طلب العلم، بينما كانت أوروبا تَغْرق في الظلام وفي الظلم، وتغرق في الجَهْل، من الذي جاء بالمنهج التجريبي الذي اعتمدته أوربا منذ بدايات ثورتها الصناعية إلى يومنا هذا؟ من الذي طلب الدليل على كل شيء وأبعد الخرافة والأوهام والأساطير عن أذهان الناس؟ إنهم المسلمون الأوائل.

فالإسلام هو الذي حَثّ الناس على التفَكّر والتدبر في هذه الحياة والخروج بأحسن النتائج منها حين كان الناس أولًا يتقبَّلون ما يأتيهم عن طريق آبائهم وأجدادهم، فجاء الإسلام فحَثَّهُمْ على ترك التقليد والجمود، وحَثَّهُمْ عَلَى النظر في الحياة والنظر في الكون؛ لِيَخْرُجُوا بِعِلْم يُفِيدُهُمْ في دنياهم وأخراهم، هَذَا هو الإسلام، كانَ يُقَال عن بغداد أو نيسابور: فيها ألف ومائتان من الشَّوَارِع في كل شارع مَسْجِد وَحَمَّام وسوق، ألف ومائتان من الشوارع في مدينة واحدة يسكنها مليونان من البشر مثلًا في وقت كانت لندن وباريس وعواصم الغَرْب يغوص أهلها في الوَحْل والطين؛ فلم يكن عندهم رَصْف لِشَوَارِعهم، بينما كانت شوارع بغداد مرصوفة، ولم يَكُنْ عِنْدَهم إِنَارَة في شوارعهم بينما كانت شوارع بغداد ونيسابور ودمشق مُنَارَةً.

هكذا كنا سَادَةَ العَالم! وانْتَقَلَ العلم منا إلى أورُوبّا عن طريق بلاد الأندلس، وكانوا يأتون إلى علماء المُسْلِمِين في مساجدهم وفي حلقاتهم العِلْمِيَّة يتعلَّمُون، بَلْ إِنَّ أحد بابوات الفاتيكان قبل أن يُتَوّج ويُنَصَّب بابا على الفاتيكان كان قد تَعَلّم في الأندلس، ونقل كثيرًا من العلوم إلى بلاده بلاد الفاتيكان، هكذا كنا،

فينبغي لنا ألا نَنْسى علومنا، وكان الجامع الأزهر[١] وجامعة الزيتونة، وجامع القرويين[٢] في المغرب كان كل ذلك مراكز عِلْمِيَّة عظيمة، يُدَرّس فيها العلم الشرعي بجوار العلم الدنيوي.

خلاصة القول في العلوم الدنيوية أن هذه العلوم علوم وسائل لا بد لها أن تُقْرَن بالعِلْمِ الديني الشرعي؛ لأن العلم الديني الشرعي هو الذي يُهَذّب الغَرَائز، ويوجه النزعات ويضبطها، فهو الذي يصد نزغات الشيطان.

أما العلم المادي المجرد، والقوة المادية المُجَرَّدة فقد وصل الغرب فيها إلى أرْقَى الأسباب، لكنهم انحطوا في أخلاقهم إلى أخَسّ الدركات، فاليابان الذي هو قِبْلَة العالم اليوم في العلوم والتقنية عندما دخل بلاد أندونيسيا، وكذلك بلاد الجزائر الآسيوية البحرية في الحرب العالمية الثانية أفْسَدَ فيها، وقتل رجالها، وانتهك أعراض نسائها، وعاث فيها ما لم تَعِثْه أمَّة مِنْ قبل، وماذا صنع الاستعمار شرقًا وغربًا بالمسلمين؟ فهولندا استعمرت أندونيسيا وماليزيا ثلاثة من القرون، وفرنسا فعلت في تونس والمغرب والجزائر من الأهوال ما لا يُصَدَّق، فالعلم إذا لم يُحَط بحياط ديني، ولم يُسَجْ بِسِيَاج[٣] أخلاقي شرعي،

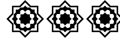
---

(١) كان البدء في إنشاء الجامع الأزهر في يوم السبت لستٍّ بقين من جمادى الأولى، سنة (٣٥٩هـ)، وكمُلَ بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان، سنة (٣٦١هـ). انظر: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي (١: ٨).

(٢) مقره مدينة فاس بالمملكة المغربية. عندما كثر الوافدون على مدينة فاس، وصار الناس في حاجة إلى مسجد جامع كبير، تطوعت فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني ببناء مسجد جامع بحي القيروانيين، عرف بجامع القرويين، ثم جامعة القرويين نسبة لهذا الحي. انظر: مجلة البحوث الإسلامية (أمكنة/ ٢٩٠).

(٣) هو ما يوضع حول الحدائق والبساتين كي لا يتسورها أحد. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٣٠٣).

فهذا هو منتهاه، وهذا هو الدَّرَك الذي ينزل إليه، فعَلَيْنَا ألا ننسى العلم الدنيوي ولا ننسى أن نثقف أنفسنا به، وندل غيرنا عليه، ونشجع بعضًا مِنْ أبْنَائِنَا أن يدخلوا في كليات عِلْمِيَّة؛ حتى نتخلص من هذا الحَرَج، ونتخلص من هذا الفرض الكِفَائِيّ الذي أَثِمْنَا جميعًا بِتَرْكِ الأمة تحتاج إلى أعدائها شرقًا وغربًا بسبب جهلها بالعلوم والصناعات.



المقدمة الثانية
آداب طالب العلم، ومحتوى مكتبته

المقدمة الثانية تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: آداب يجب على طالب العلم أن يسلكها إن أراد أن يَطْلُبَه.
- والقسم الآخر: هو ما يجب أن تَحْوِيَه مكتبة طالب العلم مما يُسَاعِدُهُ في طلبه للعلم.

أما ما يجب على طالب العلم فلا بد له مِمَّا يلي:

أوَّلًا: أن يُصَحِّحَ نيته، فيُخْلِص طَلَبَهُ للعلم لِوَجْهِ الله تبارك وتعالى، وأَنْ يَنْوِيَ بعلمه أن ينوِّرَ باطنه، وأن يُهَذِّبَ غَرَائِزَه، وأن يَعْقِلَ مَدَارِكَهُ، وأَنْ يَرْضَى الله سبحانه وتعالى بهذا العلم عن طالبه، ويَرْفَع دَرَجَاته في الدنيا والآخرة، ويُثِيبَهُ ويُنِيلَهُ ما وَعَدَه سبحانه وتعالى مما ذَكَرْت طرفًا صالحًا منه في المُقَدِّمَة الماضية، فإن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى لا يَتَعَلّمه إلاّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدّنيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

والعَرْف: هو الرَّائِحَة الطَّيِّبَة الذَّكِيَّة المُبَارَكَة[2] التي جاء في بعض الآثار أن العَبْدَ يشمها من مسافة بعيدة جِدًّا[3]، وهذا الرجل الذي يَتَعَلَّم ذلك العلم؛ ليماري به السفهاء، وليُجَارِي به أهل الأهواء لن يَجِد تِلْكَ الرَّائِحَة الذكية يوم القيامة، كنايةً عن أنه لن يَدْخُل الجنة ابْتِدَاء إلا إذا شاء الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٦٤)، قال العراقي: إسناده جيد. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (ص٧٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٢١٧).

(٣) ففي الحديث: وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة. أخرجه ابن ماجه في السنن (٢٦١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٧).

«ويُؤْتَى يَوْمَ القيامة بِمَنْ يَصْنع ذلك، ويُعرفُه اللهُ تَبَارَكَ وتعالى نِعْمَتَهُ، ويَسْأله عَمَّا صَنَعَ فِيهَا، فيقول: يا رَبِّ! تعلمت العلم فيك، وقَرَأْتُ القرآن فيك، قال: كذبت، إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ العلم؛ ليقال: عالم، وقَرَأْتَ القرآن؛ لِيُقَالَ: قَارِئ، وقد قيل»(١)؛ أي: وَقَدْ حَصَّلْتَ الأَجْرَ الذي نَوَيْتَه والذي سعيت من أجله، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ فَإِنَّهُ فِي الدنيا قد قيل عنك: إِنَّكَ عَالِم، وإنك قارئ، أما اليوم ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: لم يرجَ فِيهِ وَجْهُ الله تبارك وتعالى، ولا ابْتُغِيَ به طريقه سبحانه ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فيُؤمَر به فيُلْقَى في النار على وَجْهِهِ، نعوذ بالله مِنْ ذَلِكَ المقام ومن ذلك المَصِير.

وهناك أمر مُهِمّ في مسألة النية ألا وهو: كَثِير من طلاب الابتدائية الذين يَتَوَجّهون إلى المعاهد العلمية -المتوسطة والثانوية- ليس لهم نية في طَلَب العلم، إنما يُوَجَّهُون إلى مثل تلك المعاهد وهم صغار غالبًا؛ تلبية لرغبات آبائهم، وهناك أيضًا حالات مشابهة في الطلاب الذين يتخَرَّجون من المدارس الثانوية ثم لا يكون مجموعهم في تلك المدارس مؤهلًا لهم لدخول الكليات التي يرغبونها، فتُوَجِّههم الجامعات قسرًا إلى بعض الكليات، ومنها الكليات الشرعية، فَهؤُلَاء الناس لا نيات لهم، وأيضًا -كما أسلفت- طلبة المعاهد الذين هم صغار أصلًا لا يُدْرِكُون أمر النية ولا أَهَمِّيّتها فما الذي عليهم؟

نقول: هؤلاء ينبغي لهم أن يُجَدّدوا نية صالحة في طلبهم العلم، فَإِنَّ الصغير

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٠٥).

إذا أَدْرَكَ الأمور، وعَلِمَ عِظَم أهمّيّة النِّيَّة فَعَلَيْهِ أَنْ يُجَدِّدَ نِيَّة صالحة، وكذلك الكَبِير الذي الْتَحَق بِكُلّية على غير رغبته وسلك فيها، فَإِنَّ عليه أن يُجَدِّدَ نية صالحة، فإن عددًا من السلف رحمهم الله تبارك وتعالى قالوا: طَلَبْنَا العِلْمَ ولا نِيَّةَ لنا فيه، ثُمَّ رُزِقْنَا النية بعد ذلك[١]، سواء قالوا ذلك على سبيل التواضع وهَضْم النفس الذي اشْتُهِرَ عنهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أو أنهم قالوا ذلك على وجه الحقيقة، لا يهمنا ذلك، إنما يهمنا قولهم: ثُمَّ رزقنا النية بعد ذلك.

هَذَا هو المحك، فينبغي لمثل مَنْ تَوَرَّط في مثل هذا أن يُجَدّد النية.

وإن هذا الأمر يؤسَف له والله: أن يُوَجَّهَ الطلبة الذين ليس لهم القدرة على التَّحْصِيل العلمي، أو الذين ليس لهم القدرة على المثابرة في طَلَبِ العلم إلى الكليات الشَّرْعِيَّة التي فيها مذاكرة، وفيها عَصْف للذِّهْن، وفيها إعلاء لِكَلِمَةِ الله تبارك وتعالى في الأرض؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الخطأ الذي يجب أن تصان الشريعة عنه، والله أعلم.

فاقصد في علمك يا أخي محاكاة أولياء الله تبارك وتعالى، ومحاكاة ملائكة الله تبارك وتعالى الأطهار، تَكُنْ من الفائزين إن شاء الله في الدنيا والآخرة.

ثانيا: نَبْذ الكِبْر[٢]: يجب على طالب العلم أن ينبذ الكبر؛ فبعض أنصاف المتعلمين عندما يعلمون فضل العلم وأهله، ويَعْلَمون ما رَتَّبَ الله تبارك وتعالى عليه من الثواب في الدنيا والآخرة، ويُشَاهِدُون رِفْعَة وعِزَّة أهله في الدنيا، فإن نُفُوسَهُم قد تَتَحَرَّك طلبًا للعزة والاستعلاء على أجْنَاسِهِم، فهذا قد يحصل

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦/ ٣٢٨).

(٢) الكبر: العظمة والتجبر. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ١٢٩).

لبعض أنصاف طلبة العلم.

فما ينبغي لمثل هؤلاء إلا أن يَتَذَكَّرُوا حديث رسول الله ﷺ العَام الذي لم يُخَصِّصه شَيْء؛ فقد قال ﷺ: «**لَا يَدْخُل الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْر**»(١)، فهَذَا الحديث عام لم يُخَصَّص بطَالِب علم ولا بِعَالِم ولا بأقل أو بأدنى من هؤلاء الأصناف؛ فَإِنَّ طَالِبَ العلم أو العالم المُتَكَبِّر أَوْلَى أن يَدْخُلَ في هذا الحديث من غيره؛ لما هو عليه مِنْ عِلْم تام بعاقبة الكبر في الدنيا والآخرة، ويَكْفِينَا من ذلك حديث رسول الله ﷺ ذلك الحديث القدسي الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(٢).

نعم، إن لطالب العلم رفعة، وإن له عزة، وإن له استعلاء بِمَا يطلبه من العلم، فلا شك أنّه أَفْضَل مِنَ الجاهل، وأَعْظَم عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالى وفي أعين الناس، لَكِن ذلك لا ينبغي له أن يسوقه إلى الكِبْرِ المَرْذُولِ في الدنيا والآخرة، وقد قيل(٣):

العِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى المُتَعَالِي ... كَالسَّيْلِ حَرْب لِلْمَكَانِ العَالِي

وقال مجاهد فيما أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ تعليقًا في صحيحه: «لا يتَعَلَّم العِلْمَ مُسْتَحيٍ ولا متكبر»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤). و صححه الألباني في السلسلة (٥٤١).

(٣) البيت ليس هكذا، وإنما هو لأبي تمام هكذا:

لا تنكري عطْل الكريم مِنَ الغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمَكَانِ العَالي

انظر: عيون الأخبار، الدينوري (١/ ٣٥٥).

(٤) انظر: صحيح البخاري (١/ ٣٨).

ثالثًا: عَدَمُ التَّعَصّب، ينبغي لطالب العلم أن ينبذ التعصب، وعَلَيْهِ أَنْ يَدُورَ مَعَ الحَقّ وأهله كيفما دار، ولَا يَتَعَصَّب لطائفة ولا لعالم مُعَيّن، ولا لكتب معيَّنة، بل كل كتاب شَرْعِيّ ألفه عالم معروف من علماء المسلمين ينبغي لطالب العلم أن يستفيد مما فِي ذَلِكَ الكتاب، اللهم إلا إن كان ذلك المصنف قَدْ رُمِيَ بِبِدْعة عظيمة مُفَسِّقة أو مكفِّرة، فينبغي لطالب العلم المبتدئ أن لا يشوش نفسه بالاطلاع على أمثال هذه الكتب؛ فإنها قد تضله، وقد تَهْوِي به في مهاوٍ سحيقة والعياذ بالله تبارك وتعالى، فعليه أن يبتعد عنها كل الابتعاد.

أما علماء الأمة الذين هم معروفون مُثبتون في كتب التاريخ والتراجم -السلف منهم والخلف على السواء-، فينبغي لطالب العلم أن لا يتعصب لأحد منهم، بل ينبغي له أن يعرف الحق ويَدُور معه حيث دار، هذه هي القاعدة المريحة المُثْلِجَة للفؤاد، أَمَّا أن يتعصب طالب العلم لعالم ما، أو لطائفة من العلماء في بلدة ما، أو في زمان ما، فإن هذا مما يَتَرَفَّع عَنْه طلَبَة العلم، والله أعلم.

ثم على طالب العلم أن يبتعد عن كليات هي أقرب إلى التعصب، مثل أن يقول مثلًا: علماء البلدة الفلانية مُتَسَاهِلُون، أو عُلَمَاء الجامعة الفلانية مُتَعَصِّبُون أو متساهلون أو قليلو العلم أو قليلو البِضَاعَة في العلم؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الألفاظ الكلية لا تَصْدُر عن طالِبٍ للعلم أبدًا، فإنه ليس هناك قاعدة كلية -تقريبًا- إلا وقد خُرِمَتْ في الأمور المنضبطة، فضلًا عن أن تكون في مثل هذه الأمور التي مَبْنَاها على التعصّب أوَّلًا وأخيرًا.

فينبغي له أن يبتعد عن مثل هذه الكليات، وأن يكون منها على حَذَر؛ لِئلاّ يسأله الله تبارك وتعالى يوم القيامة عَمَّا تَفَوّه بِهِ لِسَانُهُ، ولا يَتَسَاهَل الإنسان

بأمثال هذه المقولات، فإنها قد تُدْرِكُه في الآخرة بأعظم العقوبات والعياذ بالله؛ **«فإنَّ الرَّجُلَ يتكَلم بالكَلِمَة مِنْ سَخَطِ الله لا يُلْقِي لهَا بَالًا يَهْوِي بها في نار جهنم سبعين خَرِيفًا»**(١)، أعاذَنَا الله وإياكم مِنْ ذَلِكَ المصير، فَكَيف بأن يتكلم في طائفة كبيرة في مكان ما، وفي زمان ما، ويرميهم كلهم عن قَوْس واحدة؛ فإن هذا مما لا يَصْدُر عن عاقل، فضلًا عن طالب للعلم يرجو بعلمه الآخرة.

أما الفَتَاوَى فعلى طالب العلم أن يأخذ منها ما وافق الحق، وأن لا ينظر ابتداءً إلى قائل تلك الفتوى، إِنَّمَا عليه أن ينظر إلى الفتوى بِعَيْنِهَا، إِلَّا إن كان جاهلًا في البداية، فلا حَرَجَ عليه أن يَسْتَوْثِق لنفسه من عالم مَشْهُور معروف، فإن هذا مما لا يُنْكِره عليه أحد، أما إن عَلِمَ العلم وفهم عديدًا من قواعده فإن عليه أن ينظر إلى نص الفتوى التي أمامه لا إلى قائلها؛ فَإِنَّ الفَتْوَى الصحيحة تُعْرَف بما فيها مِنْ نُورِ الحَقّ لا بقائلها. قد يكون قائل تلك الفتوى من المَغْمُورِين(٢)، ولَكِن الفتوى يلوح عليها علائم التَّوْفِيق، وعَلَائم الصِّدْق والحق، وقد يكون قائلها من المشهورين، ولكن تلك الفتوى تلوح عليها ظلمة من الظلمات؛ إما أن يكون عالم سوء والعياذ بالله، أو أن يكون قد اسْتُدْرِجَ، أو أُكْرِهَ، فلا تنظروا لاسم العَالِم، ولكن انظروا إلى فَتْوَاه، فَإِنْ وافقت الحق فضَعُوهَا على رؤوسكم، وإلا فانبذوها كائنًا مَنْ كَان قائلها، والله أعلم.

رابعًا: ويجب على طالب العلم -أيضًا- أن يَنْبَسِطَ للناس، وَأَنْ يُرَحِّبَ بِهِمْ، وَأَنْ يستعمل الرِّفْق معهم، ففي هذا العصر قد انفتحت الثَّقَافَات، والإعلام قد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧٨).

(٢) غير المشهورين. انظر: أساس البلاغة، الزمخشري (١/ ٧١٢).

زاد خطره زيادة عظيمة، بخلاف الزَّمَان الماضي كان الناس يكادون ينحصرون في مجتمعاتهم، كل بلاد تستقل بِمَنْ فِيها من علماء وطلبة للعلم، وتَسْتَقِل بمن فيها أيضًا من عامة لا ينتقل تأثير هؤلاء جميعًا إلى البلدة الأخرى إلا نادرًا، وإلا في مواسم سنوية مثل موسم الحج وغيره، أَمَّا الآن فإن الفتاوى المُتَعَدِّدة المختلفة والتقارير المؤثرة تنتقل بسرعة هائلة في اليوم نفسه إلى أَرْجَاءِ العالم المختلف، وهذا من شأنه أن يُورِثَ بَلْبَلة[1]، وأن يورث اختلافًا وتناقضًا في مدارك كثير من الناس.

فعلى طالب العلم أن يَفْهَمَ هَذَا، وعليه أن يَفْهَمَ نفسيات الناس التي تَتَلَقَّى مثل هذا أيضًا، فَإِنَّ النَّاسَ يَتَلَقَّوْن اليوم فتاوى وتقريرات مُؤَثِّرَة من جميع أنحاء العالم الإسلامي، بل من أنحاء العالم الغَرْبِي أيضًا بِمَا فِيهِ من مراكز إسلامية ومِنْ مَجَامِع علمية، فجدير بعامة الناس أن تدخل عليهم البلبلة، وأن يدخل عليهم الاختلاف في مثل هذه الحالة؛ فعلى الإنسان أن يتلقى الناس جميعًا بِصَدْرٍ رحب واسع، وأن لا يجعل ما عُلِّمَ ومَا نشأ عليه من الفتاوى أو من أقوال العلماء التي هي حق في ذاتها وفي نفسها والتي هي حَقّ في صدره وفي قلبه قَدْ تَلَقَّاهَا بالقبول واقتنع بها، أن لا يجعلها مِقْيَاسًا للتَّعَامُلِ مَعَ العَالم كله وشعوبه وثقافاته، بَلْ عَلَيْهِ أن يتَقَبَّلَ هذه الفتاوى المختلفة، وتلك التَّقْرِيرَات المُؤَثِّرَة بصدر رحب، ما دَامت كلها في نطاق الاختلاف المتعارف عليه المقبول، وإن كان هو وطَائِفَة ينكرونها؛ فإن هذا لا شيء فيه؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ السلف كثيرًا، ولكن ذلك الاختلاف لم يكن مَدْعَاةً إلى قطيعة، ولم يكن مدعاة إلى نَبْذِ بعضهم

(١) اضطراب. انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ١٧٧).

بعضًا، ولا إلى عدم سماع كلام بعضهم بعضا، بَلْ كانُوا إخوة متحابين مع عِلْمهم بأنهم مختلفون، فهذا الإمام أحمد يقول عن إسحاق بن راهويه[١]: «مَا عَبَرَ النَّهْر مثل إسحاق» فقيل له: إنه يخالفك في أشياء؟! قال: «وإن خالفنا، فإن الناس لا يزالون يُخَالِفُ بَعْضهم بعضًا»[٢]. هذا إن كان في السلف مقبولًا ومسموحًا به، فَأَجْدَرُ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الأَيَّام التي اتصل العالم بَعْضُه ببعض أن يكون مقبولًا بين الناس جميعًا.

فَعَلَى طَالِبِ العلم أَن لَا يتَأَثَّر من مثل هذه الفتاوى التي تأتي إليه شرقًا وغربًا، وأنْ لَا يُحَاسِب الناس في شيء يَرَاهُ هو منكرًا ويراه غيره معروفًا، ويَراه هو لا يجوز ويراه غيره يجوز؛ أي: في أشياء قد اختلفت الأنظار فيها، وقد اتفق كثير من علماء المسلمين أَنَّهُ لا إنكار ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر في الأمور الاختلافية الاجتهادية بين الناس كقاعدة عامة[٣]، وإن كانت لا تخلو من ضوابط لا بُدَّ مِنْهَا ليس هذا محلها، وليس هذا وقت بيانها.

ثم على الإنسان أن ينبسط للناس جميعًا، ويُرَحِّبَ بِهِمْ، يبشّ في وجوههم، يَتَقَبّلهم بِصَدْرٍ رحب؛ فَقَدْ رأيت مشاهد عديدة لِعُلَمَاء أو لطلاب عِلْم يكادون يتقاتلون مع الذي يأتيهم لسؤالهم، أو للاستفهام منهم، وهؤلاء الناس نحن أحوج ما نكون إلى تألّفهم في هذا العصر، فعلينا أن نجْمَعهم، وعلينا أن نقربهم

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إِبْرَاهِيم بن مطر الحنظلي، أبو يعقوب المروزي المعروف بابن راهويه، أحد أئمة المسلمين، وعلماء الدين، اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد، توفي سنة [٢٣٨هـ]. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (١/ ٢٢١).

(٣) انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص ١٨٨.

إلينا بالحق لا بالباطل، وعلينا أن نحبهم ونبشّ في وجوههم، كما كان رسول الله ﷺ يصنع، كما قلت في المقدمة الأولى: إنه جاءه رجل يطلب العلم، فقال: «**مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تضع له الملائكة أجنحتها...**»(١) إلى آخر الحديث، أو كما قال ﷺ.

وكان أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُجِلّ طَلَبَة العلم ويُكْرِمهم، ويُقَدّم لهم كل ما هو في بيته، وكان كذلك كثير من أئمة السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

هذا حال طلبة العلم، فما هو حال الجهلاء الذين لا يَفْقَهُون مِنَ العلم قليلًا ولا كثيرًا؟ هؤلاء الناس في أشد الحاجة لنا؛ لِكَيْ نجمعهم على الحق، ولكي نقربهم إلى الحق؛ فإن العالم اليوم بما فيه مِنْ وَسَائِل إعلامية مؤثرة يَكَاد يأخذ بحُجَز هؤلاء الناس بعيدًا عَنَّا، فَعلينا أن نقربهم إلينا أكثر فأكثر، فإن وصف رسول الله ﷺ في زمانه -أنه يأخذ بحجز الناس ليبعدهم عن النار لئلا يقعوا فيها كما يقع الفَرَاش- (٢)أولى أن يكون في عصرنا؛ أن نأخذ بحجز الناس ونقربهم إلينا، ونبعدهم عن النار، ونبعدهم عن المذاهب الباطلة، والثقافات المضلة، والأهواء المُرْدِيَة، لا بد من ذلك.

فقد كان رسول الله ﷺ يُشَجِّع أصحابه إذا رأى منهم بعض أعمال الخير أو علم منهم موهبة ما، وكذلك علينا أن نُشَجِّع الناس إذا رأينا منهم بعض الإقبال، أو بعض الخير، إن رأينا منهم تَوَجُّهًا إلينا، علينا أن لا نيأس منهم، وأن نُشَجِّعَهم بِعِبَارات الثناء، ونتَحَبَّب إليهم؛ فكذا كان يصنع رسول الله ﷺ؛ فإن أبا موسى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤).

الأشعري لما أحسن القراءة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له رسول الله ﷺ: «**لقد أوتيت مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاود**»(١). وهؤلاء أهل اليمن لما جاءوا إلى رسول الله ﷺ طالبين منه أن يعلمهم، أَرْسَلَ معهم أبا عبيدة في إحدى الروايات، وقال: «**هَـذَا أَمِينُ هَـذِهِ الأَمَّةِ**»(٢).

وأُبَـيّ بـن كعب عندما سأله عن أعظم آية في كتاب الله، فأجابه بأنها آية الكرسي قال: «**لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر**»(٣)؛ أي: لتهنأ بالعلم يا أبا المنذر. هكذا كان رسول الله ﷺ يُشَجِّعُ أَصْحَابَه، وهَكَذَا يَنْبَغِي لنا أن نكون.

أما إن جاء رجل مُتَفَلِّت مِنْ قُيُودِ الأدب جَافٍ بَعِيد عن الأخذ بالأَخْلَاقِ الإسلامية القويمة، فَعَلَيْنَا أن نَتَرَيَّثَ مَعَهُ وألا نصده؛ فَقَدْ كَان رسول الله ﷺ يَصْنَع كذلك؛ يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ مع رسول الله ﷺ -وعليه بُرْد نَجْرَاني غَلِيظ الحاشية، أو غليظ الصنْعة-، فأدْرَكه أعرابي من ورائه، فجبذه جبذة شَدِيدَة أَثَّرَتْ فِي صفحة عُنُقِ رَسُولِ الله ﷺ. -تصَوَّرُوا! سيد البشر ﷺ يُفْعَل به هَكَذا- فالتفت إليه ﷺ فقال: يَا مُحَمَّد مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الذي عندك! -هَكَذَا بِكُلّ جَفَاء وغِلْظَة-، فَضَحِكَ رسول الله ﷺ وأَمَرَ له بعطاء، بأبي هو وأمي ﷺ!(٤).

لو صُنِعَ هذا بعظيم من عظماء القوم اليوم فماذا هو صانع؟! لو صُنِعَ بِطَالب علم ذلك فما هو صانع؟! قد يعفو، نعم، لكن هل يضحك في وجه صانع ذلك؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٨١٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

أنا أستبعد ذلك جدًّا أن يَصْدُرَ مثل هذا إلا مِنْ رَسُولٍ كَرِيم ﷺ.

وهذا اليهودي زيد بن سعنة عندما جاء ليختبر رسول الله ﷺ، يقول: رأيت فيه علامات النبوَّة كلها، إلا أني لم أَرَ فِيه أن الجَهْلَ عليه لا يزيده إلا حلمًا ﷺ، فأراد أن يختبره، ومَع رسول الله ﷺ عمر ذلك القوي المتين رضي الله عنه، فجاء اليهودي، وأَخذ بمجامع رداء رَسُولِ الله ﷺ -وكان له على رَسُولِ الله ﷺ دَيْنٌ- فقال بجفاء وغلظة مقصودتين مُتَعَمَّدَتَيْن: يا محمد، ألا تقضي لي ديني؟ فَإِنَّكم يا بني عبد المطلب قوم مطل، وأخذ بردائه يجذبه إليه ﷺ، فَغَضِبَ عُمَر غضبًا شديدًا، وقال: أي عدو الله، أتفعل هذا برسول الله ﷺ؟ فَمَا كان من رسول الله ﷺ إلا أنْ تَبَسَّمَ -بأبي هو وأمي ﷺ- وقال: «يا عمر! لقد كنت أنا وهو أحْوَج منك إلى غَيْرِ هذا: أن تأمرني بِقَضَاءِ دَيْنِهِ، وأن تأمُرَه بإحسان الطلب». وَأَمَر له رسول الله ﷺ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ، وأن يُزَاد عليه. هذا مِنْ خُلُقِ رسول الله ﷺ، فآمَنَ اليَهُودِيّ، وقال: واللهِ مَا صَنَعْت ذلك إِلَّا لأعْلَم أنَّ الجَهْلَ عَلَيْهِ ﷺ لا يزيده إلا حِلْمًا، وتَشَهَّدَ شهَادة الحق رضي الله عنه(١)، هكذا كان ﷺ، وهذا إن حَدَثَ في ذلك الزمان، فينبغي أن نراعيه في هذا الزمان الذي ابتعدت فيه أفْئِدَة كثير من الناس عن الإسلام، وتَحَرَّج كثير من الناس أن يَلْتَقُوا مع الملتزمين لِسَبَبٍ مِنَ الأسباب الكثيرة التي لا مجال لشرحها، فَعَلَيْنَا أن نجذب هؤلاء الناس إلى حَظِيرة الإسلام مرة أخرى، ونُحَبّبهم في دين الله تبارك وتعالى، وفي أخلاقنا التي ينبغي أن تكون كما كانت أخلاق السلف الصالح رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٨٨)، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣/ ٥١٤).

ثم لا نكون من الذين قال فيهم ﷺ: «**إِنْ أَحْسَنْتَ لم يَشْكُرْ، وَإِنْ أَسَأْتَ لم يَغْفِرْ**»[١] إن أحسنت لم يشكر ذلك الإحسان، وإن أسأت لم يغفر لتلك الإساءة، أبدًا؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الخُلُقِ المَذْمُوم الذي يَنْبَغِي أن نبتعد عنه؛ بل ينبغي لنا إن أحسن الناس أن نشكرهم على إحسانهم، وإن أساءوا أن نغفر لهم إساءتهم، والله أعلم.

ثم مما يَقْتَضِيهِ الانبساط مع الناس: مخالطتهم وعدم اعتزالهم؛ فإن كثيرًا مِنْ طَلَبَةِ العلم يحتاجون -خَاصَّة في ابْتِدَاء الطلب- أن يَنْعَزِلُوا عن الناس، وذَلِكَ أمر لا بأس به، بشرط أن لا يتحول إلى انعزال كُلّي، وَإِلَى نُفْرَة عامَّة من مقابلة الناس؛ فإن كثيرًا مِنْ طَلَبَةِ العلم -خاصة في أوائل طلبهم- يَكُونُون هكذا، فيَنْبَغِي لنا أن لا نقع في مثل هذا إِنْ أَرَدْنَا توضيح الحق للناس، وجَلْبَهُمْ إلى حظيرة الحق، بل عَلَيْنَا أن نخالطهم، وهَذَا أمْر لا مَفَرَّ منه، فالذي يُخَالِط الناس ويَصْبِر على أذاهم خَيْر مِنَ الذي لا يخالِط الناس ولا يَصْبِر على أذاهم[٢]، فَعَلَيْنَا أن نُقَرِّبَ الناس إلينا وألا نَنْعَزِلَ عنهم، بل نَنْعَزِل بِمِقْدَار، ونخالط بمقدار، أَمَّا أن تغلب الخلطة على أحوالنا فَهَذَا أمر لا يسوغ لطالب العلم، وأَمَّا أن تتغَلَّب العُزْلَة على أَحْوَالِنَا فَإِنَّ هَذَا أمْر يقدح في طالب العلم ويبعده عن فَهْمِ واقعه وفهم مجتمعه، وينأى به بعيدًا عَنْ قُلُوب الناس.

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني (٨٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٨): وفيه محمد بن عصام بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله وثقوا، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه (٤٠٣٢). حسن ابن حجر إسناده عند ابن ماجه. وانظر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص ٥٥٧).

ثم إنه تبيَّن بالتجربة أن كثيرًا من الناس إذا خالطتهم وبَيَّنْتَ لهم سماحة الإسلام وروح الإسلام العظيمة، فإنهم يَنْجَذِبُونَ إليك، ويَتَقَرَّبُون إليك، ويحبون ما أنت عليه حبًّا عظيمًا.

خامسًا: التَّحَلِّي بالأَدَبِ السلوكي والشخصي، فيَنْبَغِي لطالب العلم أن يَتَحَلَّى بالأدب السلوكي والأدب الشخصي؛ فَإِنَّ السَّلَفَ كانوا أحرص ما يكونون على ذلك؛ فإن مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ كانت أمّه تُعَمِّمه وتقول له: «اذْهَبْ إِلَى رَبِيعة فتَعَلَّم مِنْ أَدَبِهِ قبل عِلْمِهِ»[(١)]، هكذا كانت الأمهات يوصين أبناءهن رحمهن الله تبارك وتعالى!

والأدب ثَمَرة العلم؛ فإن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: «إن كان الرَّجُل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين»[(٢)]، وقال مخلد بن حسين لعبد الله بن المبارك: «نَحْنُ إِلَى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم»[(٣)]، والأَدَب له فُرُوع كثيرة لا مجال لِشَرْحها والكلام عنها هنا، ولَكِن تكفي بعض الإشارات.

وأنبياء الله تبارك وتعالى ضربوا أعظم المثل في الأدَب، فهَذَا عِيسَى عليه الصلاة والسلام في المَقَامِ الأَعْظَمِ يوم القيامة على رُؤُوسِ الخَلَائِق يُخَاطِبُه الله تبارك وتعالى مخاطبة عظيمة هائلة تشيب لها الولدان: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ

(١) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (١/ ٩٨).

(٢) انظر: تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة ص ٣١.

(٣) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٢/ ٤٤٥).

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦].

انظر إلى هذا الأدب النبوي المُبَارَك: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ لم يرد على الله تبارك وتعالى ردًّا جازِمًا ويَقُل له: لَمْ أَقُلْ ذَلِك، ، إِنَّمَا قَالَ بمنتهى الأدب: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩ - ٨٠]، فأسْنَدَ الإطعام والسّقْي إلى الله تبارك وتعالى فقال: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أما في حَالِ المَرَضِ فَأَسْنَدَه إلى نفسه؛ تأدّبًا، عليه الصلاة والسلام، كيف لا والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النَّحل: ١٢٠]. أسند المرض إلى نفسه؛ تأدبًا مع الله تبارك وتعالى، ومن يُمْرِض النَّاسَ غير الله تبارك وتعالى؟! ولَكِنَّهُ شَأْن الأدب: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

ويوسف عليه الصلاة والسلام عندما جاء إليه أبواه وإخوته وخَرّوا له ساجدين في مَشْهَد مهيب عجيب؛ تحقيقًا لِرُؤْيَاه التي رآها ﷺ قال لأبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فلم يَقُل: أَخْرَجَنِي مِنَ البِئْرِ، وَلَمْ يَقُل أخرجني من الجُبّ، بل قال: أخْرَجَنِي من السجن؛ مراعاة لخاطر إِخْوَتِهِ؛ لأن يوسف عليه الصلاة والسلام قد سُجِنَ في جُبّ مشهور في مصر إلى اليوم، وإخوته أيضًا وضعوه في بئر وفي جب، لكن مع ذلك لَمْ يَقُل: أخرجني من الجب والبئر؛ لئلا يتذكر إخوته الحاضرون ذلك

البئر الذي ألقوه فيه. وانظر إلى الأدب النَّبَوي المبارك: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] لم يقل: جَاءَ بِكُمْ من الفاقة ولا مِنَ التَّعَبِ ولا مِنَ الجوع ولا مِنَ المرض؛ مع أن ذلك كان حالهم في البادية في ذلك الزمان، إنما قال: جاء بِكُمْ مِنَ البدو تأدُّبًا مَعَ أبويه وإخوته، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] مع أنه ﷺ لم يصنع شيئًا، ولكن مُرَاعَاةً منه لِحَال إخوته وخاطرهم لم يَقُل أَيّ شيء قد يُفْهَم منه الإساءة إليهم، وإنما قال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. هكذا كان أدَب الأنبياء صلوات ربي وسلامُه عليهم.

والإمام أحْمَد رَحِمَهُ اللهُ كان متكئًا مِنْ عِلَّة فذكر له أحد الصالحين -وهو إبراهيم بن طهمان-، فاعْتَدَلَ الإمام رَحِمَهُ اللهُ، وقال: لا يَنْبَغِي أن يُذْكَرَ الصالحون فنَتَّكِئ(١).

وقال إبراهيم بن الأشعث: رَأَيْتُ سفيان بن عُيَيْنَة يُقَبِّل يَدَ الفُضَيْل بن عياض مرتين(٢) - رحمهما الله تبارك وتعالى- وسُفْيَان هو مَنْ هُو؟! إمَام أهل مَكَّةَ، سفيان بن عيينة الهلالي الذي تُوُفِّي سنة ثمان وتِسْعِين ومائتين.

وقد جاء الإمام مسلم في حادثة مشهورة معروفة إلى الإمام البخاري - رحمهما الله تبارك وتعالى- فقال: دَعْنِي أُقَبِّل رِجْلَيْكَ يَا أستاذ الأستاذين، ويَا طَبِيبَ الحَدِيث في عِلَلِهِ(٣).

---

(١) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٧/ ١٣).

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (٤٨/ ٣٨٩).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ١٠٠).

وجاء أحد العلماء إلى الإمام أبي داود الإمام المَشْهُور المُحَدّث صَاحِب السنن، فعَزَم عليه أن يخرج له لسانه، فأخرج له لسانه فقَبَّلَه رحمهما الله تبارك وتعالى[١]، هكذا كان السلف.

والحَقِيقة أن كثيرًا مِنَ الحوادث اليوم بين طلبة العلم لا تَسُرّ صديقًا أبدًا، وتُشْمِت بِنَا الأعداء والحَاسِدِين؛ فإن الحوادث قَدْ كَثُرَت وزادت وعَمَّتْ، وقَدْ عَظُمَ خَطَرُهَا وازداد بلاؤها بَيْنَ طَلَبَةِ العلم بعضهم بعضًا، وهَذِهِ الحوادث إن لم تُوقَفْ أو تضبط أو تُصَحّح، أو يعاد بهذه الأحوال إلى ما كان عليه السلف ﵃ مِنْ تَقَبّل لِلْخِلَاف بَيْنَ بعضهم بعضًا، فَإِنَّ هَذَا شر خَطِير، وأمر مستطير سيحدث قريبًا، والله أعلم.

ينبغي لطلاب العلم خاصة أن يُصْلِحُوا فيما بين بعضهم بعضًا، فلا بد من ذلك، ولا بَدِيلَ عَنْهُ أبدًا، مَهْمَا تُذُرِّعَ بأسباب واهيات أوْهَن من بيوت العنكبوت، فإنَّهُ ينبغي لطلبة العلم -خَاصَّة الذين عرفوا الحق ودعوا إليه والذين هم على الحق- أن لا يختلفوا؛ فَإِنَّ هذا الاختلاف شَرّ مُسْتَطِير بينهم، قد لا تُدْرَك عَاقِبته اليوم، إنما تدرك عاقبته بعد حين ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

وهناك أحد المنتسبين للعلم -وهو في تقديري وظني أبْعَد ما يكون عن العلم- قد ألف كتبًا كثيرة، مِنها محققات ومنها مُصَنَّفَات له، هَذِهِ الكتب رَمَى بها عظماء الأمة بالعظائم: فَذَاك العالم الثِّقَة المشهور هو عنده جَهْمِيّ جَلْد، وتكرار صفة الذَّمّ عند علماء الحديث هي إسقاط لذلك الرجل بالكُلّية، مِثْل أن يقال: فُلَان كَذَّاب كذاب، أو أن يقال: فُلَان ضَعِيف ضعيف، أو فُلَان مَتْرُوكٌ

(١) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٢/ ٤٠٤-٤٠٥).

مَتْرُوك، فَهَذا إِسْقَاط له بالكلية.

فيجيء هذا الرجل الذي يَدَّعِي العلم والصلاح قُرْبَة إلى الله تبارك وتعالى، ويَقُول في أحد علماء الأمة المشهورين الذين تَقَبَّلَتِ الأمة أعمالهم: إنه جهمي جلد.

ويقول في عالم آخر أنْقَذَ الله تبارك وتعالى به العلم في القرون المتأخِّرَة في القرن العاشر -يَذْكر اسمه-، ثم يقول فيه: عقيدته فاسدة جِدًّا.

فَهَلْ بقي لهذا العالم شيء في الإسلام إن كانت عقيدته فاسدة جِدًّا؟! من الذي يُوصَف بفساد العقيدة جِدًّا إلا الضَّال الذي بَلَغَ في الابْتِدَاع مبلغًا عظيمًا والعياذ بالله، فَكَيْفَ يوصف به أحد علماء الأمة، فيقال: إن عقيدته فاسدة جِدًّا، هَكَذَا بإعظام صفة الذم لِذَلِكَ العَالِم! كيف يصح مثْلُ هذا؟!

وهذا الرجل هو قُدْوَة لِبَعْضِ الجُهَلَاء والأغرار تُشَدّ إِلَيْهِ الرِّحَال فيما سمعت وعَلِمْتُ، كيف يحدث هذا في بلاد ينبغي أن يُبْعَدَ منها هؤلاء المتطفلون؟

وهذا أحد المنتسبين إلى العلم زورًا وبهتانًا يقول لإخوانه: تعالوا نَغْتَبْ فِي الله ساعة! مع أن هذه المقولة اشتهرت عن الإمام شُعْبَة كما هو في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ(١)، ولكن الإمام شعبة هو أحد أئمة الحديث النَّبوي المبارك، هذا الإمام الكبير كانت الأمة في وَقْتِهِ أَحْوَج ما تكون لِتَقْعِيد قواعد الجرح والتعديل.

لم تَكُنْ قواعد الجرح والتعديل قد وُضِعَت بَعْدُ عَلَى النحو الذي نَعْرِفُه

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٢٢٣).

اليوم، فكَانَتِ الأمة في أشد الحاجة في ذلك الزَّمَان الذي نشطت فيه الزنادقة ونَشِطَتْ فِيهِ فرق البدعة وأطلت برؤوسها على الأمة، وكُذِبَ في الحديث النبوي، وأُدْخِلَ فيه ما لم يكن منه.

فَإِنَّ الأمة كانت في أشد الحاجة إلى ضبط قواعد معينة للجرح والتعديل تُقْبَل أو تُرْفَض بِمُوجَبِهَا تلك الأحاديث المَرْوِيَّة عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فكان شُعْبَة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لأصحابه مِنَ المُحَدِّثِينَ: تَعالوا نَغْتَبْ في اللهِ ساعَة.

يقصد من ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ -وهو الإمام الثقة الوَرِع- أَنْ يَضَعَ قواعد للجرح والتعديل تُعِينُ مَنْ جاء بعده، وكذلك الأمر كان؛ فإن ابن أبي حاتم والإمام البخاري وأبا حَاتِمٍ نَفْسه وأبا زُرْعَةَ الرَّازِي(١)، وغيرهم من كِبَار المحدثين كانوا يعتمدون على أقوال الإمام شعبة.

أما أن يأتي اليوم رجل من أدعياء العلم فيقول: تَعَالوا نغتب في الله ساعة، ثم يَذْكر في مجْلِسِه ذلك عددًا مِنْ أئمة العلم مِنْ سَلَفِ الأمة وخَلَفها ينبزهم ويرميهم بالبدع وبالبُعْدِ عَنِ الصِّرَاطِ المستقيم، وينبز عددًا كبيرًا مِنَ الدعاة المصلحين ولا يسلَم مِنْ شَرِّه أحد فإن هذا لا ينبغي أن يُقْبَل أبدًا.

فلو جاء اليوم رجل طَالِب للحق من بلاد الكفر، وقال: أرُونِي مِيرَاث النبي ﷺ، أروني حضارة الإسلام، أين هذا الإسلام الذي تتكلمون عنه؟ فإن الذي يُذْكَر له هو علماء الأمة، ويُذْكَر لَهُ مُصَنَّفَات علماء الأمة، ويُذْكَر له كبار الأمة قديمًا وحديثًا.

---

(١) عُبَيد الله بن عَبْد الكريم بن يَزِيد بن فروخ القرشي المخزومي، أَبُو زُرْعَة الرازي، أحد الأئمة المشهورين، والأعلام المذكورين، والجوالين المكثرين، والحفاظ المتقنين. توفي سنة [٢٦٤هـ]. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٨٩).

فَإِنْ كَان هؤلاء الكبار قَدِيمًا وحديثًا يُذْكَرُون بِسُوء في المحافل وينبزون وينبذون، ويُطْرَحون جانبًا، وتُذْكَر أعراضهم بالسوء، ويُذْكَر علمهم بالسوء، ويُوصَفُون بالبِدَع قديمًا وحديثًا، فما الذي يَبْقَى مِنْ ميراث النبي ﷺ؟ كيف نُبَيِّن لِلنَّاسِ أن هذا هو المِيرَاث النبوي الذي حَافَظَتْ عَلَيْهِ الأمة طوال أرْبَعة عشر قرنًا مِنَ الزَّمَان.

هَذا هو الحَقّ الذي يجب أن يُذْكَرَ، أَمَّا خِلَافُه والتَّعَلّل بِخِلَافِهِ، فَإِنَّ هَذَا لا يصح!

مَنْ كَان مشهورًا ببدعة طالاً بِرَأْسِهِ علينا فيها، فَخُورًا بِهَا، داعية إليها، فإن هذا مما يجب أن يُنْبَذَ ويُطْرَح، أما أن يكون الرجل مغمورًا، فَإِنَّ أَئِمَّةَ السلف قد قبلوا كثيرًا من المغمورين، بل قد قَبِلُوا بعض المشتهرين بالبِدَع الذين لم يدعوا إلى بدعتهم.

بل إن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قد أخرج في حديثه لعمران بن حطان(١) ذلك الخارجي المعروف المشهور أَخْرَجَ له في صَحِيحه بعض الأحاديث(٢)، فهل نَتَّبِع سلفنا فيما كانوا فيه من مراعاة لعلماء الأمة ومِنْ مُرَاعَاة للخلاف، أم نخالف ذلك كله كما هو الحال اليوم؟ هَذا الأمر لا يحتاج إلى إجابة.

ثم قد حَذَّرَ السلف مِنْ تَرْكِ الأدب، سَوَاء مَعَ الله تبارك وتعالى، أَوْ مَع رسوله ﷺ، أو مَعَ الصالحين من العلماء والأولياء، قَدْ حَذَّرُوا من ذلك أشَدّ

(١) عمرانُ بنُ حطانَ بن ظبيان السدوسي البصري. قال الحافظ: صدوق إلا أنه كان على مذهب الخوارج، ويقال: رجع عن ذلك. قال الذهبي: أحد رؤوس الْخَوَارِج. توفي سنة [٨٤هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٨)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٩٨١).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٥٨٣٥)، (٥٩٥٢).

التَّحْذِير، فهذا الإمام البوشنجي[1] أحد كبار أئمة السلف توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين، يقول: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ بِغَيْرِ أَدَبٍ فَقَدِ اقْتَحَمَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ»[2].

وقال الإمام يوسف الرَّازِي[3] أحد السلف: «بِالأَدَبِ تَتَفَهَّم العِلْمَ، وبالعِلْمِ يَصِحّ لك العمل»[4].

وكان العلماء يُعَاقِبُون مَنْ يَخْرُج عن الأدب، ولو كان إمامًا يُشَار إليه بالبنان، فهذا الحافظ الكبير ابن وَارَةَ الرَّازِي[5]، هو حَافِظ مشهور في زَمَانِهِ يَدْخل على أحد أَئِمَّة الحَدِيث - وهو الإمام الشاذ كوني[6]- فيَجْلِس معه، فيقول له: من أنت؟ -لم يعرف ابن وارة- قال: ألم تسمع بنبئي؟ ألم تَعْرِف خَبَرِي؟ أنا ذو الرحلتين، وكَانَ له رحلات في طلب العلم مشهورة، وكان إمامًا مشهورًا معروفًا، فَغَضِبَ الشاذكوني، ولَكِنَّهُ أمسك عنه، ثم قال -يسأله الشاذكوني

(١) محمد بن إبراهيم بن سعيد، الإمام الكبير أبو عبد الله العَبْديّ، الفقيه المالكيّ البوشَنْجيّ.، شيخ أهل الحديث في زمانه بنَيْسابور، رحل وطوّف وصنّف. توفي سنة [٢٩٢هـ]. قال الحافظ: ثقة حافظ. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ١٠)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ١٠٠٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٥٨٦).

(٣) يوسف بن الحسين الرّازيّ، أبو يعقوب، شيخ الصوفيّة. صحِب ذا النُّون المصريّ، وغيره. توفي سنة [٣٠٤ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨٤).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٤/ ٢٥٠).

(٥) محمد بن مُسْلِم بن عثمان بْن وارة، أبو عبد الله الرازي الحافظ. قال الحافظ: ثقة حافظ. توفي سنة [٢٧٠هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٣)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٤٢٣).

(٦) سليمان بْن داود بْن بِشْر الشَّاذكُونيّ الحافظ، أبو أيّوب المِنْقَري البَصْريُّ. توفي سنة [٢٣٤ وقيل: ٢٣٦هـ]. قال الخطيب: وكان حافظًا مكثرًا، وقدم بغداد وجالس الحفاظ بها وذاكرهم، ثم خرج إلى أصبهان فسكنها، وانتشر حديثه بها. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٨٢٩)، تاريخ بغداد (١٠/ ٥٥).

اختبارًا أو تمحيصًا-: من حدث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لحكمةً**»[١]؟ فقال: حَدَّثَني بعْضُ أصْحَابِنَا، قال: مَنْ هُمْ؟ قال: أبو نعيم وقبيصة، وهذان إمامان مشهوران كبيران مِنْ أئمة الحديث النبوي الشريف، فَغَضِبَ الشاذكوني غضبًا عظيمًا، وقال: يا غلام -لأحد غلمانه- ائتني بالدِّرَّة، وأَمَر فَضُرِبَ بها خمسين.

قال: أَنْتَ تخرج مِنْ عِنْدي -بعد أن ضربه- لا آمَنُ أنْ تَقُول: حدثني بعض غلماننا[٢]. لم يَرْضَ منه الإمام الشاذكوني وهو الإمام المشهور المعْرُوف الحافظ الكبير في الحديث أن يقول: حَدَّثَنِي بَعْض أصحابنا عَنْ أبي نعيم الأصبهاني وقبيصة. وإنما يريد منه أن يقول: حَدَّثَنِي بعض شيوخِنَا، حَدَّثني بعض علمائنا، فضَرَبَهُ وعَاقَبَهُ على تلك المقولة، فما بالكم لو رأوا ما يحدث في أوساط طَلَبَةِ العِلْم اليوم؟ كَيْفَ سيكون الأمر؟ وكيف سيتعجب هؤلاء الأئمة تعجُّبًا عظيمًا من حالنا؟

سادسًا: السَّمْتُ الصَّالِح، والهَدْي الحَسَنُ؛ فَقَدْ كان في حَلقَةِ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة آلاف من الرجال، منهم خمسمائة يمْسِكُون بالمَحَابِرِ ويكتبون ما يقوله الإمام، والباقي كانوا يأتون لينظروا في سَمْتِ الإمام وهَدْيِهِ وطريقته ودَلِّه[٣]، هكذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكَانَ السلف أحْرَص ما يكونون على سَمْتِهِمْ وهديهم وضَبْط طرائق كلامهم وإشاراتهم وضبط أحوالهم جميعًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٤٥).

(٢) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٤/ ٣٠٢)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٣٠).

(٣) الدل عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار، وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٣١).

فَكَانُوا يَبْتَعِدُونَ عن السّخْف وعن زيادة المزَاح المُؤَدّي إلى الإخلال بالهَيْبَةِ والوقار؛ فَإِنَّ كثيرًا مِنَ الناس يَمْزَح ثم يمزح ثم يمزح حتى تَزُولَ هَيْبَتُه ويذهب وقاره، ولا يعود يُسْمَع له.

ثم ما هو موقف طالب العلم من النِّعَمِ الجَلِيلة التي أنعم الله تعالى علينا بها في هذا العصر؟ هذه النِّعْم التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يُدِيمَهَا علينا، وأنْ لَا يَحْرِمَنَا مِنْهَا، ولَا يُشْمِت بِنَا الأعداء والحاسدين فيها، هذه النعم يَنْبَغِي لطالب العلم ألا يَهْجُرَها ولا يَتْرُكَهَا.

إنما يَنْبَغِي عليه أن يتَقَلَّل مِنَ المُبَاحَات في أَخْذِ هَذِهِ النِّعَم، وأَنْ يَهْجُرَ التَّرَفُّه شيئًا بَعْد شَيْء، لَا أَنْ يَهْجُرَه بالكلية، ولَكِن بالقدر الذي يحْفَظ له همته ويحفظ له عزمه، ويحفظ له إصراره وانطلاقه؛ لأَنَّ في الترفّه -كَمَا تعلمون- والترف الزائد موتًا للشعوب، وموتًا للأشخاص ولِلْهِمَمِ، وتأنثًا في السلوك والأفكار، هَذَا أَمْر مُشَاهد فِيهِ عِبْرَة لمنْ يَعْتَبِر.

فَعَلَى طَالِب العلم أن يحرص على الاخشيشان شيئًا بعد شيء، الشيء القليل الذي لا يُؤَدِّي إلى نكران نِعَم الله تبارك وتعالى؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، لكن كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اخشوشنوا وتَمَعْدَدُوا»[(١)] أي: تَشَبَّهوا بأبيكم مَعَدّ بن عدنان؛ فَإِنَّهُ كانت تغلب على أحواله الخشونة، ولا يقصد عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الأمر تَرْك التَّنَعّم والترفّل في النِّعَم بالكلية، ولكن يُقْصَد به ما أَسْلَفْتُ، والله أعلم.

ثم الحذَر من اللغو وأهله ومجالسهم؛ فإن هذا مما يُمِيتُ القَلْب ويُقَسّيه؛

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٨٦٥).

فمَجَالس اللغو مجالس الباطل، ومجالس الهذر الشديد تميت القلب وتقسِّيه، وأسلفت بأنه يجب على طالب العلم أن يخالط الناس بالقدر الذي لا يكون فيه لغو، والقدر الذي يحترمون فيه وجوده ومُكوثه معَهم، فلَا يلغون وهو موجود، والله أعلم.

ثم هنالك مَرَضٌ يُصِيب عددًا مِنْ طَلَبَة العلم ألا وهو عَدَمُ الثَّبَات على العلم وطَلَبِهِ، فإن هذا مِنْ عُيُوب كثير مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ؛ يطلبونه اليوم، ثم يتركونه غدًا، ثم يهجرونه بعد غد، ثم يرجعون إليه بعد شهرين أو ثلاثة، ثم يتركونه سنة أو سنتين، ثم يرجعون إليه يومًا أو يومين، وهكذا، فإن هذا التذبذب لا يَعُود على الشخص بالنفع أبدًا، إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بأن يفهم وأن يكون من الفضلاء المُطَّلِعين، ولكن لا يكون طالب علم أبدًا.

ثم ينبغي عليه أن لا يسارع في التصنيف قبل اكتمال الأهلية، أو اكتمال جُزْء مِنَ الأهلية؛ لأن التصنيف مصيدة يهْرَع إليها كثير من طلبة العلم، نعم أَنْ يُصَنِّفَ الشخص في شيء يرى أن المجتمع مُحْتَاج إليه، يَرَى أن المجتمع فَقِير إِلَيْهِ، يرى أن هذا الأمر لم يُسَدّ بعد، أو أنَّ هَذَا الأمر فيه تنبيه وتَذْكِير لطوائف كثيرة مِنَ الناس، قد ابتعدت عَنْ فَهْمِهِ، أو قد زَلَّت أقدامها فيه، فإنَّ هَذَا مِمَّا يُحْمَد عليه إن شاء الله، بشرط اكتمال الأهلية أو جزء من الأهلية فيه.

أَمَّا أن يسارع إلى التصنيف -ولو بِحُجَّةِ أَنَّ هذَا أَمْر مهم-، ولم تَكْتَمِلْ فِيهِ بعد كثير مِنْ جَوَانِبِ الأَهْلِيَّة -أهلية التصنيف- فإن هذا يعرضه للهزء، ويُعَرّضه للمَهَانة ولِلذّل، وهذا مِمَّا يُصَانُ طَالِب العلم عنه، ويَجِبُ عَلَيْهِ أن يَبْتَعِدَ عَنْه أشَدّ الابتعاد، نَعَمْ، إن اكتملت فيه بعض الجوانب المُهِمَّة فلَهُ أَنْ يَتَصَدَّى لذلك،

بشرط أن لا يُكَرّر ما هو موجود في سوق العلم وفي سوق الكتب.

ثم إن هذا -التصنيف- أمر في غاية الأهمية، أدْعُو إليه إخواني بعد اكتمال الأهلية حتى يَتْرُكُوا أثَرًا يَبْقَى في الأجيال. نحن اليوم نذكر كُتُبَ السَّلَف والأئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم الله تبارك وتعالى جميعًا، نستفيد مما فيها مِنْ علم، ونَتَرَحَّمُ عليهم إذا ذكرنا كتبهم، فكُلّ جملة نستفيد منها هي في صحائف حسناتهم يوم القيامة، وهذا من الأثر المَتْرُوك الذي هو مِنْ أَعْظَمِ الأعمال التي يتركها الإنسان عَبْرَ القُرُون المتطاولة، تَسْتَفِيدُ منها الأجيال إلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأرْضَ ومَن عليها، ولكن كل ذلك مَشْرُوط ومُقَيَّد باكتمال الأهلية، أو باكتمال قسْم كبير منها، والله أعلم.

- **كتب ينبغي لطالب العلم ألا تخلو مكتبته منها:**

هَذِهِ الكتب منقسمة إلى أقسام، يَنبَغِي له في القسم الأول أن يَحْوِي في مكتبته كتابًا جامعًا في كل فَنّ من الفنون، وفي كُلّ علم من العلوم، حتى إذا صَادَفَتْه مسألة -مثلًا- في كتاب مِنْ كُتُبِ عُلُومِ القرآن، أو مِنْ كتب الأدب، أو من كتب الفقه، أو من كتب العقيدة، وأشكلت عليه هرع إلى ذلك الكتاب الجامع ليفهمها.

وطريقة المُصَنِّفين القُدَامَى أنهم يصنفون المسائل على وجه الاستطراد، والتوسع والتكثر من مسائل العلم، لا على وجه التقلل والتخصّص العلمي المعروف اليوم، فيشرع في مسألة، ويأخذ في أطرافها، فتقُودُه تلك الأطراف إلى أطراف أخرى، ثم يتوسع توسعًا قد يُقَارِب خمسين إلى ستين صفحة، ثم يعود إلى مسألته الأولى التي كان فيها.

وهذا محمود إلى حَدٍّ كبير في مُصَنَّفات سلفنا، أما هذه الطريقة التي يدعونها الطريقة العلمية اليوم فهي طريقة جَافَّة في ظني، نعم هي مفيدة في بعض جوانبها، لكن يغلب عليها الجَفَاف، والرّوح العِلْمِيَّة المَحْضَة التي ليس فيها قصة تُرَوّح، وليس فيها نكتة دَقِيقَة تُنَبّه، وليس فيها طُرْفَة تُبْعِد المَلَل أو شيء مما كان يُضَمِّنُه سَلَفنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مصنفاتهم ممَّا يُذْهِب الملل ويبعث على النشاط، بدعوى أن هذه هي الطريقة العلمية الحديثة، وأَبْعِدْ بِهَا من طريقة!

وأَنَا -والله- لا أحِبّ مثل هذه الطرق، تقرأ الكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخره فلا تَجِد إلا الملل، ولا تَجِدُ إلا قَهْرَ نَفْسِكَ وقَسْرها على إكمال الكتاب، لكن انظر إلى مُصَنَّفَات سلفنا رحمهم الله، فقد كانوا يُضَمِّنُون فيها ما يَبْعَث على الراحة وعود النشاط مرة أخرى.

المُهِمّ أن هذه كانت طريقة السلف في التصنيف، فإنهم مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الاستطراد يذكرون عُلُومًا جَمَّة، ويذكرون مصطلحات جَمَّة في العقيدة والأصول والفِقْهِ وعُلُوم القرآن وعلوم الحديث.

فالذي ينبغي لطالب العلم أن يجعل في مكتبته كتابًا جامعًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي كُلّ فن من الفنون، مثل أن تجْعل في اللغة العربية -مثلًا- إحدى شروحات ألفية ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لابن عقيل أو لابن هِشَام رحمهما الله تبارك وتعالى، أو أن تجعل في مكتبتك أحد المصنفات لابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ مثل شرح قطر النَّدى وبل الصدى، ومثل مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وغيرها من كتب النحو لابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ، فتجعل لك كتابًا في بَابِ اللغة العربية.

كذلك أيضًا: أن تجعل لك كتابًا في الأصول؛ مثل المستصفى للإمام

الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)، أو جَمْع الجَوَامع للسّبْكِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)، أو ما شاكل تِلْك الكتب من مبسوطات ومخْتَصَرات تجعل في مكتبتك.

كذلك في الفقه أيضًا تجعل في كل مَذْهَب من المذاهب كتابًا يُرْجَع إليه.

واجعل في كتب أحكام الحديث النبوي: نيل الأوطار، أو بلوغ المرام في مكتبتك.

أيضًا اجعل في مكتبتك مراجع الحديث النبوي الكبيرة الضخمة؛ كالبخاري ومسلم ومسند أحمد.. إلى آخره.

اجعل هذه المراجع لِرُؤُوسِ الفنون في مكتبتك، ولا تَبْخَل بشرائها، وجَعْلِها في بيتك.

ثم كتب معاجم اللغة العربية، وهَذِهِ مِنْ أهم المساعدات لطالب العلم؛ فإن المصنف قَدْ يُغْرِب في تصنيفه، فيأتي بالكلمات الغريبة علينا اليوم، ونحن أصحاب البضاعة القليلة في العلم، أما تلك المصطلحات والعبارات فقد فكانت مَشْهُورَة في أيامهم، أمَّا نَحْنُ فلا نَعْرِفُها، فَتَرْجِع إلى المَعَاجِم؛ لتُبيِّن لَكَ كثيرًا مِمَّا قَدْ يَخْفَى عَلَيْك.

وهَذِهِ المعاجم تنقسم إلى قسمين: مَعَاجم فَائِيَّة، ومعاجم لامِيَّة، حسب جذر الكلمات والمصطلحات العربية، فَكَلِمَة (يَتَبَادَحون) مثلًا؛ أي:

(١) محمد بن محمد بن محمّد بن أَحمد، الإمام زين الدّين أبو حامد الغزالي، الطوسي، الفقيه الشافعي، حُجّة الإسلام. قال الذهبي: وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب حديث المصطفى ﷺ، ومجالسة أهله، ومطالعة «الصّحيحَين»، ولو عاش لسبق الكلّ في ذَلِكَ الفنّ بيسيرٍ مِن الأيّام، ولم يتَّفق لَهُ أن يروي... توفي سنة [٥٠٥ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١١/ ٦٢).

(٢) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. توفي سنة [٧٧١هـ]. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٤).

يَتَرَامَوْنَ[١]؛ من قوله: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون بالبِطِّيخ في مجلسه الشريف ﷺ ويتَضَاحَكُونَ، وينظر إليهم ﷺ ويَتَبَسَّم[٢].

لو أَرَادَ الإنسان أن يبحث عن هذه الكلمة فإنه يَرْجِع إلى جذرها: (بَدَحَ)، ثُمَّ يَرْجِع إلى المعجم وينظر إلى تلك الكلمة، فيعرف معناها مباشرة، لكن (بدح) هذه هَلْ ترجع إليها بالباء أو بالحاء، فإن القَوَامِيسَ تختلف في أَمْثَالِ هَذَا؛ فالقاموس يَنْقَسِمُ إلى فَائِيّ ولَامِيّ، وبَدَحَ على وزن فَعَلَ؛ ففَاءَ الكلمة في بدح هي الباء، فالباء هذه بعض القواميس تبدأ بها مُبَاشرة؛ فتفتح القاموس وتنظر فتأتيك الباء ثم الدال، فتقف على هذه الكلمة: بدح.

والجزْء الأكبر من المعاجم مَعَاجِم لامِيَّة؛ أي: تنظر إلى آخر حَرْف من الكلمة، فتَرْجِعُ إِلَى: كِتَابِ الحَاء، فَصْل الباء؛ لتنظر معنى كلمة (بدح)، فلام الكلمة هنا الحاء، فتَذهَب إلى كتاب الحاء فصل الباء؛ لتنظر إلى معنى هذه الكلمة، ومن هذه المعاجم اللامية: لِسَانُ العَرَبِ، والقاموس المحيط، ومن المعاجم الفائية: المصباح المنير، وأساس البلاغة.

وقد رَتَّب أحد علماء اللغة اليوم -وهو الطاهر الزاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]- القاموس المحيط لِيَكُونَ قاموسًا فَائِيًّا، وهذه من أعظم الخدمات التي قَدَّمَهَا هذا العالم رَحِمَهُ اللَّهُ لطلبة العلم؛ لأن القاموس المحيط مما لا يَسْتَغْنِي عنه طالب العلم، لكنه يقع في كلمات لا يعرف ما هو جَذْرها.

---

(١) انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٦٦).

(٣) الطاهر أحمد الزاوي، الباحث، اللغوي، المؤرخ، مفتي ليبيا بعد الثورة. توفي سنة [١٤٠٦هـ]. انظر: تكملة معجم المؤلفين (٢٥٣).

فكلمة التقوى نبحث عنه في: (وَقَى)، فَجَاءَ هذا الرجل رَحِمَهُ اللَّهُ فَغَيَّرَ ترتيب القاموس؛ ليكون قاموسًا فائيًّا يعالج كثيرًا مِنَ الكلمات، ويجعلها سهلة مَيْسُورَةً لِطَالب العلم.

فعليك بمثل هذا القاموس، وأنصح بكتاب «تاج العروس من جواهر القاموس» للشيخ الإمام مُحَمَّد المُرْتَضَى الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، المتوفى سنة خمس ومائتين وألف، فهو مِنْ أَعْظَم الكتب التي صُنِّفَتْ في بَابِ المعاجم، وهو قاموس لامِيّ، ولكن حُزْه مَعَ ترتيب القاموس المحيط، فتحصل على خير كثير بإذن الله.

وهناك بعض الكتب التي تفيدك في معرفة نَشْأَة العلوم وابتدائها، وتعريف العلم؛ فلو أردت -مثلًا- أن تعرف مَعْنَى البيان، أو مَعْنَى البديع، أو معنى البلاغة، أو معنى الأصول وغير ذلك فلَوْ رَجَعْتَ إلى المُعْجَم قد يُنجدك وقد لا ينجدك[2]، وفي كثير من الأحيان لا ينجدك في باب مصطلحات العلوم.

لكن ارْجِع إلى الكتب التي اهْتَمَّت بتعريف العلوم وبيان مصطلحاتها، وبيان المصنفات فيها المشْهُورة منها وغير المشهورة على السواء، المخطوط منها الباقي أو الفاني على السواء.

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. توفي سنة [١٢٠٥هـ].
انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٧٠).

(٢) أي: لن يوضح لك ما تريد، من نجد الأمر ينجد نجودا، وضح واستبان، أو لن يسعفك في الحصول على الإجابة على ما تريد. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٤١٦)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (٩/ ٢٠٤).

ومِنْ أعظم هذه الكتب: «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لأحمد بن مصطفى بن إسماعيل المُشْتَهِر بِطَاش كُبْري زادَه[١]، وهو رجل من كِبار علماء الروم المتأخرين؛ أي: علماء الدولة العثمانية، والكتاب الذي اعتمد على هذا الكتاب وهو أجْمَع منه وأَوْلَى هو كتاب «أبْجَد العلوم» لِصِدِّيق حَسَن خَان القنوجي البُخَاري[٢]، وهذا رَجُل عالم مشهور توفي سنة سبع وثلاثمائة وألف من الهجرة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

هذا الرجل أتى من قَنّوج وهِيَ إِحْدَى مُدُن بُخَارَى إلى مملكة بَهُوبَال في الهِنْد، وهي اليوم معروفة في الهند قَدِ اسْتَوْلَتْ عليها الحكومة الهندية فيما استولَتْ عليه من ممالك المسلمين، هذه المملكة كان عليها مَلِكَة أُعْجِبَتْ بذلك العالم؛ لِعِلْمِهِ وسَمْتِهِ وهَدْيِهِ، فعَرَضَتْ عليه أن تتزوَّجَهُ فَقَبِلَ، وأَصْبَحَ مَلِكًا فِعْلِيًّا على تلك البِلَاد، وهُوَ رَجُل من كبار علماء المسلمين المتأخرين، وأَلَّف هذا الكتاب فيما ألّف.

وكانت هذه الملكة لثرائها وجَاهِهَا وعِظَمِهَا في قومها قد جاءت بأسباب العلوم الحديثة إلى بلادها، وأتت بمطبعة كبيرة وضعتها في بلادها، وصارت تطبع لزوجها كتب العلوم، فطبَعَتْ له كثيرًا من كتب العلم التي راجت في البلاد الإسلامية، وأعيد طبعها مرات ومَرَّات في مصر في المَطْبَعة الأميرية في بولاق وغيرها من المطابع.

ومِمَّا أَلَّف هذا الرجل كتابًا يُدْعَى: «أبْجَد العلوم» وطَرِيقَتُه فيه أَنَّهُ قَدَّمَ

---

(١) انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١٥٣).

(٢) انظر: طبقات النسابين (١٩١)، وهدية العارفين (٢/ ٣٨٨)، والأعلام (٦/ ١٦٧)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٩٠).

مُقَدِّمَة طويلة في نشأة العلوم وكيف ابتدأت، ومصطلحات العلوم والفُنُون، ثُمَّ شرَعَ في ذِكْرِ العُلُوم الإسلامية المُخْتَلِفة المتنوعة، ثم ذَكَرَ نَشْأَتَهَا وتاريخها وأحوالها وتَعَارِيف لها، وأشْهَر المصنفين فيها... إلى آخر ما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنا أنصح بهذا الكتاب، صحيح أنه كتاب صعب، لكن على طالب العلم أن يَتَرَيَّث وهو يقرأ فيه؛ لأَنَّهُ من الإفادة بمكان، والله أعلم.

ثم هناك كتاب «كَشَّاف اصْطلاحات الفنون» للعالم الكبير التهانوي[1]، وهو عَالم هِنْدي مُتأخِّر، وهو يُقَارب كتاب أبجد العلوم إلا أنه على هَيْئَة المُعْجَم.

ثم هناك كتاب «التعريفات» للإمام الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، وهو كتاب مفيد في كشف مصطلحات كثير من العلوم التي قَدْ تَخْفَى على طالب العلم.

كذلك كتاب «أَنِيس الفقهاء» في الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، وهو كتاب مُهِم أيضًا.

وهناك كتب معاجم تُعَرّف بعض المصطلحات الفقهية في بعض المذاهب، طُبِعَتْ هُنَا وهنالك يستفيد منها طالب العلم.

ثم الأمر قبل الأخير: هناك كتب تُعَلّم بعض المصطلحات والكُلّيات، مثل الذي يُقَال فيها: كلُّ كذا فحكمه كذا. وهذه تفيد طالب العلم إفادة كبيرة، ومن

---

(١) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي. توفي سنة [١١٥٨هـ].
انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٥).

(٢) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. توفي سنة (٨١٦هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٧).

أشْهَر هذه الكتب كتاب «الكُلّيات» للإمام أبي البقاء الكَفَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ(١)؛ فكِتَاب الكليات كتاب ضخم، طُبِعَ حديثًا طَبْعة أَنِيقَة مُرَتَّبَة مُحَقَّقَة، يَذْكُر فيه العلوم ومصطلحاتها على هَيْئَةِ المعجم، ثُمَّ يذكر في فَصْل كبير أخِير في الكتاب كُلِّيَات علمية، مثل أن يقول: كُلّ صفة تخْتَصّ بها الأنثى فهي تخلو من أداة التأنيث، فلا تَقُول مثلًا: امرأة حاملة. بل قل: امْرَأة حامل؛ لأَنَّ الرجل لا يحمل بطبيعة الحال.

فَمِثْل هَذِهِ الكُلّيات كثيرة جِدًّا في اللغة والفِقْه والأصول والعقيدة والمنطق والحديث والتفسير، وهي مفيدة لطالب العلم. فالطالب -مثلا- يريد أن يعرف الاستقراء ما هو؟ أنواعه؟ والدَّوْر ما هو؟ أنواعه؟ والتسلسل ما هو؟ وما هي أنواعه؟ يريد أن يعرف الماهية والهوية، يريد أن يعرف مثلًا كلمة (الماصدق)(٢) تأتي إلينا هذه الكلمة في ثنايا الكتب التي تتكلم عن العلوم، فكيف يعرفها؟

فحين يرجع إلى مثل هذه المعاجم؛ فإنه يعرفها ويحوز علمها إن شاء الله.



(١) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب (الكليّات - ط) كان من قضاة الأحناف. توفي سنة [١٠٩٤م]. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٤).

(٢) الماصدق عِنْد المناطقة: الْأَفْرَاد الَّتِي يتَحَقَّق فِيهَا معنى الْكُلِّي. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٥١١).

المقدمة الثالثة
تاريخ التدوين في علوم القرآن

أما **علوم القرآن** فهي العلوم التي تَنَاوَلَتْ كِتَابَ الله تَبَارَكَ وتَعَالى بيانًا ودراسة وشرحًا وتفسيرًا... إلى آخر ما سأذكره إن شاء الله تبارك وتعالى مِنْ هَذِهِ العلوم، وهَذِهِ العلوم -كما بَيّنْتُ في المُقَدِّمَة الأولى- هي كعَامّة العلوم لم تُدَوَّن فِي بدايتها، بل كانت تُتَنَاقَل في مجالس العلماء مِنْ صَحَابة رسول الله ﷺ ومن التابعين الكبار وتابعيهم، وهلم جَرًّا، ثم بعد ذلك بدأ بعض العلماء الكبار يَكْتُبون في فروع من علوم القرآن الكريم، مثل شعبة بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ؛ فَقَدْ أَلَّف في التفسير، ومثل سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ المُتَوَفَّى سنة ثمان وتسعين ومائة[١]، ومثله أيضًا الإمام الكبير عبد الرزاق الصنعاني[٢]، فقد أَلَّفَ تفسيرًا للقرآن، وقد طُبِعَ هذا التفسير قريبًا، والإمام الكبير عبد الرزاق هو شيخ الإمام أحمد وشيخ يحيى بن مَعِين[٣] رحمهما الله تبارك وتعالى، وأيضًا عَلِيّ ابن المديني رَحِمَهُ اللهُ[٤]

---

(١) سُفيان بن عُيَيْنَة بْن أَبِي عِمران، واسم أبي عِمران ميمون، مولى محمد بْن مُزاحم الهلاليّ أخي الضحّاك المفسِّر، أبو محمد الكوفي ثم المَكيّ، الإمام شيخ الإسلام. توفي سنة [١٧٩هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ١١١٠)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٠).

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، اليماني، أبو بكر الصنعاني. قال الحافظ: ثقة حافظ مصنف شهير. عمي فى آخر عمره فتغير، وكان يتشيع. توفي سنة [٢١١هـ]. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٥٢).

(٣) هو: الإمام، الحافظ، الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام، توفي سنة [٢٣٣هـ]. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٧١).

(٤) هو عليّ بن عبد الله بن جعْفَر بن نجيح، مولى عروة بن عطية السعدي. الإمام أبو الحسن الْبَصْرِيُّ. قال الحافظ: ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله. قال الذهبي: قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي، وقال شيخه ابن مهدي: علي ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦).

كَتَبَ في أسباب النزول، وعَلِيّ بن المديني هو شيخ الإمام البخاري كتب في أسباب النزول كتابًا. وهكذا بدأ العلماء يكتبون في فروع كثيرة لعلوم القرآن.

وأما فضائل القرآن فقد كتب فيها الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلّام رَحِمَهُ اللَّهُ(١) كتابًا، وهو مطبوع أيضًا ومُتَدَاوَل مشهور.

وألَّفَ في مجاز القرآن الإمام مَعْمَر بن المثنى رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) قبل أن يؤلف فيه ابن عبد السلام(٣) الذي جاء في القرن السابع رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد تُوُفِّيَ معمر بن المثنى في القرن الثالث سنة ثمان ومائتين.

ثم هناك أيضًا الناسخ والمنسوخ في القرآن، وأَوّل مَنْ يُعْرَف أنه أَلَّفَ فِيهِ من علماء المسلمين هو أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ(٤).

وألّف أبو بكر السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ(٥) في غريب القرآن، ثم أيضًا ابن قتيبة الدينوري(٦)، وهو كما يقال عنه: أديب أهل السنة، تُوُفّي سنة ست وسبعين

---

(١) الإمام، الحافِظ، المجتهد، ذو الفنونِ، أبو عبيدٍ القاسِم بن سلامِ بنِ عبْدِ اللهِ. قال الحافظ: ثقة. وقال الذهبي: صاحب المصنَّفات الكثيرة في القراءات والفقه واللُّغات والشِّعر. توفي سنة [٢٢٤هـ]. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣١٧)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ٦٥٤).

(٢) مَعْمَر بن المثنى، أبو عبيدة التيمي البصري النحوي. قال الحافظ: صدوق أخباري وقد رمي برأي الخوارج. وقال الذهبي: ثقة. توفي سنة [٢٠٨هـ]. انظر: تهذيب التهيب (١٠/ ٢٤٧).

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام، عز الدين، أبو محمد السلمي، الدمشقي، الشافعي. توفي سنة [٦٦٠ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٩٣٣).

(٤) سبق التعريف به.

(٥) عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، أبو بكر الأزدي السجستاني الحافظ. توفي سنة [٣١٦ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٠٥).

(٦) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، وقيل: المروزي الكاتب، نزيل بغداد، صاحب التّصانيف. توفي سنة [٢٤٦هـ]. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٥٦٥).

ومائتين، ألّف في مشكل القرآن؛ أي: في الآيات والآثار التي قيل عنها: إنها مُشْكِلَة لا يُعْرَف معناها، فألف فيها ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه الحافل القَيّم «مشكل القرآن»، وقد طُبِعَ مرارًا.

ثُمّ إِعْرَاب القرآن للإمام الكبير أبي جعفر النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ(١) الذي تُوُفِّيَ سنَةَ ثَمانٍ وَثَلَاثِين وثلاثمائة، وأبو جَعْفر هذا كان لموته قصة عجيبة، كان رجلًا مِصْرِيًّا، وكان ماهرًا بالعروض، وكان في يوم من الأيام جالسًا على درج المقياس في الروضة في النيل، وهذا الدرج يعرف إلى اليوم بِدَرَجِ المقياس، ينزلون فيه فيقيسون كم زاد النيل في هذه السنة عن السنة التي قبلها وكم نقص، وكان الصالحون ينزلون في هذا المكان فينظفونه ويُصَلّون لله تبارك وتعالى فيه فرحًا بِزيادة النيل، وكان أبو جعفر النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ جالسًا على درج المقياس يُقَطِّع أبياتًا من الشعر، فمر أحد المصريين العَوَام فقال: هَذَا رجل يسْحَر النيل فرفسه فوقع في النيل فمات غريقًا سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم السهيلي(٢) ألف في مُبْهَمَات القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠] مَنْ هُوَ هَذَا الرجل الذي أبهمه الله تبارك وتعالى؟ ومثله قوله تعالى: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ما هذه الأربعة؟ وما أنواعها؟ وعلى أي جبل وضعها إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ فاعْتَنى

---

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي أبو جعفر النحّاس النحوي المصري، كان من أهل العلم بالفقه والقرآن. توفي سنة [٣٣٨هـ]. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاه (١/ ١٣٦).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. توفي سنة [٥٨١هـ]. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٣).

بعض الأئمة بتبيان هذه المبهمات، وإفراد بعض المصنفات لها ومنهم إمامنا السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] أَلَّف في القراءات، وقد أَلَّفَ فِي القِرَاءَاتِ أئمة كثيرون قبل الشاطبي، منهم الإمام الكبير مكي بن أبي طالب القيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢] المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، ومنهم معاصره الإمام الكبير الأندلسي أبو عمرو الداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وجاء بعدهم أئمة كبار.

وإنما اشْتُهِرَ الحافظ الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ لأنه كان أَوَّلَ مَنْ نظم في القراءات؛ أي: أَلَّفَ منظومات في علم القراءات، وهذا الرَّجُل -المتوفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة- كان مِنْ أَذْكِيَاء العالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان ضريرًا، مَعَ ذلك أَلَّفَ منظومة عجيبة، وضَمَّنَهَا من الرموز الغريبة التي تدل على ذكاء عجيب، والمسماه بالشاطبية، أو (حِرْز الأماني ووجه التهاني).

ثم هناك علماء ألفوا في أقسام القرآن، مثل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهناك علماء ألفوا في حجج القرآن: كيف كان القرآن يحاج المشركين والضالين أصحاب الشبهات؟ مثل الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

---

(١) القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، إمام القراء. كان ضريرًا. ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر سنة ٥٩٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٦١) وما بعدها.

(٢) مكي بن أبي طالب واسم أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الإمام، أبو محمد القيسي المغربي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، العلامة المقرئ. توفي سنة [٤٣٧هـ]. انظر: معرفة القراء الكبار (ص٢٢٠).

(٣) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلامة فخر الدين، أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل الرازي ابن خطيب الري، الشافعي المفسر المتكلم، صاحب التصانيف. توفي سنة [٦٠٦ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ١٣٧).

ثم هناك إعجاز القرآن، وهذه مسألة كبيرة عظيمة مُهِمّة ألف فيها عَدَد من الأئمة، بدأ التأليف فيها المعتزلة ورد عليهم عدد من علماء أهل السنة، مثل الإمام البَاقِلَّاني توفي سنة ثلاث وأربعمائة رَحِمَهُ اللَّهُ(١)، ومثل الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) الذي توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وكذلك الرُّمَّانِيّ(٣) المعتزلي الذي توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، والقاضي عبد الجبار(٤) الذي تُوفِّي سنة خمس عشرة وأربعمائة، وهذان من المعتزلة.

وألَّفَ عبد الجبار كُتُبًا في إعجاز القرآن مطبوعة مُتَدَاوَلَة اليوم، وَرَدَّ عليه الإمام الباقلاني، وَرَدّ على المعتزلة الإمام الخَطَّابِي في كتابين مَطْبُوعَيْن متداولين مشهورين، وألف مِنْ بعدهم أئمة كثيرون في إعجاز القرآن، منهم أيضًا السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

هَـذِهِ بعض الفروع لعلوم القرآن، ولو اعتبرنا كتب السنة شارحة للقرآن مُفَصِّلَة لما أُجْمِلَ فيه مُبَيِّنَةً له، لَعَرَفْنَا الكم الهائل الذي أُلِّف في علوم القرآن،

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر ابن الباقلاني البصري، صاحب التصانيف في علم الكلام. [المتوفى: ٤٠٣ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٦٣).

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، الإمام أبو سليمان الخطابي البستي الفقيه الأديب. مصنف كتاب «معالم السنن»، وكتاب «غريب الحديث »، وكتاب «شرح أسماء الله الحسنى وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله »، وكتاب «العزلة »، وغير ذلك من التصانيف [المتوفى: ٣٨٨ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٨/ ٦٣٢).

(٣) علي بن عيسى بن علي، أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني كان متفننًا في علوم كثيرة من القرآن والفقه والنحو والكلام على مذهب المعتزلة. صنف في التفسير والنحو واللغة.. [المتوفى: ٣٨٤ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٨/ ٥٦٠)، لسان الميزان (٥/ ٥٧٠).

(٤) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية. توفي سنة [٤١٥هـ]. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤).

وأنه لا يُقَدّر بعدد.

- أمَّا مَنْ أَلَّفَ كتابًا وأطلق عليه: علوم القرآن، فقد بدأ هذا الإمام الحوفي(١) المتوفى سنة ثلاثين وأربعمائة؛ أي: في أوائل القرن الخامس، هذا الإمام ألف كتابًا في ثلاثين جزءًا، وبعضها مفقود، ويوجد منه خمسة عشر جزءًا في دار الكتب بمصر، ألّف كتابًا ضخمًا حافلًا في علوم القرآن، لكنه ليس كالتقسيم المعروف اليوم، إنما هو قَرِيب منه .

وجاء بعده أئمة مثل ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)؛ فألَّفَ «فنون الأفنان في علوم القرآن» أو «عجائب علوم القرآن» والكِتَابَان مطبوعان بعنوانين مختلفين، والكتابان هُمَا كتاب واحد لكنه طبع بعنوانين مختلفين.

ثم جاء الإمام الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣)، فألَّف كتابه العظيم «البرهان في علوم القرآن» وقد طبع بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء، وكان التحقيق متوسطًا لا بأس به.

---

(١) علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي ثم المصري النحوي الأوحد. له «تفسيرٌ» جيد، وكتاب «إعراب القرآن» في عشرة مجلدات، وكتب أخر، واشتغل عليه خلق من المصريين. [المتوفى: ٤٣٠ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٤٧٨).

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ، الحافظ العلامة جمال الدين، أبو الفرج ابن الجوزي، القرشي، التيمي البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك. [المتوفى: ٥٩٧ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ١١٠٠).

(٣) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. وأخذ عن الإسنوي ومغلطاي وابن كثير والأذرعي وغيرهم. وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون. توفي سنة [٧٩٤هـ]. انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٤٧٣).

ثم جاء الإمام البلقيني(١) فألف كتابًا في علوم القرآن، وهو موجود مخطوطًا، لَكِنّه لم يُطْبَع بَعْدُ فيما أعلم(٢)، واعتمد عليه الإمام السيوطي في تأليف كتابه التحبير في علم التفسير، وأضاف عليه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم جاء الكافيجي(٣) أحد مشايخ الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في القرن التاسع، نُسِبَ إلى كافية ابن الحاجب، وهذا كتاب مشهور للإمام الأصولي اللغوي ابن الحاجب المصري(٤)، فمن كثرة ما كان يُدَرّس هذا الإمام محيي الدين الكافيجي كتاب ابن الحاجب «الكافية» نُسِبَ إليه فقيل له: الكافيجي، و(جِي) هذه شبه رومية عثمانية كما هو معلوم، فألّف كتابًا في علوم القرآن.

ثم خمدت حركة التصنيف، فبعد أن توفي الإمام السيوطي لم يُصَنَّفْ في علوم القرآن كتب مهمة، بل لا أعرف عنوانًا لكتاب في علوم القرآن وصل إلينا اليوم مِنْ بَعْدِ القرن العاشر.

ثم ابتدأت حركة التصنيف في القرن الرابع عشر مرة أخرى.

وهذه القرون شِبْه ميتة: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر! ما كان

---

(١) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري، جلال الدين، أبو الفضل، محدث، مفسر، نحوي، قاض، من فقهاء الشافعية. توفي سنة [٨٢٤هـ]. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٨٧).

(٢) طبعته دار الصحابة بمصر – طنطا.

(٣) العلامة محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الإمام المحقق علامة الوقت أستاذ الدنيا في المعقولات. توفي سنة [٨٧٩هـ]. انظر: حسن المحاضرة (١/ ٥٤٩).

(٤) عثمان بن عمر ابن أبي بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب الكردي، الدويني الأصل، الإسنائي المولد، المقرئ المالكي، النحوي، الأصولي، صاحب التصانيف المنقحة. [المتوفى: ٦٤٦ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٥١).

فيها إلا حركات الإصلاح مثل حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب[١] في نجد، وحركة الإمام السنوسي[٢] في ليبيا، وحركة المهدي[٣] على ما فيها من أخطاء، منها ادعاؤه المهدية في السودان، وحَرَكات الإصلاح هذه كانت نورًا في ظلام دامس في قرنين هما الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر.

وخمدت في تلك القرون حركة العلم، وضعفت الحركة الأدبية، وضعفَتْ حركة التأليف إلى حد كبير.

وفي القرن الرابع عشر ظهر الإمام طاهر الجزائري رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

---

(١) هو الإمام العلامة الشهير والداعية الإسلامي الكبير، ظهر في أثناء القرن الثاني عشر بنجد، فدعا إلى توحيد الله بالعمل والعبادة، وإفراده بالقصد والإرادة، فجدد ما انْدرس من أصول الملة وقواعد الدين، ودعا إلى مذهب السلف الصالح والأئمة السابقين، وما كانوا عليه في باب معرفة الله وصفاته من الإثبات ونفي التكييف والتمثيل والتعطيل، المصلح الديني الذي كتب عنه المؤرخون، وأشاد بفضله ودعوته المنصفون، شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، صاحب النهضة الدينية، والدعوة السلفية، موقظ الجزيرة العربية من سبات الأوهام، ومحررها رَحِمَهُ اللَّهُ من عقل البدع وعبادة الأصنام، الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف التميمي. توفي سنة [١٢٠٦هـ]. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (١٦).

(٢) محمد بن علي السنوسي بن العربي ، يعرف بالسنوسي الكبير (ولد سنة ١٧٨٧م في مستغانم – الجزائر، وتوفي سنة ١٨٥٩م في الجغبوب – ليبيا) مؤسس الطريقة السنوسية و الأسرة المالكة السابقة في ليبيا. من موقع ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية، من كتاب: «الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية» لعبد المالك بن عبد القادر بن علي.

(٣) الحركة المهدية في السودان نسبةً إلى محمد أحمد بن عبد الله المسمي نفسه بالمهدي (١٢٦٠ ـ ١٣٠٢هـ) (١٨٤٥ ـ ١٨٨٥م) وهو جد الصادق المهدي. ولد بجزيرة لبب بالقرب من مدينة دنقلا شمال السودان لأسرة انتسبت للأشراف. كان السودان إذ ذاك تحت حكم المماليك تحت الخلافة العثمانية.

(٤) طاهر بن محمد بن صالح بن أحمد بن موهب السمعوني الجزائري الأصل، الدمشقي المولد والنشأة. توفي سنة [١٣٣٣هـ]. انظر: علماء نجد (٥/ ١٩٦ – ١٩٧).

الجَزَائر استقر في دمشق، وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف، وألف كتابه «التبيان في علوم القرآن» وهو كِتَاب مطبوع، والكتاب جَيِّد لا بأس به، ولكن الكتاب الأفْضَل منه هو كتاب الشيخ الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: مُحَمَّد بن عَبْد العظيم الزّرْقَانِي[١] «مناهل العرفان في عُلُومِ القرآن» وهو كتاب مشهور مطبوع اعتمدته كَثِير من جامعات العالم الإسلامي تدريسًا ومناقشة.

ثم جاء بعد ذلك الدكتور صبحي الصالح[٢] والذي قُتِلَ في الحرب اللبنانية الأخيرة، وألف كتابه «مباحث في علوم القرآن» وهو نفس اسم كِتَابِ الشيخ مناع القطان حفظه الله[٣].

ويَتَمَيّز كتاب الزرقاني برده على الشبهات التي أطَلّت بِرَأْسِهَا في عصره: العَصْر الذي بدأت الدول العربية والإسلامية تَنْتَبِه أنها تخلفت عن الرَّكب جِدًّا،

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن - ط) و(بحث - ط) في الدعوة والإرشاد. توفي سنة [١٣٦٧هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٢١٠).

(٢) د: صبحي بن إبراهيم الصالح (١٣٤٥ - ١٤٠٧ هـ/ ١٩٢٦ - ١٩٨٦ م)، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في لبنان، شهيد أهل السنة، أمين عام رابطة علماء لبنان، الأمين العام للجبهة الإسلامية الوطنية في لبنان، مفكر إسلامي، عضو المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد وأكاديمية المملكة المغربية، ولد في طرابلس في لبنان سنة ١٩٢٦م. استشهد في لبنان عام (١٤٠٧/ ١٩٨٦م). عن المكتبة الشاملة.

(٣) مناع بن خليل القطان (١٣٤٥ - ١٤٢٠ هـ/ ١٩٢٥ - ١٩٩٩م) القاضي والمدير السابق للمعهد العالي للقضاء في السعودية. توفي يوم الإثنين ٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩ يوليو ١٩٩٩م وصلي عليه في مسجد الراجحي بمنطقة الربوة، ودفن في مقابر النسيم بالرياض، بعد مرض عضال نتيجة إصابته بسرطان الكبد الذي استمر أكثر من ثلاث سنوات، وكان عمره خمسة وسبعين عامًا، وترك خلفه خمسة من الأولاد، ثلاثة أبناء، وبنتين، والخمسة جميعهم أطباء في تخصصات مختلفة في مستشفيات الرياض. عن المكتبة الشاملة.

وبدءوا يُرْسِلُون الوفود إلى أوروبا؛ ليدركوا ما يستطيعون إدراكه من حضارة العالم الغربي المادية، فرجعت هذه الوفود وقد اكتسبت قليلًا مِنَ الحَضَارَة وكثيرًا جدًّا مِنَ الشبهات ومن احتِقَار مجتمعاتها، ومن جملة ما في مجتمعاتها الشريعة الإسلامية -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فقد تَنَكَّر لها كثيرون ممَّن سافروا إلى أوربا في ذلك العصر، ونشروا شبهاتهم من مستشرقين ومستغربين، فكانت أكثر ما تُنْشَر في بلاد مثل مصر والعراق وسوريا، فتصَدَّى الإمام الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه الشبهات وفنَّدَها تفنيدًا جيدًا.

نعم هناك بعض التكلف في الرَّدّ، وهناك بعض القصور في مناقشة هذه الشبهات، وليس القصور من الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكني أرى أن بعض الشبهات لا تَسْتَحِقّ أن تُنَاقَش فضلًا عَنْ أَنْ تُذْكَرَ في كتابه رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه على الأقل أَتَى بجميع هذه الشبهات في كتابه ورد عليها ردًّا مُطَوّلًا. وحذا حذوَهُ باهتمام كبير بما في كتب المستشرقين التي ترجمت والتي لم تترجم الأستاذ الدكتور صبحي الصالح رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «مباحث في علوم القرآن».

هذه بعض اللمحات التاريخية عن مصنفات في علوم القرآن منذ القرن الثاني من الهجرة إلى يومنا هذا.

وفي هذا العَصْر بَرَزَتْ جَوَانِب جديدة في علوم القرآن، مثل: الإعجاز العلمي في القرآن، والإعجاز كَثُرَ كلام الناس فيه قبولًا ورَدًّا، لكن الخلاصة أن كل نظرية علمية لم تَثْبُتْ بعد فلا يَصِحّ أن نُؤَوّل آية من كتاب الله تبارك وتعالى بمُقْتَضاها وبموجبها.

وكل حقيقة علمية ثَبَتَت وفُرِغَ منها فلا بأس من الاستئناس بها في تفسير

كتاب الله تبارك وتعالى؛ إذ إن الحقائق العلمية والحقائق الشرعية مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن تتصادم في ديننا حقيقة علمية مع حقيقة شرعية. لم يَحْدُث هذا ولَنْ يحدث إن شاء الله أن تتصادم حقيقتان: حقيقة شرعية وحقيقة علمية؛ لأن المَصْدَر واحد هو مِنَ الله تبارك وتعالى، وقطعي الثبوت وهو القرآن والصحيح المتواتر من السنة، وقطعي الدلالة مِنَ القرآن ومن السنة لا يُمْكِن أن يتناقض مع قطعي الثبوت وقطعي الدلالة مِنَ الحقائق العلمية، وهذا مُجَرّب معروف، فلا أرى أن هناك داعيًا لهذه المعركة الكبيرة التي أثيرت حول الإعجاز العلمي في القرآن إذا أخذ بهذه الضوابط، فلا تُفَسّر آية بمقتضى نَظَرِيّة جَدِيدة أو قديمة، إنما يمكن لك أن تَسْتَأْنِس بتفسير آية بمقتضى حقيقة علمية ثابتة ولا بأس بهذا.

ومِن علوم القرآن التي ظهَرَت: تَرْجَمَة معاني القُرْآن، وخاصة في مُنْتَصَف القرن الفائت: القرن الرابع عشر، وثارت معارك كبيرة بين العلماء في مسألة ترجمة القرآن، بين مانع للترجمة ومجيز لها، وأُلِّفَت كتب كثيرة، مما أثْرَى المجال أمَامَ علوم القرآن.

تلك كانت بعض اللمحات اليسيرة عن تاريخ علوم القرآن.



المقدمة الرابعة
ترجمة الإمام السيوطي

وتَحْوي طرفًا مِنْ حَيَاةِ الحافظ الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللهُ، وبيانًا مختصرًا عَنْ عَصْرِهِ، والناحية العلمية فيه.

عاش الإمام السيوطي معظم عمره في القرن التاسع، وتوفي في آخر العَقْدِ الأوَّل من القرن العاشر، أو في بداية العقد الثاني من القرن العاشر؛ إذ قد توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة رَحِمَهُ اللهُ (١)؛ فقد عاش إحدى وخمسين سنة في القرن التاسع، وعاش أحد عشر عامًا تقريبًا في القرن العاشر.

عَصْر السيوطي رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الناحية العلمية قد بلغ منتهاه؛ إِذْ قَدْ سَبَقَهُ أَئِمَّة كِبَار مَهَّدُوا لَهُ العُلُوم وسَهَّلُوهَا وسهلوا طريقها له، فكانت مهمته رَحِمَهُ اللهُ مُهِمَّة العالِم الجامع لمصنفات مَنْ قَبْلَه؛ لكن للأسف فإن كثيرًا من الكتب التي ضمنها الإمام السيوطي في كتبه، -سواء الكتب القرآنية أو الكتب الحديثية أو الكتب العربية أو الكتب الأصولية- قد فُقِدَتِ اليوم ولم تعد موجودة.

فكان له الفضل الكبير -بعد فضل الله تبارك وتعالى- في حفظ كثير من كتب المسلمين في كتبه التي صنفها، فقد أدخل كثيرًا مِنْ كُتُبِ الأئمة في كتبه، هذه كانت طريقته، وكان رجلًا جَمَّاعَة حَسَن التصنيف والتبويب والترتيب، مَعَ ما آتاه الله تبارك وتعالى من البسطة في الفَهْم والعلم، فكَانَت كتبه مُحَرَّرَة مُتْقَنَة، بخلاف ما يشِيع عَنْه أعداؤه كَمَا سَنُبَيّن بعد قليل إن شاء الله؛ وَقَدْ سبقه أئمة كبار، ابتداء مِنْ شَيْخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ(٢)

---

(١) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العيدروس (ص ٥١).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن تيمية، الحراني الدمشقي الحنبلي تقي =

والحافظ المزي(١) والحافظ البرزالي(٢) في القرن الثامن، والحافظ ابن كثير(٣)، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٤)، والحافظ الكبير تقي الدين السبكي(٥)، وهؤلاء أئمة كبار كانوا في القرن الثامن.

= الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، ولد سنة إحدى وستين وستمائة.

قال ابن حجر في الدرر: وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود، وحصل الأجزاء، ونظر في الرجال والعلل، وتفقه وتمهر وتقدم، وصنف ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجبًا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع فى المنقول والمقعول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف. انتهى.

وأقول أنا: لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما. قال الذهبي ما ملخصه: كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف التى يوردها منه ولا أشد استحضارًا للمتون وعزوها منه، وكانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس... إلخ. توفي سنة [٧٣٨هـ]. انظر: البدر الطالع (١/ ٦٣).

(١) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الإمام العلامة الحافظ الكبير شيخ المحدثين عمدة الحفاظ أعجوبة الزمان جمال الدين أبو الحجاج بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي الحلبي ثم الدمشقي المزي. صاحب (تهذيب الكمال في أسماء الرجال). توفي سنة [٧٤٢هـ]. انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه (٣/ ٧٦).

(٢) القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد ابن أبي يداس البرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي، أبو محمد، علم الدين: محدث مؤرخ. أصله من إشبيلية، ومولده بدمشق. زار مصر والحجاز. وألف كتابا في التاريخ جعله صلة لتاريخ أبي شامة، تولى مشيخة النورية ومشيخة دار الحديث بدمشق، توفي سنة [٧٣٩هـ]. انظر الأعلام للزركلي (٥/ ١٨٢).

(٣) الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، صاحب المؤلفات الكثيرة أعظمها تفسيره المشهور المعروف، وكتاب البداية والنهاية، وقد نشأ بدمشق وسمع من الحافظ الذهبي، وكثير من علمائها، وصفه الحافظ الذهبي في «معجم شيوخه الكبير» بالفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل. وقال: خرج وألف وناظر وصنف وفسر، وكان من شيوخ الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد سمع منه أيضا. انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ٢٠١).

(٤) سبق التعريف به.

(٥) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان =

ثم جاء في القرن التاسع: الحافظ العراقي[١]، وولده زين الدين[٢]، وجاء الحافظ نور الدين الهيثمي[٣] صاحب «مجْمَع الزوائد»، والحافظ الكبير الإمام ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]، وشيخ السيوطي جلال الدين البلقيني[٥]، وعلم الدين البلقيني[٦]، هؤلاء أئمة كبار سَبَقُوا السيوطي ومَهَّدُوا له العلوم، فَجَاءَ في عَصْر قد تمَهَّدَتْ له كتب العلم، فاسْتَطَاع أَنْ يَسْتَفِيدَ منها أَعْظَم اسْتِفَادة.

أَمَّا العَصْر الذي تُوُفِّيَ فيه السيوطي فكان إيذانًا بخبوِّ نُور العلم في بلاد المسلمين، فقد كان السيوطي يُلَقَّب بخاتمة الحفاظ، وحُقَّ له ذلك! إذ يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: أحفظ مائتي ألف حديث، ولو أعلم اليوم على وَجْهِ الأرض غَيْرَها =

ابن علي الأنصاري الخزرجي السبكي، قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن الشافعي.
الشيخ الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم النحوي، اللغوي الأديب الحكيم المنطقي الجدلي الخلافي النظار، شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن. توفي سنة [٧٥٦هـ]. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٣٩).

(١) الحافظ الإمام الكبير الشهير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم العراقي حافظ العصر. توفي سنة [٨٠٦هـ]. انظر: انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد (٢/ ١٠٦).

(٢) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن ابراهيم شيخنا شيخ الاسلام قاضي القضاة بالديار المصرية ولي الدين أبو زرعة. توفي سنة [٨٢٦هـ]. انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد (١/ ٣٣٢).

(٣) علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري: حافظ. ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ورافق العراقي في السماع، ولازمه، وألف وجمع. مات في تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانمائة. انظر: حسن المحاضرة (١/ ٣٦٢).

(٤) سبق التعريف به.

(٥) سبق التعريف به.

(٦) سبق التعريف به.

لحفظته[١]، وابتدأ مَشْرُوعَهُ الكبير الذي أراد أن يقوم به وهو «الجامع الكبير في أحاديث البشير النذير ﷺ» أَرَادَ أن يَجْمَع كل الأحاديث التي وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه مات قبل أن يتم ذلك المشروع الضَّخْم عن قرابة سِتّ وأَرْبَعِين ألف حديث، وهو مَوْجُود، وطُبِعَ أخيرًا هذا الكتاب.

فهو خاتمة الحُفَّاظ قطعًا، وأَعْظَم من جاء بعده وكان معاصرًا له - بَلْ وُلِدَ قَبْلَهُ - الإمام زَكَرِيًّا الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] الذي وُلِدَ سنة سِتّ وعِشْرِين وثمانمائة؛ أي: قبل السيوطي بثلاث وعشرين سنة تقريبًا، وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة، فعاش زيادة عن قرن من الزمان، فهذا كان أعظم إمام بعد الإمام السيوطي رحمهما الله تبارك وتعالى، وقد جاء بعدهما علماء لكنهم لم يكونوا في مستواهما، ولم يأت بعد الحَافِظ السيوطي أحد في مستواه إلى يومنا هذا، والله أعلم، فحُقّ له أن يُلَقَّب بخاتمة الحفاظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما الحالة السياسية فقد كانت مصر والشام تحت إمرة المماليك، والمماليك طائفة من بلاد الأتراك بالمعنى الكبير لبلاد الأتراك، تَشْمَل آسيا الصغرى، جُلِبُوا منذ أيام المعتصم رَحِمَهُ اللَّهُ، جلبهم المعتصم؛ ليعاونوه، لكن لما ضاقت على الناس السبل في بغداد بَنَى لهم مدينة سامُرَّاء، أو سُرّ مَنْ رأى، أو سَاءَ مَنْ رَأى بعد ذلك بَنَى لَهُمْ تلك المَدِينَة، وأَسْكنهم بها.

وهؤلاء الجُنْد الأتراك صارت لهم الصولة والجولة، خاصَّة بَعْد أن سُلِّمَتِ

---

(١) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، الكتاني (٢/ ١٠١٢).

(٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى: شيخ الإسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث. توفي سنة [٩٢٦هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ٤٦).

الدَّوْلة لبني بُوَيْه في أَوَاسِط القَرْن الرابع، وعاثُوا فِي البِلَادِ الفَسَادَ، وأفْسَدُوا عقائد الناس؛ لأنهم كانوا على مذهب الإمامية الشيعة، بل الرافضة، فكانوا يكتبون سَبَّ الشيخين على الأبواب -أبواب المساجد-، وكانوا يُلْزِمُونَ الأئمة بسب الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولَعْن مَنْ ظَلَم عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بزعمهم.

فهذه الدولة قضى عليها السَّلَاجِقة السنَّة ولله الحمد(١)، وتولوا الأمور حتى جاءت هجمات التتار الضخمة، التي ابتدأت في أوائل القرن السابع، ثم آتَت أكلها بِسُقُوط بغداد حاضرة العالم الإسلامي وعاصمة الخلافة سنة سِتّ وخمسين وستمائة(٢)، ولكن الله قَيَّضَ بعض القادَة الشجعان وبعض العلماء الصالحين الذين قادوا الجيوش ووقفوا في وجه التتار في معركة ضخمة كبيرة هي معركة عين جالوت، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا مؤزرًا(٣)، بعد أن حُرِقَتْ كَثِير مِنْ بِلَاد الإسلام، خاصة بلاد ما وَرَاءَ النهر: بخارى، وخَوَارِزْم، وسجستان، وخراسان وَمَا يُعْرَف اليوم بإيران.

فهذه البلاد سُرِقَت ونُهِبَتْ على يد التتار، وأبادوا الكثير من أهلها، بل لم تَسْلَم الحيوانات والمزروعات منهم، ودخلوا بغداد، وعاثوا فيها الفساد، ودخلوا حلب وأحرقوها، ودخلوا دمشق وعاثوا فيها الفساد، فأوقفهم الله تبارك وتعالى ببسالة الجنود المصريين، وكان عليهم قادة كبار من قادة المماليك المُظَفر قُطُز(٤)

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (٢٩/ ٤٢).

(٢) انظر: ذيل مرآة الزمان، اليونيني (١/ ٨٥)، المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين (٣/ ١٩٣).

(٣) انظر: ذيل مرآة الزمان، اليونيني (١/ ٣٦٦).

(٤) قطز بن عبد الله الشهيد الملك المظفر سيف الدين المعزي، كان أكبر مماليك المعز أيبك التركماني بطلًا شجاعًا مقدامًا حازمًا حسن التدبير، يرجع إلى دين وإسلام وخير، وله اليد البيضاء في جهاد =

والظاهر بيبرس(١)، وكان مِنْ ورَائِهِمْ علماء الإسلام الكبار مثل العِزّ بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)، ثُمَّ تَصَدَّى لهم ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مَعْرَكة شَقْحَب سَنَة اثْنَتَين وَسبْعِمِائَة على ظَاهِر أبواب دمشق، وانتصر المسلمون عليهم أيضًا(٣).

الحاصل أنَّ الدَّوْلَة الأيّوبِيّة كانت تَتَوَلّى مَقَالِيدَ الأمور في ذلك الوقت، ثُمَّ آل الأمر إلى شَجرَة الدُّرّ(٤)، وَهِيَ زَوْجَة أحَد السَّلَاطِين الأيوبِيّين، ثم انتهت هذه الدولة وتولى الأمر المماليك، فمكثوا قرابة قرنين من الزمان يحكمون بلاد الشام ومصر، وجزءًا من بلاد المغرب، وجزءًا من بلاد العراق أو الرافدين، وطبعًا كانت الحِجَاز تبعًا لهم.

كَانَ في القاهرة السلطان المملوكي، وكان فيها خليفة عباسي؛ إِذْ قَدْ نَجَا

= التتار. قتل بين الغرابي والصالحية ودفن بالقصير رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ثمان وخمسين وستمائة، تولى قتله الظاهر وأعانه جماعة من الأمراء، وبقي ملقى فدفنه بعض غلمانه. انظر: الوافي بالوفيات (٢٤/ ١٨٩).

(١) بيبرس، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، صاحب مصر والشام. [المتوفى: ٦٧٦ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٣٠٦).

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام، عز الدين، أبو محمد السلمي، الدمشقي، الشافعي. [المتوفى: ٦٦٠ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٩٣٣).

(٣) انظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي (٤/ ٥).

(٤) شجرة الدر الصالحية، أم خليل، الملقبة بعصمة الدين: ملكة مصر. أصلها من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب. اشتراها في أيام أبيه، وحظيت عنده، وولدت له ابنه خليلا، فأعتقها وتزوجها، فكانت معه في البلاد الشامية، لما كان مستوليا على الشام، مدة طويلة. ثم لما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة، كانت في بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابه في الغزوات. وكانت كما يقول ابن إياس: (ذات عقل وحزم، كاتبة قارئة، لها معرفة تامة بأحوال المملكة، وقد نالت من العز والرفعة ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها)، ويسميها سبط ابن الجوزي: (شجر الدر). توفيت سنة [٦٥٥هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ١٥٨).

بعض نسل خلفاء بني العباس مِنَ المَذْبَحَة الهائلة التي أقامها لهم التَّتَار، وانتقلوا إلى مصر، فأكرمهم الظاهر بيبرس، وأكرمهم سلاطين المماليك، وجعلوهم خلفاء عليهم في مصر، فاستمرت الخلافة العباسية في مصر حتى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، عندما دخل السلطان سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى القاهرة، وكان لهؤلاء المماليك حسنات وكانت لهم سيئات، فكانت لهم حسنات كبار في رد الصليبيين والتتار وأعداء الإسلام، وحسناتهم في الجُمْلَة أكبر من سيئاتهم والحمد لله.

وكانوا في الجملة محبين للعلماء، مقربين لهم، يسْتَمِعُون لنصائحهم، ويُشاورُونهم في الأمر، وكان للعلماء الكَلِمَة الكبرى في دولة المماليك -في الجملة- حتى إذَا جاء السلطان قانصوه-هكذا كانت أسماؤهم غريبة؛ لأنهم عَجَم مِنْ بِلَاد الأتراك، لم يكونوا عَرَبًا، ومثله السلطان قايدباي الذي يُعْرَف عند العرب بقايتباي، وقد عاصر السيوطي قايتباي(١) وقانصوه- وكان قانصوه(٢) هذا ظالمًا، تَسَلَّطَ على العلماء فَسَلَّطَ الله عليه السلطان سليم، وكانت الدولة

(١) السلطان قايتباي الجركسي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري، ملك الديار المصرية، أراد أن يعزل جماعة من الأمراء ويولى آخرين وكان مريضا إذ ذاك، وأنفق بهذا السبب نحو ستمائة ألف دينار، واستمر تارة يزيد وعكه وتارة ينقص ولكنه يظهر الجلد إلى أن عجز وزاد توعكه بحيث حجب الناس عنه، والخلاف بين سائر عساكره متزايد وأعظم أمرائه قانصوه أخو زوجته، وهو الذي صار سلطانا بعده -كما تقدم- ومات صاحب الترجمة يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ٩٠١ واحدة وتسعمائة. انظر: البدر الطالع (٢/ ٥٥).

(٢) قانصوه بن عبد الله الظاهري الأشرفي الغروي أبو النصر، سيف الدين، الملقب بالملك الأشرف: سلطان مصر. جركسي الأصل، مستعرب، خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب. ثم بويع بالسلطنة بقلعة الجبل (في القاهرة) سنة ٩٠٥ هـ، وبنى الآثار الكثيرة، توفي سنة [٩٢٢هـ]. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١٨٧).

العثمانية في هذا الزمان في أوجِ قُوَّتِها وفي أوج عظمتها.

وقَدْ ثَبت لدى السلطان سليم أن السلطان قانصوه الغوري يُرَاسِل الدولة الصفوية الشيعية الإيرانية، وكانت مِنْ أَلَدّ أعْدَاء الدَّوْلَة العُثْمانية، بل إن الدولة الصفوية هذه هي الَّتِي نَشَرَتْ مذهب الرافضة في إيران بعد أن كانوا أهْلَ سُنَّة وجماعة إلى بدايات القرن العاشر الهجري، فنكبوا بهؤلاء الناس الذين نشروا فيهم الضلال ونشروا فيهم مذهب الرافضة.

فثبت لدى السلطان سليم أن هؤلاء الرافضة كانوا يراسلون مُلُوكَ أوروبا النصارى، وكان بينهم وبَيْنَ الرافضة مراسلات وسفراء، وكانوا يَكِيدون للدولة العثمانية أيّما كيد، وكانوا يقيمون العقبات في وجه الدولة العثمانية، وينتظرون وقْت خروج جيوش الدولة العثمانية للغزو في أوروبا فيضربونها من الخلف بالاتفاق مع ملوك الصليبيين الكفار، فيضطر سلاطين بني عثمان لِفَكّ الحِصَار عن دُوَل أوروبا، والذهاب إلى محاربة هؤلاء الرافضة.

وهذا كثير في تاريخهم؛ فقد ثبتت خيانتهم، وقد ثبت تعاملهم مع الصليبيين، وعَظُمَ هذا عندما راسل السلطان قانصوه الرافضة في الدولة الصفوية في إيران، وأراد أن يعمل معهم حلفًا على السلطان سليم، فتوجه إليه السلطان سليم؛ ليحاربه في بلاده، فخرج إليه قانصوه إلى حلب، ومنها إلى مَرْج دابق، وحصلت معركة عظيمة انتهت بِمَقْتَل قانصوه وفقدانه، فلم يُعْرَفْ جثمانه بعد ذلك، وزحف السلطان سليم إلى القاهرة، وكان الذي تَوَلّى الأمور بعد ذلك أحد سلاطين المماليك، وهو طومان باي[1]، ثم إن السلطان سليم دخل القاهرة

(١) الأشرف أبو النصر طومان باي آخر سلاطين المماليك الشراكسة في مصر، فهو السلطان الوحيد الذي =

مظفرًا منصورًا، وتَسَلَّم مقاليد الخلافة العباسية، وأصبحت الخلافة منذ ذلك الزمان إلى أوائل القرن الرابع عشر هي خلافة عثمانية تركية(١).

هذه لمحة عن التاريخ السياسي في أيَّامِ الحَافِظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما الحالة الاقتصادية فكانت بين مَدّ وجَزْر؛ مجاعات وكوارث، ثم رخاء، ثم مجاعَات، ثُمَّ رخاء، وهذه الحالات كانت تَنْتَاب العَالَم الإِسْلَامي كثيرًا في القرون المتأخرة، خاصة بعد القرن السَّادس الهجري، فكانت تنتابه مجاعات كثيرة جدًّا، ثم تنقشع هذه المجاعات ليأتي الرخاء، ثم تأتي مجاعات وكوارث ومصائب على الأمة، فيَتَخَلّصون منها، وهُلّم جَرًّا. أكتفي بهذا لا أريد أن أطيل في هذا المقام.

نسب السيوطي ومولده ونشأته

هو جلال الدين أبو الفَضْل عَبْد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخُضَيْرِي السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولد سنة تسع وأربعين وثمان مائة، وأدرك -فيما يقول- وهو صغير جدًّا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ قد أخذه أحد أقاربه محمولًا إلى مجلس الحافظ ابن حجر الذي توفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، ثم يقول: إن جَدّه الأكْبَر ينتسب إلى محلّة في بغداد تُدْعَى الخضيرية(٢).

وقال في أحد كتبه الأخرى فيما يُشْبِه أن يكون تناقضًا، ولكن لعله اطلع على نسبة أخرى: «ووالدي من خَيْر العرب؛ لأنه مِنْ سلالة الصحابة، ورُبما قيل أكثر

=

شنق على باب زويلة. انظر: كتاب (دولة المماليك تلفظ أنفاسها الأخيرة) في ذكرى مقتل طومان باي: ٢١ ربيع الأول ٩٢٣هـ.

(١) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية.

(٢) انظر: شذرات الذهب (١٠/ ٧٤)، معجم المؤلفين (٥/ ١٢٨).

من ذلك، والصَّمْت عنه أقرب إلى السلامة».

والذي يكون أكثر من سلالة الصحابة هو أن يكون من سلالة النبي ﷺ، ويقول في كتاب آخر وهو كتاب «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»: إنَّ والده لعله أن يكون أعجميًّا، أو لَعَلّه أن يكون من العراق، من هذه المحلة، لا يعرف النسب على التحديد، ثم يقول في كتاب آخر: لَعَلَّه اطَّلَعَ على ما يُشْبه أن يكون نسبه، فادَّعَى ذلك لنفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم حفظ القرآن كعادة الأئمة قبل أن يتم ثماني سنوات، وحفظ عدة متون في فنون متنوعة، وارْتَحَلَ لطلب العلم إلى بلاد الشام والحجاز والعراق والهند والمغرب، وأفتى وعُمْره اثنتان وعشرون سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأملى الحديث وعمره ثلاث وعشرون سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من أعظم مشايخه: الإمام علم الدين البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)، والإمام تَقِيّ الدين الشمني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)، والإمام محيي الدين محمد بن سليمان الحنفي المشهور بالكافيجي كما سبق ذكر ذلك، وهناك عدد كبير من المشايخ غير هؤلاء.

أما تلامذته فمن أعظمهم: الحافظ محمد بن علي الداودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣) الذي

---

(١) قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين، حامل لواء مذهب الشافعي في عصره؛ ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، مات يوم الأربعاء خامس رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة. انظر: حسن المحاضرة (١/ ٤٤٥).

(٢) الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ المحدث، كمال الدين محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري. قال السيوطي: قدوة عين الزمان وإنسانها، وواحد عصره في العلوم بحيث خضعت له رجالها وفرسانها، وشجرة المعارف التي طاب أصلها فزكت فروعها وأغصانها، ورياض الآداب التي فاضت ينابيعها، وفاحت زهورها، وتنوعت أفنائها. انظر: حسن المحاضرة (١/ ٤٧٤).

(٣) شمس الدين محمد الداودي المصري الشافعي، وقيل المالكي، الشيخ الإمام العلامة المحدث =

أَلَّفَ كتابًا حافلًا في ترجمة شيخه السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ لا أدري أين هي، فقد بحثت عنها وما زلت أَبْحَث.

ومن تلاميذه الشيخ المعروف: محمد بن يوسف الشامي الصالحي(١) صاحب السيرة المشهورة «سبل الهدى والرَّشَاد في هَدْيِ خير العباد» طُبِعَ في مصر في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وهو كتاب مشهور في سِيرَةِ الرسول ﷺ، وله تلاميذ كُثُر غير هؤلاء رحمهم الله.

وقد اشتهر الحافظ السيوطي بكثرة التأليف، بل قيل: إنه أعظم مؤلف في تاريخ الإسلام مِنْ نَاحِيَة عدد الكتب التي أَلَّفَها وأهميتها وسَعتها، وكثرة اطلاعه على عدد من الكتب قبله، فاكتسبت كُتُبُه أهمِّيَّة خاصة، هذه الكتب شكك فيها بعض معاصريه، وطعنوا فيه لأجلها، وقالوا: إنه قد سَرَق بعضًا منها؛ لأنه كان ناظر المكتبة المحمودية بعد أن كان ناظِرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)، فادُّعِيَ عليه أنه قَدْ سَرَقَ عددًا من الكتب منها ونسبها لنفسه، وسرق بعضًا مِنْ كتب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ونسبها لنفسه.

=

الحافظ. كان شيخ أهل الحديث في عصره. أثنى عليه المسند جار الله بن فهد، والبدر الغزي، وغيرهما. قال ابن طولون: وضع «ذيلا» على «طبقات الشافعية» للتاج السبكي. انظر: شذرات الذهب (١٠/ ٣٧٥).

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي، الصالحي، الدمشقي (شمس الدين، أبو عبد الله) محدث، حافظ، مؤرخ. ولد في صالحية دمشق، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة إلى أن توفي في الرابع عشر من شعبان سنة [٩٤٢هـ].
انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ١٣١)، شذرات الذهب (١٠/ ٣٥٣).

(٢) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني، القاهري الشافعي المعروف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه الحافظ الكبير الشهير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة. توفي سنة [٨٥٢هـ]. انظر: البدر الطالع (١/ ٨٧).

وقد رد الإمام الشوكاني ذلك كُلّهُ رَدًّا جَمِيلًا في كتابه العظيم «البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع»(١)، فقد كتب للسيوطي تَرْجَمَةً جَمِيلة رَدَّ فيها على الحافظ السَّخَاوي(٢) الذي كانت بينه وبين السيوطي معارك كَلَامِيَّة كبيرة، وكان بينه وبين عدد من الأئمة الكبار معارك كلامية، بل تَعَدَّت ذلك إلى معارك في المصنفات والكتب، فألف السيوطي رَدًّا على معظمهم، وكان ردًّا قويًّا، بل يَمِيلُ في بعض الأحيان إلى التشدّد وقهر الخصوم وإنزال مكانتهم، ولا يمكن الآن أن نتكلم عن مثل هذه الأمور، لكن مَنْ أراد أن يَعْرِفَ ذلك على التفصيل فَلْيَرْجِع إلى ترجمة الحافظ السيوطي في كتاب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للحافظ السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، والحافظ السخاوي أحد كبار حفاظ الإسلام، وتُوُفِّيَ قبل السيوطي سنة اثنتين وتسعمائة. فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ ترجم للسيوطي ترجمة مُظْلِمَة، غالبها سَبّ فَظِيع وانْتِقَاص صريح للإمام السيوطي(٣)، والسيوطي لم يَسْكُت عن ذلك، بل أَلَّفَ رسالة سماها «الكاوي في تاريخ السخاوي»(٤)، ومَنْ أَرَاد يَعْرِفَ لماذا اختلف هؤلاء العلماء وماذا حدث بينهم فليرجِعْ إلى مقامات

---

(١) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني (١/ ٣٢٨)، وما بعدها.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي: مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من سخا (من قرى مصر)، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة. ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مئتي كتاب أشهرها (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – ط) اثنا عشر جزءا، ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة. وله (شرح ألفية العراقي – ط) في مصطلح الحديث، وغيرها. توفي سنة [٩٠٢هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ١٩٤)، البدر الطالع (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (٤/ ٦٦)، وما بعدها.

(٤) هكذا سماه حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٣٨٢)، وسماه الشوكاني في البدر الطالع: «الكاوي لدماغ السخاوي» (١/ ٢٢٩).

الحافظ السيوطي؛ فقَدْ أَلَّف عدة مقامات في بيان الخلاف بينه وبين علماء عَصْره، وابن الكركي[1] الذي ألف فيه مقامة تسمى: «طرز العمامة في الفرق بين المقامة والقمامة»، وأيضا ألف مقامة تسمى: «الفارق بين المصنف والسارق» ردًّا على الإمام القَسْطَلَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، وألف مقامات كثيرة للرد على مَنْ خالَفَهُ من علماء عصره، وعلماء عصره كانوا ينقسمون قسمين: قسم معه، وقسم ضده، وكانت بينهم معارك كبيرة.

الحاصِل أن هناك كتابين اهْتَمَّا بِذِكْرِ مؤلفات الحافظ السيوطي: كتاب اسمه «مؤلفات الحافظ السيوطي» لأحمد الشرقاوي إقبال، جَمَع فيها خمسًا وعشرين وسبعمائة من كتب الحافظ السيوطي، يقول: سوى المكرر والمنحول الذي لا تصح نسبته للإمام السيوطي.

وهناك دراسة أوسع منها للأستاذ محمد بن إبراهيم الشيباني وللأستاذ محمد الخازن دار، هذه الدراسة تسمى «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» أوصلا كُتُبَه إلى واحد وثمانين وتسعمائة مصنف؛ يعني: قرابة أَلْف مُصَنّف للحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وفيها بالتفصيل أين توجد هذه الكتب؟ وما الذي طبع منها؟ وما الذي لا تصح نسبته للحافظ السيوطي منها؟ وهو كتاب جيد يستحق أن يُقْتَنى للمُهْتَم بأمر هذا الحافظ الكبير رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) إبراهيم بن الكركي الحنفي، المصري، قاضي القضاة، برهان الدين، ولي قضاء الديار المصرية عوضًا عن عبد البر ابن الشحنة، سادس عشر رجب، سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وكان له نهار مشهور. وتوفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه الغائب بدمشق. انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية (٧٦).

(٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، القتيبي، المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - ط). توفي سنة [٩٢٣هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٢٣٢).

طبعًا هَذِهِ المؤلفات الكَثِيرَة بعضها في وَرَقَة أو ورقتين، وبعضها في كُرَّاسة أو كراستين، وبعضها مُجَلّدات ضخمة كثيرة، مثل «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، ومثل «المزهر في علوم اللغة العربية وآدابها»، وبعضها في مجلد ضخم، مثل «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي رَحِمَهُ اللَّهُ»، و«حُسْن المُحَاضَرَة في أخبار مصر والقاهرة»، و«الإتقان في علوم القرآن»، و«معترك الأقران في إعجاز القرآن» كل هذه كتب ضخمة ألفها الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَكِن على سبيل المثال كتاب الحاوي للفتاوي وهو مشهور بـ«الحاوي» هو كتاب ضَخْم مكون من جزأين فيه ثمان وسبعون رسالة، وهذه الثماني وسبعون من كتب الحافظ السيوطي طبعت في كتاب واحد.

فهذا يَدُلك على سَبَبِ كَثْرَة كتب هذا الإمام الكبير الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد استقر الأمر بعده على قبول مؤلفاته ومصنفاته، نعم قد تكلم فيه بعض الأئمة، لكن هذا الكلام كان فيه بعض الغلو والجفاء، وعدم الإنصاف؛ والله تبارك وتعالى بَارَكَ في كتب هذا الإمام، وانتشرت، وبَارَكَ في كتب مخالفه أيضًا كالحافظ الكبير السخاوي، وانتشرت كتبه شرقًا وغربًا، فَكِلَا الإمامين قد انتشرت كتبهما، وتلقَّتْهُمَا الأمة بالقبول، مما يدل على إِخْلَاصِهِمَا -ولله الحمد- وإرادتهما وجه الله تبارك وتعالى في الجملة، فهنيئًا لهما، ورضي الله تبارك وتعالى عنهما.

والحافظ السيوطي له كتب كبيرة تُدَرّس في الجامعات وتُدَرّس في أقسام الدراسات العليا من الجامعات؛ فكتاب الإمام النووي[1] «التقريب والتيسير

---

(١) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة النووي الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا، شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى =

لأحَادِيث البَشِير النذير ﷺ» قد شَرَحَهُ الحافظ السيوطي في كتابه العظيم: «تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» رَحِمَهُ اللَّهُ -يقال: النواوي، ويقال: النووي، كلاهما صحيح- وهو يُدَرَّس في الدراسات العليا في معظم جامعات العالم الإسلامي في أقسام الحديث.

وكتابه «المزهر في علوم اللغة العربية وآدابها» يُدَرّس في الدراسات العليا في كثير من كليات اللغة العربية وكليات الآداب.

و«الإتقان في علوم القرآن» يُدَرَّس في قسم الدراسات العليا في كثير من جامعات العالم الإسلامي في أقسام القرآن الكريم، وهكذا.

وما حَدَثَ بين هذين الحافظين الجَلِيلَيْنِ الكبيرين هو ما يحدث بين الأقران عادة، وقد اتفقت الأمة على عدم قبول قول الأقران في بعضهم بعضًا، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إن العلماء أشد تغايرًا مِنَ التيوس في زَرَائِبِها»[1] وهذا مَشْهُور معروف منذ عصر ابن عباس إلى يومنا هذا، فالعلماء يَحْدُثُ بينهم المغايرة والحَسَد، ويَدْخُل في نفوسهم وفي قلوبهم ما لا يجب أن يَدْخُل، لكن هذا أمر قد حَدَثَ وقد وقع بين كثير من أئمة الإسلام في أزمنتهم.

هذه نبذة يسيرة عن الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأين مثل الحافظ اليوم في علومه وفي جمعه وفي حفظه واطلاعه وإتقانه؟! بل أين عشره رَحِمَهُ اللَّهُ؟!



= سبيل السالفين. المتوفى سنة [٦٧٦هـ]. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٩٥).

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/ ١٠٩٠).

المقدمة الخامسة

كتاب التحبير، وطريقة تدريسه

هذه المقدمة تحوي طرفًا عنْ كِتَاب التحبير وجهود المُحَقّق حفظه الله، وتَحْوي أيضًا طرفًا عن طريقة تدريس هذا الكتاب المبارك.

كتاب «التحبير» في الأصل مُخْتَصر موضوع في علوم القرآن، وبنى السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه هذا على كتاب الإمام الشيخ علم الدين البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي ألف كتابًا في علوم القرآن وسَمَّاهُ -فيما أذكر-: «مواقع العلوم من مواقع النجوم» فأخَذَهُ الحافظ السيوطي وبنى عليه كتابه التحبير، وأضاف عليه إضافات، وزاد عليه زيادات، ورَجَّحَ الأقوال الراجحة، ووضع فيه أيضًا الأقوال المرجوحة كعَادَتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصنفاته؛ فكتاب التحبير كتاب مختصر جيِّد، يَصْلُح للتدريس في المساجد وفي الجامعات؛ لاختصاره، ولإمكان مَنْ يُدَرّسهُ أنْ يُرَجِّحَ في مسائله، وأن يَذْكُر الأدلة، وأن يذكر الراجح منها والمَرْجُوح، فلديه وقت يسمح له بذلك؛ لصغر الكتاب نسبيًّا.

ثم بعد ذلك ألَّف السيوطي كتابه العظيم كتاب «الإتقان» بناء على كتابه هذا كتاب «التحبير»، لكن كتاب الإتقان كتاب لا يَصْلُحُ للتدريس في المساجد؛ لِكِبَرِهِ ولضخامة حجمه، ولتَعَسّر عدد من مَبَاحِثِهِ؛ فَقَدْ يَسْتَمِرّ التدريس فيه مدة طويلة، حَتَّى قد يسأم الطلبة مِنْ هَذَا الكتاب. ثم تسميته بالتحبير في علم التفسير ليس لأنه في علم التفسير فقط، بل هو موسوعة -حقيقة- على صِغَرِ حجمه، يضم كثيرًا مَنْ عُلُوم الإسلام كعلوم القرآن وعلم الأصول، وعلوم الحديث، وعلوم العربية بأنواعها، وأوضح شيء فيه عُلُوم الأصُول وعلوم العَرَبِيّة بأنواعها، وبعض العلوم الأخرى التي سنَسْعَد إن شاء الله تبارك وتعالى

بدراستها.

والدَّارِس لهذا الكتاب يجد نفسه في رَوْضَة غَنَّاء[1]، ينتقل من حديث إلى أصول إلى لُغَة إلى فِقْه، إلى علوم قرآنية جَمَّة؛ فالدَّارِسُ لهذا الكتاب تعظم معارفه في العربية، وفي العلوم الشرعية، ويخرج بحصيلة وافِرَة في هذه العلوم، نَسْأَلُ الله تبارك وتعالى أن نُعْطِيَ لِهَذَا الكتاب حقه.

ثم إن الكتاب مُحَقَّق تَحْقِيقًا متوسطًا، وهذا الدكتور المحقق قد تفَرَّغَ لهذا التحقيق وبَذَلَ فيه جهدًا، لكنه -لعدم تخصصه في علوم الشريعة؛ إذ هو متخصص في علوم اللغة العربية- وَقَعَ في أخطاء كبيرة مِنْ نَاحِيَة الأحاديث والأسانيد، واعتماد أسْماء المصنفين للكتب، فإنه يُخْطِئُ فِيهَا خَطأً عجيبًا، وسَنَمُرّ -إن شاء الله تبارك وتعالى- أثناء دراستنا للكتاب بهذه المواضع ونصلحها.

ومِنْ أَسْبَابِ وُقُوعِهِ في هذا الخطأ هو منهج التحقيق عنده؛ فالمخطوطة يكتبها إمام من الأئمة أو يكتبها تلميذ من تلاميذ الأئمة أو تلاميذهم..إلخ، وهذا الكتاب قد حققه الدكتور الفَاضِل على مخطوطتين، يعني: وجد مخطوطتين لهذا الكتاب فحَقَّقَهُ اعتمادًا عليهما، وقد يجد المرء عشر مخطوطات للكتاب، أو عشرين مخطوطة، أو ثلاثين مخطوطة، إذا كان مشهورًا، وقد لا يجد إلا مخطوطة واحدة، فَكُلَّمَا كثرت المخطوطات سَاعَدَ ذلك المحقق على إخراج كتابِهِ بِصُورَة جيدة، فالمحقق اعتمد طريقة لكتاب المخطوطة الأم؛ وهذا يعني أنه وجد مخطوطتين، فاعْتَمَدَ إحداهما في المتْن، وهذه طريقة من طرق

(١) مجتمع الأهل والبنيان. انظر: العين، للخليل بن أحمد (٤/ ٣٤٩).

التحقيق: أن تعتمد مخطوطة من المخطوطات وتجعلها في المتن، ثم تقارن بينها وبين المخطوطة الأخرى، فتعطي مخطوطة أخرى لآخر معك، وتطلب منه أن يقرأها أو أن تقرأها عليه أنت، ثم تُثْبِت الفوارق بين المخطوطتين، وتوضع في الهامش.

وهذه الطَّرِيقَة من عيوبها ما وقع فيه المحقق جزاه الله خيرًا؛ بأن جميع الأخطاء -تقريبًا- في المخطوطة التي ارْتَضَاهَا أَثْبَتَها في المتن، ثم جعل كثيرًا مِنَ الفوارق التي كان يجدر به أن يضعها في المتن جعلها في الهامش تبعًا لِمَنْهَجِهِ الذي سار عليه في اعتماده لما يُسَمَّى بالمخطوطة الأم.

والمنهج الذي هو أَفْضَل منه في نظري -والله أعلم- هو أن تُعْتَمد المخطوطتان كلتاهما في التحقيق، فلا بد أن يَنْظُر المحقق إلى أي الجُمْلَتَيْن أصوب ويثبتها في المتن، ويثبت الأخرى في الهامش.

فالخطأ الذي يعتقد أنه خطأ يثبته في الهامش ولا بد؛ فمثلًا عبد الرحمن عن سفيان، يقول: عبد الرحمن بن شعبان، وفي الهامش يقول: في (أ) مثلًا: «عبد الرحمن عن سفيان، وهو الصحيح». فيجعله في الهامش أسفل، ويثبت في المتن: «عبد الرحمن بن شعبان».

ومثلًا يقول: «أبا عثمان». ثم بعد ذلك في الهامش يقول: «أبا عبيد، وأبو عبيد هو الصحيح المشهور». فيترك المشهور الصحيح، ويثبت أبا عثمان في المَتْنِ، كل ذلك جريًا على ما ارتآه من منهج في تحقيق المخطوطات.



[مقدمة المصنف]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اللهَ أَحْمَدُ عَلَى أَنْ خَصَّنِي مِنْ نِعَمِهِ بِالمَزِيدِ. وَقَرَّبَ لِي مِنْ أَسْبَابِ الخَيْرِ مَا هُوَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ بَعِيد.

(اللهَ أَحْمَدُ) إن أردت أن تُعْرِبَ أي كلمة، فلا بُد أن تَعْرِفَ موقعها من الجملة، ولمعرفة هذا لا بُد أن تعرف هل هذه الجملة جملة اسمية أو جملة فعلية، ثم تنظر إلى المُؤَثِّر والعامل في هذه الجملة، وهو هنا قوله: (أحمد)، ولا يغرنك أن تَأَخَّرَتْ هذه الكلمة (أحمد)؛ فإنها هي العامل والمؤثر في لفظ الجلالة (الله)، فالمصنف يقول: (اللهَ أحمد)، مثلما نقول: اللهَ نسأل، واللهَ نستعين، فلفظ الجلالة هنا مفعول به مُقَدَّم، والعَامِل فيه بالنصب الفعل (أحمدُ).

وقد اعْتَادَ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في كَثِير مِنْ كُتُبِهِ أن يذكر نِعْمَة الله تبارك وتعالى عليه، وأن يُثْنِي على كتبه جدًّا، ويَقْرُب منه في هذا الحافظ الإمام الكبير ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا أمر لا بأس به، بل هو محمُود؛ استجابةً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وبينه وبين الفخر شَعْرة دقيقة، حتى إنك لتكاد أن تحْكُم على مَنْ يقول مثل هذا الكلام أنَّهُ يَفْخَر بنفسه أو بمُصنَّفاته، وليس الأمر كذلك، بل هو من باب التحدُّث بنعمة الله تبارك وتعالى. وحُسْنُ الظن بالأئمة مطلوب.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ذُو الفَضْلِ المَدِيد.

(المديد) أي: المَمْدُود، وصيغة (فعيل) في اللغة تأتي أحيانًا بمعنى مفعول،

فتقول: هذا رجل قَتِيل، أي: مَقْتُول، وهذا ذَبِيح؛ أي: مَذْبُوح(١)، والفضل المديد؛ أي: الفضل الممدود.

وأشْهَد أن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ المَخْصُوصُ بالتَّأْيِيدِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَسَلَّمَ.

يَصِحّ أن تقول: (المخصوصَ) –بالنصب– على أنه صفة لمحمد ﷺ، ويصح أن تقول: (المخصوصُ) –بالرفع– على أنه صفة لـ(عبْدُهُ ورسُولُه).

أَمَّا بَعْدُ:

قيل: إن أوَّلَ مَنْ تَلَفَّظَ بـ(أما بعد) هو خطيب العرب المشهور قُسّ بن ساعدة الإيادي. وقيل: داود عليه السلام، ويقال: هي فصل الخطاب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. وقيل: يعقوب عليه السلام، وقيل: يعرب قحطان، وقيل: كعب بن لؤي(٢).

والتقدير: (أما بعد ما قدمته مِنْ حَمْدَلة وصلاة على رسول الله ﷺ؛ فإني سأذكر الآتي).

و(بَعْدُ) ظَرْف، يَصْلُح أَنْ يكون ظرف زمان، ويصلح أن يكون ظرف مكان(٣).

وهنا قاعدة، وهي أنّ الظُّروف إذا قُطِعَتْ عن الإضافة تُبْنَى عَلَى الضَّمّ، تقول: جِئْنِي بَعْدَ العصر، فـ(بعد) مضافة إلى (العصر)، فلو قطعناها عن الإضافة

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك (٤/ ١٧٤٠)، شرح ابن عقيل (٣/ ١٣٨)، (٤/ ٩٤)، جامع الدروس العربية (١/ ١٨٤).

(٢) انظر: تاج العروس (٧/ ٤٣٨).

(٣) انظر: اللمحة في شرح الملحة (١/ ٤٥١)، جامع الدروس العربية (٣/ ٥٩).

فستكون كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، فهنا لم يُؤَثِّر حَرْفُ الجر في الظرف تأثيرًا ظاهرًا؛ لأَنَّ الظرف هنا قُطع عَنِ الإضافة، فلو قال: (لله الأمر من قبلِ ذلك)، لأثر حَرَّف الجر في الظرف، ولكن لمَّا قُطِعَ الظَّرْف عن الإضافة - كما في الآية الكريمة - بُنِيَ عَلَى الضم[١].

فَإِنَّ العُلُومَ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهَا، وَانْتَشَرَ فِي الخَافِقَيْنِ مَدَدُهَا.

الخافقان: هما المشرق والمغرِب. وأصْل الخَفْقِ: التحرّك والاضطراب[٢]، ولما كانت الشمس تتَحَرَّك وتَضطرب حَرَكَة ظاهرة حال شروقها وحال غروبها سُمِّيَ المكانان: خَافِقَيْن.

وقيل: سُمِّيا بذلك من خَفقَتِ النُّجومُ خُفوقًا: إذا غابت؛ لأنّ الليل والنهار يَخفِقانِ فيهما، أي: يَغيبان[٣].

فَغَايَتُهَا بَحْرٌ قَعْرُهُ لا يُدْرَكُ، وَنِهَايَتُهَا طَوْدٌ شَامِخٌ لَا يُسْتَطَاعُ إِلَى ذِرْوَتِهِ أَنْ يُسْلَكَ.

الطَّوْدُ: الجَبَل العظيم[٤].

(لا يستطاع إلى ذروته)؛ أي: إلى قِمَّته وأعلاه[٥].

ولهَذَا يُفْتَحُ لِعَالِمٍ بَعْدَ آخَرَ مِنَ الأَبْوَابِ مَا لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ

---

(١) انظر: شرح المفصل (٢/ ٢٠٤)، شرح الأشموني (٢/ ١٦٦)، شرح قطر الندى (ص ٢٣)، همع الهوامع (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٤٥).

(٣) انظر: الصحاح (٤/ ١٤٦٩، ١٤٧٠) مادة: خفق، لسان العرب (١٠/ ٨٣)، مادة: خفق.

(٤) انظر: لسان العرب (٣/ ٢٧٠)، مادة: طود.

(٥) انظر: مشارق الأنوار (١/ ٢٦٩).

الأَسْبَاب.

(الأسباب): جمع سَبَب، وهو كل ما يُتَوَصَّل به إلى شيء(١).

وكان الأوّلون يقولون: (مَا ترك الأوَّل للآخر شيئًا)، إلا أن أبا تمام لم يرض بهذا المثل، فقال بعد ذلك يصف قصيدة له:

لا زلت من شكريَ في حلة | لابسُها ذو سلب فاخرِ
يقول من تقرعُ أسماعَه | كم ترك الأوَّلُ للآخرِ(٢)

فنقض بهذا القول قولهم الأوّل.

ومعنى الأول: أن العلوم في العهد الأول قد اعتنى بها مُصَنِّفُوها وواضِعُوها، فما تركوا لأحَد من بعدهم عَمَلًا يعْمَلُه في هذه العلوم.

ومعنى الثاني: أنّ الأول -الذي وضع العلم- قد تَرَك لمن بعده عَملًا ضخمًا كثيرًا يستطيع به أن يُهَذّب هذا العِلْم، وأن يُقِيمَ قواعده، وأن يُوَسّعه، وأن يَشْرَحَهُ على الوجْه الأتَمّ.

وهذا هو الصَّحيح الذي اسْتَقَرّ عليه الأمر بعد ذلك، أنه: (كم ترك الأول للآخر).

فالمراد من قول السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا يُفْتَح لعالم بعد آخر ما لم يَتَطَرَّق إليه مِنَ المتقدِّمين الأسباب)، أي: أنه يُفتح له ما لم يكونوا يعرفونه.

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٤٥٨) مادة: سبب.

(٢) الأبيات من السريع. وانظر: الأمثال المولدة (ص ٣٤٩)، حماسة الخالديين (ص ١٥)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ٤٧)، الفلك الدائر على المثل السائر (٤/ ١٥٢)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/ ٩١).

وَإِنَّ مِمَّا أَهْمَلَ المُتَقَدِّمُونَ تَدْوِينَهُ حَتَّى تَحَلَّى فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِأَحْسَنِ زِينَةٍ: عِلْمَ التَّفْسِيرِ الَّذِي هُوَ كَمُصْطَلَحِ الحَدِيثِ، فَلَمْ يُدَوِّنْهُ أَحَدٌ، لا فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الحَدِيثِ.

كلمة (علم) هنا هِيَ المُرَادَة مِنْ قَوْلِهِ: (وإنّ مما أهْمَل المتقدِّمون تدوينه... إلى آخره) الَّتِي في أوّل الفقرة.

والمعنى: وإن علم التفسير مما أهمل المتقدِّمون تدوينه.

فـ(علمَ) هنا اسم (إنّ)، وقد يَتَأَخَّر اسم (إنّ)[١] إن كان خبرها شبه جملة، ويطول الفصل بينه وبينها، المهم أنَّه مَتَى يَكْتَمِلُ الكَلَام فهو المراد.

والجملة إما أن تَكُون فعلية أو اسمية. فالجُمْلَة الفعلية رُكْنَاها: الفعل، والفاعل، أما المفعول فهو فضلة، أي: شيء زائد، وتُفهم الجملة بالفعل والفاعل إن كانت فعلية. أما الجُمْلَة الاسمية فَرُكْنَاها: المبتدأ، والخبر عند النحويين، أو المسند والمسند إليه عند أهل البلاغة[٢].

فإذا أردت الإعراب: فانظر من أين تبدأ الجملة الفعلية أو الاسْمِيَّة حتى يصح حكمك الإعرابي. وفي قوله: (وإن ممَّا أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة) لا يكتمل الكلام إلا بقوله: (عِلْمَ التفسير)، فـ(عِلْم) هنا هِيَ المبتدأ قَبْل أن تدخل عليه (إنَّ)، فَلما دَخَلَتْ عليه (إنّ) صَارَ اسم (إنّ)، وخبرها قوله: (مما أهمل المتقدِّمون).

ولم نَقُل: إنّ (مما) هي الاسم؛ لأن شِبْهَ الجُمَلة لا تكُون مبتدأ، بل تكون

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٣٤٨، ٣٤٩).

(٢) انظر: جامع الدروس العربية (١/ ١٣، ١٤).

خبراً[١].

ومعنى كلامه: علم التفسير كمُصطلح الحديث لم يُدَوِّنه أحد، لا في القديم ولا في الحديث. وإنما قال السيوطي هذا؛ لأنه لم يَطَّلِع على كتاب (البُرْهَان) للإمام بَدْر الدين الزَّرْكَشِي رَحِمَهُ اللهُ[٢]، المُتَوَفَّى سنة أرْبَع وتسعين وسبعمائة[٣].

والدليل على أنه لم يَطّلع على كتابه هو ما صَرَّحَ به في مُقَدّمة كتابه (الإتقان) أنَّهُ اطلع بَعْدَ أن ألّف (التحبير) على كتاب «البُرْهَان» للإمام الزركشي رَحِمَهُ اللهُ، ولأنه كِتَابٌ ضَخْم عَظِيم في بابه جَعَلَهُ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ مِنْ مَصَادِره في كتابه (الإتقان)[٤].

حَتَّى جَاءَ شَيْخُ الإِسْلَامِ عَلَّامَةُ الْعَصْرِ قَاضِي الْقُضَاةِ جَلَالُ الدِّينِ البُلْقِينِيّ...

البُلْقيني: نِسْبَة إلى بُلْقِينَة، وتسمّى أيضًا: البوب، وهِيَ قرية في محافظة الغربية بمصر[٥]، يُنسَب إليها هذا الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن سراج الدَّين عُمر ابْن رسْلَان البلقيني المصرى الشَّافعي المتوفى بمصْر سنة ٨٢٤ هـ[٦].

فَعَمِلَ فِيهِ كِتَابَهُ (مَوَاقِعُ العُلُومِ فِي مَوَاقِعِ النُّجُومِ)، فنَقَّحَهُ وَهَذَّبَهُ، وَقَسَّمَ

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٣٤٨، ٣٤٩).

(٢) حدث هذا أيضًا من الشيخ محيي الدين الكافيجي (ت ٨٧٩ هـ) شيخ السيوطي، فإنه صنف مختصرًا في علوم التفسير وأسماه: التيسير، قدر ثلاث كراريس، وكان يقول: إنه اخترع هذا العلم، ولم يسبق إليه؛ وذلك لأنه لم يقف على البرهان للزركشي، ولا على مواقع العلوم للجلال البلقيني. انظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (ص ٤٠، ٤١).

(٣) انظر في ترجمته: الأعلام (٦/ ٦٠).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٣، ٢٤، ٢٧).

(٥) انظر: معجم البلدان (١/ ٤٨٩)، الأعلام (٣/ ٣٢٠).

(٦) انظر: هدية العارفين (١/ ٥٢٩، ٥٣٠)، الأعلام (٣/ ٣٢٠).

أَنْوَاعَهُ وَرَتَّبَهُ، وَلَمْ يُسْبَقْ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ.

إنما قال: (لم يُسْبَق إلى هذه الرتبة)؛ لأنَّه -كما ذكرنا- لم يطَّلع على كتاب الزركشي[١].

فَإِنَّهُ جَعَلَهُ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ نَوْعًا مُنْقَسِمَةً إِلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ.

النَّيِّف: الأعداد التي بين العقود[٢]، ومن ألفاظ العقود: عشرون، ثلاثون، أربعون، وما بَيْنَ العقود تقول فيها مثلًا: نيف وخمسون، وبعض الناس يقولون: خمسون ونيف، وكلاهما صحيح، لكن الأوّل أفْصَح.

والمراد بالنَّيِّف هنا اثنان؛ لأَنَّ السيوطي يقول في السطر السادس من الصفحة السادسة والثلاثين: (فهذه مائة نوع ونوعان، الزوائد منها خمسون نوعًا)، ولَوْ طَرَحْنَا خمسين من نوعين ومائة فإنّ الباقي اثنان وخمسون نوعًا.

وَتَكَلَّمَ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا بِالمَتِينِ مِنَ الْكَلَامِ، لَكِنْ كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَبُو السَّعَادَاتِ ابْنُ الأَثِيرِ فِي مُقَدِّمَةِ نِهَايَتِهِ...

لُقب من العُلماء بابن الأثير ثلاثة إخوة، وهم: ضياء الدين، وعز الدين، ومجد الدين.

أما ضياء الدين: فكان صاحب أدب وإنشاء ورسائل، وله كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»[٣].

وأما عز الدين: فهو أبو الحسن الجزري، صاحب كتاب «الكامل في

---

(١) انظر: إتمام الدراية لقراء النقاية، للسيوطي (ص٢٠).

(٢) وقيل: النيف من واحدة إلى ثلاث، والبضع من أربع إلى تسع. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٤٢) مادة: نوف.

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٢١/ ١٧٩)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٨٩)، الذهبي في التاريخ (١٤/ ٢٥٨).

التاريخ»، وكتاب «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة»، وكتاب «اللباب في تهذيب الأنساب»؛ هَذَّب به كتاب«الأَنْسَاب» المشهور للإمام السَّمْعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

وأما مجد الدين: فهو أبو السعادات الجَزَري، مبارك بن محمد، وهو صاحب كتاب «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ». وهو أيضا صاحب كتاب «النهاية في غريب الحديث والأثر»[٢]، الذي ذَكَرَهُ هُنَا الحافظ السيوطي، وهو كتاب عظيم، أمضى صاحبه فيه سنوات، كان يتَتَبَّع فيها أحاديث رسول الله ﷺ، والآثار المَرْوِيَّة عن الصحابة والتابعين تتبعًا شاملًا، ويستقرئها استقراءً كاملًا، ثم جمع ما توصل إليه فيها من غريب في كلماتها وألفاظها، ووَضَعَها في كتابه «النهاية». والكتاب مطبوع متداول مُحَقَّق تحقيقًا لا مزيد عليه، حققه الدكتور الطناحي رَحِمَهُ اللَّهُ، والدكتور عبد الفتاح الحلو رَحِمَهُ اللَّهُ، وهما من أساتذة المحققين، وطبع منذ مُدة طويلة، وهو كتاب لا يَسْتَغْنِي عنه طالب علم حقًّا[٣].

يقول الشيخُ مجد الدين ابن الأثير في مُقدِّمة كتابه «النهاية»:

إِنَّ كُلَّ مُبْتَدِئٍ بِشَيْءٍ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَمُبْتَدِعٍ أَمْرًا لَمْ يُتَقَدَّمْ فِيهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَلِيلًا ثُمَّ يَكْثُرُ، وَصَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ[٤].

فقوله: (ومبتدع أمرًا) الابتداع في اللغة: هو إِحْدَاثُ شَيْء على غير مِثَال سَابِق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، فإنه سبحانه

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣٠٧)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٨)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٢/ ٣٥٣).
(٢) انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣٣١)، وفيات الأعيان (٤/ ١٤١)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢١/ ٤٨٨).
(٣) طبعته «المكتبة العلمية» بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٤) انظر: النهاية، لابن الأثير (١/ ٥).

وتعالى أبدعهما -أي: أحدَثهما- على غير مثال سابق[١].

والابتداع شرعًا: هو إحداث أمر في الشريعة لم يكن معروفًا قبل ذلك. وهو أمْر مذموم[٢].

ومعنى كلامه: كل علم من العلوم يكون في بدايته صغيرًا ثم يكبر، وينتشر، إما على يد واضعه، أو على يد تلامذته، أو بعد قرون بعده.

واستثنى العُلماء من هذه القاعدة علم العَروض، فإنه وُلِدَ كاملًا - كما يُقَال - على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]، وكان أحد أذكياء المسلمين، بل أحَد أذكياء العالم. وعِلْم العَروض[٤] هو العلم الذي يُعْرَف به الوزن الشعري للأبيات. والله أعلم.

فَظَهَرَ لِيَ اسْتِخْرَاجُ أَنْوَاعٍ لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهَا، وَزِيَادَةُ تَتِمَّاتٍ لَمْ يُسْتَوْفَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا، فَجَرَّدْتُ الهِمَّةَ عَلَى وَضْعِ كِتَابٍ فِي هَذَا الْعِلْمِ أَجْمَعُ فِيهِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- شَوَارِدَهُ، وَأَضُمُّ إِلَيْهِ فَوَائِدَهُ، وَأَنْظِمُ فِي سِلْكِهِ فَرَائِدَهُ؛ لأَكُونَ فِي إِيجَادِ هَذَا الْعِلْمِ ثَانِيَ اثْنَيْنِ.

والأول الذي يقصده بقوله: (**لأكون في هذا العلم ثاني اثنين**) هو جلال الدين البلقيني[٥]، بكتابه (مَوَاقِعُ العُلُومِ فِي مَوَاقِعِ النُّجُومِ). والمراد بكون البلقيني الأوّل في هذا العلم أي: أنه أوّل مَن رتبه ترتيبًا كاملًا، وإلا فقد سُبِقَ السّيوطي

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٦)، مادة: بدع.

(٢) انظر: الاعتصام، للشاطبي (١/ ٤٥-٤٧).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٨/ ٣٢٦).

(٤) انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ٢٢٩).

(٥) انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٧/ ١٩٧)، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٠).

والزَّرْكَشِي وغيره بأئمة أَلَّفُوا في علوم القرآن[١]، لكن التقسيم الحَسَن فَازَ به الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الذي لم يطّلع عليه السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تأليفه هذا الكتاب.

وَوَاحِدًا فِي جَمْعِ الشَّتِيتِ مِنْهُ كَأَلْفٍ أَوْ كَأَلْفَيْنِ. وَمُصَيِّرًا فَنَّي التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ فِي اسْتِكْمَالِ التَّقَاسِيمِ إِلْفَيْنِ.

في نسخة من النسختين التي اعتمد عليهما المحقق: (**وَوَاحِدًا فِي جَمْعِ الشَّتِيتَيْنِ مِنْهُ كَإِلْفٍ أَوْ كَإِلْفَيْنِ، وَمُصَيِّرًا فَنَّي التَّفْسِيرِ**...)، والصّواب ما أثبته، إن شاء الله[٢].

والمعنى: (وواحدًا في جمع الشتيت منه) أي: من علوم القرآن (كَأَلْف أو كَأَلْفين) من الرجال، أي: أنَا وَاحِد ولكني كألْفٍ أو كألفين مِنَ الرِّجَال، فتكون (كألْف) هنا الجار والمجرور متعلّق بكلمة (واحدًا). والله أعلم.

وأصل (فَنَّي) هنا: «فَنَّانِ»، مثنى «فَنّ»، ثم نُصِبَتْ بـ(**مُصَيِّر**) فصارت (فَنَّيْنِ)، ثم حُذِفَتْ نون المثنى لأجل الإضافة؛ لأنَّ نون المثنى وجمع المذكر السالم لا

---

(١) ظهر التصنيف في علوم القرآن في القرن الرابع حيث ألف علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي ت ٣٣٠هـ كتابًا اسمه: البرهان في علوم القرآن. ثم في القرن السادس ألف ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ، كتابين هما: فنون الأفنان في علوم القرآن، والمجتبى في علوم القرآن. وفي القرن السابع ألف علم الدين السخاوي ت ٦٤١هـ، كتابًا سماه: جمال القراء، وألف أبو شامة ت ٦٦٥هـ، كتابا سماه: المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز. وفي القرن التاسع ألف جلال الدين البلقيني ت ٨٢٤هـ، كتابًا سماه: مواقع العلوم من مواقع النجوم، وألف محمد بن سليمان الكافيجي ت ٨٧٣هـ كتابًا في هذا العلم، ثم ألف السيوطي ت ٩١١هـ، كتابين في هذا الفن هما: التحبير في علوم التفسير، والإتقان في علوم القرآن. انظر: المكتبة الإسلامية (ص ٨٤).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩).

تجتمعان مع الإضافة، فَلَمَّا حُذِفَت النون وكانت الياء في (فَنَّيْ) ساكنةً، وكذا سَكَن أوَّل حرف ملفوظ في كلمة (التفسير) وهو التاء، فاجتمع ساكنان، والواجب عند اجتماع الساكنين أنْ نُحَرِّك الأوّل منهما، وهذا التحريك في لغة العرب يجوز بالفتح وبالضم وبالكسر، والكسر أشهر، كما هو هنا[(١)].

وأراد المصنف بقوله: (وَمُصَيِّرًا فَنَّيِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ فِي اسْتِكْمَالِ التَّقَاسِيمِ إِلْفَيْنِ) الإشارة -والله أعلم- إلى كتابه: «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» وهو شرح حافل على كتاب الإمام النووي[(٢)]: «التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير ﷺ»، فإنه عِنْدَما صنعه -أي: السيوطي- وجمع فيه الشتيت مِنْ فَنّ الحديث على أحسن ما يكون، صنع هذا الكتاب؛ وبهذا صار فَنّ التفسير وفن الحديث مجْمُوعَيْن في كتابين هما: «تدريب الراوي»، و«التحبير»، والله أعلم. ومعنى (إِلْفَيْنِ) أي: صَاحِبَيْن وزميلين. والله أعلم.

وَإِذَا بَرَزَ زَهْرُ كِمَامِهِ وَفَاحَ، وَطَلَعَ بَدْرُ تَمَامِهِ وَلاحَ.

الكمام هي أوعية الطلع، فالزهر قبل النَّبْت يكون مُغَطًّى، هذا الغطاء يُسَمَّى: (كِمًّا) جمعه: أكمام[(٣)]، وقد جاء في كتاب الله تبارك وتعالى (أكمام)[(٤)]، فيَنْشَقّ هذا الكم ويَخْرُج ما يريد الله تبارك وتعالى له أن يخرج، فيقول: برز الزهر من الكمام وفاح؛ أي: برز العطر، أو فاح العطر، (وطلع بدر تمامه) بدر التمام هي

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ٧١).

(٢) انظر: الأعلام، للزركلي (٨/ ١٤٩).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٥٢٦).

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١].

الليلة الخامسة عشرة كما هو معروف[١]، (ولاح): أي: وظهر.

وَأَذَّنَ فَجْرُهُ بِالصَّبَاحِ، وَنَادَى دَاعِيهِ بِالْفَلَاحِ، سَمَّيْتُهُ بِالتَّحْبِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، وَمِنَ اللهِ الاسْتِمْدَادُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِطُرُقِ السَّدَادِ، لا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا مَرْجُوَّ إِلاّ خَيْرُهُ.

(لا رَبَّ غَيْرُهُ) لا: نافية للجنس، وَرَبَّ: اسم لا النافية للجنس، ثم الكوفيون يقولون: خبرها (غيره)، والبَصْريّون -ويقولون: إنه المذهب الصحيح- يقولون: إِنَّ الخَبَرَ محْذُوف دائمًا، تقديره: لَا رَبَّ كائن، أو لا رَبَّ موجود غيره سبحانه وتعالى[٢].

وَهَذِهِ فِهْرِسْتُ الأَنْوَاعِ بَعْدَ المُقَدِّمَةِ.

الفِهْرِس والفِهْرِسْت هي كلمة فارسية[٣]، عَرَّبَهَا العَرَبُ واستَعْمَلوهَا في كتبهم بِمَعْنَيَيْن: المعنى الأول: قائمة الكتب، فتقول: فِهْرِسْت الكتاب؛ أي: عَنَاوِين الكتاب ومواضِع صفحاتها، والمعنى الآخر يقولون: فِهْرِسُ فلان. كفِهْرِس أبي بكر بن خير، وفهرس ابن غازي، وفهرس فلان من العلماء، يقصدون به كتب هذا الإمام التي سَمِعَهَا من مشايخه، وأسْمَاء مَشَايخه مجموعة في مكان واحد هو هَذَا الكتاب الذي يُدْعَى فِهْرس، هَذَان المعنيان هما اللَّذَانِ اسْتُعْمِلَ مِنْ أَجْلِهِمَا كلمة فِهْرس أو فهرست، واشتق العرب منها، فيقولون: فَهْرَس يُفَهْرِسُ فَهْرَسةً، ويجوز في الاسم فَهْرَس، والأصح والأفصح: فِهرس. والعلماء يقولون عن فهرس فلان مثلًا: مُعْجَم فلان، أو ثَبَت فلان، وثَبَتُ فلان هو الكتاب الذي يَضَعُ فِيهِ أسماء مشايخه وأسماء الكتب التي قرأها عليهم، والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل (٢/ ٢٥).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٦/ ١٦٧) مادة: فهرس.

النَّوْعُ الأَوَّلُ وَالثَّانِي: المَكِّيُّ وَالمَدَنِيُّ.

الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ: الحَضَرِيُّ والسَّفَرِيُّ.

الخَامِسُ وَالسَّادِسُ: النَّهَارِيُّ وَاللَّيْلِيُّ.

السَّابِعُ وَالثَّامِنُ: الصَّيْفِيُّ وَالشِّتَائِيُّ.

التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ: الْفِرَاشِيُّ وَالنَّوْمِيُّ. أي: مَا أُنْزِلَ على رسول الله ﷺ وهو في فراشه ﷺ، وسيأتي تفصيل ذلك كله إن شاء الله.

الحَادِيَ عَشَرَ: أَسْبَابُ النُّزُولِ.

الثَّانِيَ عَشَرَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: آخِرُ مَا نَزَلَ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: مَا عُرِفَ وَقْتُ نُزُولِهِ عَامًا وَشَهْرًا وَيَوْمًا وَسَاعَةً. وَإِنْ شِئْتَ فَتَرْجِمْهُ بِأَسْبَابِ النُّزُولِ.

(ترجمه) أي: سِمْهُ وَعَنْوِنْهُ. والترجمة تُطْلَق على ثلاثة أمور:

الأول: النَّقْلُ مِنْ لُغَة إلى أخرى تُسَمَّى: ترجمة[1]، تقول: ترجمت الكتاب من الإنجليزية إلى العربية مثلًا، أو من الفارسية إلى العربية.

الثاني: تطلق الترجمة على عنوان أبْوَاب الأحاديث عند المُحَدِّثين، فتقول: تَرْجَمَ البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ لِكِتَابِهِ بِكَذَا، باب كذا، وباب كذا، هذه تُسَمَّى: تَرْجَمَة الباب. الثالث: الترجمة تطلق أيضًا على حياة الشخص، فيقال: تَرْجَمَة البخاري رَحِمَهُ اللهُ؛ أي: تاريخ حياته.

الخَامِسَ عَشَرَ: مَا أُنْزِلَ فِيهِ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأنْبِيَاءِ. أي: ما أُنزِلَ عَلَى

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٦٦) مادة:رجم.

محمد ﷺ في القرآن ولم يَنْزِل على أحد من الأنبياء قبله في أيّ كتاب.

السَّادِسَ عَشَرَ: مَا أُنْزِلَ مِنْهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ قَبْلُ.

السَّابِعَ عَشَرَ: مَا تَكَرَّرَ نُزُولُهُ.

الثَّامِنَ عَشَرَ: مَا نَزَلَ مُفَرَّقًا. التَّاسِعَ عَشَرَ: مَا نَزَلَ جَمْعًا. العِشْرُونَ: كَيْفِيَّةُ النُّزُولِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالنُّزُولِ. أي: من النوع الأول إلى النوع العشرين كلها متعلقة بالنّزول؛ أي: كيفية نزول كتاب الله تبارك وتعالى، وأمكنة نزوله... إلى آخره.

وزَوَائِدِي منها ثمانية أنواع. أي: زوائده على كتاب الإمام البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ ثمانية أنواع؛ فإن البُلْقِيني ذكر في هذا النوع اثني عشر نوعًا وزاد هو ثمانية رَحِمَهُ اللَّهُ فصارت عشرين.

الحَادِي وَالْعِشْرُونَ: المُتَوَاتِرُ، الثَّانِي وَالعِشْرُونَ: الآحَادُ، الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: الشَّاذّ، الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ، الخَامِسُ والْعِشْرُونَ وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: الرُّوَاةُ وَالحُفَّاظُ، السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: كَيْفِيَّةُ التَّحَمُّلِ، الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: العَالِي وَالنَّازِلُ، التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: المُسَلْسَلُ، وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ زَوَائِدِي مِنْهَا ثَلَاثَةٌ، الثَّلَاثُونَ: الابْتِدَاءُ، الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: الْوَقْفُ، الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: الإِمَالَةُ، الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: المَدُّ، الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: تَخْفِيفُ الهَمْزَةِ، الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِدْغَامُ، السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِخْفَاءُ، السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِقْلَابُ، الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: مَخَارِجُ الحُرُوفِ، وَهَذِهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالأَدَاءِ -أي: كيفية التلفظ بكلام الله تبارك وتعالى- **وَزَوَائِدِي مِنْهَا ثَلَاثَةٌ، التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الْغَرِيبُ، الأَرْبَعُونَ: المُعَرَّبُ، الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ: المَجَازُ، الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ: المُشْتَرَكُ،**

الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ: المُتَرَادِفُ، الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ، وَالخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ: المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِهُ، السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ: المُشْكِلُ، السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ: المُجْمَلُ، الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ: المُبَيَّنُ، التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ: الاسْتِعَارَةُ، الخَمْسُونَ: التَّشْبِيهُ، الحَادِي وَالخَمْسُونَ، وَالثَّانِي وَالخَمْسُونَ: الْكِنَايَةُ وَالتَّعْرِيضُ، وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالأَلْفَاظِ، وَزَوَائِدِي مِنْهَا خَمْسَةٌ. متعلقة بالألفاظ؛ أي: الألفاظ القرآنية أو الكَلِمَات القرآنية.

الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ: الْعَامُّ الْبَاقِي عَلَى عُمُومِهِ، الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ: الْعَامُّ المَخْصُوصُ، الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ: الْعَامُّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الخُصُوصُ، السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ: مَا خَصَّ فِيهِ الْكِتَابُ السُّنَّةَ، السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ: مَا خَصَّتْ فِيهِ السُّنَّةُ الْكِتَابَ، الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ: المُؤَوَّلُ، التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ: المَفْهُومُ، السِّتُّونَ، وَالحَادِي والسِّتُّونَ: المُطْلَقُ وَالمُقَيَّدُ، الثَّانِي وَالسِّتُّونَ وَالثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ: النَّاسِخُ وَالمَنْسُوخُ، الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ: مَا عَمِلَ بِهِ وَاحِدٌ ثُمَّ نُسِخَ، الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ: مَا كَانَ وَاجِبًا عَلَى وَاحِدٍ، وَهَذِهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالمَعَانِي المُتَعَلِّقَةِ بِالأَحْكَامِ، وَفِيهَا مِنْ زَوَائِدِي وَاحِدٌ.

السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالسَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ: الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ وَالمُسَاوَاةُ، التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ: الأَشْبَاهُ، السَّبْعُونَ وَالحَادِي وَالسَّبْعُونَ: الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ، الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ: الْقَصْرُ، الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ: الاحْتِبَاكُ، الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ: الْقَوْلُ بِالمُوجِبِ، الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالسَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالسَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ: المُطَابَقَةُ وَالمُنَاسَبَةُ وَالمُجَانَسَةُ، الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ وَالتَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ: التَّوْرِيَةُ وَالاسْتِخْدَامُ، الثَّمَانُونَ: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ، الحَادِي وَالثَّمَانُونَ:

الالْتِفَاتُ، الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ: الْفَوَاصِلُ وَالْغَايَاتُ، الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ وَالرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ: أَفْضَلُ الْقُرْآنِ وَفَاضِلُهُ وَمَفْضُولُه، السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ: مُفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ، السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ: الأَمْثَالُ، الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ وَالتَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ: آدَابُ الْقَارِئِ وَالْمُقْرِئِ، التِّسْعُونَ: آدَابُ الْمُفَسِّرِ، الحَادِي وَالتِّسْعُونَ: مَنْ يُقْبَلُ تَفْسِيرُهُ وَمَنْ يُرَدُّ، الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ: غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ، الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ: مَعْرِفَةُ الْمُفَسِّرِينَ، الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ: كِتَابَةُ الْقُرْآنِ، الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ: تَسْمِيَةُ السُّوَرِ، السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ: تَرْتِيبُ الآيِ وَالسُّوَرِ، السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ وَالتَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ: الأَسْمَاءُ وَالْكُنَى وَالأَلْقَابُ، المِائَةُ: الْمُبْهَمَاتُ، الأَوَّلُ بَعْدَ المِائَةِ: أَسْمَاءُ مَنْ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، الثَّانِي بَعْدَ المِائَةِ: التَّأْرِيخُ، فَهَذِهِ مِائَةُ نَوْعٍ وَنَوْعَانِ، وَزَوَائِدِي مِنْهَا خَمْسُونَ نَوْعًا، وَهَا أَنَا أَشْرَعُ فِي بَيَانِهَا مُسْتَعِينًا بِاللهِ وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، وَحَبَّذَا اتِّكَالًا.

(حبذا) فعل من شأنه المدح، مثل نِعْمَ[١]، وفي إعراب (حَبَّذَا) عدة أوجه[٢]، أشهرها أن حَبَّ: فِعْل ماض، وذا فاعله وهي اسم إشارة، تقول (حَبَّ ذَا) فعل وفاعل، (واتكالًا) تمييز؛ أي: حبذا الاتّكال اتّكالًا؛ أي: حبذا الاتكال على الله تبارك وتعالى اتكالًا.



(١) قال ابن مالك: ومثل نعم حبذا الفاعل ذا ....
انظر: شرح ابن عقيل (٣/ ١٦٩).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل (٣/ ١٧٠).

مقدمة في حُدود لا بدَّ من معرفتها

ثم يدلِفُ[1] منها إلى النوع الأول والثاني.

التَّفْسِيرُ مَأْخُوذ مِنَ الفَسْرِ، وَهُوَ الْكَشْفُ وَالإِظْهَارُ، وَيُقَالُ: هُوَ مَقْلُوبُ السَّفْر. تَقُولُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ، وَأَسْفَرَتِ المَرْأَةُ عَنْ وَجْهِهَا النِّقَابَ: كَشَفَتْهُ، وَقِيلَ: مَأْخُوذٌ مِنَ التَّفْسِرَةِ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَا يَعْرِفُ بِهِ الطَّبِيبُ المَرَضَ.

فعَمَلِيّة رؤية الطبيب بَوْلَ المريض -أكرمكم الله- تُسَمَّى التَّفْسِرَة، ويقال: إنَّ التفسرة هي القارورة نفسها التي يُوضَع فيها البول، فَهِيَ إما اسم لعَمَلِيَّة كشف الطبيب على مريضه بوساطة نَظَرِهِ إلى البول، أو هِيَ اسْمٌ لِلْقَارُورَةِ، أو هِيَ اسْمٌ لِلْبَوْلِ الَّذِي يُوضَعُ فِي القَارُورَةِ[2].

وَأَمَّا فِي الاصْطِلَاحِ فَلَهُمْ فِيهِ عِبَارَاتٌ، أَحْسَنُهَا قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ: هُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَمَدْلُولَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا الإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةَ التَّرْكِيبِ، وَتَتِمَّاتٌ لِذَلِكَ، وَقَالَ: هُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ أَحْوَالِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى مُرَادِهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ. وَيَتَنَاوَلُ التَّفْسِيرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ وَالتَّأْوِيلِ؛ أيْ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّرَايَةِ.

قَالَ: فَقَوْلُنَا: عِلْمٌ: جِنْسٌ، وَقَوْلُنَا: يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ: هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَةِ، وَقَوْلُنَا: وَمَدْلُولَاتِهَا: أَيْ: مَدْلُولَات تِلْكَ الأَلْفَاظِ، وَهَذَا مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَقَوْلُنَا: وَأَحْكَامِهَا الإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ: هَذَا

---

(١) قال في لسان العرب: الدليف: المشي الرويد. دلف يدلف دلفًا ودلفانًا ودليفًا ودلوفًا: إذا مشى وقارب الخطو. انظر: لسان العرب (٩/ ١٠٦)

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٨٨).

يَشْمَلُ عِلْمَ التَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ، وَقَوْلُنَا: وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةَ التَّرْكِيبِ: يَشْمَلُ مَا دَلَالَتُهُ بِالحَقِيقَةِ وَمَا دَلَالَتُهُ بِالمَجَازِ؛ فَإِنَّ التَّرْكِيبَ قَدْ يَقْتَضِي بِظَاهِرِهِ شَيْئًا وَيَصُدُّ عَنِ الحَمْلِ عَلَيْهِ صَادٌّ؛ فَيُحْمَلُ عَلَى غَيْرِهِ وَهُوَ المَجَازُ، وَقَوْلُنَا: وَتَتِمَّاتٌ لِذَلِكَ: هُوَ مِثْلُ مَعْرِفَةِ النَّسْخِ، وَسَبَبِ النُّزُولِ، وَقِصَّةِ تَوْضِيحِ بَعْضِ مَا أُبْهِمَ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

أبو حَيَّانَ رَحِمَهُ اللهُ هُوَ العالم الأندلسي المشهور، وهو عالم الأمَّةِ في اللغة وفي التفسير، قد حَازَ البَاعَ الطويل الواسع في اللغة، ذهب رَحِمَهُ اللهُ إلى مصر واستقر فيها، وأَلَّفَ مُعْظَمَ كُتُبِهِ في مصر، وأَلَّفَ كِتَابه المشهور «البَحْر المحيط» واهتم فيه أَكْثَر ما اهتم ببيان اللغة العربية وإظهار وجوه القراءات، وهو كتاب ضخم جزل[(١)].

وقد اشتهر عنه تعريف التَّفسير بأنه: (**عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كيفية النطق بألفاظ القُرْآن ومدلولاتها**)[(٢)]. وكَيْفِيَّة النطق بألفاظ القرآن: يدخل فيها القراءات والتجويد.

قبل أن يُعَرّف علم التفسير قال: (**يُبْحَث فيه عن أحوال القرآن العزيز، من حيث دلالته على مُرَادِهِ بِحَسَبِ الطاقة البشرية**)، فإنه لا يعرف كلام الله على الحقيقة إلا الله تبارك وتعالى، ويتناول التفسير والتأويل، (**ويتناول التفسير وهو ما يَتَعَلّق بالرواية**)، بعض العلماء لا يفرقون بين التفسير والتأويل ويجْعَلُونَهُمَا بِمَعْنًى واحد، وبَعْضُهم يُفَرّق[(٣)]، فيقول: هَذَا العِلْم يتناول علمين: التفسير

(١) المعجم المختص ص٢٦٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٦).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص٥٨).

والتأويل، فيتناول التفسير وهو مَا يَتَعَلّق بالرِّواية.

فقول الإمام عَبْد الرَّزّاق في كتابه المشهور «كتاب التفسير» -مثلا-: حدثنا فلان قال: حدثنا فلان، حتَّى يَصِلَ إلى رسول الله ﷺ، هذه رواية، أو حتى يصل إلى أحد التابعين، أو إلى أحد الصحابة المشهورين بالتفسير، فهذا هو التفسير بكشف المعنى بالرواية عَمَّنْ كشفه وأظهره.

(**والتأويل**) أي: يتناول أيضًا التأويل؛ أي: ما يَتَعَلَّق بالدِّرَايَة، فهذا المفسر العالم عنده رواية أَخَذَهَا مِنْ مَشَايخِه، وعنده مَلَكَة الدراية يَدْرِي كيف يُفَسِّرُ هَذِهِ اللّفْظَة مِنَ النَّوَاحِي المُخْتَلِفَة: من نواحي الحديث أو اللّغَة أو الأصول أو الفقه، أو كل ذلك أو بعضه، هذه هي دراية المفسر، فعلم المفسر بتفسير هذه اللفظة في غير مأثور ونقل يُسَمَّى: دِرَاية.

قال: (**فقولنا: علم: جنس**) أي: يَشْمَل سَائِر العُلُومِ المستخدمة في التفسير، فكلمة (علم) هنا جنس؛ أي: يشمل أكثر مِنْ عِلْم، هذا معنى كلامه (**علم: جنس**)، ثم شرع في شرح تعريفه الأول الذي يقول فيه: هو علم يبحث فيه...

(**وقَوْلُنَا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هو عِلْم القِرَاءة**) أو علم القراءات، ويَدْخُلُ فيه أيضًا علم التجويد، وقولنا: (**ومدلولاتها**) أي: مدلولات تلك الألفاظ، فعندما تقول: كِتَاب -مثلا- فإنه ينقدح في ذهنك تلك الصورة المعْرُوفة التي ارْتَسَمَتْ في ذهنك لمعنى هذه الكلمة، ألا وهو ذلك الاسم الذي يُطْلَق عليه كتاب، هذا هو مدلول تلك اللفظة، ويسمى العلم الذي يَبْحَث في مدلولات الألفاظ: علم مَتْن اللغة، فإن علوم اللغة تنقسم إلى: عِلْم مَتْنِ اللّغَةِ، وعلم الإعراب، وعلم التصريف، وعلوم البلاغة الثلاثة: البيان، والمعاني،

والبديع، فيقول: هذا علم متن اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وهذا العلم نَجِدُهُ في المعاجم الكبيرة التي تَدُلّنا على مَعَانِي الألفاظ.

وقولنا: (**وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يَشْمَل علم التصريف**)، على سبيل المثال: (قال) لها معنى، وعندما نقول: (قال محمد) لها معنى آخر، فـ(قال) لها معنى حالة إفراد هذه اللفظة، وعندما نقول: قال محمد لها مَعْنى آخر، هذا هو معنى كلامه: (**وأحكامها الإفرادية والتركيبية، وهذا يشمل علم التصريف والبَيَان والبديع**)، يعني: والمعاني معها، وعلم الإعراب؛ لأن أبا حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في البحر المحيط عندما رجعت إلى كتابه ذَكَرَ أيضًا الإعراب ولم يذكره السيوطي هنا رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إمَّا سَهْوًا منه أو من الناسخ، أو أنه لم ير فائدة لإثباته رَحِمَهُ اللَّهُ، لا أدري لِمَ لَمْ يذكره؟ إنما أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في كِتَابِهِ المطبوع المتداول اليوم بين أيدينا يقول: (**وعلم الإعراب**)، وهو من علوم اللغة المحتاج إليها في هذا الفن بلا شك، سيأتي إن شاء الله تعريف ذلك كله في الأنواع فلا نكرر.

إنما علم التصريف هو: «عِلْم يُعْرَف بِهِ صِيَاغَة الأَبْنِيَةِ وأَحْوَالها، وما يَعْرِضُ لها مما ليس بإعراب ولا بناء»[1].

فمثلا: هذا المسجد يُبْنَى مِنْ حجارة متراصَّة يقال لها: طوب، فالطوب هو بِنَاء هذا المسجد، والكلمة بناؤها الأَحْرُف، فيقول: (علم يُعرف به صياغة الأبنية) كَترتيب الأحرف في الكلمة، وحركات الأحرف وسكناتها، هذا هو العلم الذي يُحتاج إليه في التصريف، (وأحوالها) أي: أحوال هذه الأَبْنِيَة المُؤَلَّفَة من حروف، أي الكلمات هل هذه اللفظة ماض، مضارع، أمر، اسم فاعل، اسم

---

(١) انظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي ص٩٠.

مفعول... إلى آخر هذه المشتقات؟ (وما يعْرض لها من إعلال وإبدال) هذا كله يتعَلّق بعلم التصريف. فعلى سبيل المثال: آدم، أصلها: أَأْدَم، تقول العرب: لا تنطقوا بهمزتين متواليتين أولاهما متحرك وثانيهما ساكن، إنما تبدل الهمزة الثانية حَرْف مَدّ مِنْ جنس حركة الهمزة الأولى، والفتحة هي بنت الألف، فتقول: آدم[١]، كذلك (أأمن) تقول: آمن، فلا تقل: (هذا المكان أأمن من هذا المكان)، بل تقول: (آمن من هذا المكان)[٢]، فتُبْدِل، هَذَا مثال يسير على علم التصريف.

(والبيان)، وهو: أصول وقواعد يُعْرَف بها إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة[٣].

تقول: العلم واسع، وتقول: العلم بحر، فشَبَّهْت سعة العلم ببحر عميق عظيم، وعندما قلت: العلم واسع، فُهم كلامك، وعندما قلت: العِلْم بحر، فُهِمَ كَلَامُكَ، لكن الفَهْم الآخَر أَبْيَن مِنَ الفهم الأول وأَوْقَع فِي النَّفْس وأظْهَر عند السامع، هذا هو علم البيان، وأقسامه: التشبيه، والكناية، والمجاز، وسيأتينا ذلك كله إن شاء الله.

(والبديع)[٤]، وهو: علم يُعرف به الوجوه والمَزَايا التي تَزِيدُ الكلام حُسْنًا وطَلَاوةً وبهاءً وجمالًا، وهو ينقسم إلى قرابة أربعين نوعًا، مثل: اللف، والنشر، والاستخدام، والتورية، والتعريض... أقسام كثيرة سيأتي كثير منها إن شاء الله في

---

(١) انظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني (٢/ ٢٢٩).

(٢) جامع الدروس العربية (٢/ ١١٧).

(٣) انظر: التعريفات، للشريف الجرجاني ص١٥٦.

(٤) انظر: المرجع السابق.

هذا الكتاب.

وقولنا: (**ومعانيها التي تُحْمَل عليها حالة التركيب**)، ذكرنا أن (قال) لها معنى، (محمد) لها معنى، (قولًا جميلًا) لها معنى، فإذا جمعت هذا كله؛ إما أن يكون لهذا التركيب معنىً حقيقيّ متبادَر إلى الذِّهْنِ، أو أن يكون له معنىً مجازيّ، لم يُوضَعِ الوَضْعَ اللّغَوي مِنْ أَجْلِ استخدام هذا اللفظ هذا الاستخدام، وسَيأتِينَا إِن شاء الله تفصيل المَجَاز فِي النَّوْع الأَرْبَعِين فيما أذكر، والله أعلم.

وَقَالَ بَعْضُهُم: التَّفْسِيرُ: كَشْفُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَبَيَانُ المُرَادِ مِنْهُ، سَوَاءً كَانَتْ مَعَانِيَ لُغَوِيَّةً أَوْ شَرْعِيَّة، بِالْوَضْعِ أَوْ بِقَرَائِنِ الأَحْوَالِ وَمَعُونَة المَقَام.

أي: سواء كانت تلك المعاني معانيَ لغوية، فـ(معاني) خَبَر كان.

وقوله: (بالوضع) هناك وَضْع لُغَوِيّ ووضْع شرعي، والذي وضَعَ اللغة على الأرْجَح -والله أعلم- هو الله عز وجل، فكَثِير من العلماء رحمهم الله يُرَجّحون أن الله تعالى هو الذي وَضَعَ اللغة وعَلَّمَنا إياها، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، وبعض العلماء يَجْنَح إلى أن اللغة وضَعَهَا البَشَر؛ أي: تَعَارَفَ البَشَرُ على وَضْعِ لَفْظٍ لِشَيْء، فقالوا: هذا نتَعَارَف عليه أنه كتاب، وضَعْنَا لَهُ لفظة كتاب، قلنا: هذا كتاب. فهناك وَضْعٌ لُغَوِيّ ووَضْعٌ شَرْعِيّ، فالكِتَاب وضع لغوي، والوَضْع الشرعي، مثل عندما نبدأ الصلاة نقول: الله أكبر، فالشرع وَضَعَ لَفْظَةَ: (الله أكبر) وَضْعًا شَرْعِيًّا مِنْ عِنْدِهِ في بدء الصَّلَاة، فلا يَصِحّ أن نقول: اللهُ أَعْظَمُ، ولا يصح أن نقول: اللهُ أَجَلّ؛ لأن الشرع وَضَعَ هذه اللفظة فتسمى وضعًا شرعيًّا، وقد يكون الوضع الشرعي منقولًا مِنْ وَضْع لُغَوي، فإن الصلاة كانت

العرب تَعْرِفُهَا بمعنى الدعاء، فجَاءَ الشرع فوَضَع لكلمة الصلاة وَضْعًا شَرْعِيًّا بمعنى الهيئة المخصوصة التي تَبْدَأ بِالتَّكْبِير وتُخْتَم بالتسليم، فهذه اللفظة هي لَفْظَة شرعية منقولة مِنْ حَقِيقة لغوية موضوعة وضْعًا لُغَوِيًّا، ثم صَارَتْ في عرف الناس وضعًا شرعيًّا وضَعَهُ الشَّارع للدلالة على هذه الهيئة المخصوصة التي تبتدئ بالتَّكْبِير وتنتهي بالتسليم. هذه المعاني اللغوية والشرعية بالوضع؛ أي: لغوية بالوضع، أو شرعية بالوضع، أو بِقَرَائِنِ الأحوال ومَعُونَة المقام، أي: طَرِيقة سوق الكلام في كتاب الله تبارك وتعالى قد يَفْهَمُ منها المُفَسِّرُ مَا يُرِيد الله تبارك وتَعَالى، هذه هي قَرَائِن الأحْوَال، ومَعُونة المقام؛ أي: طَرِيقَة سَوْقِ الكلام، وسوق الآيات، وسَوْق الألفاظ في الآيات، فيَعْرِف المفسر بها كيف يُفَسّر كِتَاب الله تبارك وتعالى.

وَقَالَ قَوْمٌ: التَّفْسِيرُ بَيَانُ لَفْظٍ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا. هم الآن يفرقون بين التفسير والتأويل تفريقًا آخر، سبق أن قلنا: إن التفسير هو كشف معنى اللَّفْظَة بالآثار، والتأويل كَشْفُ مَعْنَاها بالدِّرَاية، والآن سيُفَرّق تفريقًا آخر، فيقول:

وَالتَّأْوِيلُ: تَوْجِيهُ لَفْظٍ يحتمل بِتَوْجِيهٍ إِلَى مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ. الذي في الهامش أفْضَل من الذي في المتن، فالذي في الهامش يقول: (**والتَّأْوِيل: تَوْجِيه لَفْظٍ يَتَوَجَّهُ -هذا اللفظ- إلى مَعَانٍ مخْتَلِفَة إلى واحد منها بأظهر ما عنده من الأدلة**) فالمفسر يأتي إلى لفظ يتَوَجّه إلى معانٍ عديدة، فيَخْتَار مَعْنًى مِنْ هَذِهِ المَعَانِي بأظْهَر مَا صَحَّ عِنْدَه من الأدلة، والأدلة سواءً كانت شرعية أو لغوية، هذا هو التأويل، وهذا هو الفرق بين التفسير والتأويل، والله أعلم[1].

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٩٢).

وَقَالَ المَاتُرِيدِيُّ: التَّفْسِيرُ: الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ المُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى اللهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا. بمراجعتي لكتب عديدة تبيّن لي أن هنا سقطًا والله أعلم: (**التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا** –سقطت كلمة (هذا)– **والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا**)[1]، أي: القطع على أن المراد من اللفظ الرباني القرآني هذا؛ أي: هذا الذي ذكره المفسر.

(**التفسير: القطع**) فالقَطْعُ: خَبَر للتفسير، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو القطع)، (**على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادةُ**) معطوفة على (القطع).

(**والشهادة على الله أنه عنى باللّفْظِ هذا**)؛ لذلك كان التفسير صَعْبًا ويتحَاشَاهُ الأئِمَّة.

فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ.

فإن قام دليل مقطوع به على هذا فصَحِيح يُقْبَل هذا التفسير. (**وإلا**) أي: وإن لم يَقُمْ دَلِيل على هذا فَهُو تفسير بالرأي مَنْهِيّ عنه عند الأئمة.

وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ المَنْهِيّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ: تَرْجِيحُ أَحَدِ المُحْتَمَلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى اللهِ. يعني: التفسير قطعٌ وشهادةٌ، أما التأويل فتَرْجِيح بدون قَطْع ولا شهادة على الله أنه أراد ذلك المعنى.

واخْتُلِفَ فِي جَوَازِ هَذَا، وَسَيَأْتِي فِي بَابِ مَنْ يُقْبَلُ تَفْسِيرُهُ. في الصفحة السابعة والعشرين بعد الثلاثمائة.

وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَوَزْنُهُ فُعْلَانُ كَالْغُفْرَانِ: قُرْآن فُعْلَان، قد ذكرنا قبل ذلك أن الكلام يُبْنَى فِي الأصل على فَعَلَ: فأَكَلَ على وزن فَعَلَ، كَتَبَ فَعَلَ، كُتِبَ فُعِلَ،

---

[1] قال السيوطي في الإتقان (٤/ ١٩٢): قال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا.

أُكِلَ فُعِلَ، وهنا القرآن على وزن فُعْلَان، فيُتَصَرف في تركيب هذه الكلمة (فعل) بحسب الكلمة الموزونة.

ونلاحظ أنهم في المعاجم يقولون: ككذا، لأنها غير مشكولة قد يصعب عليك أن تقرأها صحيحة، فقد تقول: فُعْلَان، وقد تقول: فِعلان، وقد تقول فُعَلان، فيقولون لك: كـ...، والكلمة التي تأتي بعد كـ... لا يُختلف في كيفية التلفّظِ بها، ما يمكن أن تُقرأ إلا هكذا، فيقولون: فُعْلَان كالغفران، والتَّفْسِرَة - مثلًا- كالتَّذْكِرَة، فيفسرون لك الكلمة عوضًا عن التشكيل؛ لأن التشكيل قد يخطئ فيه الشاكل، فَيُضَلّل الناس بهذا، لكن عندما تُقَيَّد الكَلِمة بكلمة معروفة عند الناس، يَسْهُل على الناس فَهْمُهَا وقِرَاءَتُهَا.

وَهُوَ فِي اللُّغَةِ الجَمْعُ، قَالَ الجَوْهَرِيُّ. -هو صاحب الصحاح الإمام المشهور-[1]: تَقُولَ: قَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا: إِذَا جَمَعْتَهُ وَضَمَمْتَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ[2]، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[3]: وَسُمِّيَ الْقُرْآنَ؛ لأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ وَيَضُمُّهَا، وَيَجْمَعُ الْعُلُومَ الْكَثِيرَةَ، وَأَنْوَاعَ الْبَلَاغَةِ. وَقِيلَ: مَأْخُوذٌ مِنْ قَرَنْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ. يعني: تُقرن السورة بالسورة، والآية بالآية.

هو الآن لم يذكر من تعريف القرآن إلا أنه مشتق مِنْ الفِعْل قَرَأَ، ولم يذكر بأنه قد ذهب أئمة كثيرون إلى أن القرآن ليس مُشْتَقًّا، بل هو علم على كتاب الله تبارك وتعالى. وكما أن التوراة اسم عَلَمٍ على ذلك الكتاب المُنَزّل على موسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل كذلك، فالقرآن كذلك، والذين ذهبوا إلى أنه

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠)، الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣).
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٦٥) مادة: قرأ.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٠).

ليس بمشتق قالوا: إنه ليس بمهموز في الأصل هكذا (القُرَان)، وذهب إلى ذلك الإمام الشافعي، وبه قرأ الإمام ابن كثير المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، على أن القران اسم غير مشتق(١).

وَأَمَّا فِي العُرْفِ، فَهُوَ: الْكَلَامُ المُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِلإِعْجَازِ بِسُورَةٍ مِنْهُ، فَخَرَجَ بِالمُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ: التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَسَائِرُ الْكُتُبِ، وَبِالإِعْجَازِ: الأَحَادِيثُ الرَّبَّانِيَّةُ -يقصد بالأحاديث الرَّبَّانِيَّة: الأحاديث القدسية- **كَحَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي...(٢) إلخ، وَغَيْرِهِ، وَالاقْتِصَارُ عَلَى الإِعْجَازِ وَإِنْ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِغَيْرِهِ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ المُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي التَّمْيِيزِ، وَقَوْلُنَا: بِسُورَةٍ مِنْهُ: هُوَ بَيَانٌ لأَقَلِّ مَا وَقَعَ بِهِ الإِعْجَازُ، وَهُوَ قَدْرُ أَقَلِّ سُورَةٍ كَالْكَوْثَرِ أَوْ ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ غَيْرِهَا بِخِلَافِ مَا دُونَهَا، وَزَادَ بَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ فِي الحَدِّ المُتَعَبَّدَ بِتِلَاوَتِهِ؛ لِيَخْرُجَ المَنْسُوخُ التِّلَاوَةِ.**

الأئمة يضعون حدودًا جامعةً مانِعَة، فيأتي الشارح ويقول: يقصد بكذا كذا، وتقييده كذا من أجل كذا، فهو عندما يقول: (المُنَزَّل على محمد) هذا قيد في تعريف القرآن، فَلَمْ يدخل في التعريف سائر الكتب المُنَزَّلة، وخَرَج بِقَيْدِ «الإعجاز» الأحاديث الربانية القدسية؛ فإنها لم تَنْزِلْ للإِعْجَازِ.

قال: (**وَالاقْتِصَارُ عَلَى الإِعْجَازِ -وَإِنْ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِغَيْرِهِ أَيْضًا-؛ لأَنَّهُ المُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي التَّمْيِيزِ**)، فلم ينزل القرآن للإعجاز فحَسْب، وإنما أُنْزِلَ للإعجاز وللهداية ولتثبيت فؤاد النبي ﷺ ولتثبيت الصحابة، وللأحكام

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٨١)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي ص٧٢٠.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)

وللتشريع، ولأسباب كثيرة، لَكِن الَّذِي نحتاج إليه الآن في التمييز والحَدّ والتَّعريف هي كلمة الإعجاز، هي أحوج ما نحتاج إليه؛ فلذلك وضعها في التعريف، بخلاف ما لو قال مثلا: نزل للأحكام، فإن الأَحَادِيث فيها الأحكام، وكذا لو قال: نزل للهداية، فالأحاديث القدسية نزلت للهداية أيضًا، وهكذا.

(**وَقَوْلُنَا: بِسُورَةٍ مِنْهُ: هُوَ بَيَانٌ لأَقَلِّ مَا وَقَعَ بِهِ الإِعْجَازُ**)، وهذه المسألة طويلة واختلفت فيها الأئمة، هل أقل الإعجاز بسورة قصيرة فقط، أو قدر أقل سورَة مثل الكوثر؟ وهل الإعجاز كائن في آيات أقَلّ مِنْ ذلك؟ بمعنى هل يكون الإعجاز في آية أو لا يكون؟ كَلَام طويل وليس هنا محله، والله أعلم.

والسُّورَةُ اخْتُلِفَ فِي اشْتِقَاقِهَا، فَقِيلَ: هِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ سُورِ الْبَلَدِ لارْتِفَاعِهِ، سُمِّيَتْ بِهِ؛ لارْتِفَاعِهَا وَشَرَفِهَا، وَقِيلَ: أَصْلُهَا: المَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ حَولَهَا[1] يَتَذَبْذَبُ

سُكِّنَت اللام في (مَلْكٍ) لضرورة الشعر، (**ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذب**)[2]؛ أي: يُحَاوِلُ أنْ يَقْتَرِبَ من تلك المنزلة الَّتِي حَبَاكَ اللهُ إياها. ويقال: إن النابغة قال ذلك للنعمان، وقيل: لهَرِم بن سنان أحد أشراف العرب.

(**وَقِيلَ: مِنْ سُؤْرِ الإِنَاءِ؛ أَيْ: بَقِيَّتِهِ**): وهنا قاعدة: كل كلمة تأتي بعد (أي) المُفَسِّرَة، فحُكْمُهَا الإعرابي حكم المفسرة له، فيقول: (**وَقِيلَ: مِنْ سُؤْرِ الإِنَاءِ؛ أَيْ: بَقِيَّتِهِ**)، فلَمَّا كانت (سؤرِ) مجْرُورَة كانت (بقية) مجرورة أيضًا.

وَقِيلَ: مِنْ سُؤْرِ الإِنَاءِ؛ أَيْ: بَقِيَّتِهِ؛ لأَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْقُرْآن. السُّؤْرُ[3]: هو ما

---

(١) في ديوان النابغة الذبياني (٢٨): «دونها»، وانظر: لسان العرب (٤/ ٣٨٦).

(٢) انظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (٤/ ٣٣٩).

يَتَبَقَّى، مثلما يقال: سُؤْر الهِرَّة طاهر؛ أي: ما يتبقى من شربها طاهر، وهَذَا المتبقي يُدعى سُؤْرًا، ولما كانت السورة جزءًا من القرآن دُعِيَتْ سؤرة بالهمز، ثم خُفِّفَ الهمز، فقيل: سُورَة[1].

فَعَلَى هَذَا أَصْلُهَا الهَمْزُ فَخُفِّفَتْ. وَحَدَّهَا بَعْضُهُمْ -حَدَّهَا؛ أي: عَرَّفَهَا بَعْضُهم، أي: عَرَّفَ السورة- **بِأَنَّهَا الطَّائِفَةُ المُتَرْجَمَةُ تَوْقِيفًا**. الطّائِفَة المترجمة يعني: الطّائفة المُسَمَّاة، أوِ المُعَنْوَنَة تَوْقيفًا من الشارع، أي: أوقف الشَّارِعُ الكريم الناس على اسْمِهَا: دَلّهم على اسمها، فالتَّوْقِيف: هو دلالة الشارع على شيء؛ يقال: أوقف الشارع الناس على معناه، وأوقف الشارع الناس على اسم السورة. أي: قال: اسم السورة كذا، هذا هو التوقيف؛ أي: لا مَجَالَ فِيهِ للاجْتِهَادِ.

أَي: المُسَمَّاةُ بِاسْمٍ خَاصٍّ. وَالآيَةُ قِيلَ: أَصْلُهَا أَيَّة. وهذه الكلمة في تصريفها ستة أقوال مذكورة في كتاب الأشْمُوني في شرح الألفية[2]. والذي يهمنا في شرح هذه الكلمة قوله: أصلها (أَيَّة) على فَعْلَة، لأن (أَيَّة) أربعة أحرف؛ لأن الياء المشددة بحرفين، وفَعْلَة أربعة، فأَيَّة على وزن فَعْلَة، على وزن تَمْرَة، فهو يقول: **أية كتمرة، قُلبت عينها ألفًا على غير قياس.** قد يكون الإبدال والقلب على قياس معين يقيسه علماء الصرف، أو على غير قياس؛ أي: شاذ، فالقياس مثل قولك: كل لفظة جاءت كذا تُعَامَل بكذا، فيقال: هي على القياس، وما جاء إبدالها وحذفها وإعلالها -أي: هذه اللفظة- على غير جادة؛ أي: على غير قياس، يقال عنها بأنها: أُبْدِلَتْ شُذوذًا، أو على غير قياس.

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٤٠٣).

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٤/ ١١٨).

وقيل: آئِيَة؛ كَقَائِلَة، حُذِفَتِ الهَمْزَةُ تَخْفِيفًا، وَقِيلَ غَيْر ذَلِكَ. إذا حذفت الهمزة من آئية تبقى آيَة، (**وقيل غير ذلك**) على ستة أقوال، مَنْ أَرَاد أن يَرْجِعَ إليها فليرجع إليها في شرح الأشموني على الألفية.

وَهِيَ فِي الْعُرْفِ: طَائِفَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مُتَمَيِّزَةٌ بِفَصْلٍ، والْفَصْلُ هُوَ آخِرُ الآيَةِ: آخر الآية يدعى: فصلًا، وهو ما يقابل القافية أو السجع، لكن القرآن وإن كان فيه سجعًا -كما سيأتي- لكنه لا يُدْعَى كذلك، ويقال: فاصلة؛ تشريفًا للقرآن وتمييزًا له عن الشعر، والله أعلم.

وَقَدْ تَكُونُ كَلِمَةً، مِثْل: وَالْفَجْر، وَالضُّحَى. أي: قد تكون الآية كلمة مثل: والفجر، فهذه آية، والضحى أيضًا آية، والعصر، وكذا الم، **وَطَه، وَيس وَنَحْوِهَا عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ. وَغَيْرُهُمْ** -أي: وغير الكوفيين- **لَا يُسَمِّيهَا آيَاتٍ، بَلْ هِيَ فَوَاتِحُ السُّورَةِ.** هنا بعض العلماء لا يعُدّون (والفجر) آية (والضحى) آية، و(الم) آية، وبعضهم يَعُدّها.

ومنشأ هذا الخلاف هو أن النبي ﷺ عندما نزل عليه القرآن وأقْرَأَهُ الصَّحَابَة كان يتوقف عند رؤوس الآي كما هو معلوم، فبعضهم سمع رسول الله ﷺ في حالة من حالات القراءة الكثيرة التي كان يقرأها على أصحابه يَقِفُ عند كلمة: والفجر، وبعضهم سمع رسول الله ﷺ يَصِلُ كلمة الفجر بما بعدها: (والفجر وليال عشر)، فالذي سمع رسول الله ﷺ وقف عند كلمة الفجر، قال: إن كلمة: (والفجر) آية، والذي سمع رسول الله ﷺ يَصِلُهَا قال: ليست آية، فنَشَأَ الخلاف من ذلك، وعلم عد الآي علم كبير له كتب كثيرة تَكَلَّمت عن آيات كتاب الله تبارك وتعالى، هل نعد هذه آية أو لا نعدها آية؟ هناك عد آي للمدنيين

وللمكيين، وللكوفيين وللبصريين ولأهل الشام، بل في أهل الشام أهل حمص لهُمْ عَدٌّ خَاصّ بهم، وهكذا.

(**وعن أبي عمرو الداني رَحِمَهُ اللهُ: لا أعْلَمُ كَلِمَة هي آية إلا قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾**)، هذا عند أبي عمرو رَحِمَهُ اللهُ، بينما عند غيره من العلماء: (والضحى) آية، (والفجر) آية، و(الم) آية... إلى آخر ما هنالك[1].



(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٣٠).

النوعُ الأوَّلُ والثانِي
المكيٌّ والمدنيٌّ

تكَلَّم السيوطي في أمور مهمة في هذا الباب، وترك أشياء هِيَ مِنَ الواضحات عندهم، ولكن لا بد من ذكرها، والتأكيد عليها، ألا وهي في بداية هذا الباب: مميزات المكي، ومميزات المدني[1]، فلم يأت عليها رَحِمَهُ اللَّهُ بوضوح، لكني أقول:

إن مِنْ أهَمّ مُمَيّزات المكي: أن الله تبارك وتعالى أَكَّدَ فيه أصول الإيمان الستة: «**الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى**»، فهذا كان من أهم المُهِمّات للقرآن المكي، فإن صحابة رسول الله ﷺ كان عدد كبير منهم حديثي عهد بالإسلام، فكان لا بُدّ مِنْ ذِكْرِ هذه الأمور لهم، وتعْمِيقِهَا في قلوبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان هذا إعدادًا واضحًا قويًّا لما سيأتي في المدينة من الفروض الثقيلة: من الجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفرض الزكاة، والحج، والصيام... إلى آخر ما شُرِعَ بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ومن مميزات القرآن المكي أيضًا: محاجّة المشركين، وبيان ضلالهم في عبادتهم الأصنام، فكان الله تبارك وتعالى يذكر لهم أنها لا تَضُرّ ولا تنفع، ويذكر لهم أحوال الأمم الأخرى الذين كانوا مثلهم يعبدون الأصنام، وكيف انتصر أنبياء الله تبارك وتعالى عليهم، وكيف نُكِّسَتْ أصنامهم.

ومن مميزات القرآن المكي أيضًا: أنه يقرع القلوب والوجدان، يزلزل

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور (٢/ ٥)، بيان المعاني (١/ ٢١).

الإنسان، يُذَكّره بخطر عذاب الله في الدنيا، أو خطر عذاب الله في الآخرة، ويُبَيّن له ذلك بشكل واضح عن طريق عرض قصص الأنبياء التي كانت لهذا السبب أيضًا، وكانَتْ لتثبيت فؤاد رسول الله ﷺ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، وكانت أيضًا تثبيتًا لأفئدة الصحابة رضي الله عنهم وتسلية لهم؛ فقد كان عدد كبير منهم يُعَذّبون في دين الله تبارك وتعالى، وكان ينالهم من المشركين الأذى العظيم والضرر الكبير، فكان لا بد من تسليتهم، ولا بد من تثبيت أفئدتهم، ولا بد من بيان أنهم ليسوا فقط هم الذين أوذوا في دين الله، بل كانوا حلقة في سلسلة طويلة، كلهم عُذّبوا وكلهم أوذوا، حتى أتاهم نصر الله تبارك وتعالى ولا مبدل لِكَلِمَات الله.

ومِنْ مميزات القرآن المكي: الدَّعْوَة إلى الفضائل العامة الكلية؛ من الصلاة والبر والعفاف والنَّهْي عن الظلم، والنهي عن الوَأْدِ، والحَثّ عَلَى مَكَارِم الأخلاق، فهذه كلها مميزات القرآن المكي، فكَانَ لهذا كله آيات قِصَار قوية تَقْرَع القلوب والوجدان كما أسلفت.

أما القرآن المَدَني ففي آياته طول، من أجل أنها تتحدَّث عن الشرائع: عن الجهاد، وعن الغنائم، وعن الزكاة، وعن فرض الصيام والأخطاء التي حَدَثَتْ من بعض الصحابة في الصيام، وكل هذا يتطلب آيات طويلات تتحدث عن هذا كله، فكان القرآن المدني كذلك، وفيه محاجة لأهل الكتابين: اليهود -على الأخص- والنصارى؛ أما اليهود فلسكنهم بجوار الصحابة رضي الله عنهم بالمدينة، فكان القرآن المَدَنِي كثيرًا ما يَتَكَلّم عن اليهود وغَدْرِهم وخيانتهم لأنبيائهم السابقين، وخيانتهم لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يؤمنوا به كما كانوا يتوعدون قبائل العرب

ويستفتحون عليها بذلك النبي الأمي ﷺ، فكانت الآيات المدَنِيَّات تحاج كثيرًا اليهود، وتذكر أيضًا كثيرًا من عقائد النصارى الزائفة، وفيها محاجة للمنافقين وفضح لهم، وذكر معايبهم على الوجه الأكمل الأتَمّ، بدون ذكر اسم أحد منهم، وكان هذا مِنْ تَمَام رحمة الله على عباده؛ لأن قليلًا مِنْهُم قد تاب وأناب ورَجَع إلى الجادة الإسلامية مَرَّة أُخْرَى.

هذه بعض مميزات المكي والمدني.

ولا بد أن يُعلم أن المستشرقين قد أثاروا في الأعْصُرِ الأخيرة -وخاصة في أوائل القرن الرابع عشر- زَوَابِع كثيرة، -كما هي عادتهم- ليس لها دليل، وليس لها رُكْن ركين ترتكن إليه، أثاروها بقوة عن طريق مجامعهم التي كانت منتشرة في مصر -في القاهرة بالذات-، وفي دمشق التي كانت تحت أيديهم محتلة، وفي العراق، وفي حواضر الإسلام، نشروا شبهات ليس عليها دليل واحد، إنما هي هواء كأفئدتهم، وهؤلاء القوم لا خلاق لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا مَنْ رحمه الله فاهتدى إلى الصواب، فأسلم، أو كان من طبعه الإنصاف، وقليل ما هم!

هذه الشبهات لا أذكرها ولا أتكلف الرد عليها؛ لأنها أضعف من ذلك بكثير، لكن مَنْ أراد أن يطلع على ذلك لغرض في نفسه لمحاجة أو لغير ذلك، فَعَلَيْهِ بكتاب «مناهل العرفان» للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ[1]؛ فقد أجاد وأفاد، وعليه أيضًا بكتاب الدكتور الذي قُتِلَ بأيدٍ آثمة في حرب لبنان الأخيرة، الدكتور صبحي الصالح رَحِمَهُ اللَّهُ «مباحث في علوم القرآن»، فقَدْ ذَكَر في

(١) الأعلام، للزركلي (٦/ ٢١٠).

كتابه جملة مِنْ هَذِه الشبهات، وأجاد في الرَّدَ عليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأيضًا: «المدخل إلى علوم القرآن الكريم» لأبي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ إذ قد توفي قبل سنتين تقريبًا، وهذا الشيخ قد أجاد جدًّا في رَدّ شُبُهَاتِهِم، وإن كنت لا أميل لذكرها ليس لقوتها، بل لضعفها وخوائها، وعدم الدليل فيها لكل متأمل منصف إن شاء الله تبارك وتعالى.

ثم ذكر السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَهَمِّيَّة معرفة القرآن المكي والمدني، فذكر في أول النوع أنه لمعرفة تأخير النَّاسِخ عن المنسوخ(١)، ولا شَكَّ أن لمعرفة تاريخ تنزّل القرآن ومعرفة المكي منه والمدني مدخلًا كبيرًا لمعرفة الناسخ منه والمنسوخ، فتُعْرَف قواعد الشرع على الوجه الأكمل الأضبط الأتَم، وسنذكر ذلك إن شاء الله.

وفاته أن يذكر أيضًا حكمة الله تبارك وتعالى في التدرج في التشريع(٢)، فإن الله تبارك وتعالى قد ذَكَرَ أحكامه هَيِّنَةً لَيِّنَةً في كتابه، متدرجة للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من الكمال إلى الأكمل.

تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فيما رواه البخاري: «**وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا**»(٣).

ورسول الله ﷺ يقول لعائشة: «**لولا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثو عَهْد لنقضت الكعبة**

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦).
(٢) انظر: أصول في التفسير، للعلامة العثيمين ص١٧.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٩٣).

وبنيتها على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام»[١].

فَمِنْ مُمَيِّزَات معرفة القرآن المكي والمدني: مَعْرِفة التدرّج في التَّشْرِيع، وحكمة الله تبارك وتعالى في ذلك.

ثُمَّ إِنَّ من أهميته: معرفة اهتمام الصحابة ﷺ والتابعين بضبط هذا الأمر، بل كانوا يهتمون بأقل من ذلك بِكَثِير، فكان السلف يهتمون بعدد حُرُوفِ القرآن الكريم وعدد كلماته، فَسَجَّلُوا كم كلمة في القرآن، وكم حرفًا فيه، بل قد تَعَدّوا ذلك إلى معرفة كَمْ ضَمّة في القرآن وكَمْ فَتْحَة وكم كسرة، فكيف يُغَيّر هذا القرآن العظيم؟!! أم كيف يلعب به لاعب؟! معاذ الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٢].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَهُمَا نَوْعَانِ مُهِمَّانِ؛ إِذْ يُعْرَفُ بِذَلِكَ تَأْخِيرُ النَّاسِخِ عَنِ المَنْسُوخِ.**

هذه المسألة تشتبه بالمسألة التي ذكرها المحقق في الهامش؛ حيث ذكر نقلًا عن السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإتقان: «أفْرَدَهُ بالتَّصْنِيف جماعة، منهم المَكّي والعِزّ الدَّيْرِينِي»[٣] العز؛ أي: عز الدين، وكانوا يختصرون عز الدين، فيقولون: العِزّ، ومُحْيِي الدين، فيقولون: المحيي، وهكذا يختصرون الألقاب.

«وَمِنْ فَوَائِدِ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ: الْعِلْمُ بِالْمُتَأَخِّرِ فَيَكُونُ نَاسِخًا، أَوْ مُخَصِّصًا عَلَى رَأْيِ مَنْ يَرَى تَأْخِيرَ الْمُخَصِّصِ»[٤].

والأَحْنَاف لا يرون تأخير المخصص، أي: إذا جاءت آية عامة، ثُمَّ جَاءَ بعد

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٥٨٣)، ومسلم (١٣٣٣).

(٢) سورة الحجر، آية (٩).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦).

(٤) المصدر السابق.

ذلك حَدِيث أو آيَة تُخَصِّص هذه الآية العامة فَإِنَّ الأحناف يعدون ذلك ناسخًا لا مخصصًا؛ إذ من شرط المخصّص عندهم أن يقارن المُخَصِّصُ المُخَصَّصَ؛ أي: أن تنزل الآية العامَّة وفي الوقت نفسه تقريبًا تنزل مَعَهَا الآيات المُخَصِّصَة لها، أو أن يذكر رسول الله ﷺ من الأحاديث ما يُخَصّص هذه الآية العامة، والجمهور يعدونه مخصّصًا، ولا يَرَوْنَ بأسًا في ذلك(١).

وسوف يأتي تفصيل ذلك كله إن شاء الله في بيان بَحْث العام من هذا الكتاب على التفصيل.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الاصْطِلَاحِ فِيهِمَا، فَالمَشْهُورُ أَنَّ مَا نَزَلَ قَبْلَ الهِجْرَةِ مَكِّي، وَمَا بَعْدَهَا مَدَنِي، سَوَاء نَزَلَ بِمَكَّةَ أَوْ بِالمَدِينَةِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الأَسْفَارِ. وَقِيلَ: المَكِّيُّ: مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَلَوْ بَعْدَ الهِجْرَة، وَالمَدَنِيُّ: مَا نَزَلَ بِالمَدِينَةِ.

فهنا اصطلاحان للمصنفين: اصطلاح يلاحظون فيه الزمان، واصْطِلَاحٌ آخر يُلَاحِظُون فيه المكان، أما الاصطلاح الذي يلاحظون فيه الزمان فهو جعلهم الهجرة فاصلًا بين القرآن المَكّي والمَدَنِي، لا يهمهم أين نزل ذلك القرآن، ولكن يهمهم زمان نزول ذلك القرآن. وأما الاصطلاح الذي يلاحظون فيه المكان، فيقولون: المَكّي: مَا نَزَلَ بمكة ولو بَعْدَ الهِجْرَةِ؛ أي: حال الفتح، والمدني مَا نَزَلَ بالمدينة وضواحيها(٢).

وهنا يَرِدُ اعْتِرَاض على الاصطلاح الثاني، وهو: ماذا نفعل بقرآن نزل ليس في المدينة وضواحيها وليس في مكة وضواحيها ؟

---

(١) انظر: الأحكام للآمدي (٣/ ٤٩)، نفائس الأصول في شرح المحصول، للقرافي (٤/ ١٧٦٧).
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٧)، مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١/ ١٩٣).

يقول: **قُلْتُ: وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ ثَبَتَتِ الْوَاسِطَةُ.** أي: ثَبَتَ وُجُودُ قُرْآن ليس بمكي وَلَا مَدَنِي، أي: لم يتنزلْ في مَكَّةَ، ولَمْ يَتَنَزَّلْ في المَدِينَة، هذه هي الواسطة، فَلْيُفْهَمْ هذا؛ لأنه ستتعلق بها المباحث الآتية.

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: وَيُؤَيِّدُ الأَوَّلَ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى أَنَّ المَائِدَةَ مَدَنِيَّةٌ، مَعَ أَنَّ فِيهَا مَا نَزَلَ بِعَرَفَاتٍ. فيُؤَيِّدُ ما ذهب إليه العلماء الذين اصطلحوا الاصطلاح الزماني أنَّ المائدة مَدَنِيَّة بإجماع أهل العلم بالمكي والمدني، مع أن فيها ما نَزَلَ فِي حَجَّةِ الوداع كما سيأتي، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١).

قُلْتُ: الْعَجَبُ مِنْهُ أَنَّهُ ادَّعَى هُنَا الإِجْمَاعَ، ثُمَّ فِي آخِرِ النَّوْعِ اسْتَثْنَى مِنْهَا النَّازِلَ بِعَرَفَاتٍ.

عنده -أي: البلقيني- في كتابه الذي ذكرناه اسْتَثْنَى مَا نَزَل بِعَرَفات وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فهُنَا السيوطي يتَعَجَّب من هذا.

وَقَالَ: إِنَّهُ عَلَى الاصْطِلَاحِ الثَّانِي، فَأَيْنَ الإِجْمَاعُ؟

(**وقال: إنه على الاصطلاح الثاني**)؛ أي: على ثبوت الواسِطَة، يتعجب السيوطي هنا في موضع لا عَجَبَ فِيه! فالبلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن شيء، والسيوطي يظنه شيئًا آخر، البلقيني يُؤَيِّدُ مَذْهَب أهل الاصطلاح الأول: أن المائدة مَدَنِيَّة، مع أن فيها آية إِكْمَال الدِّين، هذا كل ما قاله البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعني: مع أن فيها هذه الآية، فالسورة مدنية، وهذا لا غبار عليه.

---

(١) انظر: مواقع العلوم في مواقع النجوم، للبلقيني (٣١).

والسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَعَجَّبُ من ذلك، وقد ذكرنا أنَّ السيوطي أَلَّف هذا الكتاب في أوائل عمره؛ إذ أَلَّفَه سَنَة اثنتين وسبعين وثمان مئة، وقد ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة تسع وأربعين وثمان مائة، فألفه في أوائل عمره، فيقول: العجب منه أنه ادَّعَى هنا الإجماع على أن هذه السورة مدنية، ثم في آخر النوع -أي: المكي والمدني- من كتابه استثنى منها النازل بعرفات، وقال: إنه على الاصطلاح الثاني[1]، فأين الإجماع؟ نعم، هو استثنى منها النازل، لكن جعل ذلك المستثنى دليلًا لأهل الاصطلاح الأول، ولم يجعله مناقضًا للإِجْمَاع الذي ذكره، فالسيوطي يتكَلَّم في مسألة لا أظن البلقيني قد تورَّطَ فِيها، والله أعلم، وهو إجماعه عَلَى أن هذه السورة مدنية.

ثُمَّ قَالَ: وَقِيلَ: المَدَنِيُّ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً.

هُنَا سيرد خِلَاف في تَعداد المكي والمدني، وهذا خِلَاف لَا يَضُرّنا؛ لأنه ليس فيه قول متكئ على توقيف من الله تبارك وتعالى أو من رسوله ﷺ، إنما هو اجتهاد من الصحابة الذين رأوا تَنَزُّلَ القُرْآن، وسَمِعوا تَنَزّلات القرآن، ومِنَ التَّابِعِين الذين أخذوا عن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو اجتهاد محض إلا القليل منه، فَقَدْ يَظن الصحابي أنَّ هذه الآية تنزل لأول وهلة -كما سيأتي إن شاء الله- وهي قَدْ تَنَزَّلَتْ قبل ذلك بزمان مَدِيد، ويحدث هذا على مسألة تكرار النزول، فإن بعض الآيات قد كُرِّرَ نُزُولها، ويَتَكَرَّر هذا النزول إِمَّا تأكيدًا على أهَمِّية هذه الآية، أو أنه قد جاء في مقام ما يجعل من المهم جِدًّا أن تَتَنَزّل هذه الآية مَرَّة أخرى تأكيدًا على ذلك المقام، فهَذَا لا شيء فيه، فالأمر اجْتِهَادِيّ محْض إلا

---

(١) قال البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد قيل: إن سورة المائدة مدنية، إلا الآية النازلة بعرفات، وهذا أيضًا على الاصطلاح الثاني. مواقع العلوم (٣٤).

القليل منه، فلا يضرنا ذلك الاختلاف، ولكنه يحتاج إلى ضَبْط سَيُضْبَطُ لاحقًا بإذن الله[١].

الْبَقَرَةُ، وَثَلَاثٌ تَلِيهَا -بترتيب القرآن المعروف اليوم- **وَالأَنْفَالُ، وَبَرَاءَةٌ، وَالرَّعْدُ، وَالحَجُّ، وَالنُّورُ، وَالأَحْزَابُ، وَالْقِتَالُ، وَالْفَتْحُ، وَالحُجُرَاتُ، وَالحَدِيدُ وَالتَّحْرِيمُ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالْقِيَامَةُ، وَالزَّلْزَلَةُ، وَالنَّصْرُ، وَمَنْ عَدَّهَا لَمْ يَذْكُرِ الْفَتْحَ.** أي: الَّذِي يَعُدّ النصر مَدَنِية لا يَعُدّ الفَتْح مدنية؛ لتكْمُلَ خمسًا وعشرين سُورَة، فإذا عَدَدْنَا النصر والفتح فستكون ستًّا وعشرين سورة، وإذا لم نَعُد إلا واحدة منهما فسيكون العدد خمسًا وعشرين سورة، هذا معنى قوله: **(ومَنْ عَدَّهَا لم يذكر الفتح)** أي: لم يذكر أنها مَدَنِيَّة. **وَهِيَ سَفَرِيَّةٌ.** أي: الفتح سفرية، في الحديبية. **وَالمَشْهُورُ أَنَّ القَدْرَ والمُعَوِّذَتَيْنِ مَدَنِيَّاتٌ.** سميت (المعوّذَتَيْن)؛ لأنها نزلت تُعَوّذ رَسُول الله ﷺ من سِحْرِ ذلك اليهودي الخبيث، والمُعَوِّذَة بكسر الواو، وذهب بعض العلماء أنها بالفتح، ومن أشهرهم ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ في شَرْحِه الأذكار للنووي، لكن ذهب الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على القاموس إلى أن الصواب هو بالكسر، وما عداه خطأ[٢].

وَأَنَّ الرَّحْمَنَ، وَالإِنْسَانَ، وَالإِخْلَاصَ مَكِّيَّاتٌ، وَقِيلَ: الحَجُّ، وَالحَدِيدُ، وَالصَّفُّ، وَالتَّغَابُنُ، وَالْقِيَامَةُ، وَالزَّلْزَلَةُ مَكِّيَّاتٌ. وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْفَاتِحَةَ مَدَنِيَّةٌ، وسيأتي دَلِيلهم بعد صفحات معدودات.

وَقَالَ آخَرُونَ: نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَ نِصْفُهَا بِمَكَّةَ وَنِصْفُهَا

---

(١) انظر: البيان في عد آي القرآن (٨٣).

(٢) انظر: تاج العروس (٩/ ٤٤٤).

بِالمَدِينَةِ. وكل هذه الأقوال ليس عليها دليل، وإنما حكاها أَئِمَّة مِنْ أَئِمَّةِ الإِسْلَام إرسالًا هَكَذا بدون دليل، إنما الدليل على أنها مدنية، وسيأتي إن شاء الله، وهُنَاكَ دَلِيل جاء به المصنف رَحِمَهُ اللهُ على أنها مدنية، وسَتُذكر علته في مكانه بإذن الله.

وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ بْنُ الحَصَّارِ فِي كِتَابِهِ «النَّاسِخُ وَالمَنْسُوخُ»: المَدَنِي عِشْرُونَ سُورَةً، وَنَظَمَهَا مَعَ السُّوَرِ المُخْتَلَفِ فِيهَا فِي أَبْيَاتٍ، فَقَالَ شِعْرًا.

أبو الحسن الحصار رَحِمَهُ اللهُ من علماء المسلمين أندلسي الأصل، و«الناسخ والمنسوخ» هذا كتابه(١).

فقال شعرًا؛ أي: نظمًا، فنَظَمَ السور التي هي مدنية صِرْفة لا خلاف فيها في رأيه، والسور التي فيها خلاف، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

يَا سَائِلِي عَنْ كِتَابِ اللهِ مُجْتَهِدًا ... وَعَنْ تَرَتُّبِ مَا يُتْلَى مِنَ السُّوَرِ
وَكَيْفَ جَاءَ بِهَا المُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍ ... صَلَّى الإِلَهُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ
وَمَا تَقَدَّمَ مِنْهَا قَبْلَ هِجْرَتِهِ ... وَمَا تَأَخَّرَ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرِ
لِيَعْلَمَ النَّسْخَ وَالتَّخْصِيصَ مُجْتَهِدٌ ... يُؤَيِّدُ الحُكْمَ بِالتَّارِيخِ وَالنَّظَرِ
تَعَارَضَ النَّقْلُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَقَدْ ... تُؤُوِّلَتِ الحِجْرُ تَنْبِيهًا لِمُعْتَبِرِ
أُمُّ الْقُرَانِ وَفِي أُمِّ الْقُرَى نَزَلَتْ ... مَا كَانَ لِلْخَمْسِ قَبْلَ الحَمْدِ مِنْ أَثَرِ
لَوْ كَانَ ذَاكَ لَكَانَ النَّسْخُ أَوَّلَهَا ... وَلَمْ يَقُلْ بِصَرِيحِ النَّسْخِ مِنْ بَشَرِ

---

(١) هو: علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي، أبو الحسن، الحصار: فقيه إشبيلي الأصل، منشأه بفاس. سمع بها وبمصر وغيرهما. وجاور بمكة، وتوفي بالمدينة، له كتب في «أصول الفقه» وكتاب في «الناسخ والمنسوخ» سمعه منه الحافظ المنذري، و«البيان في تنقيح البرهان» وغيرها. توفي [٦٠٩هـ] انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٣٣٠).

وَبَعْدَ هِجْرَةِ خَيْرِ النَّاسِ قَدْ نَزَلَتْ   عِشْرُونَ مِنْ سُوَرِ الْقُرَآنِ فِي عَشْرِ[١]

قوله: (**وكيف جاء بها المختار من مضر**)، مُضَر وربيعة وإياد وأنمار هؤلاء الأربعة أولاد نِزَار بن معد بن عدنان، وهؤلاء أشهر أصول قبائل العرب، والنبي ﷺ من مضر الذي هو ينتمي إلى إلياس[٢].

ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لِيَعْلَم النَّسْخَ وَالتَّخْصِيصَ مُجْتَهِدٌ   يُؤَيِّدُ الحُكْمَ بِالتَّارِيخِ وَالنَّظَرِ

هذه مُهِمّة المجتهد، يعني: الناسخ والمنسوخ، ما الذي تقدم وما الذي تأخر لا بد أن يعرف المجتهد هذه.

تَعَارَضَ النَّقْلُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَقَدْ   تُؤُوِّلَتِ الحِجْرُ تَنْبِيهًا لِمُعْتَبِرِ

بعد التفكير في هذه الأبيات انقدح في ذهني والله أعلم ما يلي: أن الله تبارك وتعالى يقول في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ التي هي الفاتحة، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، يقول ابن الحَصَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تؤولت الحجر) أي: تُؤول ما في الحجر مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ على أنه الفاتحة، يقول: ذلك؛ لأن بعض الناس يقول: إن الفاتحة مدنية، فيقول له ضمنًا: ثَبَتَ أن هناك صلاة في مكة، ولو كانت الفاتحة مدنية لكان هناك صلاة بغير فاتحة، ولم يُحْفَظ أن هناك صلاة في الإسلام بغير فاتحة، فهذا دليل من القرآن أن الفاتحة مَكّية، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لو كان ذاك لكَانَ النسخ أولها**)، أي: لكان النسخ دخل على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ وأن هذه السبع المثاني قد دخلها النسخ –

---

(١) هذه الأبيات ذكرها السيوطي في الإتقان (١/ ٤٤-٤٥).

(٢) انظر: صفة جزيرة العرب، للهمداني (١/ ٤٦).

سورة جاءت ثم نُسِخَتْ وأُزِيلَتْ قراءتها من المصحف، كما أزيلت قراءة بعض الآيات- يقول: (لو كان ذاك لكان النسخُ أوَّلها).

(**ما كان للخَمْسِ قَبْلَ الحَمْدِ مِنْ أَثَرِ**)؛ ما كان للخمس؛ أي: الصلوات قبل أن تُفْرَضَ سورة الفاتحة مِنْ أثَر، لو كان ذاك؛ أي: لو كان الناس يُصَلّون قبل نزول الفاتحة (لكان النسخ) أول ما في سورة الحجر، ولمَّا لَمْ نَعْلَم ناسِخًا أبدًا دَخَلَ على هذه السورة ولم يقل به أَحَدٌ مِنَ المسلمين صَحَّ أن المراد في الحجر بالسبع المثاني هي الفاتحة [١].

(**وَلَمْ يَقُل بِصَرِيحِ النَّسْخِ مِنْ بَشَرِ**) الذي انقدح في ذهني -والله أعلم- أن الصلوات الخمس فرضت في مكة، ولم يُحْفَظ أنه كان يُصَلّى بغير الفاتحة، ولَوْ لم تكن الفاتحة مَكّيَّةً لتأَوَّلْنَا آية الحِجْر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [**الحجر**: ٨٧] تأوِيلًا آخر؛ لأنَّ الحِجْرَ مكية، وهذا دليل على أن الفاتحة مكية، فلو لم تكن الفاتحة مكية لقلنا: إنَّ هَذِهِ الآيات في أمْرٍ غَيْر الفاتحة، ولما لَمْ نَعْرِف أن هناك سَبْعًا مِنَ المثاني غير الفاتحة، ولم يدخل تلك الآية نَسْخ، فَدَلَّ على أن المراد هو سورة الفاتحة قَطْعًا، والله أعلم.

وَبَعْدَ هِجْرَةِ خَيْرِ النَّاسِ قَدْ نَزَلَتْ عِشْرُونَ مِنْ سُوَرِ الْقُرَآنِ فِي عَشْرِ

أي: في عَشْر سنوات.

فَأَرْبَعٌ مِنْ طِوَالِ السَّبْعِ أَوَّلُها وَخامِسُ الخَمْسِ فِي الأَنْفَالِ ذي الْعِبَرِ

وَتَوْبَةُ اللهِ إِنْ عَدَّدْتَ سَادِسَةً وَسُورَةَ النُّورِ والأَحزَابِ ذِي الذِّكَرِ

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤٦).

وَسُــــورَة لِنَبِــــيِّ اللهِ مُحْكَمَـــــةٌ   وَالْفَـتْحُ وَالحُجُـرَاتُ الْغُـرُّ فِـي غَـرَرِ

(وسورة لنبي الله محكمة) أي: سورة القِتَال، أو سورة محمد ﷺ.

ثُــمَّ الحَدِيــدُ وَيَتْلُوهَــا مُجَادَلَــةٌ   وَالحَــشْرُ ثُــمَّ امْتِحَــانُ اللهِ لِلْبَــشَرِ

امتحان الله للبشر؛ أي: سورة الممتحنة.

وَسُــورَةٌ فَــضَحَ اللهُ النِّفَــاقَ بِهَــا   وَسُــورَةُ الجُمْـعِ تِــذْكَارٌ لِمُــدَّكِرِ

وَلِلطَّــلَاقِ وَلِلتَّحْــرِيمِ حُكْمُهُمَــا   وَالنَّـصْرُ وَالْفَـتْحُ تَنْبِيـهٌ عَـنِ الْعُمُـرِ

(وسورة فضح الله النفاق بها) هي سورة المنافقين.

(وَالْفَتْحُ تَنْبِيهٌ عَنِ الْعُمُرِ)، أي: أن الفتح فيها تنبيه على انقضاء عمره الشريف ﷺ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النصر والفتح تنبيه على انْقِضَاء عمر النبي ﷺ[1]، هذا هو المقصود.

هَــذَا الَّــذِي اتَّفَقَــتْ فِيـهِ الـرُّوَاةُ لَـهُ   وَقَـدْ تَعَارَضَــتِ الأَخْبَـارُ فِـي أُخَـرِ

يعني: العشرين سورة لا خلاف فيها، (وقد تعارضت الأخبار في أخر) سيذكرها الآن في الأخبار المتعارض فيها.

فَالرَّعْـدُ مُخْتَلَـفٌ فِيهَـا مَتَـى نَزَلَـتْ   وَأَكْثَـرُ النَّـاسِ قَـالُوا: الرَّعْـدُ كَـالْقَمَرِ

أي: الرعد مكية؛ لأنَّ القمر متفق عليها أنها مَكّية، فأكْثَر الناس قالوا: الرعد مكية كالقمر.

وَمِثْلُهَــا سُــورَةُ الــرَّحْمَنِ شَــاهِدُهَا   مِمَّـا تَـضَمَّنَ قَـوْلَ الجِـنِّ فِـي الخَبَـرِ

يعني: أن النبي ﷺ عندما أقرأ الصحابة سورة الرحمن، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٢٧).

«ما لي أرى الجن أَحْسَنَ جوابًا منكم؟!» عندما قالوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ – رَبَّنَا – نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ»(١)، وقصة الجن متفق عليها أنها في مكة.

والَّذِي هُوَ أَصْرَحُ مِنْ هَذا: ما أَخْرَجَه الإمام أحمد بِسَنَدٍ جَيِّد عَنْ أَسْمَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ وَهُوَ يُصَلِّي نَحْوَ الرُّكْنِ قَبْلَ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا يُؤْمَرُ، وَالْمُشْرِكُونَ يَسْتَمِعُونَ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سورة الرحمن](٢).

كان يُسْمِع الكافرين الرَّحْمَن قبل أن يَصْدع بما يؤمر، وقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ في سورة الحِجْر وهي مكّيَّة اتفاقًا، فوضح من ذلك أن سورة الرحمن مكية.

وَسُورَةٌ لِلْحَوَارِيِّينَ قَدْ عُلِمَتْ ... ثُمَّ التَّغَابُنُ وَالتَّطْفِيفُ ذُو النُّذُرِ
وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْ خُصَّتْ بِمِلَّتِنَا ... وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا الزِّلْزَالُ فَاعْتَبِرِ

ذكر في الهامش تَكْمِلَةً وجيهة كان من المفْرُوض أن يضعها في المتن، يقول: (**وليلة القدر قد خُصَّتْ بِمِلَّتِنَا ولَمْ يَكُنْ بَعْدَها الزلزال فاعتبر**).

ولم يكن؛ أي: لم يكن الذين كفروا؛ لأن النبي ﷺ قال لِأُبَيّ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**»(٣) وأُبيٌّ من الأنصار، فهذه السورة مَدَنِيَّة، واسْتَدَلّ مَنْ قَال: مَدَنِيَّة بِهَذَا الخبر.

ثم الزلزلة، وفي قِصَّة أبي سَعِيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تبارك وتعالى:

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٢٩١) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩١٤)

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٩٥٥). قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٩، ٤٩٥٩)، ومسلم (٧٩٩).

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾، فسأل رَسُولَ الله ﷺ عن مثاقيل الذر...»[1] فهذه قصه معروفة لأبي سعيد الخدري، وأبو سعيد الخدري معروف أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ المدينة، دل على أن هَذِهِ السورة مدنية[2].

وَقُلْ هُوَ اللهُ مِنْ أَوْصَافِ خَالِقِنَا وَعُوذَتَانِ تَرُدّ البَاسَ بِالْقَدَرِ

(وقل هو الله من أوصاف خالقنا) جَاءَ فيها أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عَنْ وَصْفِ الله تبارك وتعالى، فنزلت: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وجاء فيها أنها من سؤالات مشركي مَكَّةَ، كَمَا سَيَأْتِي[3].

(وعُوذتان ترد البأس بالقدر) أي: المُعَوّذَتان[4] -كما هو معروف- ترد

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣٤٥٦) رقم (١٩٤٣٩) عن ابن لهيعة، أخبرني هشام بن سعدٍ عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدري قال: لما نزلت ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ قلت: يا رسول الله، إني لراءٍ عملي؟ قال: نعم، قال: تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم. قلت: الصغار الصغار؟ قال: نعم. قلت: واثكل أمي؟ قال: «أبشر يا سعيد، فإن الحسنة بعشر أمثالها- يعني: إلى سبعمائة ضعفٍ ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر الله، ولن ينجو أحدٌ منكم بعمله» قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمةٍ». قال أبو زرعة: لم يرو هذا غير ابن لهيعة.

(٢) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٥٤): سورة الزلزلة فيها قولان، ويستدل لكونها مدنيةً بما أخرجه ابن أبي حاتمٍ عن أبي سعيدٍ الخدري قال: «لما نزلت: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ الآية، قلت: يا رسول الله! إني لراءٍ عملي...» الحديث. وأبو سعيدٍ لم يكن إلا بالمدينة، ولم يبلغ إلا بعد أحدٍ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦٤)، قال الألباني: حسن دون قوله: «والصمد الذي...». انظر: ضعيف سنن الترمذي (ص٤٣٩).

(٤) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٢٠٥٨)، وابن ماجه (٣٥١١)، من طرق: عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ، قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان، أخذهما وترك ما سوى ذلك.

البأس بقدر الله تبارك وتعالى.

وَذَا الَّذِي اخْتَلَفَتْ فيه الرُّوَاةُ لَهُ ... وَرُبَّمَا اسْتُثْنِيَتْ آيٌ مِنَ السُّوَرِ

وَمَا سِوَى ذَاكَ مَكِّي تَنَزُّلُهُ ... فَلَا تَكُنْ مِنْ خِلَافِ النَّاسِ فِي حَصَرِ

(فِي حَصَرٍ) أي: في ضيق صَدْرٍ وَحَرَجٍ.

فَلَيْسَ كُلُّ خِلَافٍ جَاءَ مُعْتَبَرًا ... إِلَّا خِلَافًا لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

هذا البيت الأخير قد اسْتَدَلَّ بِهِ كثير من أئمة المصنفين، وهو لابن الحصار رَحِمَهُ اللَّهُ، تَرَوْنَه كثيرًا في كتب الأئمة المصنفين.

وَقَدْ رُوِّينَا مِنْ طُرُقٍ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. يجوز (رَوَيْنَا) -بفتح الراء والواو- والإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ يذهب إلى أنها رُوِّينا -بضم الراء وتشديد الواو مكسورة- وهي -والله أعلم- أَحْسَن وأَفْضَل؛ أي: عَنْ طَرِيق مشايخنا رحمهم الله رُوِّينَا هكذا[1].

وقَدْ رُوِّينَا مِنْ طُرُقٍ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَدَّ المَكِّيِّ وَالمَدَنِيِّ، فَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: أَخْبَرَنَا أبو عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ... الفرق بين أخبرني وأَخْبَرَنا يَتَّضِح في دِقَّةِ المحدثين؛ فـ(أخبرنا)؛ أي: كنا مجموعة، أما (أخبرني) أي: كُنتُ أنَا وهو بِمُفْرِدِنَا فَأَخْبَرَني بذاك، وهذا من دِقَّتِهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[2].

وكان الورق غاليًا وعزيزا، وكان المحدثون رحمهم الله تبارك وتعالى يَحْمِلُون كتبهم على ظهورهم مسافات طويلة جِدًّا، ويطوفون بها شَرْقَ البلاد وغربها، فكانوا يحرصون على الاختصار قَدْرَ الإمكان، فكان النُّسَّاخ -كما ذكر

---

(١) انظر: رسالة العلامة عبد الغني النابلسي «إيضاح ما لدينا في قول المحدثين: روينا» وتطريز الشيخ صالح العصيمي لها.

(٢) انظر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر، للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (ص١٥٧).

ذلك ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ في «مقدمته»[١]، وذكر ذلك الخطيب البغدادي في «جامعه»[٢] -يحرصون على الاختصار؛ توفيرًا للورق؛ لأن ثمنه غال، وَهُوَ عَزِيز نَادِر، وتَخْفِيفًا مِنْ وَزْنِه وحمله، ومن هذه الاختصارات أنهم يحذفون قوله: (قال)، لكنك عندما تقرأ لا بُدّ أن تثبتها.

فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال البيهقي في دلائل النبوة[٣]: أَخْبَرَنَا أبو عبد الله الحافِظ، قال:** فلا بُدَّ أن تذكرها لسانًا، لكنهم كانوا يحذفونها اختصارًا. **أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدِ ابْنُ زِيَادٍ الْعَدْلُ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، أخْبَرَنا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الدَّوْرَقِيِّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ الْخُزَاعِيُّ،** هذا الشهيد الذي قُتِلَ في فتنة خلق القرآن، وقصته مشهورة مع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[٤].

وهنا فائدة نتوقف عندها قليلًا:

قاعدة: الأسماء في سياق النسب لا تُنَوَّن؛ لأن الأسماء مُنَوَّنَة مَا لَمْ تمنع من الصرف أو تضاف، وهذه قاعدة معروفة، فإذا مُنِعَتْ من الصرف أو أضيفت ذَهَبَ تَنْوِينُها[٥]، وإذا كانت في سياق النسب كذلك، تقول: أخبرنا عليُّ ابن -بدون تنوين- ثم الاسم الأخير الذي يأتي قَبْلَ النسب يُنَوَّن، فتقول: أخبرنا أحمدُ ابن نصرِ بن مالكٍ الخزاعيّ، آخر اسم في سياق النسب قبل ذكر اللقب يُنَوَّنُ.

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ أَبِيه، حَدَّثَنِي يَزِيدُ النَّحْوِي، عَنْ عِكْرِمَةَ

---

(١) ويسمي أيضًا بـ«علوم الحديث».

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ١٤٢).

(٤) انظر في قصة محنته على التفصيل: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٦).

(٥) انظر: شذور الذهب (١/ ٢٥٩).

والحَسَنِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ -هو الحسن البَصْرِي رَحِمَهُ اللهُ- قَالَا: مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ: اقرأ باسْمِ رَبِّك، ونون، والمزّمّلُ، والمُدَّثِّرُ، وَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لهَبٍ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالْفَجْرِ، والضُّحَى، وأَلَمْ نَشْرَحْ، والعَصْرُ، والعَادِيَاتُ، والْكَوْثَرُ، وألهَاكُم، وأرَأَيْتَ، وقُلْ يَا أَيُّهَا الكافِرُونَ، وأصْحَابُ الفِيلِ، والفَلَقُ، وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، والنَّجْمُ، وعَبَسَ وَتَوَلَّى، وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، والشَّمْسِ وَضُحَاهَا، والسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ، والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَلإِيلَافِ قُرَيْشٍ، والْقَارِعَةُ، وَلَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ، والهُمَزَةُ، والمُرْسَلَاتُ، وَق، وَلَا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ، والسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وص، والجِنُّ، ويس، والْفُرْقَانُ، والمَلَائِكَةُ -أي: سورة فاطر- وَطَه، والْوَاقِعَةُ، وَطسم، وطس، وطسم، وبَنِي إِسْرَائِيل، وَالتَّاسِعَة، وَهُود، وَيُوسُف، وَأَصْحَابُ الحِجْر، وَالْأَنْعَامُ، وَالصَّافَّاتُ، وَلُقْمَانُ، وَسَبَأ، وَالزُّمَرُ، وَحم المُؤْمِنُ، وَحم الدُّخَانُ، وَحم السَّجْدَةُ، وَحَم عسق، وحم الزُّخْرُف، والجَاثِيَةُ، وَالأَحْقَافُ، وَالذَّارِيَاتُ، وَالْغَاشِيَةُ، وَأَصْحَابُ الْكَهْفِ، وَالنَّحْلُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَالأَنْبِياءُ، وَالمُؤْمِنُونَ، وَالم السَّجْدَةُ، وَالطُّورُ، وَتَبَارَك، وَالحَاقَّةُ، وَسَأَلَ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَالنَّازِعَاتُ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ، وَالرُّومُ، وَالعَنْكَبُوتُ.

كان يمكن أن يذكر السور المَدَنِيَّة، وما بَقِي فهو مكي، ولكنه اخْتَارَ أن يذكر ذلك على سبيل الحَصْر.

وَمَا نَزَلَ بِالمَدِينَةِ: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، وَالْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالأَنْفَالُ، والأَحْزَابُ، وَالمَائِدَةُ، وَالمُمْتَحَنَةُ، وَالنِّسَاءُ، وَإِذَا زُلْزِلَت، وَالحَدِيدُ، وَمُحَمَّد، وَالرَّعْدُ، وَالرَّحْمَنُ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ، والطَّلَاقُ، وَلَمْ يَكُنْ، وَالحَشْرُ، وَإِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَالنُّورُ، والحَجُّ، والمُنَافِقُونَ، والمُجَادَلَةُ، والحُجُرَاتُ، ويَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ، وَالصَّفُّ، والجُمُعَةُ، والتَّغَابُنُ، وَالْفَتْحُ، وبَرَاءَةٌ[(١)].

قال البَيْهَقِي: والتاسعة يريد بها سورة يُونُس. قال: وقد سقط من هذه الرواية: أَلهَاكُمْ، والأَعْرَافُ، وكهيعص مما نَزَلَ بِمَكَّةَ[(٢)]. وقد سقط من هذه الرواية: الفاتحة.

قَالَ: وَقَدْ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدَانَ قال: أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ زُرَارَةَ الرَّقِّي -الرَّقَّة مدينة مشهورة على الفرات- أَنْبَأَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، أَنْبَأَنَا خُصَيْفٌ عن مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مِنَ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، فَذَكَرَ مَعْنَى هَذَا الحديث، وذَكَرَ السُّوَرَ التي سَقَطَتْ مِنَ الرِّوَايَةِ الأولَى فِي ذِكْرِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ[(٣)]، وَلِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِ مُقَاتِلٍ وَغَيْرِهِ مَعَ الْمُرْسَلِ الصَّحِيحِ الَّذِي تَقَدَّمَ[(٤)].

المرسل الصحيح تقدم قريبًا الذي فيه: عَنْ عِكْرِمَةَ والحَسَن بن أبي الحسن قال: مِمَّا أَنْزَلَ الله تعالى بمكة كذا وكذا.

والمرسل من أنواع الضعيف[(٥)]، لكن له شاهد هنا يُقَوّي ذلك المرسل،

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤٠).

(٢) دلائل النبوة (٧/ ١٤٣).

(٣) دلائل النبوة (٧/ ١٤٣-١٤٤).

(٤) دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ١٤٤).

(٥) قال الحافظ في النزهة (١٠٠) في المردود للسقط: والثاني: وهو ما سقط من آخره من بعد التابعي، هو «المرسل». وصورته: أن يقول التابعي -سواءٌ كان كبيرًا أم صغيرًا: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل كذا، أو فعل بحضرته كذا، ونحو ذلك. وإنما ذكر في قسم المردود للجهل بحال المحذوف؛ لأنه يحتمل أن يكون صحابيًا، ويحتمل أن يكون تابعيًا.

ومذهب عدد من العلماء؛ كالشافعي وغيره مما هو مذكور في الرسالة أيضًا أنه يَحْتَجّ بالمرسل إذا كان قائله من كبار التابعين ولم يخالف شيئًا مِنَ الشريعة؛ في أربعة شروط مذكورة في الرسالة، فالمرسل محتج به عند بعض الأئمة حتى لو لم يكن له شاهد(١).

يقول: (والمرسل صحيح)، كيف لا والحسن رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) هو الذي رواه، وهو مَنْ هُوَ في التابعين؟!

وقال: له شاهد أيضًا في تفسير مقاتل.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الأَنْبَارِي(٣)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: نَزَلَ فِي المَدِينَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالمَائِدَةُ، وَبَرَاءَةُ، وَالرَّعْدُ، وَالنَّحْلُ، وَالحَجُّ، وَالنُّورُ، وَالأَحْزَابُ، وَمُحَمَّدٌ، وَالْفَتْحُ، وَالحُجُرَاتُ، وَالحَدِيدُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالمُجَادَلَةُ،

---

(١) يقول الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في النزهة (١٠١-١٠٢): فإن عرف من عادة التابعي أنه لا يرسل إلا عن ثقةٍ، فذهب جمهور المحدثين إلى التوقف؛ لبقاء الاحتمال، وهو أحد قولي أحمد، وثانيهما- وهو قول المالكيين والكوفيين-: يقبل مطلقًا، وقال الشافعي: يقبل إن اعتضد بمجيئه من وجهٍ آخر يباين الطريق الأولى، مسندًا أو مرسلًا؛ ليرجح احتمال كون المحذوف ثقةً في نفس الأمر. ونقل أبو بكرٍ الرازي من الحنفية، وأبو الوليد الباجي من المالكية: أن الراوي إذا كان يرسل عن الثقات وغيرهم لا يقبل مرسله اتفاقًا.

(٢) الحسن بن أبي الحسن، واسمه يسار، البصرى، أبو سعيد. قال الحافظ ابن حجر: ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس. التقريب (١٢٢٧). قال الذهبي: الإمام، كان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأسًا في العلم والعمل. الكاشف (١٠٢٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٧).

(٣) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر ابن الأنباري. ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين. قال الخطيب: كان صدوقًا دينًا من أهل السنة. وتوفي ليلة النحر من ذي الحجة من سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. تاريخ بغداد (٤/ ٢٩٩).

وَالحَشْرُ، وَالمُمْتَحَنَةُ، وَالصَّفُّ، وَالجُمُعَةُ، وَالمُنَافِقُونَ، وَالتَّغَابُنُ، وَالطَّلَاقُ، وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ، إِلَى رَأْسِ الْعَشْرِ، وَإِذَا زُلْزِلَت، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ. وَسَائِرُ الْقُرآنِ نَزَلَ بِمَكَّةَ[١].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ[٢]. يعني: مدنِيَّتَانِ باتفاق، فالنبي ﷺ لم يدخل عليها إلا بالمدينة.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ[٣] فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: نَزَلَتْ بِالمَدِينَةِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، والنِّسَاءِ، والمَائِدَةِ، وَالأَنْفَالِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالحَجِّ، وَالنُّورِ، وَالأَحْزَابِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا، وَالْفَتْحِ، وَالحَدِيدِ، وَالمُجَادَلَةِ، وَالحَشْرِ، وَالمُمْتَحَنَةِ، وَالحَوَارِيِّينَ، وَالتَّغَابُنِ، وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ، وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ، وَالْفَجْرِ، وَاللَّيْلِ، وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَمْ يَكُنْ، وَإِذَا زُلْزِلَت، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ. وَسَائِرُ ذَلِكَ بِمَكَّةَ[٤].

وَقَدْ تَوَافَقَتِ الأَقْوَالُ الَّتِي حَكَيْنَاهَا عَلَى أَنَّ سُورَةَ يُونُسَ مَكِّيَّةٌ، وَفِيهَا أَيْضًا قَوْلَانِ؛ فَرَوَى الحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدَوَيْه فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ طَرِيقِ خُصَيْفٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهَا مَكِّيَّة، وَرَوَى مِثْلَهُ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ وَغَيْرِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ عَنْهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالمَدِينَةِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (١/ ٩٨) والسيوطي في الإتقان (١/ ٤٤) ولم أقف على من أخرجه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

(٣) هو: القاسم بن سلام البغدادي، أبو عبيد الفقيه القاضي الأديب المشهور. قال الحافظ: ثقة فاضل مصنف. التقريب (٥٤٦٢). قال الذهبي: كان ثقة علامة، مات سنة (٢٢٤). الكاشف (٤٥١١).

(٤) فضائل القرآن (٣٦٥).

المشهور أن سورة يونس مكية؛ لأنه لما بُعِثَ رسول الله ﷺ أعْظَمَ ذلك بعض العَرَب، وقالوا: كيف ينزل على بشر؟ فأنزل الله هذه السورة: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾(١) إلى آخر الآية، فالسورة مشهور أنها مكية.

وَقَدْ ظَهَرَ لِي بِالنَّظَرِ فِي الأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ مَا يُرَجِّحُ بَعْضَ الأَقْوَالِ فِي السُّوَرِ المُخْتَلَفِ فِيهَا، فَمِنْ ذَلِكَ الحَدِيدُ، فَالمُخْتَارُ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، فَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ وَغَيْرِهِ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ... فَذَكَرَ الحَدِيثَ فِي إِسْلَامِ أُخْتِهِ، وَمَجِيئه لها مُغْضَبًا، وجُلُوسِهِ فِي بَيْتِهَا عَلَى السَّرِيرِ، قال: فَإِذَا عَلَيْهِ صَحِيفَةٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ، فَقَالَتْ: دَعْ هَذَا فَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ، وأَنْتَ لَا تَطَهَّرُ مِنَ الجَنَابَةِ. أي: أنت مِنْ شَأْنِكَ أنك لا تَتَطَهّر من الجنابة، وحُذِفَتْ إِحْدَى التائين تخفيفًا(٢)، فالأصل: لا تَتَطَهّر.

قَالَ: فَمَا زِلْتُ بِهَا حَتَّى نَاوَلَتْنِي الصَّحِيفَةَ، فَإِذَا فِيهَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد آية ١]. حَتَّى بَلَغَ: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. الحديث(٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٧/ ٢٠٨) وابن أبي حاتم في التفسير (٧/ ٢٢٨٤).

(٢) قال ابن مالك رحمه الله:

وما بتاءين ابتدي قد يُقْتَصر   فيه على تا كَتَبَيُّنِ العِبَر

انظر: الأشموني على شرح الألفية (٤/ ١٦٠).

(٣) أخرجه البزار في البحر الزخار (١/ ٤٠٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أتحبون أن أعلمكم أول إسلامي؟...» الحديث. قال الهيثمي: فيه أسامة بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (٩/ ٦٤-٦٥).

وَإِسْلَامُ عُمَرَ قَدِيمًا قَبْلَ الهِجْرَةِ بِدَهْرٍ مَدِيدٍ(١).

وَرَوَى الحَاكِمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِهِمْ وَبَيْنَ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ يُعَاتِبُهُمُ اللهُ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥](٢).

هذا حديث صَحِيح عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَين ولم يُخْرِجاه، ووافقه على ذلك الذَّهبي رَحِمَهُ اللهُ. فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِستِّ سِنِينَ أَوْ أَكْثَرَ، عَلَى الخِلَافِ فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ البَعْثَةِ. فمِنَ الناس من قال: إنه مكث في مكة خمس عشرة سنة بعد البعثة، ومن الناس من قال: إنه أقام فيها عشرًا من السنين، ومن الناس من قال: إنه أقام فيها ثلاث عشرة سنة، والصحيح -إن شاء الله- هو هذا القول الأخير؛ لأن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فيما أخرجه الإمَام البخاري يقول: «مَكَثَ رسول الله ﷺ بمكة بعد البعثة ثلاثَ عَشْرَةَ سنة»(٣). والذي يريد أن يَطَّلِعَ على هذا الخلاف بالتفصيل ينظر في تاريخ خليفة بن خياط رَحِمَهُ اللهُ(٤).

وهذا الحديث الذي أتى به رَحِمَهُ اللهُ يُؤَيّد لنا أن هذه السورة مكية، يقول ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا -أو بين إسلامهم على اختلاف الروايات- وبين أن عاتبنا الله تبارك وتعالى بهذه الآية إلا أربع سنين. فهذه السورة مكية.

وَمِنْ ذَلِكَ الْكَوْثَرُ. (ذلك) الإشارة هنا إلى قوله سابقًا: (ظَهَرَ لي بالنظر في

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٠٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٥١)، ومسلم (٢٣٥١).

(٤) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (٥٣- ٥٤).

الأدلة النَّقْلِيَّة ما يُرَجِّح بعض الأقْوَالِ في السور المختلف فيها)، فأتى بهذه الأقوال، ثم قال: (ومن ذلك) أي: من السور المختلف فيها (الكوثر).

وَالمُخْتَارُ أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ؛ لِحَدِيثِ أَنَسٍ فِي نُزُولِهَا الآتِي في النَّوْمي(١). النوع النومي سيأتي إن شاء الله. **وَأَنَسٌ لَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَ بِالمَدِينَةِ.**

وَمِنْ ذَلِكَ الصَّفُّ، وَالمُخْتَارُ أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ أَيْضًا(٢)**؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ في نُزُولِهَا الآتِي أَيْضًا، وَهُوَ أَنَّهَا كَانَتْ بِالمَدِينَةِ**(٣). حديثه المشهور في الصف أنه

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩٧): فيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله الحسن، وعكرمة، وقتادة.

قال السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٤٦): سورة الكوثر مكية، وآياتها ثلاث. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله.

وقال ابن كثير في التفسير (٨/ ٤٩٨): تفسير سورة الكوثر، وهي مدنيةٌ، وقيل: مكيةٌ. ثم قال: وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنيةً عدد نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلمٌ وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل، وعلي بن مسهر، كلاهما عن المختار بن فلفل، عن أنسٍ. ولفظ مسلمٍ قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفًا سورةٌ»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عز وجل، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك». وقد استدل به كثيرٌ من القراء على أن هذه السورة مدنيةٌ، وكثيرٌ من الفقهاء على أن البسملة من السورة، وأنها منزلةٌ معها.

(٢) قال في الإتقان (١/ ٥٠): المختار أنها مدنيةٌ، ونسبه ابن الفرس إلى الجمهور ورجحه.

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧٦): سورة الصف، ويقال لها: سورة الحواريين، وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. والثاني: مكية. قاله ابن يسار.

قال: قَعَدْنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَذَاكَرْنَا، فَقُلْنَا: لو نعلم: أي الأعمال أحبّ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لَعَمِلْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى ختمها[١]. فواضح أن السورة مدنية.

وَمِنْ ذَلِكَ المُعَوِّذَتَانِ، وَالمُخْتَارُ أَنَّهُمَا مَدَنِيَّتَانِ[٢].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ[٣]: وفيها -أي: سورة الفلق- قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين.

والثاني: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والأول أصح، ويدل عليه أنّ رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان.

وَأَمَّا الْفَاتِحَةُ فَالمُخْتَارُ فِيهَا قَوْلُ الجُمْهُورِ. يعني: أنها مكية[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٣٠٩). وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٣٤).

(٢) انظر: الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (٢/ ١١). والإتقان (١/ ٥٥).

(٣) زاد المسير (٤/ ٥٠٧).

(٤) قال في الإتقان (١/ ٤٦): سورة الفاتحة: الأكثرون على أنها مكيةٌ، بل ورد أنها أول ما نزل كما سيأتي في النوع الثامن، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾، وقد فسرها بالفاتحة كما في الصحيح، وسورة الحجر مكيةٌ باتفاقٍ، وقد امتن على رسوله فيها بها؛ فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها؛ إذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد، وبأنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاةٌ بغير الفاتحة. ذكره ابن عطية وغيره. وقد روى الواحدي والثعلبي من طريق العلاء بن المسيب عن الفضل بن عمرٍو عن علي ابن أبي طالبٍ قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنزٍ تحت العرش. واشتهر عن مجاهدٍ القول بأنها مدنيةٌ، أخرجه الفريابي في تفسيره، وأبو عبيدٍ في =

وَلَكِنْ رَوَى الطَّبَرَانِي فِي الْأَوْسَطِ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ غَنَّامٍ، أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَنْبَأَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ إِبْلِيسَ رَنَّ حِينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَأُنْزِلَتْ بِالمَدِينَةِ». هَذَا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ[١].

قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في مجمع الزوائد[٢]: «رِجَالُهُ رجال الصحيح». وهذا الحديث -كما هو ظاهر- موقوف على أبي هريرة[٣]، فلم يقل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ، ولكنه موقوف له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ؛ لأن أبَا هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يمكن أن يقول ذلك من عند نفسه.

وَقَدْ كَانَ خَطَرَ لِي فِي الْقَدْحِ فِيهِ أَنَّ الجُمْلَةَ الأَخِيرَةَ مِنْهُ مُدْرَجة فِي الحَدِيثِ.

وهذا حديث مشكل، كيف نقول: «إن إبليس رَنَّ حين أنزِلَتْ فَاتِحَة الكتاب»، وأنزلت بالمدينة، مع أننا قلنا: إن مكة لم يكن فيها صلاة بغير فاتحة؟!

= الفضائل بسندٍ صحيحٍ عنه، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوةٌ من مجاهدٍ؛ لأن العلماء على خلاف قوله، وقد نقل ابن عطية القول بذلك عن الزهري وعطاءٍ وسوادة بن زيادٍ وعبد الله بن عبيد بن عميرٍ. وورد عن أبي هريرة بإسنادٍ جيدٍ، قال الطبراني في الأوسط: حدثنا عبيد بن غنامٍ، نبأنا أبو بكر ابن أبي شيبة، نبأنا أبو الأحوص عن منصورٍ عن مجاهدٍ عن أبي هريرة أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة، ويحتمل أن الجملة الأخيرة مدرجةٌ من قول مجاهدٍ. وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرتين، مرةً بمكة، ومرةً بالمدينة؛ مبالغةً في تشريفها. وفيها قولٌ رابعٌ أنها نزلت نصفين: نصفها بمكة، ونصفها بالمدينة، حكاه أبو الليث السمرقندي.

(١) الأوسط، للطبراني (٥/ ١٠٠) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٦): إسناده جيد.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣١١): رجاله رجال الصحيح.

(٣) قال الحافظ في النزهة (٢٣٧): الموقوف أن ينتهي غاية الإسناد إلى الصحابي. -من قوله أو فعله أو تقريره- ويكون له حكم الرفع بشرطين: الأول: أن يكون هذا الصحابي لا يأخذ عن الإسرائيليات. الثاني: أن يكون الكلام مما لا مجال للاجتهاد فيه.

ومكة قد صَلَّى فيها المسلمون قطعًا، فهذا حديث مشكل، لكن يُوَجِّهه تَوْجِيهًا جَيِّدًا، فيَقُول: خطر لي في القدح في هذا الحديث أن الجملة الأخيرة منه: (وأنزِلَت بالمدينة) مُدْرَجَة في الحديث. والإدراج[1] هو الكلام يقوله الراوي في الحديث تفسيرًا وبيانًا لما لعَلّه يُشْكِلُ في الحَدِيث، أو لما لعله يكون تكملة للحديث... فيقول: لعل قوله: (أنزلت بالمدينة) من كلام مجاهِد الذي رَوَى الحديث عن أبي هريرة.

وَلَيْسَتْ مِنْهُ؛ أي: من أبي هُرَيْرَةَ، أو ليست من الحديث، **ثُمَّ رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ**، يعني: أبا عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «فضائل القرآن» **أخرجها من قول مجاهد**، رَحِمَهُ اللهُ؛ أي: أخرج الجملة الأخيرة (وأنزلت بالمدينة) فَصَدَقَ ظَنّ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ أنها ليست عن أبي هريرة.

فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قال: «نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِالْمَدِينَةِ».

وَأَخْرَجَهَا أَيْضًا عَنْهُ الْفِرْيَابِيُّ -في تفسيره-، **وَأَخْرَجَ مُقَاتِلٌ فِي تَفْسِيرِهِ الجُمْلَةَ الأُولَى عَنْهُ أَيْضًا، فَصَارَ عِلَّةً لِلْحَدِيثِ**. مقاتل رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره أخرج أيضًا الجملة الأولى التي عن مجاهد عن أبي هريرة يقول: إنَّ إِبْلِيسَ رَنَّ رَنَّة حين أنزلت فَاتِحَة الكتاب، وأنزلت في المدينة[2].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في اختصار علوم الحديث (٧٣): وهو: أن تزاد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي، فحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث، فيرويها كذلك.

(٢) قال مقاتل في تفسيره (١/ ٣٧): حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني هذيل عن وكيع عن منصور عن مجاهد، قال: لما نزلت فاتحة الكتاب رن إبليس.

هنا أثبت السيوطي أولًا: أَنَّ قوله: (وأنزلت بالمدينة) ليست من كلام أبي هريرة؛ لأن أبا عُبَيْد خَرَّجها من قول أبي نجيح عن مجاهد، وأيضًا الفريابي، ثُمَّ أَثْبَتَ أَنَّ صَدْرَ هذا الحديث ليس عن أبي هريرة أيضًا؛ فإن مقاتلًا رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره أَخْرَجَ الجُمْلَة الأولى أيضًا عنه؛ أي: عَنْ مجاهد، يقول: فصَارَ علة للحديث المرفوع، والعلة: هِيَ أَمْر غَامِض خَفِيّ يَقْدَحُ فِي صِحَّةِ الحَدِيثِ[1]، ولا يعلمه إلا الأَثْبَات من المحدثين، لِذَلِكَ يقول: هذا الحديث أصبح كله علة، فهذا الحديث يُقْدَح فيه؛ لأن هذه اللفظة لم نعرف هل هي من عند أبي هريرة أو من عند مجاهد، فإن مقاتلًا أيضًا أخرج صَدْرَ الحديث عن مجاهد، فَصَارَ كَأَنَّ هذا الحديث ضعيف، فثَبَتَ أَنَّ فَاتِحَة الكتاب مَكِّيَّة، ولا يؤثر عليها هذا الحديث.

وهنا سيذكر الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ الضَّوَابط التي تُمَيِّزُ المكي من المدني، أو التي تُضْبَط بها السور المَكِّيَّة من السور المدنية[2].

والضابط يَخْتَلِف عن القاعدة؛ إذ القاعدة هي: التي تَجْمَعُ الفروع مِنْ أَبْوَابٍ شَتَّى، لكن الضابط هو الذي يجمع الفروع من باب واحد.

وقد ذكرت آنفًا ضوابط أشمل فيما أظن والله أعلم.

والضوابط في المكي والمدني قسمان[3]: قسم قياسي، وقسم سماعي؛ أما السَّمَاعِيّ فَهُوَ الذي سُمِعَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو لا يحتاج إلى ضابط، بل إذا سُمِعَ منهم بسند صحيح ما يُفَرّق به بين السور المكية والمدنية فيُكْتَفَى بهذا.

---

(١) انظر: تدريب الراوي (١/ ٢٩٤).

(٢) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٦١).

(٣) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٦١)، الموسوعة القرآنية للأبياري (٣/ ١٧٣).

أما الضوابط القياسية فقَدْ قِيلَ منها:

- كل سورة فيها قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ فهي مكية، وقد وردت في النصف الآخرِ مِنْ كِتاب الله تبارك وتعالى ثلاثًا وثلاثين مرة في خَمْسَ عَشْرَةَ سورة، وهذا الضابط لم يَنْخَرِم فيما أعلم[1]؛ أي: لم يخرمه أحد، ولم يقل أحد: إِنَّ هَذَا ضابط غير مانع أو غير جامع.

- كل سورة في أولها حُرُوف المعجم فهي مَكِّيَّة، عَدَا البقرة وآل عمران والرعد على خلاف سيأتي إن شاء الله.

- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فَهِيَ مَكِّيَّة عَدَا سورة البقرة.

- كل سورة فيها سجدة فهي مكية إلا الحج عِنْدَ مَنْ يَقُول: إنها مدنية، وسيأتي ذلك إن شاء الله.

- كل سورة فيها قَصَصُ الأنبياء وما فُعِلَ مَعهم وما حصل لأقوامهم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران والمائدة والصف.

- كل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فَهِيَ مَكِّيَّة؛ لأن لفظة الناس تجْمَعُ الكافرين والمؤمنين، وكل سورة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهي مدنية عَدَا البقرة، ففيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وَهِيَ مَدَنِيَّة بإجماع، وعدا الحج عِنْدَ مَنْ يَرَى

(١) بل انخرم هذا الضابط بما ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٤/ ٤٤٢): «قال المفسرون: إنها -أي: سورة التكاثر- مكية، وروى البخاري أنها مدنية. قال ابن شهاب: أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهبٍ أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب. ويتوب الله على من تاب». فقال ثابت عن أنس عن أبي قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير، فجهلوا وجهلوا، والحمد لله على المعرفة». فسورة التكاثر ورد فيها لفظ (كلا) ثلاث مرات، ومع ذلك ورد النص بأنها مدنية.

أنها مدنية، ففيها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾، والنساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ مُفْتَتَح السورة، وقوله فيها سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ فهذه أيضًا مُسْتَثْنَاةٌ.

هذا ما وجدته من ضوابط تضبط المكي تَكَلَّمَ فيها العلماء في مُخْتَلَف الْكُتُبِ.

وضَوَابِط المَدَنِيّ[1]:

كل سورة فيها ذِكْرُ الحُدُودِ والفَرَائِض فهي مَدَنِيَّة.

وكل سورة ذكر فيها المنافقون فهي مَدَنية عَدَا العنكبوت؛ فإنها مكية كلها عَدَا إحدى عشرة آية مِنْ صَدْرِهَا وفيها ذِكْرُ المنافقين.

كل سورة فيها الإذن بالجهاد وأحكامه وحدوده وطرائقه فهي سورة مدنية، عدا الحج عِنْدَ مَنْ يَقُول: إنها مكية.

وهذه التَّقْيِيدَات كثير منها مَحْمُولٌ عَلَى الغالب، أي: كل سورة فيها كذا فهي كذا، محمول على الغالب، والاستِثْنَاءَاتُ قَدْ ذَكَرْتُها سابقًا.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

ضَابِطٌ: رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ[2] وَالْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ[3] مِنْ طَرِيقِ الأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: إذا أُطْلِقَ عَبْدُ الله فهو ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وخَاصَّة إذا كان الراوي عنه عَلْقَمَة.

---

(١) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٩٨)، الموسوعة القرآنية (٣/ ١٧٥).

(٢) دلائل النبوة، البيهقي (٧/ ١٤٤).

(٣) البحر الزخار (١٥٣١).

مَا كَانَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أُنْزِلَ بِالمَدِينَةِ، وَمَا كَانَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فَبِمَكَّةَ[1].

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ -هو أحد كبار المفسرين الأندلسيين رَحِمَهُ اللَّهُ، الشيخ الإمام عبدالحق بن عطية، وله كتاب مشهور مطبوع مُتَدَاوَل هو «المُحَرَّر الوَجِيز»-: هُوَ فِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَحِيحٌ، وَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدْ يَأْتِي فِي المَدَنِيّ.

وَقَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: قَدِ اعْتَنَى المُتَشَاغِلُونَ بِالنَّسْخِ بِهَذَا الحَدِيثِ، وَاعْتَمَدُوهُ عَلَى ضَعْفِهِ، وَقَدِ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ مَدَنِيَّةٌ وَأَوَّلُهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وَعَلَى أَنَّ الحَجَّ مَكِّيَّةٌ، وَفِيهَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾.

يعترض ابن الحَصَّارِ رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الضابط، وفي تقديري -والله أعلم- أَنَّهُ لَا اعتراض عَلَيه إِنْ قُيِّدَ، يقول: (**قَدِ اعْتَنَى المُتَشَاغِلُون بالنسخ بهذا الحديث**) وهو حديث ضعيف.

هذا الضابط صحيح فيما عدا المستثنيات فلا شيء فيه. فما أرى لاعتراض ابن الحصار وجهًا، والله أعلم.

وَقَدْ رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ هَذَا عَنْ عَلْقَمَةَ مُرْسَلًا[2].

المرسل هو: الذي يقول فيه التابعي أو الكبير مِنَ التابعين -على اختلاف المحدِّثين-: قال رسول الله ﷺ[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (١/ ٣٦٠)، الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠).

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٣٦٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٤٠).

(٣) قال الحافظ في النزهة (١٠٠-١٠١): هو ما سقط من آخره من بعد التابعي.

وصورته: أن يقول التابعي -سواءٌ كان كبيرًا أم صغيرًا-: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل كذا، أو فعل بحضرته كذا، ونحو ذلك.

وَرُوِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعِينٍ[١] عَنْ أَبِي الْمُلَيْحِ عَنْ مَيْمُونَ بْنِ مَهْرَانَ قَالَ: مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أَوْ (يَا بَنِي آدَمَ) فَإِنَّهُ مَكِّيٌّ، وَمَا كَانَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُ مَدَنِيٌّ[٢].

هناك ثلاثة أشخاص يكنون بـ(أبي المليح)، والمراد هنا هو الحسن بن عمر الرَّقّي رَحِمَهُ اللهُ، وَهُوَ ثقة، قد رُوِيَ عَنْه في بَعْضِ الكتب الستة[٣].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ ذِكْرُ الأُمَمِ وَالْقُرُونِ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ، وَمَا كَانَ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِالمَدِينَةِ»[٤]، وَسَيَأْتِي عَنْ عَائِشَةَ نَحْوُهُ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: فِي بَعْضِ السُّوَرِ الَّتِي نَزَلَتْ بِمَكَّةَ آيَاتٌ نَزَلَتْ بِالمَدِينَةِ فَأُلْحِقَتْ بِهَا[٥]، وَكَذَا قَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: كُلُّ نَوْعٍ مِنَ المَكِّيِّ وَالمَدَنِيّ مِنْهُ آيَاتٌ مُسْتَثْنَاةٌ، قَالَ: إِلَّا أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنِ اعْتَمَدَ فِي الاسْتِثْنَاءِ عَلَى الاجتهاد دُونَ النَّقْلِ. انْتَهَى[٦].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قد اعتنى بعض الأئمّةِ ببيانِ ما نزل مِن الآياتِ

---

(١) خطأ والصواب علي بن معبد.

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٣٦٧)

(٣) قال الحافظ في التقريب:

١- أبو المليح الحسن بن عمر أو عمرو بن يحيى الفزاري مولاهم أبو المليح الرقي، ثقة، من الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين، وقد جاوز التسعين بخ د س ق. (١٢٦٦).

٢- أبو المليح ابن أسامة بن عمير أو عامر بن عمير بن حنيف ابن ناجية الهذلي، اسمه عامر، وقيل: زيد، وقيل: زياد، ثقة، من الثالثة، مات سنة ثمان وتسعين، وقيل: ثمان ومائة، وقيل: بعد ذلك ع. (٨٣٩٠).

٣- أبو المليح الفارسي المدني الخراط، اسمه صبيح، وقيل: حميد، ثقة، من السابعة بخ ت ق. (٨٣٩١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٤٠)

(٥) دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ١٤٤).

(٦) انظر: الإتقان (١/ ٥٦).

بِالمدِينةِ فِي السّورِ المكّيّةِ. قال: وأمّا عكس ذلك وهو نزول شيءٍ مِن سورةٍ بِمكّة تأخّر نزولِ تِلك السّورةِ إِلى المدِينةِ فلم أره إِلّا نادِرًا(١).

فصلٌ: فِي ذِكرِ ما استثنِي مِن المكّيِّ والمدنِيّ(٢).

وَهَا أَنَا أَذْكُرُ مِنْهُ أَمْثِلَةً حَرَّرْتُهَا بَعْدَ الْفَحْصِ الشَّدِيدِ:

يُصِرّ بعض الناس على أن يلحق (ذا) بـ(ها أنا)، فيرى أنه لَا بُدَّ مِنْ إِلحَاقِ (ذا) بها، فيَقُول: (ها أنا ذا) والصحيح أنه يجوز إلحاق (ذا) بها، ويجوز حذفها، والأفصح إلحاق (ذا) بها، وقد حَرَّرْتُ فيها أَمْثِلَة بعد الفحص الشديد، سيأتي في هَذِهِ الأمثلة كلام إن شاء الله(٣).

الأَوَّلُ: قَالَ الْبُلْقِينِيّ: اسْتُثْنِي مِنَ الْبَقْرَةِ آيَتَانِ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾، ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾، وَعَلَى الاصْطِلَاحِ الثَّانِي آخِر ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآيَتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا سَفرِيَّتَانِ(٤). أي: نَزَلَتَا حَالَ سَفَرِ رسول الله ﷺ، وسيأتي في نوع السفري ما يُبَيّن هَذَا، **(والاصطلاح الثاني)**؛ أي: الاصطلاح الذي يُرَاعِي المكان لا الاصطلاح الذي يُرَاعِي الزَّمَان كما ذكرنا.

---

(١) فتح الباري (٩/ ٤١)، ونقله عنه السيوطي في الإتقان (١/ ٥٦).

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٥٦).

(٣) انظر: جامع الدروس العربية (٣/ ٢٦١).

(٤) الذي وقفت عليه من قوله في كتابه «مواقع العلوم» (ص٣٢) قال: ففي البقرة قيل: إنها مدنية إلا خمس آيات، منها: قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ [البقرة: آية ١٠٩]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: آية ٢٧٢]؛ فإنها نزلت بمكة، وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ نزلت بمنى، وعاش رسول الله ﷺ بعدها نيفًا وثمانين يومًا، وقيل: تسعة أيام. وهي آخر آية نزلت في قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ إلى آخرها، نزلت يوم فتح مكة. وهذا الاستثناء على الاصطلاح الثاني، وعلى الاصطلاح الأول لا يستثنى إلا الآيتان الأولتان.

قُلْتُ: وَإِنْ عَمِلْنَا بِمَا تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أي: من قوله ﷺ: ما كان (يا أيها الناس) فهو بمكة، وما كان (يا أيها الذين آمنوا) فَهُوَ بالمَدِينَةِ، **اسْتَثْنَى** آيات غير التي ذَكَرَها البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ، منها:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، **وَكَذَا مَا بَعْدَهَا، إلى قَوْلِهِ: ﴿خَٰلِدُونَ﴾** [البقرة: ٢٥]؛ **لأَنَّهَا مُشْتَبِكَةٌ بِهَا فِي المَعْنَى الثَّانِي.**

أي: لا نَسْتَطِيع أن نقول: إن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١] هي فقط المَكِّيَّة؛ لأن الآيات بَعْدَهَا مشتبكة معها في المعنى، فهذه الآية وما يجيء بعدها كله مَكّي عَلَى اصطلاح ابن مسعود، لكن قلنا: هذا الاصطلاح فيه انخرام، ولا يصح أن نطلق آية على أنها مكية أو مدنية هكذا، بل نكتفي بما نُقِلَ عَنِ الصحابة أو التابعين، وعن أئمة السلف رحمهم الله تبارك وتعالى.

قَالَ أَيْضًا: اسْتُثْنِيَ مِنَ النِّسَاءِ عَلَى الاصْطِلَاحِ الثَّانِي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. أمَّا على الاصطلاح الأول فلا استثناء؛ لأنه يُرَاعِي الزَّمَانَ، فَهِيَ سورة مدنية، حَتَّى لو نزلت هذه الآية في بيت الله الحرام، وهِيَ قِصَّةٌ مَعْرُوفة، قصة بني شيبة[1]، فَكَثِير من العلماء يَعُد هذه الآية مَدَنِيَّة، أمَّا

---

(١) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٢٦٥) قال: أخبرني جدي، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن مجاهدٍ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، قال: «نزلت في عثمان ابن طلحة ابن أبي طلحة حين قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة، ودخل به الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح، وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه، لا ينزعها منكم إلا ظالمٌ»، قال: وقال عمر بن الخطاب ﵁: «لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة خرج وهو يتلو هذه الآية فداه أبي وأمي، ما سمعته يتلوها قبل ذلك».

على الاصطلاح الثاني فهذا استثناء من سورة النساء المدنية وهذه الآيات مَكِّيَّة.

وَآيَةُ الْكَلَالَةِ.(١) الكلالة(٢) هُوَ: مَنْ مَاتَ لا والد له ولا ولد. هذا في عُرْفِ الفَرَضِيِّين، وَقَدْ فَسَّرَهَا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، وأطْبَقَتِ الأمة على تفسير أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد اسْتَشْكَل عمر الفاروق هذا التفسير جدًّا، وروي عنه أنه آخر حياته لم يكن يعرف ما هي الكلالة(٣)، وفيها آثار كثيرة ذَكَرَهَا ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ -لمن يُرِيدُ أَنْ يَرْجِع- في موضعي ذكر الكلالة في سورة النساء، في أول السورة وفي آخرها، وفيها آثار كثيرة عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن الذي اتفقت عليه الأمة هو تفسيرها بما فسرها به أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من مات لا والد له ولا ولد(٤).

---

(١) يقول البلقيني في «مواقع العلوم» (٣٣-٣٤): وأما النساء فقيل: هي مكية، وقال الجمهور: مدنية، إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في شأن عثمان بن طلحة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وهذا الاستثناء على الاصطلاح الثاني، وقيل: نزلت عند هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وصح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ -تعني: أنه بنى بها- [البخاري: ٤٧٠٧]. ومنهم من استثنى: ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ١٢٧]؛ فإنها نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة.
وهذا الاستثناء-أيضًا-على الاصطلاح الثاني.

(٢) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣١ - ٣٢): واختلفوا على ما يقع اسم الكلالة على ثلاثة أقوال:
- أحدها: أنه اسم للحي الوارث، وهذا مذهب أبي بكر الصديق وعامة العلماء الذين قالوا: إن الكلالة من دون الوالد والولد؛ فإنهم قالوا: الكلالة: اسم للورثة إذا لم يكن فيهم ولد ولا والد.
- والثاني: اسم للميت، قاله ابن عباس والسدي وأبو عبيدة في جماعه.
- والثالث: اسم للميت والحي، قاله ابن زيد.

(٣) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير (٢/ ٤٢٩): وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: ثلاثٌ وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهدًا ننتهي إليه: الجد والكلالة وباب من أبواب الربا.

(٤) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ١٩٧): قد تكرر في الحديث ذكر «الكلالة» وهو: أن يموت الرجل ولا يدع والدًا ولا ولدًا يرثانه. وأصله: من تكلله النسب؛ إذا أحاط به. وقيل: الكلالة: الوارثون الذين ليس =

فهو يقول: آية الكلالة مستثناة؛ لأنها نزلت على رسول الله ﷺ في سفر له، فهي مستثناة على الاصطلاح الثاني طبعًا.

الثَّالِثُ مِنَ المَائِدَةِ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ...﴾[(١)] عليه أيضًا. أي: على الاصطلاح الثاني أيضًا؛ لأنها نزلت بعد الفتح -كما هو معروف- في حجة الوداع، فعلى الاصطلاح الثاني تكون مستثناة مِنَ المَائِدَة، وعلى الاصطلاح الأول لا استثناء فيها.

الرَّابِعُ: قَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: اسْتَثْنَى بَعْضُهُمْ مِنَ الأَنْعَامِ تِسْعَ آيَاتٍ، وَلَا يَصِحُّ بِهَا نَقْلٌ[(٢)]، خُصُوصًا أَنَّهُ وَرَدَ أَنَّهَا نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَالآيَاتُ المَذْكُورَةُ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ ...﴾ الآيات الثَّلَاث، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ ...﴾ الآيَات. كأن هنا سقطًا أو سهوًا من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو من الناسخ؛ لأني حَاوَلْتُ أن أُعَيِّن هذه الآيات التسع فما استطعت، وفي الإتقان[(٣)] هذه الآيات التسع مذكورة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥١]. الآيات الثلاث، ثم بعد ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] وما بعدها، فهذه خمس، ثم بعد

=

فيهم ولدٌ ولا والد، فهو واقعٌ على الميت وعلى الوارث بهذا الشرط. وقيل: الأب والابن طرفان للرجل، فإذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه، فسمي ذهاب الطرفين: كلالة.

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧): عن طارق بن شهابٍ، عن عمر بن الخطاب، أن رجلًا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرءونها، لو علينا -معشر اليهود- نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعةٍ».

(٢) قال في الإتقان (١/ ٥٧): قلت: قد صح النقل عن ابن عباسٍ استثناء.

(٣) الإتقان (١/ ٥٧).

ذلك ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٩٣]. وما بعدها، وهذه سبع، ثم بعد ذلك ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ [الأنعام: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]. هذه تسع آيات، أمَّا هُنَا فما استطعت أن أعين هذه الآيات التسع؛ إما أن يكون هنا سقط أو سهو، والله أعلم.

سورة الأنعام، قيل: إنها نَزَلَتْ جُمْلَة واحِدَة من السماء، نزل سبعون ألف ملك يشيعها مِنَ السماء، لهم زجل(١) بالتسبيح والتقديس لله تبارك تعالى(٢)، وهي مَكِّية، وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ آثارًا كثيرة في فضل سورة الأنعام(٣)، لكنه لم ينته إلى ترجيح فيها في هذا المَوْضِع، وذكر السيوطي في الإتقان(٤) أثرًا صحيحًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُصَرِّح فيه أنها نزلت جملة واحدة. وهناك أيضًا الآثار التي وردت في الإتقان عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا باستثناء الآيات الثلاث الأولى، وهذا أثر صحيح أيضًا. ونجمع بينهما أنها نزلت جملة واحدة باستثناء هذه الآيات الثلاث، وباستثناء ما صَحَّ أيضًا من الآيات التسع البواقي، هذا الجمع بينهما وارد؛ لأَنَّ الآثار كثيرة في أنَّها نزلت جملة واحدة، عد بَعْضَها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ. والسيوطي أوْرَدَ في الإتقان سندًا صحيحًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُصَرِّحُ فيه ابن عباس أنها نزلت جملة واحدة، وهناك أَثَر صَحِيح عَنِ ابن عباس، باستثناء

---

(١) قال في تهذيب اللغة (١٠/ ٣٢٥): الزجل: رفع الصوت.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٩٢)، والبيهقي في السنن الصغير (١/ ٣٤١) وفي الشعب (٤/ ٧٩). ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٢/ ٢٧٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٣).

(٤) الإتقان (١/ ٥٧).

الآيات الثلاث: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ والآية التي بعدها؛ لِمَا أَخْرَجَهُ ابن أبي حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ في مالك بن الصيف اليَهُودِيّ، عندما قال له رسول الله ﷺ: أنشدك الله، أليس في التوراة أن الله يبغض الحَبْرَ السمين؟ فَغَضِبَ وقال ما قال في قصة معروفة(١).

وهناك أيضًا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وما بعدها قيل: إنَّهَا نزلت في مُسَيلمة الكذاب(٢).

و﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ أيضًا هذه فيها استثناء.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: سُورةُ الأَنعَامِ، وَهِي مَكِّيةٌ فِي قولِ الْأَكْثرِينَ، قال ابْنُ عَبَّاسٍ وقتادَةُ: هِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا إِلَّا آيَتَيْنِ مِنْهَا نزلتا بِالْمَدِينَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الانعام: ٩١] نزلت في مالك بن الصيف وكعب ابن الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّيْنِ، وَالْأُخْرَى قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الانعام: ١٤١] نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْن قَيْس بنِ شَمَّاسٍ الْأَنْصَارِيِّ. وقال ابْنُ جُرَيْجٍ:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٤/ ١٣٤٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٣٩٣) عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجلٌ من اليهود يقال له: مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟» وكان حبرًا سمينًا، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك، ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ [الأنعام: ٩١] الآية.

وذكر ابن جرير (٩٣٩٤) مثله عن عكرمة.

(٢) انظر: الموسوعة القرآنية (٣/ ٣٥).

نَزلتْ فِي مُعَاذِ بن جبل، وقاله الماوَرْدِيُّ.

وقال الثَّعْلَبِيُّ: سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ إلَّا سِتَّ آياتٍ نزلَتْ بِالْمَدِينَةِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ آيَاتٍ، وَ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الانعام: ١٥١] إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ آيَاتٍ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهِيَ الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ. وذَكَرَ ابْنُ الْعربِيِّ: أَنَّ قولَهُ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ نَزَلَ بِمَكَّةَ يَوْمَ عَرَفَةَ[(١)].

قال البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سورة الانعام، روي أنها مكية كلها، وشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتحميد، فدعى النبي ﷺ بالكُتَّاب فكتبوها في ليلتهم[(٢)].

وقيل: إلا آيات نزلت بالمدينة هي قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ إلى آخر ثلاث آيات، وقوله ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، فهذه الست آيات مدنيات[(٣)].

الخَامِسُ: قَالَ البُلْقِينِيُّ: اسْتُثْنِيَ مِنَ الأَنْفَالِ أَوَّلُها، وَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾[(٤)]. فأول الأنفال مستثنى؛ لأنه نزل خَارِجَ المدينة في أعْقَاب غزوة من الغزوات، فهي مستثناة على الاصطلاح الثاني، يقول: **وَهُمَا** -الآيتان- **عَلَى الاصْطِلَاحِ الثَّانِي**.

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣٨٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مواقع العلوم (ص٣٤).

(٤) المصدر السابق (ص٣٥).

قُلْتُ: فِيهِ نَظَرٌ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ أَوَّلَهَا كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِالمَدِينَةِ لَمْ يَنْزِلْ بِمَكَّةَ، بَلْ بِبَدْرٍ فَهُوَ لَيْسَ بِمَكِّي.

السيوطي رَحِمَهُ اللهُ يناقش هنا الإمام البُلْقِينِيّ، فيقول: فِي إِطْلَاقِهِ هذا نظر، على الاصطلاح الثاني فقط الذي يلاحظ المكان لا الزَّمَان كما ذكرنا سابقًا، فيقول: كَمَا أنها لم تنزل بالمدينة، فكذلك لم تنزل بمكة، بل ببدر كما سيأتي إن شاء الله، فهو ليس بمكي حتى على الاصطلاح الثاني، وعليه فهذا ليس استثناء من السور المدنية لآيات مكية.

ثَانِيهَا: نَزَلَ بِبَدْرٍ أَيْضًا غَيْرَ أَوَّلِهَا كَمَا سَيَأْتِي فِي السَّفَرِي: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فهَذِهِ نَزَلَتْ أَيْضًا في بدر، وهذا أيضًا ليس مستثنى على أنه مكي.

ثَالِثُهَا: الآيَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى الاصْطِلَاحِ الأَوَّلِ، فَقَدْ رَوَى الْبَزَّارُ مِنْ طَرِيقِ النَّضْرِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

لما أسلم عمر نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذه الآية الثانية على الاصطلاح الأول، فإنها قد نزلت في مكة.

وذَكَر في الإتقان بعض السور مثلما ذَكَر المستثنى من يونس، لكنه لم يأت عَلَيْهِ بدليل، وذَكَرَ عدة مستثنيات من سور عِدَّة في الإتقان.

قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ: سورة الأنفال -وتسمى: الجهاد- مدنية اجماعًا، نزلت في بدر، كما رواه أبو عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

---

(١) أخرجه البزار في المسند (١٥٦). حسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ٢٨)

قال الجعبري: واختلف في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾.

وقال النجم النسفي والشمس الأصفهاني: وقيل: إلا آية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾ الآية.

قال الأصفهاني: نزلت في قصة وقعت بمكة، ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة. ولا خلاف أن هذه السورة نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه.

وقال النسفي: وقيل: غير قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾، فإنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

وقال البغوي: مدنية، قيل: إلا سبع آيات، من قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾، إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة.

والأصح: أنها نزلت بالمدينة وإن كانت الواقعة بمكة.

وقال الجعبري في شرح الشاطبية: وقيل: هي أول المدني[(١)].

السَّادِسُ مِنْ هُودَ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآيَة، وَقِيلَ: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾.

هود سُورَة مَكِّيَّة، استثني منها ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾؛ لِمَا رُوِيَ في أبي اليسر رضي الله عنه في قصة معروفة[(٢)]، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآيات[(٣)].

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لبرهان الدين البقاعي (٢/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦-٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٤٨-٤٩).

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سورة هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مكية إجماعًا.

وقال الأصفهاني - بعد أن حكى الإجماع -: وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾.

وقال الغزنوي: إلى آخر الآيتين.

وعن مقاتل: مكية كلها، إلا ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ نزلت في نَبْهَان التمار.

فهذه الثلاثة مدنية، على أن الأول يشبه المكي.

وقال أبو حيان: وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنها مكية كلها إلا قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ ﴾ الآية[١].

السَّابِعُ مِنَ الرَّعْدِ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الرعد: ٤٣] فَمَدَنِيَّتَانِ، وَقِيلَ: لَا.

استثنى هنا استثناء غريبًا، يقول: إن هذه الآية مدنية: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [الرعد: ٣١]، والمشْهُور أَنَّهُ رَدّ على أهل قريش الذين قالوا: إنَّ الله ضيق علينا بلادنا بالجبال[٢]، فادعوا الله أن يوسعها علينا. فالمَشْهُور أن هذه الآية نَزَلَتْ في مَكَّة، ولم يُعْرَف نَقْلٌ آخر في أنها

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٢/ ١٧٠-١٧١).

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٥٣١).

مدنية، فما أدري كيف استثنى الحافظ، فلعله سهو، والله أعلم.

قال الإمام البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: والأحاديث الواردة في سبب نزول آية الرعد في أَرْبَدَ وعامرِ بن الطُّفَيْلِ وغيرهما تدل على أنها مدنية.

وقال: والأحاديث الواردة في سبب نزول: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ تدل على أنها مكية. والله أعلم(١).

واستُثْنِيَتْ هَذِه الآية: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]؛ لأنَّ (مَنْ عنده علم الكتاب) هو عبد الله بن سَلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُنَاك دَلِيل يصرح بهذا في أنها نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله تبارك وتعالى عنه، فالآية مَدَنِيَّة(٢).

قوله: (**وقيل: لا**) قيل: إنه يعود على الآيتين؛ أي: أن الآيتين مَكِّيَّتَان، والمستثنى هو قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٣).

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ١٩٠-١٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦) من طريق: عبد الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: قال عبد الله بن سلام: «أنزل في: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]». ضعفه الألباني. ضعيف سنن الترمذي (ص ٥١١).

(٣) قال الإمام البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: سورة الرعد: قال الداني وتبعه الجعبري وعطاء: مكية. وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقال قتادة: هي مدنية، إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾. قال الجعبري: وعنه من أولها إلى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾. والأحاديث الواردة في سبب نزول آية الرعد في أربد وعامر بن الطفيل وغيرهما تدل على أنها مدنية. [مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢/ ١٨٩].

وَالمَدَنِيُّ مِنْهَا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وَقِيلَ: بَلْ قَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدِ بْنِ قَيْسٍ لمَّا قَدِمَا المَدِينَةَ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ، كَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ[١].

يقول الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ[٢]: سَنَدُ هَذا الحديث ضعيف، والَّذِي يريد أن يعرف درجة الحديث من الطبراني بمعاجمه الثلاثة: الكبير، والأوسط، والصغير، أو يريد أن يَعْرِف دَرَجَة الحَدِيث في مسند الحافظ أبي يعلى الموصلي رَحِمَهُ اللهُ، أو في مسند الإمام أحمد مما زاد على ما في الكتب الستة فليرجع إلى كتاب (مَجْمَع الزوائد للهيثمي)؛ فإنَّهُ مُفِيد جدًّا في هذا الباب.

قال الزركشي رَحِمَهُ اللهُ: سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّةٌ غَيْرَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ إِلَى قوله: ﴿جَمِيعًا﴾[٣].

الثَّامِنُ: يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَثْنَى مِنَ الحِجْرِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ...﴾ الآيَة، فَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينًا، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ؛ لِئَلَّا يَرَاهَا، وَيَتَأَخَّرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ، فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبطَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٦٠) والكبير (١٠/ ٣١٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢): وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

(٢) مجمع الزوائد (٧/ ٤٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٠٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٢٢)، والنسائي في المجتبى (٨٧٠)، وفي الكبرى (٩٤٥-١١٢٠٩)، وابن ماجه =

هذا الحديث لا يَصِحّ، والله أعلم؛ فابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: هذا الحديث في مَتْنِهِ نَكَارَة شَدِيدَة، وهو حديث غريب جِدًّا؛ لأنه مَرْوِيّ بروايات، هُنَاكَ رِوَايَة يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيها: كانت امرأة تُصَلّي خلف الصف، ما رأيت امرأة قَطّ أَجْمَلَ مِنْهَا -كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طفلًا- وليس معقولا أن يقال ذلك عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: إنَّ بَعْضَهم كان يتأخر فينظر من تحت إبطيه فيراها!

لذا ابن كثير يَرُدّ هَذَا الحديث، ويقول: في مَتْنِهِ نَكَارَة شديدة، وهو غَرِيب جِدًّا، والمتن إذا كان فيه نكارة أو يخالف القواعد الشرعية المعروفة فيُرَدّ، حتى لو كان سنده صحيحًا، وهذا من الأحاديث المردودة، والله أعلم.

فلا يَصِحّ أنْ يُقَالَ هَذَا عَنْ أفْضَلِ الخَلْقِ بعد نبيهم ﷺ.

التَّاسِعُ: مِنَ النَّحْلِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَهُوَ نَازِلٌ بَعْدَ الهِجْرَةِ، وسَيَأْتِي مَكَانُ نُزُولِهِ، وَقَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: الصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّهَا كُلَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَأَنَّ آخِرَهَا نَزَلَ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي أُحُدٍ وَالْفَتْحِ تَذْكِيرًا مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ.

(وأن آخرها) المقصود بآخرها: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ هذا نَزَلَ مرتين؛ يقول: نزل في مكة ونزل في أحد، ونزل في الفتح مرة ثالثة، يقول ابن الحصار: هذا الصحيح عندي. وهو عالم من علماء القرآن الكريم. وسَكَتَ السّيوطِي على ما قال: إنه صحيح، فيبدو -والله أعلم- أنها كذلك؛ لأنَّ هُنَاكَ آثارًا نزلت في مكة، ونزلت في أحد، عندما قال رسول الله ﷺ: «**والله لأمثلن بكذا وكذا**»(١)، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ

=

(١٠٤٦) وضعفه الأرنؤوط.

(١) أخرج الدراقطني في السنن، كتاب السير (٤٢٠٩)، عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما انصرف المشركون =

عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾، ونزلت في الفتح أيضًا، فَكُلّ ذَلِكَ فيه آثار صحيحة، فلا بد من الجمع، لذا يقول ابن الحَصَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصحيح عندي أنها نزلت ثلاث مرات: في مكة، وفي أحد، وفي الفتح بعد ذلك.

وَاسْتَثْنَى قَتَادَةُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ ...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ -والمراد به جابر بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أحد علماء التابعين المَشْهُورِينَ في القرآن الكريم-: **بَلْ أَرْبَعُونَ آيَةً مِنْهَا مَكِّيٌّ، وَالْبَاقِي مَدَنِيٌّ، وَسَيَأْتِي فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ**[(١)].

قال جابر بن زيد: أنزل من أول النّحل أربعون آية بمكّة، وبقيّتها بالمدينة[(٢)].

الْعَاشِرُ: اسْتَثْنَى بَعْضُهُمْ مِنَ الإِسْرَاءِ ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ...﴾ الآيَاتِ الثَّمَانِي، وَبَعْضُهُمْ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾؛ لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قال: كُنتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ سَأَلْتُمُوهُ، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً، وَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا[(٣)].

= عن قتلى أحدٍ انصرف رسول الله ﷺ فرأى منظرًا أساءه، رأى حمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد شق بطنه، واصطلم أنفه، وجدعت أذناه، فقال: «**لولا أن يحزن النساء أو يكون سنةً بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير، لأمثلن مكانه بسبعين رجلًا**».

(١) قال في الإتقان (١/ ٦٠): ويرد ذلك ما أخرجه أحمد عن عثمان بن أبي العاص في نزول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾، وسيأتي في نوع الترتيب.

(٢) زاد المسير (٢/ ٥٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٥-٧٢٩٧-٧٤٦٢)، ومسلم (٢٧٩٤).

يقول: إن قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾، والآية التي بعدها استثنيت مِنَ الإسراء على أنها مَدَنِيَّة؛ لأن الإسراء مَكِّيَّة؛ لأَنَّ السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد في اللباب -«لباب النقول في أسباب النزول» وهو كِتَابٌ جَيِّد يُسَاعِد على تَتَبُّعِ كَثِير مما ورد هنا- أثرًا عَلَى أنها في مكة، وهو أثر صحيح، نَزَلَتْ في رجال من قريش، وقال: إسناده جيد، وله شاهد أيضًا، فرأوا أن هذه الآيات ليست مسْتَثْنَاة، بل هذه الآيات مكية أيضًا. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الأَقْوَى أنها مُسْتَثْنَاة، فَهِيَ مدنية، وهذا الحديث الذي ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو رواية الترمذي. والعَسِيب هو: جريد النَّخْل إذا كُشِفَ خُوصُهُ، يسمَّى: عسيبًا، فهو كالعَصَا الدقيقة يَتَّكِئُ عليها رسول الله ﷺ(١).

---

(١) قال الزرقاني في «مناهل العرفان» (١/ ١١٧): وأما الصورة الثانية- وهي صحة الروايتين كلتيها ولإحداهما مرجح- فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة. والمرجح أن تكون إحداهما أصح من الأخرى، أو أن يكون راوي إحداهما مشاهدًا للقصة دون راوي الأخرى. مثال ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه. فقالوا: حدثنا عن الروح. فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. وما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل. فقالوا: اسألوه عن الروح، فسألوه، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآية. فهذا الخبر الثاني يدل على أنها بمكة، وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه، أما الأول فصريح في أنها نزلت بالمدينة بسبب سؤال اليهود إياه، وهو أرجح من وجهين:

أحدهما: أنه رواية البخاري، أما الثاني فإنه رواية الترمذي، ومن المقرر أن ما رواه البخاري أصح مما رواه غيره.

ثانيهما: أن راوي الخبر الأول- وهو ابن مسعود- كان مشاهدًا القصة من أولها إلى آخرها كما تدل على ذلك الرواية الأولى، بخلاف الخبر الثاني؛ فإن رواية ابن عباس لا تدل الرواية على أنه كان حاضرًا القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل، وفي الأداء، وفي الاستيثاق، ليست لغير =

قال السيوطي في «الإتقان»: وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ- وَصَحَّحَهُ- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: قالتْ قُرَيْشٌ لِلْيهُودِ: أعْطُونا شيْئًا نسْأَلُ هذا الرّجُل، فقالُوا: اسْأَلُوهُ عنِ الرُّوحِ، فسأَلُوهُ، فأنْزل اللهُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الْآيَةَ[1]، فهذا يقتضي أنها نزلت بمكة، والأول خلافه، وقد رُجح بأن ما رواه البخاري أصح من غيره، وبأن ابن مسعودٍ كان حاضر القصة[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي: أن هذه الآية مدنيةٌ، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكيةٌ. وقد يجاب عن هذا: بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرةً ثانيةً كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنهُ نزل عليه الوحيُ بِأنهُ يُجِيبُهُم عمّا سألُوا بالآيةِ الْمُتقدّمِ إنْزالُها عليْهِ، وهِي هذِهِ الْآيةُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾[3].

واسْتَثْنَى بَعْضُهُمْ أَيْضًا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآيَةَ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا نَأْتِيكَ بِمِثْلِ مَا جِئْتَنَا بِهِ[4].[5].

الحَادِي عَشر: مِنَ الحَجِّ عَلَى قَوْلِ: إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ: الآيَات السَّفَرِيَّة، وسيأتي، وَعَلَى قَوْلِ: إِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ إلى: ﴿عَقِيمٍ ﴾، فَهُوَ مَكِّيٌّ.

= المشاهدة، ومن هنا أعملنا الرواية الأولى، وأهملنا الثانية.

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣١٤٠) وقال الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٩): «هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) الإتقان (١/ ١٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٧).

(٥) انظر: الإتقان (١/ ٦٠).

هذه الآيات وردت في القصة المشهورة، وهي قصة الغرانيق[١] بمكة اتفاقًا عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَ هَذِهِ القِصَّةَ، ومِنْهُم الحَافِظ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ، وعِنْدَ مَنْ أنكرها – وهم جماعة– فليست مُسْتَثْنَاة عندهم؛ لأن القِصَّةَ كُلّها مُنْكَرَة؛ لِنكَارَةِ مَتْنِهَا، فَلَا تَصِحّ هذه القصة عندهم؛ لِعِصْمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والقصة مع جمع من الصحابة كان معهم بعض المشركين، وأجرى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قدَرًا من الله تبارك وتعالى: وتلك الغرانيق العُلا، وإن شفاعتهن لترتجى. ويُنْكِرُ ذَلِكَ كَثِير مِنَ الأَئِمَّةِ، والله أعلم.

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: قد رُوي عن ابن عباس وغيره أن النبيَّ ﷺ لمَّا قرأ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾؛ ألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى). فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ الآية، فاعلم أن هذه القصة لم ترد من طريق صحيح تقوم به الحجة، وكل طرقها واهية، وبعضها أشد ضعفًا من بعض؛ بل هي من حيث المعنى موضوعة باطلة، لا يجوز نسبتها إلى النبيّ ﷺ –وإن مال إلى ثبوتها بعض الأكابر؛ منهم الحافظ ابن حجر–، وقد بسطت القول في ذلك في رسالتي «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق»، فراجعها، فإنها فريدة في بابها[٢].

وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكيًا،

---

(١) قصة باطلة. انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٥٤٦).

(٢) مختصر صحيح البخاري للعلامة محمد ناصر الدين الألباني (٣/ ٢٢٩).

ومدنيًّا، وحضريًّا، وسفريًّا، وحربيًّا، وسلميًّا، وليليًّا، ونهاريًّا، وناسخًا، ومنسوخًا. فأما المكي، فمن رأس الثلاثين منها إِلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إِلى رأس ثلاثين. وأما الليليُّ، فمن أولها إِلى آخر خمس آيات. وأما النهاريُّ، فمن رأس خمس آيات. إِلى رأس تسع. وأما السفري، فمن رأس تسع إِلى اثنتي عشرة. وأما الحضريّ، فإلى رأس العشرين، نسب إِلى المدينة، لقرب مدَّته[1].

الثَّانِي عَشَرَ: مِنَ الشُّعَرَاءِ: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَهُوَ مَدَنِيٌّ. قَالَهُ مَكِّيٌّ. وهناك أيضًا أثر قوي في «الإتقان» عَنْ مُجَاهِد رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا ذَكَرَ السيوطي هنا. ومكي: هو مكي بن أبي طالب القيسي الإمام المعروف[2].

الثَّالِثَ عَشَرَ: الرُّوم: أَوَّلُها، فَقَدْ نَزَلَ بِبَدْرٍ، كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لِمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسٍ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَزَلَ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾[3].

لَكِنَّ هَذا الحديث ضعيف؛ لأنَّ فيه تدليسًا مِنْ قِبَلِ رَاوٍ مِنْ رُوَاتِهِ، وهو عطية العوفي، كان مشهورًا بالتَّدْلِيس[4] ولم يُصَرِّحْ بِالسَّمَاعِ في حديث الترمذي هذا،

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٢٠).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٩/ ٢٥١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٣٥-٣١٩٢). والحديث ضعفه الألباني. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٧/ ٣٦٤).

(٤) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في النزهة (١٠٣-١٠٤): المدلس -بفتح اللام- سمي بذلك لكون الراوي لم يسم من حدثه، وأوهم سماعه للحديث ممن لم يحدثه به. واشتقاقه من الدلس بالتحريك، وهو اختلاط الظلام، سمي بذلك لاشتراكهما في الخفاء. ويرد المدلس بصيغةٍ من صيغ الأداء تحتمل وقوع اللقي بين المدلس ومن أسند عنه، كـ«عن»، وكذا «قال». ومتى وقع بصيغةٍ صريحةٍ لا تجوز فيها كان كذبًا. وحكم من ثبت عنه التدليس-إذا كان عدلًا-: أن لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث، على الأصح.

بل قال: (عن)، والمدلس إذا قال: (عن فلان) ولم يُصَرِّح بِالسَّمَاع لا يُقْبَل ذلك منه، أما إذا قال المدلس: حَدَّثَنَا فلان، أو أخبرنا فلان فيقبل منه ذلك.

لَكِنْ رُوِيَ أَيْضًا عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق يَصِيحُ بِهَا فِي نَوَاحِي مَكَّةَ. الحَدِيث، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ[1]. حديث طويل فيه: أنه راهنهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أنها في بضع سنين، ثم اتفقوا فقالوا: بضع من ثلاثة إلى تسعة، فنجعلها في ست، فوافقهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجاء الخبر بِنَصْرِ الله لهم بعد سبع سنين، حتى إن بعض الصحابة لام أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كيف حَدَّدَ ذلك وقد سكت عنه الله تبارك وتعالى، فقال في بضع سنين؟ فكيف حدد ذلك بِستّ سنوات؟! والقصة طويلة فليرجع إليها من أراد.

قَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: وَهُوَ أَصَحُّ مِنَ الأَوَّلِ -من الحديث الذي قلنا: إنه ضعيف- وَقَدْ يَتَكَرَّرُ نُزُولُ الآيَةِ تِذْكَارًا وَمَوْعِظَةً. انْتَهَى[2].

الرَّابِعَ عَشَرَ: مِنَ السَّجْدَةِ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا﴾ [السجدة: ١٨] الآيَاتِ الثَّلَاث.

الَّتِي نَزَلَتْ فِي عَلِيّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والوليد بن عقبة بن أبي معيط ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾[3] فهي مدنية.

وقال الإمام أبو عمرو الداني: قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وعطاء: إلا ثلاث آيات

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣١٤٩). حسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٧/ ٣٦٦).

(٢) انظر: الإتقان (١/ ١٣٠).

(٣) أخرجه أحمد في الفضائل (٢/ ٦١٠)، والآجري في الشريعة (٤/ ٢٠٩٨).

منها، نزلت بالمدينة في علي ﵁، والوليد بن عتبة، وكان بينهما كلام، فقال الوليد لعلي ﵁: أنا أبسط منك لسانًا، وأحدّ منك سنانًا، وأرد منك للكتيبة، فقال له علي ﵁: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله ﷻ فيهما: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾، إلى آخر الآيات الثلاث.

وهذا النقل فيه نظر، فإن عليًا ﵁ لم يُنْقَلْ من طريق صحيح أنه اجتمع بالوليد بعد أن هاجر، إلا ساعة المبارزة ببدر، فإن كان قال له ذلك حينئذ، وإلا فمتى؟

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾. وقال مقاتل: فيها آية مدنية، هي قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية. وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، أولها: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ انتهى[(١)].

الخَامِسَ عَشَرَ: مِنْ سُورَةِ سَبَأ: الآيَاتُ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ سَبَأ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ فَرْوَةَ بن مُسَيْك المُرَادِي قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أُقَاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ مِنْ قَوْمِي... الحَدِيث، وَفِيهِ: وَأُنزِلَ فِي سَبَأ مَا أُنْزِلَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا سَبَأ... إِلَى آخِرِهِ[(٢)].

قَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: وَمُهَاجَرَةُ فَرْوَةَ بَعْدَ إِسْلَامِ ثَقِيفٍ سَنَةَ تِسْعٍ، قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (وَأُنْزِلَ) حِكَايَةَ عَمَّا تَقَدَّمَ نُزُولُهُ قَبْلُ.

قول الصحابي: وأُنزِلَ في سبأ ما أنزل، قَدْ يقول الصحابي ذلك حكاية عن آيات

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢) في سننهما.

قَدِيمَة نَزَلَتْ في مكة، فلا شَيْءَ في هذا، وعليه فليس هناك دليل واضح على أَنَّ هذه الآيات مدنية، هذا معنى كلام ابن الحصار، قد **يَكُونُ قَوْلُهُ: (وأَنْزِلَ) حِكَايَة عَمَّا تَقَدَّمَ نُزُولُهُ قَبْل**؛ أي: قبل الهجرة.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: اسْتُثْنِيَ مِنْهَا: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الْآيَةَ [سبأ:٦][١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ[٢]: وهي مكّيّة بإجماعهم. وقال الضّحّاك، وابن السّائب، ومقاتل: فيها آية مدنيّة، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾.

السَّادِسَ عَشَرَ: مِنْ يس: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآيَة، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَتْ بَنُو سَلِمَةَ فِي نَوَاحِي المَدِينَةِ، (بنو سلِمة) بَطْن مِنَ الأنصار، وليس في العرب قوم يسمون بَنِي سلِمة -بِكَسْرِ اللام- غَيْر هؤلاء، أما بنو سلَمة -بفتح اللام- فقوم آخَرُون. **فَأَرَادُوا أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ المَسْجِدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ يُكْتَبُ آثَارُكُمْ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الآيَةَ، فَتَرَكُوا، وَالحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ بِدُونِ ذِكْرِ الآيَةِ**[٣]. لا يضر ذلك؛ لأن الحديث صحيح صَحَّحَهُ الحاكم ووافقه الذهبي رَحِمَهُ اللهُ، وهُوَ حَدِيث يدل على أن هذه الآية مَدَنِيَّة[٤].

---

(١) الإتقان (١/ ٦٣).

(٢) زاد المسير (٣/ ٤٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٦)، مسلم (٦٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٢٦). وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٦٥): هذا حديثٌ صحيحٌ.

السَّابِعَ عَشَرَ: مِنَ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ ...﴾ الآيَاتُ الثَّلَاثُ، فَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ: مَا لِمُفْتَتَنٍ تَوْبَةٌ، وَمَا اللهُ بِقَابِلٍ مِنْهُ شَيْئًا، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ أُنْزِلَ فِيهِ: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالآيَاتُ الَّتِي بَعْدَهَا[1].

يقول: (في الصحيح)، وأنا بَحَثْتُ فلم أجده في الصحيح، إنما وجَدته من رواية محمد بن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ، وذكرها ابن هشام أيضًا في السيرة عن محمد بن إسحاق[2].

والقصة في هشام بن العَاص وفي عياش بن أبي ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول، وهي قصة طويلة، هاجر هشام بن العاص وعياش بن أبي ربيعة مع عمر رضي الله عنهم جميعًا، فرجع هشام بن العاص وَرَجَع عياش بن أبي ربيعة، حتى إن أبَا جَهْل - عليه لعنة الله- ذهَبَ إلى المدينة قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ لإرجاع هشام، وقد نصحه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن لا يرجع، لكنه رجع ثم حسن إسلامهما بعد ذلك، والقصة طويلة في السيرة.

وَاسْتُثْنِيَ أَيْضًا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآيَاتُ، رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: يَا يَهُودِيُّ! حَدِّثْنَا، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِذَا وَضَعَ اللهُ السَّمَاوَاتِ عَلَى ذِهْ، وَالأَرَضِينَ عَلَى ذِهْ، وَالمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى ذِهْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٢)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٧٧). وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البزار في المسند (١٥٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٦١): رجاله ثقات.

حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ[١]**، لَكِنَّهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِلَفْظِ: فَتَلَا الآيَةَ، وَلَمْ يَقُلْ: فَأَنْزَلَ**[٢]. (ولم يَقُل: فَأَنْزَلَ) فليس فيها تصريح بنزولها حينئذٍ، في رواية الصحيحين: فتلا الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، فقد تكون نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ، ثم تلاها النبي ﷺ لليهودي في المدينة.

(ذِه) اسم إشارة للمفرد المؤنث، وفي الإشارة لِلْمُفْرَدِ المؤنث عشرة ألفاظ: ذِهْ، وتِهْ، ثم بكسرهما فتقول: ذِهِ، وتِهِ، ثم بإشباع الكسر، فتقول: ذِهِي، وتِهِي - والإشباع أن تجعل حركة مَدّ مِنْ جِنْسِ الحَرَكَةِ كأنك تجعل يَاء بعد الهاء- وذات، وتا أيضًا، وذِي، وتِي، هذه عشرة ألفاظ وُضِعَتْ للإشارة إلى المفرد المؤنث، ثم لك قبل أن تقولها أن تَضَع قبلها (ها) التنبيه، فتقول: (هذه) أو (هاته)[٣].

الثَّامِنَ عَشَرَ: مِنَ الحَدِيد عَلَى مَا اخْتَرْتُهُ مِنْ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَهُوَ مَدَنِيٌّ نَزَلَ بَعْدَ أُحُدٍ فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الحَبَشَةِ، كَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ[٤]. من أصحاب النجاشي رضي الله عنه لكن هذه القصة فيها ضعف، كما قال الهيثمي رحمه الله، وقال فيها السيوطي نفسه في كتابه «لُبَاب النّقول»: فِي إِسْنَاد هذه القصة مَنْ لَا يُعْرَف، وَهُوَ نص كلام الهيثمي تقريبًا.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٢٤٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦).

(٣) انظر: جامع الدروس العربية (١/ ١٢٧).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٦)، وابن الأعرابي في معجمه (١/ ٢٥٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢١): فيه من لم أعرفه.

التَّاسِعَ عَشَرَ: مِنَ التَّغَابُنِ، عَلَى قَوْلٍ: إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ. تكسر همزة (إن) بعد القول وتصريفاته: قل، وقال، ويقول...إلخ. **مَا رَوَاهُ الحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ، فَأَتَوُا المَدِينَةَ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَوُا النَّاسَ قَدْ فَقِهُوا**[١].

(فقهوا) إِذَا تَعَلَّمَ الشخص وإذا سلك سبيل التعليم وابْتَدَأَ فِيهِ يُقَال: فَقِهَ فلان -بكسر القاف- أَمَّا إِذَا تَعَمَّقَ فِي العِلْمِ وصار طالبًا جَيِّدًا له، فيقال: فَقُهَ فُلَان، والفِقْهُ هنا ليس هو المَعْرُوف اليوم بعلم الفقه الذي يَتَنَاوَلُ الأحكام الشرعية التفصيلية، إنما الفقه هنا هو مُطْلَق العِلْمِ بكتاب الله تبارك وتعالى وسُنَّةِ رسول الله ﷺ، وهذه قصة جميلة تدُلّنا عَلَى ما يصيب الإنسان إذا تأَخَّر عن الفضائل، فإن هؤلاء القوم تَعَلَّق بِهِمْ أَزْوَاجُهُمْ، وَتَعَلَّقَ بِهِمْ أَوْلَادهم، وهذا التعلق طَبَعِي فِطْرِيّ لا بد منه، فلا بد لكل رجل من أن يتعلق به نساؤه وأَوْلَادُهُ وبناته، فهذا أَمْر فَطَرَ الله تَبَارك وتعالى الناس عليه، لَكِنَّ العاقل عليه أن يوازن في ذلك، وَعَلَيْهِ أن يرجح أموره ويعلم حاله، ويَعْلَم أنه إن لم ينصرف قليلًا أو كثيرًا إلى طلب العلم، ويتَخَلَّص من ذلك التعلّق، فَإِنَّهُ لَنْ يَنَالَ شَيْئًا كثيرًا في طلبه للعلم، فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَازِنَ، فهذا مَنْزَع ضَخْم قوي في نفسه وهو تعلق أولاده وأهله به، لكن لا بد له مِنْ أَنْ يُفَرّغ نفسه لطلب العلم إن أراد ذلك، أما أن يَسْتَجِيب لحاجة أهله

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٣١٧) قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٣٢): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وأولاده دومًا وأبدًا، فَإِنَّ حوائجهم لا تنقطع، ولا أدعو إلى ترك الأهل والأولاد، لكن أقول لا بد من الموازنة.

فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾.

ويَكْفِي أن الله تَبَارَكَ وتَعَالَى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾، فهذا تقرير صعب، فلا بد أن ننتبه ولا نفتتن بالأهل والأولاد.

فَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ حَرَّرْتُهَا نَقْلًا وَدَلِيلًا، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِتَحْرِيرِهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

انظروا كيف يَفْرَحُ العالم بِتَحْصِيلِهِ للعلم! ويفرح بتحريره للمسائل وتدقيقه فيها، ونظره المتواصل، حتى يخرج بِنَتِيجَة واضِحَة وَاحِدَة. ولَا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، فيَفْرَحُ العِالِم إِذَا تَوَصَّلَ إلى شيء في مسألة ما، أو توصل إلى نتيجة قوية، ويقول: **ما أحب أن لي بتحريرها الدنيا وما فيها** رَحِمَهُ اللهُ! هكذا ينبغي للإنسان أن يفرح بهذه الأمور.

خاتمة: رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ عُفَيْرِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ..سليم بن عامر هو الكلاعي؛ لأن هناك سليم بن عامر الشامي. وأبو أمامة هو صُدَيّ بن عَجْلَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ: مَكَّةَ، وَالمَدِينَةِ، وَالشَّامِ»[1] قَالَ**

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٧١). قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٤/ ٩٠٠): ضعيف جدًا.

الْوَلِيدُ: يَعْنِي: بَيْتَ المَقْدِسِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: بَلْ تَفْسِيرُهُ: بِتَبُوكَ أَحْسَن[١].

هذه في تنزلات القرآن وأماكن نزولها.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٠١).

النوعُ الثالثُ والرابعُ
الحضري والسفري

أي: ما نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ في الحَضَر في مَكَانِ إقامته ﷺ في مكة أو المدينة، ومَا نَزَلَ فِي سَفَرِهِ ﷺ.

الأَوَّلُ كَثِيرٌ، وَلِلثَّانِي أَمْثِلَةٌ ذَكَرَ الْبُلْقِينِي مِنْهَا قَلِيلًا[١]: أَحَدُهَا وَهُوَ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾، فَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ ابْنِ عُجْرَةَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالحُدَيْبِيَةِ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ، وَكَانَتْ لِي وَفْرَةٌ، فَجَعَلَتِ الهَوَامُّ تَتَسَاقَطُ عَلَى وَجْهِي، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ[٢].

كعب بن عُجْرَة أَحَدُ الصَّحَابَةِ الكرام ﷺ، توفي سنة اثنتين وخمسين من هجرة النبي ﷺ، وهذا الحديث مشهور؛ لما كَثُر في رأسه القمل؛ لعدم استطاعته أن ينظفه؛ لدواعي الإحرام وغيره، قال رسول الله ﷺ: «**أيؤذيكَ هَوَامّ رَأْسِكَ**» والهَوَام: جمع هامة، وهي مَا يَضُرّ بِالإنسان ممَّا يَدبّ عَلَى الأرض من حَيَّة وعقرب وغيره مما يقتل الإنسان بسُمّه وبِغَيْرِ ذلك، وتُطْلَق أيضًا على الحشرات التي ليس لها سم وهي غير ضارة أيضًا، ومنها هذا الحديث: «**أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟**»، فالهوام كان النبي ﷺ يستعيذ منها، ويعيذ الحسن والحسين قبل نزول المعوذات، فيقول: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»[٣].

---

(١) انظر: مواقع العلوم (٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٩١)، ومسلم (١٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٧).

قوله: (وكانت لي وفرة) الوَفْرَةُ: الشَّعْرُ المجتمع على الرأس، فإن كان في مُقَدِّمَة الرأس فيسمى: (جُمَّة) أما إن لم يجاوز شحمة الأذنين فيطلق عليه وفرة، ويقال: لمَّة، فإن جاوز بعد ذلك فيقال له اتفاقًا: لمَّة، يعني بعض الناس سمى الشعر الواصل إلى شحمة الأذنين: (وَفْرَة)، ويُطْلَق عليه أيضًا: (لمّة)(١).

ثَانِيهَا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ نَزَلَتْ بِمِنًى فِيمَا رَوَاهُ الْبَيْهِقِي فِي الدَّلَائِلِ(٢). أي: دَلَائِل النّبُوّة، نبوَّة النَّبِيّ ﷺ.

ثَالِثُهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قِيلَ: نَزَلَتْ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ.

وليس هناك دليل على هذا كَمَا صَرَّحَ به الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإتقان»؛ -وقد ألفه بعد هذا بزمان طويل- فإنه قال: لم أجِدْ دَليلًا على هذا. وَحَسْبُكَ بِالحَافِظ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا قال: لم أَجِدْ دَلِيلًا(٣).

رَابِعُهَا -وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْبُلْقِينِيُّ-: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ نَزَلَتْ بِأُحُدٍ، فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(٤)، وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ(٥).

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ٧٨٩).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٣٧): حدثنا سفيان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله... نزلت وبينها وبين موت رسول الله ﷺ واحدٌ وثمانون يومًا. زاد المنادي في روايته: نزلت بمنًى. كذا في رواية الكلبي.

(٣) الإتقان للسيوطي (١/ ٧٤): وقال: ولم أقف له على دليل.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (٣٠٠٤)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٦٩)

هذا الحَدِيث مِنْ أَعْجَبِ الأحاديث، فرَسُول الله ﷺ الذي هو أَفْضَل البشر وأعْظَم الخلق يدعو على أناس آذَوْه ﷺ، وقتَلُوا عَدَدًا من أصحابه في مَعْرَكَةِ أحد وغيرها، يدعو عليهم ﷺ؛ فَيَنْزِل قرآن يتلى إلى يوم القيامة ليقول له ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أيْ: أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، مهما حَاوَل الإنسان أن يهدي أخَاهُ الإنسان فإنَّه لَنْ يستطيع ذلك إلا بمعونة إلهية، وبتوفيق إلهي؛ فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لم يَسْتَطِع أن يهدي عَمَّهُ(١)، ونوح عليه السلام -وهو من أولي العزم من الرسل- لم يستطع أن يهدي ابنه(٢)، وهكذا إبراهيم عليه السلام لم يستطع أن يهدي أَبَاهُ أو عمه على اختلاف الرِّوَايَات(٣)، فالأمر بيد الله تبارك وتعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وهؤلاء الثلاثة كلهم أسْلَموا بعد ذلك، وأحسنهم إسلامًا كما يقول الإمام الذهبي رحمه الله: الحارث بن هشام رضي الله عنه، وهو مِنْ مُسْلِمَةِ الفَتْح، أجارَتْه أمّ هَانِئ رضي الله عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**»(٤) ثم إن الحارث رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ رسول الله ﷺ نَظَرَ فرَأَى أن الناس الذين أسلموا منذ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤).

(٢) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾، إلى قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

(٣) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الآيات.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).

القدم قد فازُوا بالمَرَاتِب العالية، فأجمع أَمْرَهُ على أن يجاهد في الشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرج أهل مكة يشيعونه وهم يبكون، سيدهم سيد مكة ومن أفضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر لهم أن السبب الذي دعاه إلى الخروج ليس كرههم ولا كره مكة، إِنَّمَا السبب الذي دعاه لِلْخُرُوج هو أَنَّ هُنَاكَ أقوامًا أسلموا قديمًا ففازوا بالدرجات العلا والنعيم المقيم، فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ اللّحَاقَ بِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَات في طاعون عمواس بالشام في سنة ثمان عشرة من هجرة الرسول ﷺ(١).

أما أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو صَخْرُ بن حرب بن أمية، توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، ولَهُ مِنَ العُمْرِ تِسْعُون سَنَة، ثُمَّ إِنَّ أبا سفيان أَسْلَم شبه مكره، حيث كان خائفًا يوم أنْ أسلم، لكنه حسن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك وجَاهَدَ مع رسول الله ﷺ في الطائف، وكان ممن ثَبَتَ مع رسول الله ﷺ، وذهبت عينه في الطائف، ثم إنه في يوم اليرموك كانت له صولة وجولة في جيش المسلمين، فقد ذهبت عينه الأخرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المعركة، وكان المسلمون في تلك المعركة مُنْهَمِكِين في الحرب لا يصدر عنهم صوت إلا قعقعة الحديد والسيوف، ويُسْمَع صوت أبي سفيان يُدوى في الجيش: يَا نَصْرَ اللهِ اقْتَرِبْ، يا نصر الله اقترب، وكان يدعو الله تبارك وتعالى بالنصر، وكل ذلك دلائل عظيمة على حسن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

وأما صفوان بن أُمَيَّة فهو أَحَد مُسْلِمَة الفَتْحِ مِمَّنْ هَرَبَ على وجهه يَوْمَ أَنْ دَخَلَ رسول الله ﷺ مكة، ثم أجاروه، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ بعد ذلك خَاصَّةً عندما ذهب مع رسول الله ﷺ في حنين، ورأى شِعبًا مملوءًا إبلًا وغنمًا، فَظَلَّ ينظر إليه ومعه رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَأَعْجَبَكَ ذَلِكَ الشِّعْبُ يَا**

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٩-٤٢٠).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٣٢)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٥).

أَبَا عُمَيْرٍ؟» قال: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قال: «**هُوَ لَكَ بِمَا فِيهِ**» فقال: أَشْهَد أنك نَبِي الله حَقًّا، لم تطب نفس أحد بهذا قَطُّ إلا أن يكون نبيًّا، أي: لا يَسْتَطِيع أحد أن يعطي الشِّعْبَ بِمَا فِيهِ مِنْ إِبِل وَغَنَمٍ كَهَذا إِلَّا أَنْ يكون نبيًّا. وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ بعد ذلك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

ثم اللعن حَصَلَ فيه اتفاق بين أئمة المسلمين واختلاف وافتراق: أما الاتفاق فقد أجمع المسلمون على أنه لا يجوز لَعْن المسلم المصون الذي يَصُون نفسه عن الكبائر والدنايا والخزايا.

ثم أجمع المسلمون أيضا على أنه يجوز لَعْنُ الكَافِرِ غَيْر المُعَيّن، ويجوز لعن الذين يظلمون ويعتدون والذين يتجاوزون، فنقول: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمين -سَوَاء كانوا مسلمين أو كافرين- لَعْنَة الله على الكافرين، لعْنَة الله على المعتدين، لعنة الله على الفاسقين، لعنة الله على الذين لا يحكمون بما أنزل الله، وهكذا.

فيجوز ذلك اتفاقًا بين أئمة المسلمين؛ لأنَّ الله لعنهم ورسول الله ﷺ لعنهم، وما بالنا لا نلعن مَنْ يَلْعَنُه الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ! فهذا أيضًا فيه اتفاق. وهناك أيضًا إجماع على جَوَازِ لَعْنِ الكَافِرِ غَيْر المُعَيّن.

أما الكَافِرُ المعين فكثير من العلماء يرى أنه لا يجوز لعنه لهذه الآية؛ لأنه لو جاز لعنه لما نزل قَوْلُ الله تبارك وتعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ**﴾، وبعض العلماء يرى أنه يجوز لعنه، لكن على التفصيل الآتي:

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٤٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٢).

إذا كان الكافر لا زال على قَيْدِ الحياة فَكَثِير مِنَ العلماء لا يجوّز أن يُلْعَن مطلقًا، بَلْ يُقَالُ: لَعَنَهُ الله إن مات على الكفر.

وكَذَلِكَ الكافر المُعَيَّن الذي يموت وقد جُهِلَ حاله فإنَّ المسلمين متفقون في أكثرهم على أنه يجوز لعنه بالتقييد، فيقال: لَعَنَهُ الله إِنْ مَاتَ على كفره، أما الكَافِرُ المُعَيَّن الذي مَاتَ كافِرًا وعلمناه، أمْثَال فِرْعون وأبي جَهْل وهَامَان وقَارُون، فهؤلاء يجوز لعنهم باتفاق.

وأما المسلم العاصي المعين فلا يجوز لعنه عند أكثر الأئمة؛ لأن مَوَانِع اللعن كثيرة لِلْمُسْلِم: منها الاستغفار والرحمة من الله تبارك وتعالى ابتداءً أو بعد توبة، وشفاعة الشافعين، فكثيرة هي الموانع التي تمنع وقوع اللعن على المسلم، لذا أكثر العلماء على أنه لا يجوز لَعْنُ المسلم.

أما اللعَّان؛ فإن النبي ﷺ قال: «**لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**»[(١)].

وأن المؤمن لا يكون لَعَّانًا ولا سَبَّابًا ولا طَعَّانًا ولا فحَّاشًا، وبَيَّنَ رسول الله ﷺ كما في حديث مسلم «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

فاحْذَرُوا مِنَ اللّعْنِ فأمره عَظِيم غير يسير، خاصةً أنه وَرَدَ حديث: «**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»[(٣)]، فَيَنْبَغِي الحذر والانتباه لهذا.

خَامِسُهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ: -أي: الْبُلْقيني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه[(٤)]- ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١١٠)

(٤) وهو كتاب «مواقع العلوم في مواقع النجوم».

الآيَة، نَزَلَتْ فِي أُحُدٍ، فَقَدْ روَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ[١] مِنْ طَرِيقِ آدَمَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَنَزَلَتْ[٢].

سبحان الله! ما أعظم الصحابة! أنا ما أدري أأعْجَب من السائل أم من المسئول؟! السائل الذي يرى الصحابي يَتَشَحَّط في دمه؛ أي: يَضطرب في دَمِهِ، فلا يسأل عن حاله أو ماذا حدث له؟ أو مَنِ الَّذِي ضَرَبَهُ أو كذا أو كذا؟ ولا يسأله عن حاله أبه رمق أو ليس به رمق؟ هل سيعيش أم لن يعيش؟

أما المسئول فيقول: «إن كان مُحَمَّد قد قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغ، فَقَاتِلُوا عن دينكم»، هو في الاحتضار لكنه لا يوصّي، ولا يقول: اهتَمّوا بأولادي من بَعْدِي، ولا بزوجي، ولا بجماعتي ولا بمالي ولا بشيء! هذا الذي جَعَلَ الصَّحَابَة أعظم جيل في التاريخ ﵃، فقد كانوا مُنَزّهين عن صفات هذه الدنيا. فهذا الصحابي يَرَى أحد الأنصار يتشحَّط في دمه فيقول: أشعرت أن محمدًا قَدْ قُتِلَ، -كما كان شائعًا في غزوة أحد أنه قد قتل- فقال: إن كان قد قُتِلَ فقد بَلَّغ، فَقَاتِلُوا عن دينكم، انظروا إلى هذا التثبيت للصحابي في سَكَرَاتِ الموت وفي اللحظات الأخيرة ﵃!

سَادِسُهَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ نَزَلَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي شَأْنِ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ[٣]. وهي قصة مشهورة، وعثمان بن طلحة ﵁ هو الذي أُخذ منه

---

(١) دلائل النبوة(٣/ ٢٤٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الجهاد (ص٧٧)، وابن جرير في التفسير (٦/ ١٠٢)

(٣) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٢٦٥)، وأخرجه ابن جرير في التفسير (٨/ ٤٩١) عن ابن جريجٍ.

المفتاح، ثُمَّ رُدَّ إِلَيْهِ.

سَابِعُهَا: آيَةُ الكَلَالَةِ: نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فِي مَرْجِعِهِ ﷺ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. ذكرنا أن هذه الآية نزلت في مسير له ﷺ، وبينَّا هنالك الكلالة ومعناها واختلاف العُلَمَاءِ فيها(١).

ثَامِنُهَا -وَلَمْ يَذْكُرْهُ-: أَوَّلَ المَائِدَةِ، فَفِي شُعَبِ الإِيمَانِ(٢) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ عَنْ لَيْثٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَت: نَزَلَتْ سُورَةُ المَائِدَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى، إِنْ كَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا أَنْ تَكْسِرَ عِظَامَ النَّاقَةِ(٣).

وَفِي الدَّلَائِلِ(٤) مِنْ حَدِيثِ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنْ أُمِّ عَمْرٍو بِنْتِ عَبْسٍ عَنْ عَمِّهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ المَائِدَةِ، فَانْدَقَّتْ كَتِفُ رَاحِلَتِهِ العَضْبَاء مِنْ ثِقَلِ السُّورَةِ(٥).

الإسنادان فيهما بعض الضعف؛ أما الإسناد الأول فَلِضَعْفِ شَهْر رَحِمَهُ اللَّهُ، فالإسناد به بعض الضعف الذي يُجْبَرَ إن شاء الله.

والإسناد الآخر: فيه هذه المرأة أم عمرو بنت عبس وعمّها وهما مَجْهُولان لا يُعْرَفَان، فالإسناد فِيهِ ضَعْف، وأورد البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث في دلائل النبوة؛ لِيُبَيِّن للناس أن هذا الحديث من دلائل نُبُوَّتِهِ العظيمة ﷺ أَنَّ نَاقَتَهُ دُقَّتْ كَتِفُهَا من ثقله ﷺ لما نَزَلَ عليه الوحي، وكَانَ ﷺ لما ينزل عليه الوحى ربما

---

(١) سبق تخريجه والكلام عليه في المكي والمدني.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٠٧)

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٥٧٥) وحسنه الأرنؤوط بشواهده.

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٥).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٧٥) وقال الحافظ في إتحاف المهرة (٦/ ٢٠٢): هذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجهالة بعض رواته.

تكون فخذه ﷺ على فَخِذ أحد الصحابة، فَيَقُول: «تَكَاد رِجْلِي أن تُرضّ مِنْ ثِقَل فَخِذِه ﷺ»(١). فهذا مِنْ دَلَائِلِ النبوة، الناقة لا تحتمل ثقل السورة النازلة وثقل الوحي، فكَادَتْ أن تموت هذه الناقة، وفي روايات كُسِرَ كَتِفُهَا، ولها روايات كثيرة، فيدلك على أنه من دلائل نبوة رسول الله ﷺ، لذلك جاء به البيهقي في شعب الايمان.

والعضباء(٢) هِيَ النَّاقَةُ التي شُقَّ أذنها فتُسَمَّى: العَضْبَاء، ولم يكن في ناقة رسول الله ﷺ عيب، وإنما هذا اللَّقَب غَلب عليها، فَلُقِّبَتِ العَضْبَاء، وَكَانَتْ سريعة جدًّا لا تُلحق بين نُوقِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى جاء أعرابي على قعود له فسَبَقَ هذه الناقة، فشق ذلك على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أي: كيف يسبق قعوده نَاقَةَ رَسُول الله ﷺ؟! فقال ﷺ كما هو مُخَرَّج في مسلم: «**حَقٌّ عَلَى اللهِ أَلَّا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ إِلَّا وَضَعَهُ**»(٣)؛ أي: هذه سُنَّة مِنْ سُنَنَ الله تبارك وتعالى: أن يُدَال الأمر بين الناس، فلا يبقى المرتفع مرتفعًا، ولا يبقى الدنيء دنيئًا، إنما الأمر دول بين الناس.

والعضباء أيضًا هي الناقة التي ركب عليها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حجه سَنَة تِسْع مِن الهجرة عندما أرسله رسول الله ﷺ خلف أبي بكر، كان أبو بكر قد تَقَدَّمَ بالمسلمين؛ ليحجوا، ولم يحج ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة، وأَرْسَلَ النبي ﷺ عليًّا علَى ناقته العضباء؛ لِيَلْحَقَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأَرْسَلَهُ ليُؤَذِّن في الناس أن لَا

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٢).
(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥١).
(٣) البخاري (٢٨٧٢).

يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأَنَّ الجَنَّةَ لا يدخلها كافر[١]، ثم أَرْسَله أيضًا لإتمام العَهْد إلى أهل العَهْدِ إلى مُدَّتِهِم، ومن لم تكن لهم مدة فَمُدَّته أَرْبَعَة أشهر فقط، كما هو صَدْر سورة التوبة المعروفة.

وَرَوى أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ عُمَر بْنِ طَارِقٍ[٢] عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي صَخْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ المَائِدَةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَانْصَدَع كَتِفُهَا فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ[٣].

أبو عبيد هو الإمام المشهور القاسم بن سَلَّام رحمه الله ورضي عنه، له من المصنفات الشيء الكثير، وهو إمام مِنْ أئمة المسلمين.

يقول: (**روى أبو عبيد عن عَمْرو بن طارق**) وليس (**عُمَر**) قد راجعتها في فضائل القرآن لأبي عبيد، هو عَمْرو بن الربيع بن طارق (**عن يحيى بن أيوب عن أبي صخر**) هناك اثنان بِهَذِهِ الكُنْيَة (**أبو صخر**)[٤]:

أما أولهما: فهو حُمَيْد بن زياد المصري، وهو الأقرب هنا، والآخَرُ: هُوَ يَزِيدُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩) ومسلم (١٣٤٧).

(٢) خطأ: والصواب: عمرو بن الربيع بن طارق بن قرة بن نهيك بن مجاهد الهلالي، أبو حفص الكوفي، ثم المصري.

(٣) فضائل القرآن (٢٩٣).

(٤) حميد بن زياد أبو صخر ابن أبي المخارق، الخراط، صاحب العباء، مدني، سكن مصر، ويقال: هو حميد بن صخر أبو مودود الخراط، وقيل: إنهما اثنان، صدوق يهم، من السادسة، مات سنة تسع وثمانين. التقريب (١٥٤٦).

والثاني: يزيد بن أبي سمية بمهملة مصغر، أبو صخر الأيلي بفتح الهمزة وسكون التحتانية، مقبول من الرابعة د. التقريب (٧٧٢٥).

ابْنُ أبي سُمَيَّة الأيْلِي، وحُمَيْد بن زياد هو الأقرب؛ لأن يحيى بن أيوب غافقي أصلًا ثم مصري، وحميد بن زياد أيضًا مصري فهو الأقرب، وحميد بن زياد تلاميذه كُثُر، بَيْنَما يزيد بن أبي سُمَيَّة ليس له إلا تلاميذ قلائل، وقد اسْتَوْعَبَهُم الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في التهذيب، فلم يذكر من تلاميذه يَحْيَى بن أيوب، فالأولى -والله أعلم- أن يكون أبو صخر هذا هو حميد بن زياد المصري رَحِمَهُ اللَّهُ (**عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ**) هو الذي نجا أبوه يوم بني قُرَيْظة؛ لأنه كشف عن عانته، فَلَمَّا رَأَوْهُ لم ينبت بَعْدُ -أي: لم يُكَلَّف بعد-، لم يقتلوه، فنَجَا من اليهود الذين قُتلوا يوم بَنِي قريظة، وهذا ابنه رَحِمَهُ اللَّهُ، وُلِدَ سنة أربعين من الهجرة، وهذا الحديث مرسل؛ لأن الذي رواه محمد بن كعب القرظي لم يبين عَمَّنْ رَوَاه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما قال: (**نَزَلَتْ سُورَةُ المَائِدَةِ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ**)، وهذا حديث كسابقه.

ولفظ الحديث السابق: (وهو على ناقته). لكن قد يتصرف السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث؛ لأنه حافظ، فيُؤَدي الحَدِيثَ بالمعاني المُترادِفَة، وأكثر العلماء على جواز تَأْدِيَةِ الحَدِيث بالمعاني المترادفة، فيقول: وهُوَ عَلَى راحِلتِهِ، بينما الذي في الفضائل: وهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ.

تَاسِعُهَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فَفِي الصَّحِيح من حديث عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها نَزَلَتْ بِعَرَفَةَ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ. انْتَهَى[١].

هَذَا مِنْ أعْظَمِ المِنَنِ مِنَ الله تبارك وتعالى أَنْ أَكْمَلَ لَنَا دِيننا، فلم يَجْعَلْهُ كَدِين اليهود ولا كدين النصارى الذي احتيج فيه بعد ذلك إلى إكمال، أَمَّا دِينُنَا -ولله الحمد- فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِكْمَالٍ إِنَّما يحتاج إلى رجال صالحين وإلى علماء

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧)

ربانيين حتى يقيموه في الناس، أما الدين فلا يحتاج إلى رسول يأتي إلا ما يكون من شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، فإنه يأتي؛ لِيَحْكُم بِمِلَّةِ رَسول الله ﷺ ولا يأتي بدين جديد هذا أولًا[(١)].

ثانيًا: أنه يأتي أيضًا مُرسَلًا من عند الله تبارك وتعالى يُقَاتِل مَع المهدي[(٢)] المسيح الدجال في آخر الزمان، فهذا الدين دين قويم أَتَمَّه الله تبارك وتعالى.

وقد جاء يهودِي إلى عمر رضي الله عنه وقال: «لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا»[(٣)]؛ لِأَنَّ هذه الآية عَظِيمَة، فهي بُشْرَى من الله تبارك وتعالى لأمَّةِ نَبِيِّه ﷺ، فيَحْتَاج هذا الدِّينُ إلى رِجَال.

يقول يحيى بن معين رحمه الله[(٤)]: يا لهذا الدين لو أن له رجالًا[(٥)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)

(٢) أهل السنة أهل الحديث؛ يقولون: إن المهدي سيخرج في آخر الزمان كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، واسمه يوافق اسم النبي ﷺ، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، يعني: أن اسمه: محمد بن عبد الله، وهو من ولد فاطمة عليها السلام، كما صحت بذلك الأخبار.
انظر «المهدي حقيقة لا خرافة» للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم. نشر دار الإيمان بالإسكندرية.
و«المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة» للدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي. نشر المكتبة المكية ودار ابن حزم. و«عقيدة أهل الأثر في المهدي المنتظر» لعبد المحسن العباد.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن أبو زكريا البغدادي الحافظ، مولى غطفان، إمام أهل الحديث في زمانه، والمشار إليه من بين أقرانه. قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان إماما ربانيا، عالما، حافظا، ثبتا، متقنًا. قال الحافظ: ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل. قال الذهبي: الحافظ، إمام المحدثين، فضائله كثيرة. ت (سنة)٢٣٣ هـ بالمدينة النبوية. انظر سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٣).

(٥) قال أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ ٢١١): عن شعيب بن حربٍ؛ قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أي دينٍ أي دينٍ لو كان له رجالٌ؟! وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٤/ ٢٨٨)، وفي سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٩٤).

ابن معين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول هذا الكلام في القرن الثالث، فقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في أواخر القرن الثالث، ومع ذلك يقول: «يا لهذا الدين لو أن له رجالًا»؛ أي: لو أن له رجالًا يقومون به ويذودون عنه، ونحن نقول أيضًا في هذا الزمان: «ما أعظم هذا الدين لو أن له رجالًا يقومون به ويحمونه، وعلماء عامِلِين يعملون به!».

وأُمَّةُ محمَّد ﷺ في خيرٍ عظيمٍ والحمد لله، ولن ينقطعَ الخيُر في هذه الأُمَّة، وفيها من الْعُلَماءِ العاملين، وفيها من الرِّجَالِ الصالحِين الدُّعاةِ إلى الله من فيها، وهو أمرٌ مَشْهور، لَكنْ هذا الدِّين يَحْتَاج إلى جهودٍ أعظمَ وأَكثَرَ، والحجَّةُ علينا قائمةٌ؛ فعندما يُسْلم أَحَدُ الْكَافِرِينَ يَقُول: أَيْنَ أَنْتُم؟

وهناك مجلة تُسَمَّى «النَّور» تصدرُ عَنْ بيتِ التَّمويل الكويتيِّ، وفي كل عدد يأتون برجل أو امرأة قد أَسْلَمَ ودخَلَ في دين الله تبارك وتعالى، فيأتون بِكَلَامِهِ الذي يُبْكِي الإنسانَ، يقول: أين أنتم؟! نحن كنَّا فِي فَراغٍ روحيٍّ عَظِيم، نحن كنَّا كالبهائم أو أشدَّ، لذا نحتاجُ إلى جهودٍ وَتَكَاتفٍ، بَلَّغَنَا الله وإياكم هذا المقام.

ثُمَّ عَاشِرُهَا: آيَةُ التَّيَمُّمِ فِيهَا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ قَرِيبِ المَدِينَةِ فِي القُفُولِ مِنْ غَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ[1].

البيداء[2]: هِيَ أَرْضٌ مَلْسَاء واسِعَة تسمى: البيداء.

وبعض علماء اللغَّةِ يَقُول: الْبَيْدَاء المقصودة هنا هي: ذو الحُلَيْفَةَ مِنْ أَرْضِ المَدِينَةِ، وَأَمَّا «ذات الجيش» فهي مَوْضِع بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ، وهذه الغَزْوَة يُقَالُ لها: غزوة المُرَيْسِيع، أو غزوة بَنِي الْمُصْطَلِق، و«الْمُصْطَلِق»: بطن مِنْ خُزَاعَةَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧) عن عائشة زوج النبي ﷺ... الحديث.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧١).

و«الْمُرَيْسِيع»: بئر لهم[(١)].

وقَدْ أَخْبَرَنِي أَحَدُ أَهلِ هذه المنطقة أَنَّ الْبِئْرَ مَا زَال مَوْجودًا إلى اليوم في تلك المنطقة، ويَبْعُدُ عن عُسْفَان حوالي ثمانين كيلو مترًا، وما زال يسمى بنفس الاسم (مريسيع)، وفيه ماء، وحوله مزارع.

والحديثُ مشهورٌ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعَنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتيَمَّمُوا، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ»[(٢)].

فكَان تأَخُّرُهُم وضَيَاعُ عِقدِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَعْظَم الْبَرَكَةِ على الْمسْلِمين، ومِنْ أَعْظَمِ التيسير لهم في نزولِ آيةِ اَلتَّيَمُّمِ.

---

(١) انظر: القاموس المحيط (١/ ٧٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤) ومسلم (٣٦٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به.

حَادِيَ عَشْرِهَا: أَوَّلُ الأَنْفَالِ؛ فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ، وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ وَبِي مَا لَمْ يَعْلَمْهُ إِلَّا اللهُ مِنْ قَتْلِ أَخِي وَأَخْذِ سَلَبِي، قَالَ: فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْفَالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ»[(١)].

هذا السَّيْف كانَ مُهِمًّا فِيما يبدو، وقَدْ عَيَّن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في روايتِهِ اسْمَ السَّيْفِ، فقال: هُوَ ذُوْ الْكتيفَة، والكتيفة[(٢)]: السَّيْفُ ذُو النَّصْل العريض، وهو سيف مَرْغُوبٌ فِيهِ، فَلِذَلِكَ حَرَصَ عَلَيْهِ سَعْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا الحديث فيه انْقِطَاعٌ بين محمد بن عبيد الله الثقفي وسعد بن أبي وقاص؛ لأنَّ محمدًا هذا لم يدرك سعدًا[(٣)]، فالحديث هنا ضعيف، لكن هناك رواية أخرى تُعَضِّد هذا الحديث، وهي أشْمَل من هذا الحديث وأَوْسَع، مَنْ أراد أن يرجع إليها فليرجع.

وإنما منع رسول الله ﷺ أولًا سعدًا أَنْ يأخذَ سَيْفَه ثمَّ وهَبَهُ له ثَانِيَةً؛ لأنَّه لم يَأْتِ بَعْدُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تبارك وتعالى في توزيع الْغَنَائِم، بل كانت الْغَنائِم مُحَرَّمة عَلَى أهل الشَّرائِع السَّمَاوية، فقد كانوا بعد الحرب يَضَعُون الْغَنَائِم في مكانٍ واحدٍ فتأتي صَاعِقة مِنَ السَّمَاء؛ لتحرق هذه الْغَنَائِم دليلًا على قَبولِ مَا قاموا به؛

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٩) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٤٧٨) وسعيد بن منصور في السنن (٥/ ١٩٤) وابن زنجويه في الأموال (٢/ ٦٧٤) والبزار في البحر الزخار (٤/ ٧٢) من طرق: عن سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٥٩).

(٣) قال الحافظ العلائي في جامع التحصيل (٢٦٦): محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال أبو زرعة: مرسل.

لذلك مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ الأمة أن قَدْ أُحِلَّتْ لها الغنائم كما قال ﷺ: «**وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي**»(١)، فكانت الْغَنَائِمُ مَحَّرمة، فأُحِلَّتْ في هذه الغزوة على رأي فريق من العلماء، فقالوا: هذه الآية ناسخة ومنسوخة؛ أما كونها ناسخة فلأنها نَسَخَتِ الحكم بعدم جواز أخذ الغنائم كالأمم السابقة، أما كونها منسوخة فلأنه نزل بعد ذلك الحكم الشرعي في الغنائم بأن لله تبارك وتعالى ولرسوله ﷺ فيها الخُمُس، فعندما نزلت الأنفال ونَزَلَ توزيع الغنائم، ووهب الله تبارك وتعالى الغَنِيمة جميعها لرسوله ﷺ، وهذا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ له الخمس، ثم جاء رسول الله ﷺ إلى سعدٍ -كما في رواية أخرى- فقال: هذا السيف قد وُهِبَ لي وهو لك، وأعطاه السيف ﷺ، وقيل في مسألة الغنائم غير ذلك.

ثَانِيَ عَشْرِهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآيَة، فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عُمَرَ قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ. فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ(٢).

هذا مِنْ تَعَلُّقِ رَسُولِ الله ﷺ بِرَبِّهِ وَثِقَتِهِ به، وهكذا ينبغي للإنسان مَهْمَا كان واثقًا مِنْ نَصْرِ الله، ومهما كان واثقًا مِنْ تَوْفِيقِ الله ألَّا يترك الدعاء، ولا يترك الالْتِجَاء والتَّوَكّل على الله تبارك وتعالى؛ فَإِنَّهُ لا يَثِقُ أَحَدٌ بِوعود الله ولا يثق أحد بِنَصْرِ الله ثقة رسول الله ﷺ أبدًا، ومَعَ ذَلِكَ نَاشَدَ الله تبارك وتعالى أَنْ يَنْصُرَه،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١): عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصةً، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحدٍ قبلي، وجعلت لي الأرض طيبةً طهورًا ومسجدًا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهرٍ، وأعطيت الشفاعة».

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) مطولًا عن عبد الله بن عباسٍ، قال: حدثني عمر بن الخطاب ﷺ به.

حتَّى سَقَطَ رداؤُه عن كَتِفِه الشَّريف ﷺ، حتى قال لـه أبـو بكـرٍ رضي الله عنه: «يَـا نَبِـيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ» هكذا بلسان اليقين، ومع ذلك لم يَتَّكِلِ ٱلرَّسُولُ ﷺ على هذا، وكانَ أعظمَ الناسِ صِلَةً بربه ﷺ.

ثُمَّ هنا خَطَأ شائع يَقَعُ فيه كثيرٌ من النَّاس عندما يَقْرَؤُون لفظ «المِئة» فيقولـون «مَـاءَة» اعتمـادًا علـى كتابتهـا: (مائـة) وقـد تُقْـرَأ هكـذا في الإذاعـةِ وفي الأَخبار، وهـذا خطـأ شـائع؛ لأنهـم كـانوا قبـل النقط لا يُفَرِّقُـون بـين كلمـة (مئـة) و(فئـة) إذ كانـت الكلمتـان تُرْسَـم رَسْـمًا واحـدًا تقريبًـا، فعنـدما يَقُـول القائِـد أو الْخَلِيفة أو الْمَلِك لِأَحَدِ الْقـادة: أَرسِـل لـي فئـة مـن الرِّجـال، فيقرؤهـا: مِئَـة مِـنَ الرِّجال، وإذا قال له: أرسل لي مِئَة مِنَ الرِّجَال، فيقرؤها: فئة من الرَّجـال، فحَتَّـى يَتَخَلَّصُوا مِنْ هَذَا الحَرَج وضعوا للمئة أَلِفًا، وقالوا: هَذِهِ الأَلِف تُسَمَّى: ألـف التفريق بين مِئَة وفِئَة ولا تُنْطَق، فإن نطقها خَطَأ شَائِع، والله تعالى أعلم.

ثَالِثَ عَشْرِهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾ الآيَة [الأنفال:١٦]، رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهَا نَزَلَتْ يَوْمَ بَدْرٍ[(١)].

وهذا أخرجه الحاكم أيضًا، وقال: صَحِيح على شَرْطِ مُسْلِم، وَوَافَقَهُ الإِمَام الذَّهَبِي رحمه الله، فالحديث صحيح.

قال أبو جعفر النحاس رحمه الله:

للعلماء في هذه الآية ثلاثة أقوالٍ: منهم من قال: هي منسوخةٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٨) و النسائي في «الكبرى» (٨٦٠٠) و(١١١٣٩) و(١١١٤٠) والبزار في البحر الزخار (١٨/ ٧٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣٦٠) وابن أبي حاتم في التفسير (٥/ ١٦٧٠) وابن جرير في التفسير (١١/ ٧٦) من طرق: عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه به. وقال الحاكم (٢/ ٣٥٧): «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي رحمه الله.

ومنهم من قال: هي مخصوصةٌ لأهل بدرٍ لأنّها فيهم نزلت.

ومنهم من قال: هي محكمةٌ وحكمها باقٍ إلى يوم القيامة.

فممّن قال: هي منسوخةٌ، عطاءُ بن أبي رباحٍ قال: «نسخها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾ [ص:٤٦٠] إلى تمام الآيتين؛ أي: فنسخ بالتّخفيف عنهم والإطلاق لهم أن يولّوا ممّن هو أكثر من هذا العدد».

والقول الثّاني: إنّها مخصوصةٌ قول الحسن كما حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، بالأنبار، قال: حدّثنا حاجب بن سليمان، قال: حدّثنا وكيعٌ، عن الرّبيع بن صبيحٍ، عن الحسن، قال: «ليس الفرار من الزّحف من الكبائر إنّما كان في أهل بدرٍ خاصّةً هذه الآية ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾ [الأنفال: ١٦]»(١).

وقرئ على أحمد بن شعيبٍ، عن أبي داود، قال: حدّثنا أبو زيدٍ الهرويّ، قال: حدّثنا شعبة، قال: حدّثنا داود بن أبي هندٍ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: «نزلت ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾ [الأنفال: ١٦] في أهل بدرٍ»(٢).

والقول الثّالث: إنّ حكمها باقٍ إلى يوم القيامة قول ابن عبّاسٍ كما حدّثنا بكر بن سهلٍ، قال: حدّثنا عبد اللّه بن صالحٍ، قال حدّثني معاوية بن صالحٍ، عن عليّ بن أبي طلحة، عنِ ابنِ عبّاسٍ، وذكر الكبائِر، قال: «والفِرار مِن الزّحفِ؛

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١١/ ٧٨) من طريق: سفيان بن وكيع، وهو ضعيف، لكنه متابع، وأخرجه ابن الجعد في مسنده (٣١٦٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٦٤) واللالكائي في أصول السنة (٦/ ١١٠٨) عن الحسن قوله.

(٢) سبق تخريجه.

لِأنّ اللّـه جـلّ وعـزّ قـال: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ١٦]»(١).

قال أبو جعفرٍ: وهذا أولى ما قِيل فِي الآيةِ، ولا يجوز أن تكون منسوخةً لِأنّه خبرٌ ووعِيدٌ ولا ينسخ الوعِيد كما لا ينسخ الوعد.

فإن قِيل: فحدِيث أبِي سعِيدٍ الخدرِيِّ متّصِل الإسنادِ وقد خبّر بِنزولِ الآيةِ فِي أهلِ بدرٍ؟ فكيف يجوز خِلافه؟

فالجواب أنّه لعمرِي لا يجوز خِلافه فِي مِثلِ هذا والقول كما قال: نزلت فِي أهلِ بدرٍ وحكمها باقٍ إِلى يومِ القِيامةِ، وأهل بدرٍ كان رسول اللّهِ ﷺ فِئتهم فكان لهم أن ينحازوا إِليهِ وكذا كلّ إِمامٍ...»(٢).

رَابِعَ عَشْرِهَا: آيَاتٌ مِنْ أَثْنَاءِ بَرَاءَةَ فِي غَزْوَةِ تَبُوك.

مثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ﴾ [التوبة: ٤٢]، وَمِثْلُ قوله تعالى أيضًا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً...﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] إلى آخر الآيات، نَزَلَتْ في غزوة تبوك في قصة طويلة لا مجال لسردها.

خَامِسَ عَشْرِهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١١/ ٨١)، الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٥٢)، عن ابن عباسٍ، قال: «أكبر الكبائر.... » الحديث. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٦): رواه الطبراني، وإسناده حسنٌ.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص (٤٥٩).

لِلْمُشْرِكِينَ ...﴾ الآيَتَين [التوبة: ١١٣-١١٤]، فَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ ﷺ لمَّا أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ (تَبُوك) وَاعْتَمَرَ، فَلَمَّا هَبَطَ مِنْ ثَنِيَّةِ عُسْفَانَ، نَزَلَ عَلَى قَبْرِ أُمِّهِ، وَبَكَى، وَدَعَا اللهَ أَن يَأْذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لهَا، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ[(١)].

هذا حديث طويل أَوْرَدَهُ الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره واسْتَغْرَبه جِدًّا، واسْتَغْرَبَ سياقه، واسْتَنْكَرَه، والمعروف نُزُول هذه الآية في أبي طالب عم النبي ﷺ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ أبا طالبٍ لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة، فقال: «**أَيْ عَمُّ، قُلْ مَعِي: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلِّمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملَّة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٤) والضياء في المختارة (١٢/ ١٢٦) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٢) وعزاه لابن مردويه: قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ٢٢٣): وهذا حديثٌ غريبٌ وسياقٌ عجيبٌ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) عن ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالبٍ لما حضرته الوفاة... الحديث.

وقيل: إنه لمّا مات أبو طالب، جعل النّبيّ ﷺ يستغفر له، فقال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه؟ فاستغفروا للمشركين، فنزلت هذه الآية.

قال أبو الحسين بن المنادي: هذا لا يصح، إنما قال النبي ﷺ لعمّه: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» قبل أن يموت، وهو في السياق، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت، فلا، فانقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه.

والثاني: أنّ النبيّ ﷺ مرَّ بقبر أمه آمنة، فتوضأ وصلى ركعتين، ثمّ بكى، فبكى الناس لبكائه، ثم انصرف إليهم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟ فقال: «**مَرَرْتُ بِقَبْرِ أُمِّي، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَنُهِيتُ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ عُدْتُ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَاسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَزُجِرْتُ زَجْرًا، فَأَبْكَانِي**». ثمّ دعا براحلته فركبها فما سار هنيّة، حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ والآية التي بعدها، رواه بريدة عن رسول الله ﷺ(١).

والثالث: أن رجلًا استغفر لأبويه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك عليّ لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه أبو الخليل عن علي عليه السلام(٢).

والرابع: أن رجالًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله إن من آبائنا

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٣) وقال: وأخرج ابن مردويه عن بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٣٦) وفي الكبرى (٢١٧٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠) عن عليٍ رضي الله عنه.

من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بَلَى، وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لِأَبِي كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ»[١]، فنزلت هذه الآية، وبيَّن عذر إبراهيم. قاله قتادة[٢].

سَادِسَ عَشْرِهَا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ [النحل: ١٢٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

فَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَالْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى حَمْزَةَ حِينَ اسْتُشْهِدَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَذَكَرَ الحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ»، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ -وَالنَّبِيُّ ﷺ وَاقِفٌ- بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَهُوَ صَرِيحٌ فِي نُزُولِهَا بِأُحُدٍ، وَعَزَا الْبُلْقِينِيُّ هَذَا الحَدِيثَ إِلَى الغَيْلَانِيَّاتِ وَهُوَ قُصُورٌ[٣].

هذا الحديث بإسناد البَزَّار فيه ضعف؛ لكن برواياته يَجْبُر بعضُه بعضًا وهو حديث لا بأس به إن شاء الله.

يقول: (وَهُو صَرِيح في نزولها بأحُدٍ، وعَزَا الْبُلْقِيني هَذَا الحديث إلى الغيلانيات وهُو قُصُور في التخريج[٤])؛ لِأَنَّ الحديث أَخْرَجَهُ الْإِمام الْبَيْهَقِيِّ في الْدَلائل، والْبَزَّار في مسنده، وهناك شواهد له ستأتي عند الترمذي وغيره، فيقول:

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٢/ ٢٤) عن قتادة، قوله.

(٢) زاد المسير (٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٤٣) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٨) والآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٣) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٨٣) والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٨٥) وفي الفوائد الغيلانية (١/ ١٩٥-١٩٧) من طريق: عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ، فذكره.

(٤) يريد السيوطي بقوله: «قصور»: أن الحديث في عدة كتب مهمة أهم من الغيلانيات، فإسناده إلى الغيلانيات فقط قصور.

(قصورٌ منه) أي: في تخريجِ الحديث وعزوه إِلَى مَظَانِّه المَعْروفَةِ عند المسلمين، أَمَّا الغيلانِيَّات، فإن المحقق يقول: (لا يَظْهَرُ لِهذِهِ الْكَلِمة مَعْنى) وهذا -كما ذكرتُ- بِسببِ تَخصُّصِه فلم يعرفها.

وهناك أجزاء حديثية يصنِّفها بعضُ أَئِمةِ الحديث رحمهم الله، إِمَّا أَنْ يَعْمِدَ الإمام إلى مَوْضوعٍ من المواضيع، فيستوعبه ويستوعب ما رُوِي فيه، وما وصلت إليه رِوَايَته فيه، فيذكره في مصنفه.

مثالُ ذلك: «جزء في رفع اليدين في الصلاة» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو جزءٌ مطبوعٌ ومُتَدَاولٌ بينَ أَهلِ العلم، أتى فيه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بجميع الروايات التي وصلت إليه بِشَرْطٍ مُعَيّنٍ قَدْ اشترطَهُ عَلَى نَفْسِهِ عِنْدَ تَأْلِيفه.

ومنه أَنْ يأتي المصنِّف فيَسْتَوْعِب أَحَاديث الصَّحابي مثلًا، أَو التَّابِعِيِّ، أَو مَنْ بَعْدَه إِلى شُيُوخِه في مُصَنَّفٍ واحدٍ، فيقول مثلًا: «جزء فِيمَا وصل إلينا من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»، «جزء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، وهكذا، مِنَ الصَّحابِيِّ إلى شيوخ المصنِّف، وهذا أيضًا يُسَمَّى: جزءًا.

و«الأجزاء الغيلانِيَّات» هيَ أَحدَ عَشَرَ جزءًا تخريج الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ[1] مِن حَديث أَبِي بكرٍ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الْبَغدادي الشَّافِعِي الْبَزَّار الإمام الْحُجَّة المفيد المتوفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة[2]، وهو الْقدرُ الْمَسْمُوع لأَبِي طالبٍ محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان الْبَزَّار المتوفى سنة أربعين

(١) هو: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله، أبو الحسن البغدادي الدارقطني، الحافظ المشهور صاحب المصنفات. ت [٣٨٥ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٨/ ٧١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٩).

وأربعمائة من أبي بكر المذكور، وهو من أعلق الحديث وأحسنه[١].

وهناك أَيضًا «القَطِيعِيَّات»؛ نِسْبَةً إلى أبي بَكْر القَطِيعِي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي أخذ عن عبد الله بن أحمد[٢].

و«السِّلَفِيَّات» نسبة إلى الإمام أبي طاهر السِّلَفِي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو المحدث المشهور الذي اسْتَقَرَّ في الإسكندرية، وعاش فيها حتى جاوز المائة رَحِمَهُ اللَّهُ، وقصته جميلة في الهمة وطلب العلم[٣].

هناك أَيضًا «الطُّيوريات» نِسْبَة إلى الطُّيوري رَحِمَهُ اللَّهُ.[٤].

وهناك «الجَعْدِيَّات» نسبة إلى الإمام الجَعْدِي[٥].

وأَيضًا «الْمحامليّات»... أجزاء كثيرة[٦].

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ المُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، مِنْهُمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ،

---

(١) انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ٢١).

(٢) هو: أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب، أبو بكر القطيعي البغدادي. انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (١/ ٨٧) ولسان الميزان، للحافظ (١/ ١٤٥).

(٣) قال الذهبي: هو: الإمام، العلامة، المحدث، الحافظ، المفتي، شيخ الإسلام، شرف المعمرين، أبو طاهرٍ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، الجرواني. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥) وتاريخ بغداد (٢١/ ٤٦).

(٤) هو: المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد، أبو الحسين البغدادي الصيرفي المعروف بابن الطيوري. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٠/ ٨٣٠) والميزان (٣/ ٤٣١).

(٥) هو: علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، أبو الحسن البغدادي، مولى بني هاشم. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٢٩٢).

(٦) هو: الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل المحاملي الضبي، أبو عبد الله البغدادي: قاض، من الفقهاء المكثرين من الحديث. انظر: الأعلام، للزركلي (٢/ ٢٣٤).

فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: وَقَدْ يُقَالُ: لَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ؛ لأَنَّ إِعْمَالَ هَذَا الصَّبْرِ إِنَّمَا وَقَعَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ[2].

قلنا: إنَّ هذه الآية -باخْتِصَارٍ- نَزَلَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، والسيوطي رَحِمَهُ اللهُ ما زال يُوَفِّق بين الأَحاديث الْكَثيرة فيَقُولُ: أَخرجَ الْبَيْهَقِيُّ في الدَّلائل، ثمَّ يَقُولُ: والتِّرمِذيِّ، ثم بعد ذلك يأتي إلى رأيه.

قوله: (لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ) أَي: لَنَزِيدَنَّ عَلَيْهِمْ، ولَنُضَاعِفَنَّ عليهم ما حَصَلَ في قَتْلَانَا مِنَ التَّمْثِيل.

(قُلْتُ: المُعَارَضَةُ وَاقِعَةٌ بَيْنَ قَوْلِهِ: (نَزَلَتْ وَالنَّبِيُّ وَاقِفٌ عَلَى حَمْزَةَ، وَوُقُوفُهُ بِأُحُدٍ)، وَقَوْلِهِ: (فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَنْزَلَ اللهُ). وَأَيُّ جَمْعٍ حَصَلَ مِنْ كَلَامِهِ المَذْكُورِ؟! وَإِنَّمَا يُجْمَعُ بِمَا تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ الحَصَّارِ، أَنَّهَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، ثُمَّ ثَانِيًا بِأُحُدٍ، ثُمَّ ثَالِثًا يَوْمَ الْفَتْحِ، تَذْكِيرًا مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥/ ١٥٢) والترمذي (٣١٢٩) والنسائي في الكبرى (١١٢١٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩١) وابن خزيمة في فوائد الفوائد (ص٣٧) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٩) عن أبي العالية، قال: حدثني أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ غريبٌ من حديث أبي بن كعبٍ. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الإمام مقبل ابن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح المسند من أسباب النزول (١٢٦).

(٢) مواقع العلوم (٤١).

سَابِعَ عَشْرِهَا وَلَمْ يَذْكُرْهُ: أَوَّلُ الحَجِّ، فَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾. وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ؟... الحديث[١].

وَفِي المُسْتَدْرَكِ عَنْ أَنَسٍ مِثْلُهُ[٢].

عمران بن حصين رضي الله عنه كان من علماء الصحابة، قال أبو داود: وكانَ يَسْمع تَسْلِيم الْمَلَائكة، فَلَمَّا اكْتوى انقطع عنه، فَلَمَّا تَرَك رَجَعَ إليه رضي الله عنه[٣].

ولَعَلَّنَا نَتذكَّر حَدِيثَ رسول الله ﷺ في السَّبعين أَلْفًا الذين يَدْخُلون الْجَنَّةَ بِغَير حِسَابٍ ولَا عَذَاب، فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[٤].

وفي الْحَدِيث يَقُول رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيُّ يومٍ هذا؟**» قالوا: الله ورسولُهُ أَعْلَم، قَالَ: «**هُوَ يَوْمٌ يقولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعَالَى فِيهِ: أين بَعْثُ النَّارِ؟ أين بَعْثُ النَّارِ؟ فيُبْعَثُ**

(١) أخرجه أحمد (٣٣/ ١١٤)، الترمذي (٣١٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (٣١٦٩)، والطبري في «التفسير» (١٧/ ١١١) والحميدي في مسنده (٢/ ٨٠) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٤٤)، (٢٩٨) و(٣٠٦) و(٣٠٨)، وفي «مسند الشاميين» (٢٦٣٦) والخطابي في غريب الحديث (١/ ٤٦٥)، والحاكم (١/ ٢٨ -٢/ ٢٣٣-٢٣٤-٢٤٥-٣٨٥-٣٨٥-٣٨٦)وابن أبي الدنيا في الأهوال (ص١٦ح٢٢) عن عمران ابن حصين، أن رسول الله ﷺ قال. فذكره مطولًا.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦١٠) وابن حبان (١٦/ ٣٥٢) وفي المنتخب من مسند عبد بن حميد (١١٨٧). قال الحاكم: هذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. قال الشيخ مصطفى العدوي «في المنتخب»: صحيح لغيره.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) في عدة مواضع، ومسلم (٢١٨، ٢٢٠).

مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعمائة وتِسْعَة وتسعون»، فَبَكَى الصَّحَابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ(١).

انظروا لهذا التَّفَاعل مَعَ النَّبِيِّ ﷺ! يَسْمَعُون شيئًا فَيَتَفَاعَلُون معه! قلوبهم حَيَّةٌ موصُولَةٌ بالله تبارك وتعالى، لا يكونون في الْمَجلِس كَأَنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ، أو كأَنَّ على قلوبٍ أَقفالَهاَ، تُذكَر الْحادثةُ مما يكون يوم الْقِيَامةِ فَيَبكي الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خوفًا من هذا الموقف الهائل! من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وَتِسعة وَتِسْعُون، فأَخبرهُم الرَّسول ﷺ وبَشَّرَهُمْ أَنَّ -في رواية- هَؤُلاَءِ من الْمُنَافِقين والْيَهود والنَّصارى، و-في رواية- أَنَّهُم من يَأجُوج ومَأْجُوج، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا...

هكذا يكون التَّفاعل بَيْنَ الْمُسْلِم وبين حَدِيث النَّبِيِّ ﷺ! يسمعون شيئًا حزنوا من أَجلِهِ، ثم فَرِحُوا عندما سَمِعُوا شيئًا آخر بَشَّرَهُمْ به النبي ﷺ.

ثَامِنَ عَشْرِهَا: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ فَفِي البُخَارِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ كَانَ يُقْسِمُ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي حَمْزَةَ وَصَاحِبَيْهِ وَعُتْبَةَ وَصَاحِبَيْهِ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسع مائةٍ وتسعةً وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديدٌ» قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا، فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألفًا. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيض، أو كشعرةٍ بيضاء في جلد ثورٍ أسود».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٣) عن أبي مجلزٍ عن قيس بن عبادٍ عن أبي ذرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أبو ذرٍ: هو جُنْدُب بن جُنَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْغِفَاري مشهور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، يُقْسِم أَنَّ هذه الْآية نَزَلت في حمزةَ وصَاحبيه، وعُتْبَة وصاحبيه، وهي في البِرَازِ يوم بدرٍ عندما دعا شيبة وعُتْبة ابنا رَبيعَة ومعهما الوليد بن عتبة دَعَوا إلى الْبَرَاز، فخرج لهم فِتْيَانٌ من الْأَنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: خرج لهم معاذ بن عمرو بن الجموح، وعَبْدُ الله بن رَوَاحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وثالث لا أذكره[٢]، فَلَمَّا انتصبوا لهم، قالوا: نعم أنتم أكفاء، ولكن لا حاجة لنا بكم، وقالوا: يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قَوْمِنَا، فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ عبيدة ابن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أمَّا حمزة فلم يُمْهِل شَيْبَةَ حَتَّى قتله، وأَمَّا عليّ فلم يُمْهل الوليد حَتَّى قتله، وبقي عبيدة مع عُتْبة، وأجْهَزَ كل مِنْهُمَا على الآخر، ثم عاون حمزةُ وعليٌّ عبيدةَ حتى قتلوا عُتبة. وهذا من أصول الْبرَاز أَنَّ من يَبْقَى يساعد الآخر على قَتلِ الْبَاقين، ولم يكنْ فيه غَدْر، وقُتِلُوا جميعًا إلى لعنة الله، وكان ذلك يوم بدر.

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: الظَّاهِرُ أَنَّهَا نَزَلَتْ يَوْمَ بَدْرٍ وَقْتَ الْمُبَارَزَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الإِشَارَةِ بِـ(هَـٰذَانِ)[٣]. قال: (بِهَـذان) ولم يقلْ (بِهَـذين)؛ لِأَنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ وليس لِأَحدٍ أَنْ يُغَيِّر كلامَ الله، فلا يقول: الإشارة بهذين، وهذا يسمى: مرفوعًا على الحكاية.

يؤيد كلام البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ذكره البخاري في صحيحه عن قيسِ بنِ عُبادٍ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أنا أولُ من يجثو بين يدي الرحمنِ

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٠٥).

(٢) قال ابن حبان في كتابه الثقات (١/ ١١٦): فخرج إليه فتية ثلاثة من الأنصار: عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، وابن رواحة.

(٣) مواقع العلوم (٣٨).

لِلخُصومةِ يوم القِيامةِ، قال قيسٌ: وفيهِم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، قال: هم الّذِين بارزوا يوم بدرٍ: علِيٌّ، وحمزةُ، وعُبيدةُ، وشيبةُ بنُ ربِيعة، وعُتبةُ بنُ ربِيعة، والولِيد بن عُتبة»(١).

تَاسِعَ عَشْرِها وَلَمْ يَذْكُرْهُ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟...﴾ الآيَة [الحج: ٣٩]، فَفِي المُسْتَدْرَكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ؟! لَيَهْلِكُنَّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لمَّا أُخْرِجَ رسول الله ﷺ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ؟ ألم يعلموا أَنَّهم سَيُستأصَلون، فلما نزلت هذه الآية ؛ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ»؛ لأن الله سَيُبْقِيهم حتى يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابهم مَنْ يَعْبُدُ الله تبارك وتعالى كما تَمَنَّى ذلك رسول الله ﷺ.

وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

قَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: اسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي سَفَرِ الهِجْرَةِ.

العِشْرُونَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾ الآيَة، قِيلَ: نَزَلَتْ بِالجُحْفَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٤).

(٢) والترمذي (٣١٧١) والنسائي (٣٠٨٥) وفي الكبرى (٤٢٧٨) وفي (١١٢٨٢) ابن حبان (٤٧١٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٦)، (٢/ ٢٦٩) والبزار (١/ ٦٩) وفي (١/ ١٩٤) عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ. وقال البزار: وهذا الحديث حسن الإسناد، وأدخلناه في حديث أبي بكرٍ؛ لعزة حديث أبي بكرٍ، ولحسن إسناده، وأكثر الناس يدخلونه في حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

فِي سَفَرِ الهِجْرَةِ[١].

الجُحْفَةُ معروفةٌ، وهذا الحديث مرسل، رواه الضَّحَّاك وهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ التَّابعين رَحِمَهُ اللَّهُ عن النَّبِيِّ ﷺ ولم يره، ولم يسمع منه، فالحديث مُرْسَل؛ والْمُرْسَلُ من أَقِسَام الضَّعيف، والله أعلم.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: سورة القصص، وهي مكّيّة كلّها غير آيةٍ منها، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فإنَّها نَزَلت عَلَيْه وهو بالجُحفَةِ في وقت خُرُوجِهِ للهجرةِ، هذا قول ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وروي عن الْحَسَن، وعَطَاء، وعِكْرِمَة: أَنَّها مكّيّة كلّها. وزعم مقاتل: أنّ فيها من المدنيّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ وفيها آية ليست بمكّية ولا مدنيّة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نزلت بالجحفة[٢].

الحَادِي وَالعِشْرُونَ: أَوَّلُ الرُّومِ كَمَا تَقَدَّمَ. ذكرْنَا أَنَّها نزلت يوم بدر.

الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: سُورَةُ الفَتْحِ بِجُمْلَتِهَا، كَذَا قَالَ البُلْقِينِيُّ، وَتَمَسَّكَ بِظَاهِرِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ... فَذَكَرَ الحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٣٠٢٦) عن ابن أبي عمر، قال: قال سفيان، فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنةً، عن الضحاك، قال: «لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه القرآن: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مكة».

(٢) زاد المسير (٣/ ٣٧٤).

تَأَخَّرَ﴾(١) وَلَا دَلِيلَ فِيهِ عَلَى نُزُولِهَا كُلِّهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، بَلِ النَّازِلُ فِيهَا أَوَّلُهَا. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي نُزُولِ سُورَةِ الفَتْحِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فِي شَأْنِ الحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

أي: أَنَّ السُّورةَ نزلت مِنْ أَولِهَا إلى آخِرِها في شَأْنِ انصراف النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ.

المؤلف يقول: لا دليل فيها على نُزُولِها كُلِّها تلك اللَّيلة، ثم يقول بعد ذلك: هناك أدلة وآثار على أَنَّها نزلت كُلّها.

والْحَقُّ أَنَّ هناك أدلة وآثارا على أَنَّها نزلت كلها في انصراف النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحُدَيبية، يقول الْقُرطُبي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا أَعلم خلافًا بين أهْلِ الْعِلم على أَنَّ هذه السُّورة نزلت في اللَّيلةِ التِّي خَرَجَ فيها رسول الله ﷺ من الحديبية(٢).

قوله: (ولا دليل) دليل: اسم لا النَّافية لِلجِنْس، وخبرها محذوف، أو هو (فيه) كما هو قول الكوفيين رحمهم الله(٣).

لَطِيفَةٌ: وَرَدَ تَعْيِينُ المَوْضِعِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ وَهُوَ كُرَاعُ الغَمِيمِ. رواه الحَاكِمُ أَيْضًا(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٧٧) في عدة مواضع: عن زيد بن أسلم، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا به، ومسلم (١٧٨٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٥٩).

(٣) انظر: جامع الدروس العربية (٢/ ٣٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧٣٦) وابن أبي شيبة (٧/ ٣٨٤) وفي المسند (٢/ ٣٩٢)، وأحمد (١٥٤٧٠)، والطبري في «التفسير» (٢٢/ ٢٤٩)، والدارقطني (٤١٧٩)، والحاكم (٢/ ١٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٥٢٩)، وفي «الدلائل» (٤/ ٢٣٩) والطبراني في الأوسط (٤/ ١٢٠) عن مجمع بن يعقوب الأنصاري، عن أبيه قال: سمعت عمي مجمع بن جارية يقول: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من =

الْغَمِيْم: هو وادٍ يَقَعُ على بُعْدِ ثمانية أميال من عسفان، والكُرَاع من كل شيء طرفه، فهذا الوادي يَقَعُ في طرف الحرَّة، والحَرَّة طويلة فهي مُمْتَدَّة من عسفان حَتَّى المدينة؛ لِذَلِكَ يقال له: كُرَاعُ الْغَمِيْم(١).

الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ وَلَمْ يَذْكُرْهُ: سُورَةُ المُنَافِقُونَ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ(٢) مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الأَزْدِيّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَم قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ مَعَنَا نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ، فَسَبَقَ أَعْرَابِيٌّ فَمَلأَ الحَوْضَ، فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَعْرَابِيًّا، فَأَرْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِتَشْرَبَ فَأَبَى أَنْ يَدَعَهُ، وَرَفَعَ الأَعْرَابِيُّ خَشَبَةً فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ الأَنْصَارِيِّ فَشَجَّهُ، فَأَتَى عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ رَأْسَ المُنَافِقِينَ فَأَخْبَرَهُ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَغَضِبَ وَقَالَ: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾، ثُمَّ قَالَ لأَصْحَابِهِ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، فَأَخْبَرْتُ عَمِّي فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَحَلَفَ

=

الحديبية حتى إذا بلغ رسول الله ﷺ كراع الغميم إذا الناس يرسمون نحو رسول الله ﷺ، فقال بعض الناس لبعضٍ: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا حتى وجدنا رسول الله ﷺ عند كراع الغميم واقفًا، فلما اجتمع الناس، قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فقال له بعض الناس: يا رسول الله، أفتحٌ هو؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، إنه لفتحٌ». قال الحاكم: «هذا حديثٌ كبيرٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قال الذهبي صحيح. قلت: هذا الحديث بهذا الإسناد ظاهره الصحة وليس الأمر كذلك، فقد قال أبو داود عقبه: حديث أبي معاوية أصح والعمل عليه، وأرى الوهم في حديث مجمع أنه قال: ثلاث مئة فارسٍ، وإنما كانوا مئتي فارسٍ.

وأخرجه الطبراني (١٠٨٢)، والحاكم (٢/ ٤٩٨) من طريق إسماعيل ابن أبي أويس، عن مجمع، عن أبيه، به، دون ذكر عبد الرحمن بن يزيد. وصححه الحاكم على شرط مسلم، وتعقبه الذهبي بقوله: لم يرو مسلم لمجمع شيئًا ولا لأبيه، وهما ثقتان.

(١) انظر: معجم البلدان (٤/ ٢١٤).

(٢) جامع الترمذي (٣٣١٣).

وجحَدَ، قَالَ: فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَجَاءَ عَمِّي فَقَالَ: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ مَقَتَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَذَّبَكَ، فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنَ الهَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَى أَحَدٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَقَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الهَمِّ، إِذْ أَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَرَكَ أُذُنِيَّ وَضَحِكَ فِي وَجْهِي، فَلَحِقَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ؟ قُلْتُ: مَا قَالَ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ عَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي، فَقَالَ: أَبْشِرْ، ثُمَّ لَحِقَنِي عُمَرُ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قَوْلِي لأَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُورَةَ المُنَافِقِينَ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

قال التِّرمذي: حَسَن صحيح، وهو كذلك.

هذا الْحَديث فيه دَلَائِل كثيرة:

أولًا: هذا الصَّحابي الْكَريم كان فَتًى أَثْنَاء هذه الْحادثة؛ لذلك لم يَحْتَطْ عبد الله بن أُبيّ -كعادة الْمُنَافقين- في وجود زيد؛ لِأَنَّه فتًى صغير، ولم يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ أَنْ يَنْقل ما قاله إلى رَسُول الله ﷺ، وهذه عادة المنافقين في كل زمان ومكان! يَسْتَغِلّون الْفُرص، يُثَبِّطُون الْمُسْلِمين، ويُوقِعُونَ بَيْنَهُم، ويستغلون أَشْياءَ قد تَحْدُثُ فِي مُجْتَمَعِنَا الإسلامي؛ لِأَنَّ الْمُجتمع الْإسْلَامي مجتمعٌ بشري، فيستغلون ما يحدث فيه من ثغرةٍ أو ثغراتٍ، ويُشَهِّرون به في الجرائد، أَو في الإذاعات، أَو في وسائل الإعلام المختلفةِ، خاصَّة في غير هذه الْبِلَاد الْمُبَاركة الَّتِي أَنْعَمَ الله تبارك وتعالى عليها، فَهُم يَمْلِكون كثيرًا من الْجَرَائد خَارِج هذه الْبِلاد؛ لذلك تجدهم دومًا وأبدًا يستهزئون بالمؤمنين، ويَتَصَيَّدون عثراتهم،

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٠) في عدة مواضع، ومسلم (٢٧٧٢) والترمذي (٣٣١٢-٣٣١٣-٣٣١٤) عن زيد بن أرقم، قال... فذكره.

ويُشَهِّرُون بهم، هذه هي أَحْوال الْمُنَافِقِين، لَا يَسْتَطِيعون أَنْ يقولوا: نحن الْكُفَّار، أو نحن لا نُؤْمِن بهذا الدِّين، فهم منافقون؛ لِأَنَّ الْمجتمع سَيَنْبِذُهُم، لَكِنَّهم هكذا يَصْنَعُون.

وهذا الذي صنعه عبد الله بن أُبيّ، اسْتَغَلَّ فُرْصَة شِجَارٍ يَحْدُثُ فِي كُلِّ مجتمع وفي كلِّ عصرٍ بين اثنين من المسلمين؛ فهنا حدث بين اثنين: أَحَدُهُما جَهْجَاه بن عمرو الغِفَارِي وَكَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَجِيرًا لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجلٌ آخَرَ من الْأَنْصَار، فضرب جهجاهٌ الأنصاريَّ، فغَضِب الْأَنْصَاريُّ وَذَهَبَ لِيُحَدِّث عَبَدَ الله بن أُبي بن سَلُولٍ بما صنَعُوا، فحَدَثَ مِنْ عَبْدِ الله ما حدث، كَمَا هو شَأْنُ أهل النِّفاق، وحَلَفَ لِرَسُولِ الله ﷺ أنه ما قال، ولأنه رجلٌ شريفٌ في قَوْمِهِ مُصَدَّق، لَهُ مَكَانَة، وله وَضْع، وقد نَظَمَ له القومُ الْخَرَزَ؛ ليتوّجوه عَلَيْهِم قبل مَجِيء رسول الله ﷺ، صَدَّقَهُ رسُولُ الله ﷺ ولَامَ زيد بن الْأَرْقَم؛ لِأَنّه فتًى فَلَعَلَّهُ لم يَضْبِط الْحِكاية، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ صدقه اللهُ تَبَارَكَ وتعالى فيمَا حَدَثَ ونَزل قُرْآن في ذلك يُتْلَى إِلَى يوم الْقِيَامةِ.

قوله: (فَشَجَّهُ) الشَّجُّ: هو الضَّرب والإدماء في الرَّأْسِ خَاصَّة، فلا يُقَال: شَجَّ يَدَهُ، ولا شَجَّ رِجْلَهُ، والله أعلم(١).

ثُمَّ يقول: (فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ) أَي: في السَّفَر نَفْسه، لِأَنَّهُم جَلَسوا في مكانٍ وحَدَث ما حَدَث، فَلَّما سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ بِالْفتنة أَمَرَ النَّاس أَنْ يرتحلوا في وقتٍ لم يَكُنْ يَرْتَحِلُ فيه ﷺ، فأَدام عَلَيْهم السَّفر حَتَّى إذا وجدوا مَسِيس الْأَرض سقطوا نُوَّمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فانشغلوا عِدَّة أَيَّام عن التَّحدث بهذه

---

(١) انظر: لسان العرب (٢/ ٣٠٤).

الحكاية: وأنما أدام عليهم رَسُول الله ﷺ السَّفر فأتْعَبَهُمْ؛ لِئَلَّا يتحدثوا في هذه الحكاية؛ سياسة منه حَكِيمَة ﷺ بجيشه.

قوله: (وَقَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الْهَمِّ) قد ذكرنا من قبل معنى الخفق، وقُلْنَا: إنَّه مطلق الاضْطِراب والتَّحرُّك، وقلنا: إنَّ الشَّمْسَ يظهر خفقانها وتحَرُّكَها واضطِرابها أكثر ما يظهر حال الشُّرُوق وحال الْغُروب؛ لِأَنَّ النَّاس يستطيعون أَنْ يَنْظُروا إليها أولًا، فيلاحظون حركتها، ثانيًا: أَنَّها تبرز بعد خفاء وتجلو بعد بَهَمٍ على النَّاس، فتكُون ظَاهِرة الحركة في ذلك الوقت؛ لذلك سُمِّي المشرق والمغرب بالخافقين.

والإنسان يخفق رَأْسَهُ؛ أي: يَضطرب، يعنى: ينزل من أعلى إلى أسفل، هذا هو الخفق.

هنا سقط مِن الحديث بعد قوله: «فَعَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي» قوله: «فَمَا كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِيَ بِهَا الْخُلْدَ، أَوِ الدُّنْيَا». انظر إلى فِتْيَان الصَّحابة الصِّغار رضي الله عنهم كيف يَفْرَحُونَ برسول الله ﷺ وبِمُدَاعَبَةِ رسول الله ﷺ لهم، جاء رسول الله ﷺ فعَرَكَ أُذُنَيه مُدَاعَبَةً له ﷺ عندما نزل الوحي، فيقول: «فَمَا كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِيَ بِهَا الْخُلْد أَوِ الدُّنْيَا»(١)، انظر إلى مفاهيم صِغَار الصَّحابة! وانظر ماذا يُرَبَّى عليه صِغَار الصَّحابة! هاتوا الْيَوم أَيَّ طِفْل مِنْ أَطْفَالِ المسلمين واسمعوا أُمْنِيَّاتِه، ماذا يريد؟ ماذا يتمنَّى؟ ماذا يحب؟ ماذا يَشْتَهِي؟ واسمعوا أمْنِيَّة زيد بن الأرقم رضي الله عنه: «فَمَا كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِيَ بِهَا الْخُلْدَ أَوِ الدُّنْيَا» بعركة في الأذن فقط رضي الله عنه.

يقول: «ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحِقَنِي، فَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: مَا قَالَ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٨١٢).

لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ «عَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي»، فَقَالَ: أَبْشِرْ. ثُمَّ لَحِقَنِي عُمَرُ فَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قُولِي لِأَبِي بَكْرٍ» وهذا يَدُلّك على أَنَّ أبا بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما كانَا قرِيبَيْنِ من رَسُول الله ﷺ.

ففي البخاري عن ابن عباسٍ رضي الله عنه، قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس، يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجلٌ آخذٌ منكبي، فإذا علي بن أبي طالبٍ فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كنت كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: «**ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ**»(١)، فالصَّحابة رضي الله عنهم، كانوا يقولون: كان رسول الله ﷺ يُكْثِر أَنْ يَقُول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، وذَهَبْتُ أنا وأبو بكر وعمر، ويصدقني في هذا أبو بكر وعمر، ففي الْبُخَاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصُّبْح، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ! بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟! فَقَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ**، -وَمَا هُمَا ثَمَّ- **وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟! قَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**، -وَمَا هُمَا ثَمَّ-»(٢)

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩) عن ابن أبي مليكة، قال: سمعت ابن عباسٍ، يقول... الحديث».

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٤)، (٣٤٧١) ومسلم (٢٣٨٨) عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فعندما قال الصحابة: سبحان الله! ذئب يتكلم؟! قال: يصدق بهذا أبو بكر وعمر.

فقُرْب أَبِي بكرٍ وعُمَرَ من رَسُولِ الله ﷺ، وحِرْصهما على ما يَحْدُث منه ﷺ، حَتَّى إِنَّهما ذهبا إلى زيد بن أَرْقم وسَأَلَاهُ عَمَّا قال رسُول الله ﷺ.

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ مَعَ كَوْنِهَا نَزَلَتْ بِالسَّفَرِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهَا نَزَلَتْ بِاللَّيْلِ.

ثُمَّ رَوَى أَيْضًا مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ(١) -أي: رَوَى التِّرْمِذِي رواية أخرى أنها في تبوك- **وَمِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ نَحْوَ ذَلِكَ، وَفِيهِ: قَالَ سُفْيَانُ: يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ**(٢). وهذا صحيح، فذكر تبوك هنا وَهْمٌ مِن الرَّاوي إنما هي غزوة بني الْمُصْطَلِق. **وَقَالَ فِي كُلٍّ مِنَ الحَدِيثَيْنِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.**

أي: الترمذي قال: حسن صحيح. وليست تبوك؛ لِأَنَّ عبد الله بن أُبَيّ صَحِيحٌ أنه خَرَجَ مِنَ المَدِينَة بجيشٍ مع الرَّسول ﷺ، لكن لَمَّا كان في المرحلة الْأُولى من المسير عَسْكَرَ رسول الله ﷺ فانْخَذَلَ عنه بطائفة من جيشه وكَرَّ

---

(١) جامع الترمذي (٣٣١٤) عن الحكم بن عتيبة، قال: سمعت محمد بن كعبٍ القرظي، منذ أربعين سنةً يحدث عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٥) و(٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، والترمذي (٣٣١٥) عن جابر بن عبد الله قال: كنا في غزاةٍ، -قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق- فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: رجلٌ من المهاجرين كسع رجلًا من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنها منتنةٌ، فسمع ذلك عبد الله ابن أبي ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: دعه! لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، وقال غير عمروٍ: فقال له ابنه عبد الله ابن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل. وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

راجعًا إلى المدينة، فلم يذهب عبد الله بن أبيّ بن سلول إلى تَبُوك، فكَان هذا مِنْ دَلَائِلِ الوَهم.

وَهُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِدُونِ قَوْلِ سُفْيَانَ. يَرَوْنَ أنها غزوة بني المصطلق بدون قول سفيان. **وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَيْضًا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلَق.**

الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: سُورَةُ النَّصْرِ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَالْبَزَّارُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهَا نَزَلَتْ أَوَاسِطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ(١).

ثُمَّ رَحَّلَ رسول الله ﷺ ناقَتَهُ الْقَصْوَاء، وخطب في القوم خُطْبَتَهُ الْعَظِيمة الشَّهيرة التي كانت خطبة جامعة في سياسة رسول الله ﷺ وسياسة الأمة بعده ﷺ.



(١) فيه موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذي، أبو عبد العزيز المدني. قال البخاري: قال أحمد: منكر الحديث. أخرجه الروياني في مسنده (٢/ ٤١٠) وفي المنتخب من مسند عبد بن حميد (٨٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٧)، والفاكهي في أخبار مكة (٤/ ٢١٩) عن صدقة بن يسارٍ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق بمنًى وهو في حجة الوداع: «إذا جاء نصر الله والفتح» فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع... الحديث مطولًا.

النوعُ الخامِسُ والسادسُ
النَّهاريُّ والليْليُّ(١)

الأَوَّلُ كَثِيرٌ. وَلِلثَّانِي أَمْثِلَةٌ لَمْ يَسْتَوْفِهَا الْبُلْقِينِيُّ.

أَحَدُهَا: آيَةُ الْقِبْلَةِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: بَيْنَما النَّاسُ بِقُبَاء فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ أَتَاهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ(٢).

وفي الصحيحين أيضًا عن البراء رضي الله عنه ما يُفْهَم منه فَهْمًا واضحًا صَرِيحًا أَنَّها نزلت في النَّهَار ما بين صَلَاةِ الظهر، وصلاة العصر، وأنَّ أَهْلَ المدينة قد صَلَّوا العصر مُسْتَقْبِلِينَ مَكَّةَ(٣)، وجمع بينهما الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال: «وهذا فِيهِ مُغايرةٌ لِحدِيثِ البراءِ المُتقدِّمِ فإنّ فِيهِ أنّهُم كانُوا فِي صلاةِ العصرِ، والجوابُ أن لا مُنافاة بين الخبرين؛ لِأنّ الخبر وصل وقت العصرِ إِلى من هُو داخِل المدينةِ وهُم بنُو حارِثة وذلك في حديثِ البراءِ والآتي إِليهِم بِذلِك عبّادُ بنُ بِشرٍ أو ابن نهيكٍ كما تقدّم، ووصل الخبرُ وقت الصُّبحِ إِلى من هُو خارِج المدِينةِ وهُم بنُو عمرو بنِ عوفٍ أهلُ قُباءٍ وذلِك فِي حدِيث ابن عُمر...»(٤).

---

(١) انظر: مواقع العلوم (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣) ومسلم (٥٢٦) عن عبد الله بن عمر، قال: بينا الناس بقباءٍ في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ، فقال: «إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآنٌ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشأم، فاستداروا إلى الكعبة».

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٥٢) ومسلم (٥٢٥) عن البراء، قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، فوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجلٌ العصر»، ثم خرج فمر على قومٍ من الأنصار، فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ، وأنه قد وجه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوعٌ في صلاة العصر».

(٤) فتح الباري (١/ ٥٠٦).

فهنا يَرَى الْحَافظ ابن حَجر رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ حديث الْبَرَاء الَّذِي صَرَّحَ فِيهِ بأنها نزَلَتْ نَهارًا هو الحديث المُعْتَمَد في الباب هاهنا؛ وعليه فليس هَذَا النوع نوعًا ليليًّا، بل هو نوع نَهَارِيّ نَزَلَ فِي النَّهَارِ، وكيْفِيَّة التوجيه بَيْنَه وبَيْنَ الْحَديث الآخر هو أَنَّ ذلك الحديث بَلَغَ أَهل الْمَدِينة قَبْلَ الْعَصر فصَلّوا العَصْر مُتَّجِهِينَ إلى مَكَّةَ، بينما لم يَبْلُغْ أهلَ قباء ذلك الحديثُ حَتَّى صَلوا الفجر، فأتاهم آتٍ في صلاة الفجر فأَخْبَرَهُمْ، فاستدَارُوا مُتَّجِهِينَ إلى القِبْلَة[1]. فعَلَى التحقيق يكون هذا النَّوع من النَّهَارِي لا اللَّيْلِي.

ثَانِيهَا -وَلَمْ أَرَ مَنْ ذَكَرَهُ-: خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: لَمَّا أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ انْتَهَى إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى... الحَدِيث.

وَفِيهِ: فَأُعْطِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لا يُشْرِكُ باللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا المُقْحِمَاتِ[2].

وَقَدْ أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أُعْطِيَ الأُخْرَى لَيْلَةَ إِذٍ، لَكِنَّ الأَحَادِيثَ فِي الصَّحِيحِ فِي بَيَانِ نُزُولِهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ تُخَالِفُ هَذَا[3]، وَيُجْمَع بَيْنَ ذَلِكَ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْد إِعْطَائِهِ إِيَّاهَا لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في فتح الباري (١/ ١٨٦) وقد قيل في الجمع بين هذه الأحاديث: إن التحويل كان في صلاة العصر ولم يبلغ أهل قباء إلا في صلاة الصبح. وفيه نظر.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣) عن عبد الله، قال: «لما أسري برسول الله ﷺ، انتهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها»، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]، قال: «فراشٌ من ذهبٍ»، قال: «فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥) عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي =

أَمَّا حديث إِسْرَاءِ رسول الله ﷺ إلى بيت المَقْدِس، ومِعْرَاجُه إِلَى السَّمَاءِ ﷺ فهي أحاديث كثيرة متواترة، لا يَسعُ فيها تأويل، ولا يُقَال: إنه أُسْرِيَ برُوحه الشريف ﷺ فقط كما يقول بعض الْأَئِمَّةِ، فالأدلة متظافرة على أَنَّهُ أُسْرِيَ به ﷺ مِنْ مَكَّةَ إلى بيت الْمَقْدِس جسدًا وروحًا؛ لأَنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فلمْ يَقُل: بروحِهِ، فَاقْتَضَى أنه أُسْرِيَ به ﷺ بروحه وبِجِسْمِهِ أيضًا، والأدِلَّة الأخرى كثيرة، فلا ينفع في هذا تأويل المؤولين بأنه أُسْرِيَ بِرُوحِهِ ﷺ.

وأيضًا لَوْ أنه أُسْرِيَ بِهِ بروحه ومنامًا -كما قالوا- لم يكن في ذلك عَجِيبَة من العجائب تَقْتَضِي أن يقول الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾، و(سبحان)

= ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]» قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نعم».

هذه تأتي في التعجُّب -كما هو معلوم- فلو أسْرِي به بروحه فقط ﷺ وهذا كثير في الأحاديث فقد كان يُخْبِرُ عن الجنة والنار ﷺ أنه رآهما في المنام، ويخبر عن أشياء كثيرة في الْمَنَام، فَلَمَّا قال تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، عرفنا أنه وقع أَمْر عَجَبٌ يقتضي هذا القول-والله أعلم-، ولما لم يكن ذلك إلا الإسراء فاقْتَضَى أن يكون الإسراء بروحه وبجسده أيضًا ﷺ(١).

أَمَّا سِدْرَةُ الْمُنْتَهى فَقَد وَرَد في شَأْنِها أَحاديث كثيرة أيضًا، وذُكِرَتْ في القرآن العظيم، وهي شجرة عَظِيمَة، لا يَعْلم مِقْدَار عِظَمِهَا إلا الله تبارك وتعالى، وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ-كما في مسلم وغيره- وهذه الشجرة: «لَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا»(٢).

وقَد وَرَدَ فِي شَأْنِ هذه الشَّجَرِة -سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى- أحاديث كثيرة أوردها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره(٣)، مَنْ شَاءَ أَنْ يَرْجِعَ إليها فليرجع، في سورة الْإِسْرَاء، أو في سورة النَّجْم، أَمَّا [السِّدرة] فهي معروفة، وهي شجرة النَبِقِ، أو النَبْقِ، كلاهما صحيح(٤).

---

(١) قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في الفتح (٧/ ١٩٧): «وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة؛ فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلةٍ واحدةٍ في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويلٍ...».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، مسلم (١٦٣) عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا به.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٩).

(٤) انظر: لسان العرب (٤/ ٣٥٤).

ثُمَّ يقول: (قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا ثَلَاثًا)، (منها) هذه اللَّفظة ليست في صحيح مسلم بعد أن راجعتها فيه، إنما الذي في صحيح مسلم: (قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا) فـ(منها) ليست في الصحيح[1] ولكنها تُفْهَمُ مِنَ الرِّوَايات الأخرى، والتي في مُسْلِم: «أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ»

و [الْمُقْحِمَاتُ] هي[2]: الذُّنوب الْعِظَام الْكِبَار التي تُقْحِمُ صاحبها في النَّارَ؛ أي: تُدخِلُه النَّار، لكن هناك أحاديث كثيرة أيضًا بلغت حد التوتر أَنَّ جماعات من عُصَاة هذه الْأُمَّة يُعَذَّبون في النَّار مِقْدَارًا معينًا لا يعلمه إلا الله ثم يَخْرجون مِنْهَا، فالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الأحاديث ونحوها أَنَّ غالب هذه الْأُمَّةِ مرحوم إِنْ شاء الله، بينما هناك جَمَاعة من الْأُمَّة تدخل النَّار مُدَّة ثُمَّ يخرجون منها[3].

قوله: (وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ) ليلة إِذْ، والمشهور أن سورة البقرة كلها مدنية.

وفي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللهُ: عن أبي هريرة قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]،

---

(١) هي في شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٩).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٩).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٦٥٦٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حممًا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل - أو قال: حمية السيل -» وقال النبي ﷺ: «ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية».

قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]» قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ»(١).

ويُجْمَع بين هذه الْأَحاديث الصَّحيحة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُشِّرَ بها ليلة الإسراء - بخواتيم سورة البقرة- كيف لا وهي مِنْ أَعْظم الْآيات، كما دلت على ذلك نصوصٌ مِنَ السنة المُطَهَّرَة؟!

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

ورسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(١)، قيل: كفتاه من قيام الليل، وقيل: كفتاه من الشَّيَاطين، فَهُمَا آيتان مُبَارَكَتَانِ عظيمتان، اختص الله بهما هذه الْأُمَّة المُحَمَّدِيَّة.

ويقول علي رضي الله عنه: «أَعْجَب لمن عقل الإسلام ثم ينام ولا يقرأ هاتين الآيتين!»(٢)، يعجب رضي الله عنه ممَّنْ عرف الإسلام وعقله ثم ينام قبل أن يقرأ تلك الآيتين مِنْ فَضْلِهِمَا وعظمهما الذي كان يعرفه الصحابة رضي الله عنهم، فبُشِّرَ بها ﷺ ليلة الإسراء، ثم نزل بها جبريل بعد ذلك في المدينة، ولا مُنَافَاة بين الاثنين، والجمع بين مثل هذه الأحاديث واجب على هذا النحو، والله أعلم.

ثَالِثُهَا: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فَقَدْ رَوَى الحَاكِمُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ، فَقَالَ لهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ»(٣)، وهَذِهِ الآيَةُ مِثَالٌ لِلْفِرَاشِيِّ أَيْضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٨) عن أبي مسعودٍ البدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلةٍ كفتاه».

(٢) قال المروزي في مختصر قيام الليل (ص١٦٠): وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام حتى يقرأ الثلاث آيات من آخر البقرة فإنهن لمن كنز من تحت العرش».

(٣) ابن سعد في الطبقات (١/ ١٧١) وسعيد بن منصور في السنن «في التفسير» (٤/ ١٥٠٣) والترمذي في جامعه (٣٠٤٦) وابن جرير في التفسير (١٠/ ٤٦٩) وابن أبي حاتم في التفسير (٤/ ١١٧٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢) والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٤) جميعًا من طرق: عن عبدالله بن شقيقٍ، عن عائشة رضي الله عنها به.

وقال الترمذي رحمه الله: هذا حديثٌ غريبٌ، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري، عن عبد الله بن شقيقٍ، قال: كان النبي ﷺ يحرس، ولم يذكروا فيه عن عائشة.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هو الْآن يَذكر الآيات التي نزلت في اللَّيل؛ لِأَنَّ الآيات التَّي نزلت في النَّهار كثيرات، فأغلب القرآن نزل في النَّهار، وهنا يعدد بعض الآيات التِّي عرفها من بعض الْأَدلة التِّي نزلت في اللَّيل.

فهو يقول: هذه الآية نزلت في الليل؛ لأن رسول الله ﷺ كان يُحْرَس، والحراسة عادة لا تكون إلا في الليل، وأخرج رأسه من بيته ﷺ وأمر الناس أن ينصرفوا؛ لأن الله تبارك وتعالى قد عَصَمَه.

قوله: (**وهَـذِهِ الآيَـةُ مِثَالٌ لِلْفِرَاشِـيِّ أَيْضًا**) ؛ لأنه كان في فِرَاشِ أم سلمة رضي الله عنها، ونزلت عليه هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، فلما نزلت أمر الحرس بالانصراف ﷺ، وهو حديث صحيح، قال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي عليه.

رَابِعُهَا: سُورَةُ الأَنْعَامِ بِكَمَالِهَا، فَقَدْ رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ بِمَكَّةَ لَيْلًا جُمْلَةً[١].

سبق الكلام على هذه بالتفصيل، وقد ذكرت في موضعه أنَّ الحافظ الْسُّيوطي رحمه الله في كتابه الْإِتقان قد أورد نصًّا صحيحًا بتسلسل أَئِمَّة النَّحو إلى مجاهد رحمه الله يَدُلُّ أيضًا على أَنَّها نزلت جملة، فَقَدْ صَرَّحَ ابن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّها نزلت جملة عدا الآيات المستثنيات، وهي تسع آيات كما ذكرنا قبل ذلك، وهذا الْأَثر إسناده ضعيف، لكن الأحاديث كثيرة في هذا أوردها أيضًا ابن كثير رحمه الله[٢]، وهناك أثر صحيح -كما أسلفت- في الإتقان يُرَجِّحُ أَنَّها نزلت جملة.

---

(١) انظر: فضائل القرآن (٢٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٣٧)، والإتقان (١/ ١٣٦).

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: «نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِمَكَّةَ لَيْلًا جُمْلَةً، وَنَزَلَ مَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْأَرُونَ حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ»(١).

خَامِسُهَا: آيَةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ كَعْبٍ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ(٢).

هذه مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ ومِنْ أعْظَمِ القَصَص، وأرجو من الْأَئِمَّة أو من الوعَّاظ أو الْمذكِّرين أَنْ يتلوا هذه القصة في مجامعهم وفي مساجدهم وفي بيوتهم على أطفالهم وأولادهم ونسائهم؛ لِأَنَّها من أعظم القصص. وكعب بن مالك رضي الله عنه هو من أُدباء الشُّعراء، فجاء بِالقِصَّة على أجمل وجه وأحسنه وأبهاه، وفيها من العبر العظيمة، وفيها من الآيات الكثيرة والدَّلَائِل الواسعة على عظمة الصَّحَابة رضي الله عنهم ما فيها، فَحُقَّ لنا أن نَتَدَبَّرَ هذه الأحاديث.

ومعنى قوله: (الَّذِينَ خُلِّفُوا) ليس الذين تخَلَّفُوا عن الغزوة، وإنما الذين خُلِّفُوا أي: خُلِّفُوا ولم يَقْضِ فِيهم رَسُولُ الله ﷺ أمْرًا كما قضى في المنافقين الذين جاءوا يعْتَذِرُون له ﷺ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦]، فهذه الآية نزلت في الذين اعتذروا فقبِلَ عذرهم ﷺ، ثم فَضَحَهُم الله تبارك وتعالى بعد ذلك في قرآن يُتْلَى إلى يوم القيامة، أَمَّا كَعْب وصاحباه: هِلَال بن أُمَيَّة الوَاقِفي، ومُرَارَة بن الربيع العامري فهؤلاء الثلاثة

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٧) ومسلم (٢٧٦٩).

خُلِّفَ القضاء فيهم فلم يَقْضِ فيهم الرَّسُول ﷺ إلا بعد خمسين لَيلة عندما نَزَل الْوحي كما هو معلوم.

يَقُول كَعْب رضي الله عنه: «فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْل، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ».

أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها(١): هي هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيْرَةِ بن عَبْدِ اللهِ بـنِ عُمَـرَ بـنِ مَخْزُوْم بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ المَخْزُوْمِيَّةُ، بِنْتُ عَـمِّ خَالِـدِ بـنِ الوَلِيْـدِ سَـيْفِ اللهِ؛ وَبِنْـتُ عَمِّ أَبِي جَهْلِ بنِ هِشَام. مِن المُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ.

كَانَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَخِيْهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ؛ أَبِي سَلَمَةَ بن عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُوْمِيِّ، الرَّجُلِ الصَّالِحِ. ودَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَبًا، وَكَانَتْ آخِرَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ.

عُمِّرَتْ حَتَّى بَلَغَهَا مَقْتَلُ الحُسَيْنِ الشَّهِيْدِ، فَوَجَمَتْ لِذَلِكَ، وَغُشِيَ عَلَيْهَا، وَحَزِنَتْ عَلَيْهِ كَثِيْرًا، لَمْ تَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا يَسِيْرًا، وَانْتَقَلَتْ إِلَى اللهِ.

وَلَهَا أَوْلَادٌ صَحَابِيُّوْنَ: عُمَرُ، وَسَلَمَةُ، وَزَيْنَبُ(٢). وقصتها معروفة، وهي أيضًا من أعْظَمِ العِبَرِ والعظات، وقد تُوُفِّيَ أَبو سَلَمة رضي الله عنه بعد أُحد في السنة الرابعة من الهجرة، بعد أن رُمي بسهم في أُحُد، فجلس بعده ستة أشهر تقريبًا ثم توفي رضي الله عنه، وكانت أُمُّ سَلَمة تحبّه حبًّا جمًّا لما كان يَعْطِفُ عليها ولما كان يحبّها.

فعن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّها قالتْ: سمعتُ رسول اللهِ ﷺ يقول: «ما مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٣٤٢).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٥٨).

مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»[1] فكان رسول الله ﷺ خيرًا لها من أَبِي سَلَمة رضي الله عنه، وقد توفِّيَتْ رضي الله عنها في سنة إحْدَى وستين من الهِجْرَة. وفي قصتها من العِبَر والدلائل الشيء الكثير فلتراجع في كتب السير والتراجم لمن أرادها[2].

وقد دخلت عروسًا على النبي ﷺ في العشاء ثم قامت آخر الليل تطحن بيدها رضي الله عنها، وهكذا كانت نساء المؤمنين رضي الله عنهن.

سَادِسُهَا: رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ نَزَلَتْ فِي انْتِظَارِ الصَّلَاةِ الَّتِي تُدْعَى: الْعَتَمَةَ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَظَاهِرُهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ[3].

العَتَمة[4]: هي انقضاء جزء من اللَّيل، وقيل: هذا الجزء هو ثلث اللَّيل الْأَول، وقِيلَ: حَتَّى مَغِيب الشَّفق الأحمر، ويجمع بينها أَنَّه بعد مغيب الشَّفق

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٩٦) وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٦) وابن جرير في التفسير (١٨/ ٦١١) عن أنس ابن مالكٍ رضي الله عنه به. وقال الترمذي رحمه الله: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وصححه العلامة مقبل بن هادي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٦١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٨٠).

الأحمر يُطْلَق عليه عَتَمَة إلى انقضاء ثلث اللَّيل الأول، ثُمَّ الْعَتَمَة أطْلِقَتْ بعد ذلك على الْعِشَاء، وهي الصَّلاة الآخرة، فالمَغْرِب هي الأولى والعشاء هي الآخرة، يقول: في ظاهره أَنَّ هذه الآية نزلت في ذلك الوقت ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] يقول: نَزَلَتْ فِي انْتِظَارِ الصلاة التَّي تُدْعى: الْعَتَمة.

وأَقُول: ليس في ظاهره أَنَّها نزلت في ذلك الوقت، إِنَّما يجوز أَنْ تكون نزلت مدحًا لهؤلاء النَّاس الَّذين كانوا ينتظرون صلاة الْعَتَمَة بتثاقل؛ لِأَنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في ذلك الزَّمان كانوا يشتغلون طوال النَّهار من بعد صلاة الْفَجر، حَتَّى إذا جاء المغرب ودخل اللَّيل كانوا يحتاجون إلى النَّوم خَاصَّة في نصف اللَّيل الأول، فكانوا ينتظرون صلاة العشاء بصعوبة، لذلك كان في صلاة العشاء ما فيها من الأجر العظيم، وهذه من بعض الحكم التَّي لأجلها تضاعفت الأجور في صلاة العشاء.

فصلاة العشاء من يشهدها في جماعة فكأنما قام نصف الليل[1]، فالعشاء كانت ثقيلة على المؤمنين في ذلك الزمان، حتى إن رؤوسهم كانت تتثاقل وتخفق نعسًا في انتظار صلاة العشاء كما هو معلوم، فليس في ظاهرها ما ذكره السيوطي، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٦) عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، قال: دخل عثمان بن عفان المسجد بعد صلاة المغرب، فقعد وحده، فقعدت إليه، فقال: يا ابن أخي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاء في جماعةٍ فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعةٍ فكأنما صلى الليل كله».

سَابِعُهَا: آيَةُ الإِذْنِ فِي خُرُوجِ النِّسْوَةِ فِي الأَحْزَابِ.

قَـالَ الْبُلْقِينِـيُّ: وَالظَّـاهِرُ أَنَّهَـا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ ...﴾ الآيَـة [الأحزاب: ٥٩].

فَفِي الْبُخَـارِيِّ عَـنْ عَائِشَةَ ﵂: خَرَجَـتْ سَـوْدَةُ بَعْـدَ مَـا ضُـرِبَ الحِجَـابُ لِحَاجَتِهَا وَكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَا تَخْفَى عَلَى مَـنْ يَعْرِفُهَـا، فَرَآهَا عُمَـرُ، فَقَـالَ: يَـا سَوْدَةُ، أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ؟ قَالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَـرْقٌ، فَقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ، خَرَجْـتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ وَإِنَّ الْعَـرْقَ فِـي يَـدِهِ مَـا وَضَعَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ(١).

هذا الحديث أَخرَجَه الْبُخَارِيَّ ﵀ وقد انتقد المحقِّقُ إيـراد الـسيوطيّ لهـذا الحديث موجزًا مختصرًا مخلًّا في ظنه وفي رأيه، وهنـاك تقـدير سيستقيم إن شـاء الله أذكره بعد ذلك.

أما العرق فهو: العظم إذا كـان مكسوًّا لحمًـا، ويقـال لـه أيـضًا: عـراق، مثـل غراب، ويقال أيضًا للعظم الذي ليس عليه لحم: عَرْق(٢).

قوله: (**خَرَجَتْ سَوْدَةُ**) وهي: سوْدةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْن بِنتُ زمعة بن قيسٍ العامِرِيـةُ القُرَشِيّةُ، وهِي أولُ من تزوّج بِها النبِيُّ ﷺ بعـد خدِيجة، وانفـردت بـهِ نحـوًا مِـن ثلاثِ سنين أو أكثر، حتّى دخل بعائشة. وكانت سيِّدةً جليلةً، نبيلةً، ضخمةً.

وكانت أوّلًا عِند: السّكرانِ بنِ عمرٍو، أخِي سُهيلِ بنِ عمْرٍو العامِرِيِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٥) ومسلم (٢١٧٠) عن عائشة ﵂ به.

(٢) انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٤٤).

وهِي الَّتِي وهبتْ يوْمها لِعائِشة، رِعايةً لِقلْبِ رسُوْلِ اللهِ ﷺ، وكانتْ قدْ فرِكتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. تُوُفِّيتْ فِي آخِرِ خِلافةِ عُمر بِالمدِيْنةِ[١].

فكانت أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ سَوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأة جسيمة ضخمة، عندما تخرج يعرفها الرِّجال، ثُمَّ نزلت آية الحجاب فتحَجَّبَت ثُمَّ خَرَجَتْ، فَعَرَفَهَا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّه كان يراها قبل الحجاب، فقال لها ذلك، فذهبت إلى رسول الله ﷺ تخبره بِمَقُولة عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالنِّساء في ذلك الزَّمان كُنَّ يخرُجْنَ ليلًا لقضاء حاجَتِهِنَّ خارج الْبُيُوت؛ لِأَنَّ الْكُنُفَ وهي بتعبيرنا اليوم: الْحَمَّامات -بيوت الخلاء- لم تكُنْ تُتَّخذ في الْبُيُوت في ذلك الزَّمان، فكان النَّاس يقضون حوائجهم خارج بُيُوتِهم بجوار الْبَقيع أو بعد البقيع، فَكُنَّ يخرجْنَ ليلًا ليقضين حاجَتَهُنَّ مستُورات، فَأَرَادت أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ سَوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ تخرج ليلًا لقضاء حاجتها فحدث لها ما حدث وأخبرت رسُولَ الله ﷺ... إلى آخر الحديث.

المحقق -حفظه الله- يقول: هذا الحذف من الإيجاز المُخِلّ؛ لأنه يؤدي إلى أَنَّ القائلَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما قالت: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ). والْأَلف كثيرًا ما تحذف في مصنفات القدماء، لو كانت الجملة: (فقالت: يا رسول الله، خَرجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي) فلن يكون هناك إيجاز مخلٍّ، ولا حذف مخلٍّ، وهذا -والله أعلم- فيه توجيه لهذا الأمر، وفيه أيضًا حفظ لمقام الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأُم المؤمنين سَوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت عند السكران بن عمرو[٢] قبل رسول الله

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١١٣).

ﷺ، وقد هاجر إلى الحبشة مع سودة، فقيل: إنه توفي هنالك، وقيل: إنه عاد فمات بمكة قبل الهجرة رضي الله عنها، ثـم تزوجهـا رسـول الله ﷺ أوَّل امرأة بعد خديجة رضي الله عنها قبل أن يعقد على عائشة، وهي التي وهبت ليلتها أيضًا لعائشة في آخر أيَّامِ رسول الله ﷺ. أما هي فَقَدْ تُوُفِّيَتْ في آخر خلافة عمر رضي الله عنه[1].

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ[2]: وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ لَيْلًا؛ لأَنَّهُنَّ إِنَّمَا كُنَّ يَخْرُجْنَ لِلْحَاجَةِ لَيْلًا كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ فِي حَدِيثِ الإِفْكِ[3].

لمَاَّ خرجت هي وأُمُّ مسطح لقضاء حاجتهما، والحادثة معروفة.

ثَامِنُهَا: سُورَةُ الْفَتْحِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَبَيَّنَّا أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ كُلُّهَا لَيْلًا، وَفِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ أَنَّهَا إِلَى: ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

تقدم الكلام في ذلك.

تَاسِعُهَا: سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ كَمَا تَقَدَّمَ.

تقدَّم أَنَّ نزولها قبل صلاة الفجر، فتكون أيضًا من النَّوع اللَّيلي.

فَرْعٌ: وَمِنْهُ مَا نَزَلَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي وَقْتِ الصُّبْحِ، وَيَصْلُحُ أَنْ يُجْعَلَ نَوْعًا مُسْتَقِلًّا، وَيَحْضُرُنِي مِنْهُ مِثَالَانِ:

فليس في اللَّيل، وليس في النَّهار، أي: ليس في ظلمة الليل، وليس في وضح النهار، بل هو بَين بين، ويَصْلُحُ أَنْ يكون نوعًا مستقلًّا، لكنه لم يجعله نوعًا مستقلًّا.

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٩٦).

(٢) مواقع العلوم (٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه.... الحديث.

الأَوَّلُ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ وَهُوَ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ.

الثَّانِي: آيَةٌ مِنَ الْفَتْحِ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَسٍ أَنَّ ثَمَانِينَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ يُرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأُخِذُوا أَخْذًا فَأَعْتَقَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ الآيَةَ(١).

يعني: بعد صلاة الصبح، فليس في اللَّيل وليس في النَّهار، فهذان النَّوعان هما اللَّذان حضرا له وقت تأليف هذا الكتاب.

ومِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ هُنَاكَ في الإتقان بعض الآيات التي ذكرها أيضًا؛ لِأَنَّه أَلَّفَ هذا المصَنَّفَ وعمره ثلاثٌ وعشرون سنة، بينما الإتقان ألّفه بعد ذلك بمدَّة طويلة وقد نضج عِلْمُه واتَّسع حفظه، فزاد على ذلك أمثلة، إنَّما هَمّنا في هذا الْكتاب أَنْ نذكر بعض أمثلة فقط، لا أَنْ نستقصي، فإذا عُرِفَ كيْف يؤخذ البعض عُرِفَ كيف يؤخذ الكل إن شاء الله.

والتنعيم(٢): هو موضع الإحرام للمكيين للعمرة، وهو مشهور معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، قيل: سُمِّيَ بذلك الاسم؛ لأن بجواره جبل يدعى: نعيما، وعن يساره جبل يدعى: ناعما، والوادي يدعى: نعمان، فسُمِّي: التنعيم، وأيضًا منه هذا الموضع الذي أمر النبي ﷺ عبدَ الرحمن بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن يُعْمِرَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٨)، والترمذي (٣٢٦٤).

(٢) انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص١٣٨).

عائشة منه، من التنعيم[١].



(١) أخرجه البخاري (٣١٦) ومسلم (١٢١١) عن عروة، أن عائشة، قالت: أهللت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فكنت ممن تمتع ولم يسق الهدي. فزعمت أنها حاضت ولم تطهر حتى دخلت ليلة عرفة، فقالت: يا رسول الله، هذه ليلة عرفة وإنما كنت تمتعت بعمرةٍ، فقال لها رسول الله ﷺ: «انقضي رأسك وامتشطي، وأمسكي عن عمرتك»، ففعلت، فلما قضيت الحج أمر عبد الرحمن ليلة الحصبة، فأعمرني من التنعيم مكان عمرتي التي نسكت».

النوعُ السابعُ والثامنُ
الصيفيٌّ والشِّتائيٌّ(١)

الأَوَّلُ لَهُ أَمْثِلَةٌ إِحْدَاهَا -وَلَمْ يَذْكُرِ البُلْقِينِيُّ غَيْرَهُ-: آيَةُ الْكَلَالَةِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ: مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَلَا يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟!(٢).

ذَكَرْتُ قبل ذلك أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كان يستشكل الكلالة، مَعَ أَنَّ الاتفاق الْيوم هو الْأَخذ بِتَفْسير أبي بكرٍ رضي الله عنه، وهو أن الكلالة: مَنْ لَيْسَ له والد ولا ولد يرثه؛ أي: لَيْسَ له فرع من الذكور يَرِثُه وليس له أصل من الذكور يرثه، وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله الآثار التَّي تدل على استشكال عمر رضي الله عنه لهذه الكلمة(٣).

وقوله: (**أَلَا يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ**) أي: التَّي نزلت في فصل الصَّيْف، والمؤلف هنا يذكر الآيات التَّي نزلت في الصَّيْف، وكذا الآيات التَّي نزلت في الشتاء، فيذكر ما وصل إلى علمه منها.

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْكَلَالَةُ؟ قال: أَمَا سَمِعْتَ الآيَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الصَّيْفِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾(٤).

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٦٧) عن معدان ابن أبي طلحة، أن عمر بن الخطاب، خطب يوم الجمعة.... الحديث مطولًا، وفي (١٦١٧) مختصرًا.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٨).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٧٣)، وأخرجه الطبري (٧/ ٧٢٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه به. وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط مسلمٍ ولم يخرجاه». قلت: إسناده ضعيف من أجل =

قَالَ الحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ ذَلِكَ فِي سَفَرِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

قال الواحديُّ: أَنْزَلَ اللهُ فِي الْكَلَالَةِ آيَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا فِي الشِّتَاءِ وَهِيَ فِي أَوَّلِ النِّسَاءِ، وَالْأُخْرَى فِي الصَّيْفِ وَهِيَ الَّتِي فِي آخِرِهَا[1].

ثَانِيهَا وَثَالِثُهَا وَرَابِعُهَا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2] [البقرة:٢٨١]، وَأَوَّلُ المَائِدَةِ، و﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3] [المائدة:٣]؛ لأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا نَزَلَ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَهُوَ قَرِيبُ الزَّمَنِ مِنْ آيَةِ الكَلَالَةِ.

هذه الآيات كُلُّها نزلت في حجة الوداع، وهي أيضًا صَيفِيّة؛ لِأَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «أَلَا يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟»[4].

خَامِسُهَا: غَالِبُ آيَاتِ غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي بَرَاءَةَ، فَقَدْ كَانَتْ فِي شِدَّةِ الحَرِّ كَمَا فِي الحَدِيثِ، وَنَصَّ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة:٨١].

وَقَدْ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَخْبَرَنَا

= يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن الحماني، أبي زكريا الكوفي. قال الذهبي في التلخيص: الحماني ضعيف.

(١) التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٤٤) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: «آخر آيةٍ نزلت على النبي ﷺ آية الربا».

(٣) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) عن عمر بن الخطاب، أن رجلًا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعةٍ».

(٤) سبق تخريجه.

أَحْمَدُ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا كَانَ يَخْرُجُ فِي وَجْهٍ مِنْ مَغَازِيهِ إِلَّا كَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَهُ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوك قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الرُّومَ، فَأَعْلَمَهُمْ، وَذَلِكَ فِي زَمَنِ الْبَأْسِ، وَشِدَّةٍ مِنَ الحَرِّ، وَجَدْبِ الْبِلَادِ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فِي جِهَازِهِ إِذْ قَالَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ: يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ فِي بَنَاتِ بَنِي الأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخَافُ إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الأَصْفَرِ أَنْ يَفْتِنَّنِي، فَأْذَنْ لِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ الآية [التوبة:٤٩]، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ المُنَافِقِينَ: لَا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١][(١)].

هذه المناسبة أيضًا: أَنَّ غزوة تبوك جَرَتْ فِي شهر رجب، وقد ذكرتُ في الْبداية أَنَّهُ يُسْتَحْسَنُ إِيرَاد مثل هذا الْقصص النَّافِع على النَّاس في الخطب وفي الْمُنَاسبات، فَقِصَّة كعب بن مالك هي جزء من قِصَّة تبوك.

أَمَّا أسماء الرِّجال: فقوله: (أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ) يعني: الحاكم صاحب المستدرك على الصحيحين، إمام مشهور[(٢)]. قال: (أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ) وهو محمد بن يعقوب[(٣)]. قال: (أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ) وهو ابن عبد الْجَبَّار[(٤)]. قال: (أَخْبَرَنَا

(١) دلائل النبوة، للبيهقي (٥/ ٢١٣) وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٤/ ٢١٤) وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر. قلت: ضعيف مرسل، وفيه محمد بن إسحاق، مدلس، ولم يصرح التحديث.

(٢) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحافظ، أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع، [المتوفى: ٤٠٥ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٨٩).

(٣) هو: محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، أبو العباس الأموي، مولى بني أمية، النيسابوري الأصم. [المتوفى: ٣٤٦ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٧/ ٨٤١).

(٤) هو: أبو عمر أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير بن عطاردٍ التميمي، العطاردي، الكوفي. قال =

يُونُسُ) هو ابن بكير[١]، (عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ) محمد بن إسحاق صاحب السيرة[٢] (عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ[٣]، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ)[٤] هذان الاثنان هما مِنْ ثِقَات المسلمين، وكلاهما من العلماء العارفين بالمغازي، وهما من التَّابعين، فالحديث مرسل، لكن تُعَضّده روايات أخرى كثيرة في هذا الشَّأن، والْقِصَّة صحيحة معروفة.

أما الجَدّ فكان أحد المنافقين، وقيل: إنه تاب بعد ذلك وتُوُفِّيَ في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ.

قوله: (نساء بني الأصفر)[٥]: هم الرُّوم، سُمّوا بذلك: قيل: لِصُفْرَةٍ اعْتَلَتْ أَبَاهُمْ الأول: الأَصْفَر بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام، اعتلته صفرة فسمي أبناؤه ببني الأصفر، وقيل: إِنَّ الأصفر لقب لروم ابن عيص، وقيل: إِنَّ الأصفر هذا ولده، فالأصفر ابن روم بن عيص.

= الحافظ: ضعيف، وسماعه للسيرة صحيح. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ٤٨٥).

(١) هو: يونس بن بكير بن واصل، الحافظ أبو بكر الشيباني الكوفي الحمال. قال الحافظ: صدوق يخطئ. قال الذهبي: الحافظ، قال ابن معين: صدوق، وقال أبو داود: ليس بحجة، يوصل كلام ابن إسحاق بالأحاديث. ت [١٩٩هـ]. انظر: التقريب ص ٦١٣.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المخرمي مولاهم المدني أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأحول. قال الحافظ: صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع والقدر. قال الذهبي: الإمام كان صدوقًا من بحور العلم، وله غرائب في سعة ما روى تستنكر، واختلف في الاحتجاج به، وحديثه حسن، وقد صححه جماعة. انظر: التقريب ص ٤٦٧.

(٣) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الظفري، أبو عمر، وقيل: أبو عمرو المدني. قال الحافظ: ثقة عالم بالمغازي. قال الذهبي: صدوق علامة بالمغازي. انظر: التقريب ص ٢٨٦.

(٤) عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، أبو محمد، ويقال: أبو بكر، المدني. قال الحافظ: ثقة. قال الذهبي: حجة. ت [١٣٥] هـ. انظر: التقريب ص ٢٩٧.

(٥) انظر: لسان العرب (٤/ ٤٦٥).

وقيل: ليس ولده ولكن لَقَبٌ له، وقيل أيضًا: إنه غزاهم قوْم وسبوا منهم نساءً، فخرج الأولاد مائلين إلى الصفرة، فسمّوا بني الأصفر.

وقيل غير ذلك، أقوال كثيرة، والله أعلم.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي -أي: النوع الشتائي- **فَلَهُ أَمْثِلَةٌ، أَحَدُهَا -وَلَمْ يَذْكُرِ الْبُلْقِينِيُّ غَيْرَهُ-: الآيَاتُ الثَّلَاثَ عَشْرَةَ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ مِنْ سُورَةِ النُّورِ، وأوّلها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾.**

هذه السُّورة مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى نُبُوَّةِ محمَّدٍ ﷺ، فَرَسُول الله ﷺ أُوذي في أخَصِّ أهْلِهِ شهرًا كاملًا حتى إنه صَعِدَ المنبر ﷺ وقال: «**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ مِنْ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا**»(١)، يقصد المنافق عبد الله بن أُبَي بن سَلُول، وتناقل النَّاس هذه الْقِصَّة شهرًا كاملًا، حَتَّى إِنَّ رسول الله ﷺ ثَقُلَ عليه الأمر جدًّا، فلو أنه ﷺ -كما يقول الكافرون- كان يأتي بالقرآن من عند نفسه لَأَتَى بهذه الآيات بعد يوم أو اثنين أو ثلاثة، ولَكِنَّه وَقَعَ في حرج وشِدَّة ﷺ، وكانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لا تعرف عن الخبر شيئًا، ولا تدري ما يدور بين النَّاس، حَتَّى أخبرتها أُمُّ مسطح بذلك كما هو معلوم، وكادت أَنْ تحدث فتنة بسبب هذه القصة بين الصَّحَابَةِ: الأوس والخزرج، ومع ذلك لم ينزل الوحي إِلَّا بعد شهرٍ كامل على رسول الله ﷺ، وهو أمْرٌ عظيم يدلُّ على نبوة هذا النَّبِي الكريم الشَّريف ﷺ، وأنه لا يأتي بالقرآن من عند نفسه، إنما ينتظر الوَحْيَ، فَإِذَا جاءَهُ أخبر النَّاس به.

---

(١) سبق تخريجه.

و[الْإِفْكِ] هو: الكذب[١].

فَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِهَا: فَوَ اللهِ مَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ... الحَدِيث[٢].

(البُرَحَاءُ)[٣]: مأخوذة مِنَ البَرحِ، والبَرْحُ هو الشِّدة التي تعتري الإنسان، (كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ) أي: الشِّدة التي كانت تعتريه ﷺ حال نزول الوَحْيِ عليه، فقد كان يثقل جَسَدُهُ الشريف ﷺ، وكانت تُسْمع همهمة بجوار وجهه الشريف ﷺ كدوي النحل[٤]، وكان يَتَحَدَّر مِنْهُ العرق في اليوم الشَّاتِي الشديد البرد كما هو في هذا الحديث[٥].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١).

(٣) انظر: لسان العرب (٢/ ٤١٠).

(٤) قال النسائي: منكر. أخرجه أحمد (١/ ٣٥١) وأخرجه عبد بن حميد (١٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٤٤٣)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٧٦) عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فمكثنا ساعةً، فاستقبل القبلة ورفع يديه، فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا»، ثم قال: «لقد أنزلت علي عشر آياتٍ، من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ علينا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر آياتٍ». قال أبو عبد الرحمن النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا حديثٌ منكرٌ، لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سليمٍ، ويونس بن سليمٍ لا نعرفه، والله أعلم.

(٥) أخرجه البخاري (٢) ومسلم (٢٣٣٣) عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن الحارث بن هشامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا
=

أَمَّا (الجُمَانِ)(١) فهو اللؤلؤ، فشبَّهَتْ قطرات عَرَقِهِ ﷺ التي كانت تنحدر من جبينه الشريف بقطرات اللؤلؤ لصفائِهَا وحسنها.

ثَانِيهَا: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ...﴾ الآية، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ لمَّا حَلَفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا؛ لِمَا تَكَلَّمَ فِي الإِفْكِ، فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِمَّا قَبْلَهَا(٢).

قوله: (يَأْتَلِ)(٣): من الأليَّة، والأَلِيَّةُ هِيَ الحَلِف، فحَلَفَ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ألا ينفق على مسطح بن أثاثة شيئًا -لِأَنَّه كان ينفق عليه- وكان مسطح(٤) ممن خاضوا في هذه الْقِصَّة، وبعض الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فحلف، فنزلت هذه الآيات: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ...﴾ [النور: ٢٢] إلى آخر الآيات المشهورة المعروفة.

واستدل على أَنَّ هذه الآية شتائية بقوله: إِنَّها قريبة مما قبلها، وما قبلها استدل عليها بِأَنَّ اليوم الذي نزلت فيه كان يومًا شاتيًا ومع ذلك كان ينحدر العرق من جبينه ﷺ.

= فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا».

(١) انظر: القاموس المحيط (١/ ١١٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه... الحديث.

(٣) انظر: «تحفة الأريب بما في القرن من الغريب» ص (٥٨).

(٤) هو: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف المطلبي، [المتوفى: ٣٤ هـ].
كان اسمه عوفًا، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت، وأسلم أبوها قديمًا. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٧٤).

ثَالِثُهَا: قَالَ الْوَاحِدِيُّ[١]: أَنْزَلَ اللهُ فِي الْكَلَالَةِ آيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي الشِّتَاءِ وَهِيَ الَّتِي فِي أَوَّلِ النِّسَاءِ، وَالأُخْرَى فِي الصَّيْفِ وَهِيَ الَّتِي فِي آخِرِهَا[٢].

وَعَجِبْتُ لِلْبُلْقِينِيِّ كَيْفَ غَفَلَ عَنْ هَذِهِ.

رَابِعُهَا: مَا فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ مِنْ آيَاتِ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ، فَقَدْ كَانَتْ فِي الْبَرْدِ، فَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ اليَمَانِيِّ، قُمْ فَانْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الأَحْزَابِ، فَانْظُرْ إِلَى حَالِهِمْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا قُمْتُ لَكَ إِلَّا حَيَاءً مِنَ الْبَرْدِ... الحَدِيث.

وَفِي بَعْضِ طُرُقِهِ قَالَ فِي آخِرِهِ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ...﴾ إِلَى آخِرِها[٣].

قوله: (مَا قُمْتُ لَكَ إِلَّا حَيَاءً مِنَ الْبَرْدِ) لِأَنَّه نَادَاهُ بِاسْمِهِ أَنْ قُمْ، وهي قِصَّة معروفة، عندما أَرَاد رسُول الله ﷺ أن يَتَحَسَّس أَخْبار الْمُشْركين، فأمر الصَّحابة أَنْ يندبوا واحدًا منهم، فلم يَقُمْ مِنْهُم أحد مِنْ شدَّة البَّرد ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ

---

(١) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الإمام الكبير، أبو الحسن. كان الأستاذ أبو الحسن واحد عصره في التفسير، صنف التصانيف الثلاثة في التفسير: البسيط والوسيط والوجيز، وصنف أيضا أسباب النزول وغيرها. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٤٠) إنباه الرواة (٢/ ٢٢٣) وطبقات المفسرين: (٧٨).

(٢) انظر: تفسير الواحدي «التفسير الوسيط» (٢/ ١٤٥).

(٣) أصله في مسلم (١٧٨٨)، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج على مسلم (٤/ ٣١٩) بهذا اللفظ. لم أجده في المستخرج ووجدته في مسند البزار (٧/ ٣٤٦)، والمستدرك (٣/ ٣٣).

وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٩-١١] وهَذِهِ الغزوة كانت غزوة عجيبة، وفِيهَا مِن الْعِبَر والعِظَاتِ الشَّيء الكثير، فحذيفة لم يَقُمْ حَتَّى عَيَّنَهُ رسول الله ﷺ فتعيّن عليه الْقِيام، فقال: قُمْ يَا حُذَيْفَةَ! فقام وهو يقول: (مَا قُمْتُ لَكَ إِلَّا حَيَاءً مِنَ الْبَرْدِ)، وقال حذيفة وهو في سِيَاق الْمَوت: نَعَمْ حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ»[١] أي: الموت، ينتظره حذيفة رضي الله عنه.

ومما قاله أيضًا في حالة الاحتضار: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَبَقَ بِيَ الْفِتْنَةَ قَادَتَهَا وَعُلُوجَهَا»[٢]، وكان قد ولَّاهُ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى المَدَائِن، ثُمَّ سَكَنَ الكُوفَةَ، وتوفي بعد مَقْتَلِ عثمان رضي الله عنهما بأربعين يومًا، فقال ذلك، أي: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَبَقَ بِيَ الْفِتْنَةَ قَادَتَهَا وَعُلُوجَهَا»؛ لِأَنَّه يعلم رضي الله عنه مِنْ إِخْبَارِ رسول الله ﷺ له ما هو كائن بعد موته مِنَ الفِتَن العظيمة التَّي حَلَّتْ بالصَّحابة رضي الله عنهم، وبما جاء أيضًا من بعدهم إلى قيام السَّاعة، فحَمِدَ الله أنه لم يشهد ذلك رضي الله عنه.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٥٨) عن هشام بن حسان، عن محمد، قال: دخل أبو مسعودٍ الأنصاري على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فاعتنقه، فقال: الفراق، فقال: نعم حبيبٌ جاء على فاقةٍ، لا أفلح من ندم، أليس بعد ما أعلم من الفتن؟

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٨٢) عن الحسن، قال: لما حضر حذيفة الموت قال: «حبيبٌ جاء على فاقةٍ، لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها».

النَّوْعُ التَّاسِعُ: الفراشي

ذَكَرَ الْبُلْقِينِيُّ مِثَالًا وَاحِدًا، وَهُوَ آيَةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ نَحْوُ الثُّلُثِ وَهُوَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ(١)، وَظَفِرْتُ بِمِثَالٍ آخَرَ وَهُوَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢).

وَاسْتُشْكِلَ الجَمْعُ بَيْنَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ نُزُولِ الآيَةِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَقِّ عَائِشَةَ: مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ فِي فِرَاشِ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا(٣).

قَالَ البُلْقِينِيُّ: وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ القِصَّةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا الْوَحْيُ فِي فِرَاشِ أُمِّ سَلَمَةَ(٤).

يقول النَّبي ﷺ في حَثِّهِ على عدم إيذائه في عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ فِي فِرَاشِ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا**»، فلم ينزل الوحي عليه ﷺ في فراش امرأة غيرها، وهنا يقول: نَزَل الوحي وهو عند أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فيقتضي ذلك أنه كان ﷺ نائمًا على فِرَاشِها، فاستشكل ذلك.

والجمع بين هاتين الروايتين: حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وبين هذا الحديث، ما

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٧٥) عن هشام، عن أبيه، قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها».

(٤) انظر: مواقع العلوم (٤٨).

ذكره البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله[١]: لعله كان قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل أن تنزل هذه الآية، ثم نزلت الآية بعد ذلك والنَّبي ﷺ في فراش أم سلمة، فلا منافاة.

ووجهها السُّيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ بتوجيه أحسن، فقال:

ظَفِرْتُ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الجَوَابُ، وَهُو أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، فَرَوَى أَبُو يَعْلَى بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُعْطِيتُ تِسْعًا... الحَدِيث.

وَفِيهِ: «وَإِنْ كَانَ الْوَحْيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي أَهْلِهِ فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ فِي لِحَافِهِ»[٢].

يعني: فلا منافاة في ذلك، إذا نَزَلَ الوحيُّ عليه وبجواره عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في فراشها، فينزل الوحي عليه وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما زالت جالسة في مكانها، أَمَّا إذا نزل الوحي وهو ﷺ عند امرأة أخرى فإنها تنصرف عنه حتى ينقضي.

وهذا جمع حَسَنٌ؛ لِأَنَّ السُّيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ على اطِّلَاعٍ عَظِيم بالأحاديث كما هو معروف، فهو حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) قال البلقيني في مواقع العلوم (٤٨): ولعل هذا قبل هذه القصة التي نزل فيها الوحي في فراش أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٩٠) والآجري في الشريعة (٥/ ٢٣٦٦-٢٤١٤) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨/ ١٥١٩) وقوام السنة في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٩٨-٣٩٩) من طرق عن عائشة أنها قالت: «لقد أعطيت تسعًا ما أعطيتها امرأةٌ إلا مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قبض ورأسه لفي حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان لينزل عليه وأني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبةً وعند طيبٍ، ولقد وعدت مغفرةً ورزقًا كريمًا». قال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ في العلل (١٥/ ١٦٦): وليس فيها شيء يصح. وروى هذا الحديث إسماعيل ابن أبي خالد، عن عبد الرحمن ابن أبي الضحاك، عن عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان، عن عائشة، وليس فيها شيء صحيح.

وهذا الحديث الذي يرويه أبو يعلى في «مجمع الزوائد» يقول: فيه من لا يُعْرَف. يعني: الحديث ضعيف.

لكن له شواهد تُقَوِّيه عند الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ، ومذكورة أيضًا في مكانها من «مجمع الزوائد» في مناقب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمَنْ أَرَادَ أن يبحث عنه.

وهنا تُوَضِّح عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الأمر فتقول: «وَإِنْ كَانَ الْوَحْيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي أَهْلِهِ فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ، وَإِنَ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ فِي لِحَافِهِ»، وهذه منقبة من مناقب تسع، وفي رواية: أُعْطِيتُ سبعًا.



النَّوْعُ الْعَاشِرُ: النَّوْمِيُّ

ذَكَرَهُ الْبُلْقِينِيُّ وَجَعَلَهُ مُلْحَقًا بِمَا قَبْلَهُ، وَرَأَيْنَا إِفْرَادَهُ بِنَوْعٍ أَلْيَقَ، وَمَثَّلَ لَهُ بِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1].

وَقَالَ الإِمَامُ الرَّافِعِيُّ فِي أَمَالِيهِ[2]: فَهِمَ فَاهِمُونَ مِنَ الحَدِيثِ أَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي تِلْكَ الإِغْفَاءَةِ، وَقَالُوا: مِنَ الْوَحْيِ مَا كَانَ يَأْتِيهِ فِي ؛ لأَنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ.

قَالَ: وَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنَّ الأَشْبَهَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ نَزَلَ فِي الْيَقَظَةِ، وَكَأَنَّهُ خَطَرَ لَهُ فِي النَّوْمِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ الْمُنَزَّلَةُ فِي الْيَقَظَةِ، أَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَوْثَرُ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ السُّورَةُ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ وَفَسَّرَهَا لَهُمْ، قَالَ: وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى الحَالَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَرِيهِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، وَيُقَالُ لَهَا: بُرَحَاءُ الْوَحْيِ... انْتَهَى.

قُلْتُ: الَّذِي قَالَهُ الرَّافِعِيُّ فِي غَايَةِ الاتِّجَاهِ، وَهُوَ الَّذِي كُنْتُ أَمِيلُ إِلَيْهِ قَبْلَ الْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَالتَّأْوِيلُ الأَخِيرُ أَصَحُّ مِنَ الأَوَّلِ؛ لأَنَّ قَوْلَهُ: أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفًا يَدْفَعُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٠) عن أنسٍ رضي الله عنه به.

(٢) هو: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل، العلامة إمام الدين، أبو القاسم، الرافعي، القزويني، الشافعي. صاحب الشرح الكبير المسمى بـ «العزيز». قال أبو عبد الله محمد بن محمد الإسفراييني في «الأربعين» تأليفه: هو شيخنا، إمام الدين وناصر السنة صدقًا. كان أوحد عصره في العلوم الدينية، أصولا وفروعًا، ومجتهد زمانه في المذهب، وفريد وقته في التفسير. قال الذهبي: كان زاهدًا، ورعًا، متواضعًا. (ت٦٢٣). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي: (١٣/ ٧٤٢).

كَوْنَهَا نَزَلَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، بَلْ نَقُولُ: نَزَلَتْ فِي تِلْكَ الحَالَةِ وَلَيْسَتِ الإِغْفَاءَةُ إِغْفَاءَةَ نَوْمٍ، بَلِ الحَالَةُ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَرِيهِ عِنْدَ الوَحْيِ، فَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ كَانَ يُؤْخَذُ عَنِ الدُّنْيَا.

هذا المثال للنَّومي، وهو مثال وحيد أَتَى به، وفيه اعتراض نذكره إِنْ شاء الله، قوله: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، والآنِف هو أقرب وقت لك انْقَضَى قبل هذا الزَّمَان الآن(١).

قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ورد في معنى النَّحْر روايات كثيرة، فقيل المراد به: رفع اليدين في الركوع والرفع منه، وقال بعض الناس: وضع اليدين على الصدر تحت النحر، وقال آخرون أقوالًا غير ذلك، والصحيح المشهور - والله أعلم- أن النَّحْرَ هنا يراد به ذبح المناسك كما هو معلوم(٢).

قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الشَّانِئ هو المبْغض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ أي: لا يَحْمِلَنَّكم بُغْض قوم على ألا تعدلوا،

---

(١) انظر: لسان العرب (٩/ ١٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٥٠٣)، وقال: [كل هذه الأقوال غريبةٌ جدًا]، والصحيح القول الأول؛ أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيارٍ فقال: يا رسول الله، إني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يومٌ يشتهى فيه اللحم. قال: «شاتك شاة لحمٍ». قال: فإن عندي عناقًا هي أحب إلي من شاتين، أفتجزئ عني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحدًا بعدك». قال أبو جعفر ابن جريرٍ: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان؛ شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كفاء له، وخصك به. وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعبٍ القرظي، وعطاءٌ.

فالشنئان هو البُغْض(١).

و﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾: هو الذي ليس له ولد من الذكور؛ أي: انقطع ذِكْره في الناس، فكانوا يظنون؛ لجهلهم أن رسول الله ﷺ بما أنه لا يعيش له ولد ذَكَر أنه سينقطع ذِكْرُهُ، بل أَبْقَى اللهُ تَعَالَى ذِكْره على رؤوس الأشهاد مستمرًّا إلى دوام الآباد حتى يوم التناد ﷺ، وهذا الكلام رُوِيَ عَنِ العَاص بن وائل، وقيل: هو أبو جهل، وقيل: الوليد بن المغيرة، وقيل غير ذلك مما أورده ابن كثير لمن أراد أن يرجع إليه(٢).

أَمَّا (الرَّافِعِي)(٣) فمعروف، والأَمالي جمع أُمْلِية، وهي على غير قياس، والقياس أن يُقَالَ: أمْلِيات، لكن الجمع المعروف بين النَّاس أَمالي، والأمالي هو ما يمليه الشَّيخ على طلابه من العلوم والآداب والأشعار فهي أمالي من الإملاء، والأمالي مشهورة، منها:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٥٠٣).

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير (٨/ ٥٠٤): قال ابن عباسٍ، ومجاهدٌ، وسعيد بن جبيرٍ، وقتادة: نزلت في العاص بن وائلٍ. وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائلٍ إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجلٌ أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة. وقال شمر بن عطية: نزلت في عقبة ابن أبي معيط. وقال ابن عباسٍ أيضًا، وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعةٍ من كفار قريشٍ. وقال عكرمة: الأبتر: الفرد. وقال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمدٌ. فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد.

(٣) سبقت ترجمته قريبًا.

أمالي أبي عليٍّ القالي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي ارتحل من بغداد إلى الأندلس، وأملى فيها إملاءاته، اشتهرت بعد ذلك جدًّا بهذا الاسم: (أمالي القالي)[١].

وأيضًا: أمالي ابن الشجري[٢]. وأمالي الرافعيِّ التي ذُكِرَتْ هاهنا.

والْأَمالي تشبه اليوم المحاضرات، والمحاضرات مشهورة أيضًا عند القدماء، فهناك محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة أجزاء في مجلدين من أجمل ما يكون في باب الأدب[٣].

والمجالس مشهورة أيضًا، فهناك مجالس ثعلب[٤] وغيره، وكلها بمعنى المحاضرات المعروفة اليوم.

يقول الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إما أن السورة نزلت قبل ذلك فعرضت على رسول الله ﷺ في نومه، فلما استيقظ ذَكَرَهَا لِلصَّحَابَةِ، وإما أنه لم يكن هناك نوم أصلًا إنما هذه الإغفاءة التي ذكرها أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي التي كانت تأخذ رسول الله ﷺ حال الوحي، وهي برحاء الوحي التي ذكرناها، فهي ليست إغفاءة نوم بل إغفاءة من الثِّقَلِ والشدة التي كانت تعتريه ﷺ في حالة الوحي، هذا ما يقوله الرافعي، ومال

---

(١) هو: إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، أبو علي القالي: أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب. (ت ٣٥٦). انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٣٢١).

(٢) هو: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة، أبو السعادات ابن الشجري، العلوي، النحوي، النقيب. أحد الأئمة الأعلام في علم اللسان. ت (٥٤٢). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١١/ ٨١٨).

(٣) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. ت (٥٠٢). انظر: الأعلام، للزر كلي (٢/ ٢٥٥).

(٤) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثًا، مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة، حجة. ت (٢٩١). انظر: الأعلام، للزر كلي (١/ ٢٦٧).

السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التأويل الأخير.

فقال: والتأويل الأخير -بأن هذه الإغفاءة من برحاء الوحي- أَصَحّ مِنَ الأَوَّلِ -بأنها نزلت عليه قبل ذلك وعرضت عليه في النَّوم-.

وما مِلْتُ إِلَى أَيٍّ مِنَ التَّأويلَيْن؛ فليس هناك نَص شَرْعِي يَمْنَع من أن رسول الله ﷺ قد أوحي إليه في الْمَنَام، ورسول الله ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه(١)، خاصَّة أَنَّ نومه ليس بالنَّوم الذي يأخذ الإنسان عن الدنيا تمامًا كنومنا، ولكنه نوم مُعَيَّن يليق بالأنبياء الكِرَام، فما المانع أن تكون هذه السورة قد نزلت عليه في نومه؟

وقوله ﷺ: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ نص الحديث وسِيَاقه لا يَحْتَمِل إِلَّا هذا.

وأنا في كلامي هذا لست مخالفًا للأئمة مَعَاذَ الله، إِنَّما أَقُولُ: ليس هناك في الحديث المذكور ما يمنع التوجيه، خاصَّة وأَنَّ السِّياق يساعده، فقال: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آنفًا...»، فالكلام واضح جدًّا، أَمَّا أن يُقَالَ: بأنه أُنزل عليه قبل ذلك والسُّورة عرضت عليه في النَّوم، فَهَذَا تأويل بَعِيد، أو يُقَال: إِنَّها ليست إغفاءة نوم -وإن كان هذا الكلام قريبًا- فلا، ولكن يُؤْخَذ الحديث على ظاهره، أي: أن تلك الإغفاءة كانت إغفاءة نوم، ولو كانت الإغفاءة إغفاءة ثِقَلٍ مِنَ الوحي لذكرها الصحابة، فقد كانوا يذكرون بأنه كان ﷺ يُسْمَعُ منه صوت كدويِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٩) ومسلم (٧٣٨) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعةً، يصلي أربع ركعاتٍ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، فقلت: يا رسول الله! تنام قبل أن توتر؟ قال: «تنام عيني، ولا ينام قلبي».

النَّحل[١]، وكان يَنْحَدِرُ مِنْهُ العَرَقُ في اليوم الشَّاتي[٢]، وكان فَخِذُهُ ﷺ يثقل حتى كاد يرض فخذ صحابي كان تحته[٣]، أو كاد يرض النَّاقة التَّي كانت تحته ﷺ، كانوا يذكرون ذلك كلَّه، فما المانع من هذا أيضًا؟ فلما لم يذكر ذلك أنس، فيحُمِلَ -والله أعلم- على أنه في حال النوم نزل عليه، ولا شيء يمنع من ذلك، والله أعلم.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

النوع الحادي عشر: أسباب النزول

أسباب النزول مِنَ الأهمية بمكان، ولا يَخْفَى أَنَّ هناك بعض المباحث القرآنية التي يُحتاج إلى أن تُعطى جرعة جرعة، منها هذا المبحث، ومباحث ستأتي إن شاء الله في قسم الأصول من هذا الكتاب؛ لِأَنَّ بعض الطُّلاب قد يخفى عليهم هذا العلم، وقد تخفى عليهم مبادئه فضلًا عن نهاياته التي سنذكر بعضها إن شاء الله.

من فوائد معرفة أسباب النُّزول: فَهْمُ مَعْنَى الآية، فإِنَّ مَعْرِفَة سبب النزول طَرِيقٌ قَوِيّ لفهم آيات الله تبارك وتعالى.

مثال ذلك: لما صلَّى المسْلِمُون في ليلة ظلماء ولم يتحرَّوا القبلة فصلى كل منهم باتجاهه، وجاءوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فهذا سبب من أسباب النزول[١]، وقيل غير ذلك[٢]، فهذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ لا تُفهم إلا بمعرفة سبب نزولها؛ لِأَنَّ من شرائط الصَّلاة -كما هو معلوم- استقبال القِبْلَة، فتُفهم الآية إذا فُهِمَ سَبَبُهَا.

ثُمَّ مِنْ فَوَائِدِ أسباب النزول: معْرِفَة وجه الحكمة الباعثة على التَّشريع، قد

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الترمذي (٣٤٥) و(٣١٩١)، ابن ماجه (١٠٢٠)، والطيالسي في مسنده (١٢٤١) ومن طريقه الدارقطني (٢/ ٦) عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فتغيمت السماء وأشكلت علينا القبلة، فصلينا، وأعلمنا، فلما طلعت الشمس إذا نحن قد صلينا لغير القبلة، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٠٠) عن ابن عمر، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبلٌ من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]».

تَخْفَى الحكمة فلا يُعْلَم لماذا شُرِّعَ هذا الحكم هكذا، على سبيل المثال: عندما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، لا بد أن يُفْهَمَ أنَّ لهذا قِصَّة مشهورة معْروفة، ولا بد أن يُعْلَمَ أَنَّ الصَّحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد تَدَرَّجَ مَعهُم الشَّارِع الحكيم تدرُّجًا معروفًا ملحوظًا، فالذي لا يَعْرِفُ هَذَا ولا يفقهه يستعجب ويطول عجبه عندما يَقْرَأ مثل هذه الآيات، فمِنَ المهم جِدًّا مَعْرِفة الحكمة الباعثة للشارع على أن يشرِّع مثل هذا الحكم، وهناك فوائد أجملتها في هذين لأهميتهما، والله أعلم.

وهنا فائده وهي أن القرآن ينقسم إلى قسمين[١]:

قِسْم نزل ابتداءً هكذا بدون سبب نزول وهو القسم الأكبر الأعظم، وكان غايته هداية الخلق إلى الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلم يكن فيه سبب نزول.

وقِسْم -وهو الأقَلّ- تنزل بأسباب أو لسؤالات، فتَنَزَّلَت هذه الآيات على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ نَوْعٌ مُهِمٌّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَصَنَّفَ النَّاسُ فِيهِ مُصَنَّفَاتٌ، وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ الْوَاحِدِيِّ[٢]، ثُمَّ شَيْخُ الإِسْلَامِ حَافِظُ الْعَصْرِ أَبُو الْفَضْلِ ابْنِ حَجَرٍ.

شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر قد ألّف كتابًا في أسباب

---

(١) انظر: أصول في التفسير، لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص١٠).

(٢) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الإمام الكبير أبو الحسن، كان الأستاذ أبو الحسن واحد عصره في التفسير، صنف التصانيف الثلاثة في التفسير: البسيط والوسيط والوجيز. وصنف أيضًا أسباب النزول. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٤٠).

النّزول، والسُّيوطي عندما كتب هذا لم يكن قد ألف بَعْدُ كتابه المشهور: «لباب النقول في أسباب النزول» وهو كتاب محرَّر نافع، وكتاب الواحدي مشهور معروف، أما كتاب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] فلا أعلم أنه موجود، وقد استفاد منه الحافظ السُّيوطي في تأليف كتابه «لباب النُّقول».

وَمَا كَانَ مِنْهُ عَنْ صَحَابِيٍّ[2] فَهُوَ مُسْنَدٌ مَرْفُوعٌ؛ إِذْ قَوْلُ الصَّحَابِيِّ فِيمَا لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلاجْتِهَادِ مَرْفُوعٌ[3].

فالصَّحابي عندما يقول قولًا فإِنَّ هذا القول يُحْتَمَل أن يكون من لَدُنْه، ويحتمل أن يكون من لَدُنْ رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون من أخبار بني إسرائيل، ويُحْتَمَل أن يكون من التابعين، ويحتمل أن يكون مِنْ صَحَابي آخر.

أما رِوَايَةُ الصَّحابي عن الصَّحابي فَلَا تضر اتّفاقًا، وأما رِوَايَة الصَّحابي عن

(١) اسم الكتاب: «العجاب في بيان الأسباب»، انتهى فيه إلى سورة الأنعام، ومات قبل أن يتمه، والكتاب مطبوع متداول.

(٢) هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردةٌ في الأصح. انظر نزهة النظر ص ١٤٠.

(٣) قال الحافظ في النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/ ٥٣٠-٥٣١): «ما قيل من أن تفسير الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مسند إنما هو في تفسير يتعلق بسبب نزول آية أو نحو ذلك». قلت: تبع المصنف في ذلك الخطيب، كذا قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: «إذا أخبر الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن سبب وقع في عهد النبي ﷺ أو أخبر عن نزول آية له بذلك - مسند». لكن أطلق الحاكم النقل عن البخاري ومسلم أن تفسير الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند. والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إن كان مما لا مجال للاجتهاد [فيه] ولا منقولًا عن لسان العرب فحكمه الرفع، وإلا فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء وعن الأمور الآتية: كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد [فيها]، فيحكم لها بالرفع. قال أبو عمرو الداني: «قد يحكى الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قولًا يوقفه، فيخرجه أهل الحديث في المسند؛ لامتناع أن يكون الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قاله إلا بتوفيق.

التَّابِعِين فيُصَرِّح بها الصحابي عادة، وهي نادرة جدًّا في المرويات الحديثية[١].

وأما رواية الصحابي عن أحبار أهل الكتاب فمِثْلُ عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ فإنه كان يعرف بالتَّحْدِيث عن أهل الكتاب، ومثل قليل من مرويات ابن عباس، فإنه كان يروي قليلًا عَنْ أهل الكتاب، أو هكذا جاء السند إليه، وأيضًا هناك عدد من الصحابة ممن كانوا يَرْوون عن أهل الكتاب.

أَمَّا الصَّحابي الذي لا يُعرف أنه كان يروي عن أَهل الكتاب فعادة يحمل المحدثون حديثه على أَنَّه قد سمعه من رسول الله ﷺ، أو من صَحَابِي مثله، أو يكون من كلامه.

فكيف نُفَرّق بين ما هو من كلامه الخاص وبين ما هو من كلام رسول الله ﷺ؛ لأن الصحابي قد يقول قولًا مرسلًا، لا يقول فيه: حدثني رسول الله ﷺ، أو حدثنا رسول الله ﷺ، أو أخبرنا.

والجواب: نعرف ذلك بأن ننظر في قول الصحابي، فإن كان مما لا مدخل فيه للاجتهاد عَلِمْنَا أنه لا بد أن يكون من لدن رسول الله ﷺ.

فإذا قال الصحابي مثلًا: إذا كان يوم القيامة حدث كذا، أو إذا جمع الله الخلق صار كذا. أو تكلم عن آيات آخِرِ الزَّمَانِ، أو تَكَلَّمَ عن الفتن المقبلات...، فنعلم أَنَّه لا بُدَّ أن يكون قد روى ذلك عن رسول الله ﷺ؛ إذ لَا مجال للاجتهاد هنا أبدًا.

أَمَّا إِنْ كان الصحابي قال قولًا يُحْتَمَل أن يكون من عند رسول الله ﷺ،

(١) ومن ذلك رواية بعض الصحابة كأبي هريرة ومعاوية وابن عباس رضي الله عنهم عن كعب الأحبار، قال ابن الصلاح: «ويندرج تحت هذا النوع ما يذكر من رواية الصحابي عن التابعي: كرواية العبادلة وغيرهم من الصحابة عن كعب الأحبار» انظر: مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠٨.

ويُحْتَمَل أن يكون من عنده، مثل أن يَتَكَلَّم في مكارم الأخلاق، أو في طرائق التربية، أو مثل هذه الأمور، فإنه يحتمل أن يكون قد سمعها من رسول الله ﷺ وهو الأغلب الأكثر، ويُحْتَمَل أن يكون قائلًا بها من لدن نفسه، مثْل كبار الصحابة رضي الله عنهم الذين كانت لهم مكانة في صفوف المسلمين في ذلك الزمان.

قوله: (ومَا كانَ مِنْهُ عَنْ صَحَابِيّ) أي: مَوْقُوف على صَحَابِيّ، فهو مسند مرفوع؛ لأَنَّ أسباب النُّزول تكون معروفة على عهد رسول الله ﷺ، فإِنَّ الصَّحَابي استقى ذلك مِنْ عصر رسول الله ﷺ، فهو مسند مرفوع.

أَوْ تَابِعِيٌّ[1] فَمُرْسَلٌ، وَشَرْطُ قَبُولِهِمَا صِحَّةُ السَّنَدِ، وَيَزِيدُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ رَاوِيهِ مَعْرُوفًا بِأَلَّا يَرْوِيَ إِلَّا عَنِ الصَّحَابَةِ، أَوْ وَرَدَ لَهُ شَاهِدٌ مُرْسَلٌ أَوْ مُتَّصِلٌ وَلَوْ ضَعِيفًا.

(الْمُرْسَل) عند جماهير علماء المحدِّثين هو قِسْمٌ مِنْ أقسام الحديث الضَّعيف؛ لِأَنَّ ذلك التَّابعي الكبير -على خلاف في قَبُول المُرْسَل بين أن يكون تابعيًّا فقط، أو يكون من كبار التَّابعين- لم يصرح باسم الوَاسِطَة بينه وبين رسول الله ﷺ، فلو كان ذلك التَّابعي لا يَرْوِي إلا عن صحابي عادة، فبعض العلماء يقبل ذلك المرسل، ولَكِنَّ أغلب العلماء يردون الحديث المرسل؛ لفقدانه الواسطة بين التابعي وبين رسول الله ﷺ.

وإنما يرسل التابعي فيقول: قال رسول الله ﷺ، ولا يقول: قال فلان: قال رسول الله ﷺ؛ لأنه قد لا يستطيع أن يُصَرِّحَ باسم الصحابي؛ لأن الذين

(١) قال الحافظ في النزهة (١٤٣-١٤٤): هو من لقي الصحابي كذلك. وهذا متعلقٌ باللقي وما ذكر معه، إلا قيد الإيمان به، فذلك خاصٌ بالنبي ﷺ، وهذا هو المختار، خلافًا لمن اشترط في التابعي طول الملازمة، أو صحة السماع، أو التمييز.

يحكمون الدولة في زمانه لا يريدون ذكر ذلك الصحابي مثلًا، فمثل هذا حدث في فترة من الفترات، فكان التابعي يقول: قال رسول الله ﷺ. أو لأسباب غير ذلك.

وجماهير العلماء لا يعتدّون بالمرسل، والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم (الرسالة) اشترط لقبول الحديث المرسل شروطًا:

أولًا: أن يكون مُرْسِلُه من كبار التابعين، مثل سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانيًا: ألَّا يُخَالِف ما رَوَاهُ أصلًا مِنْ أصُول الإسلام؛ فلا يأتي بجديد على المسلمين في هذا الحديث المرسل، فإن أتى بجديد فإنه لا يُقْبَل؛ فإن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقبله إلا إن انْدَرَج تَحْتَ أصْل مِنْ أصُولِ الإسلام المعروفة.

ثالثًا: أن يكون له شاهد -وسيأتي تعريف الشاهد إن شاء الله- مرسل أو مُتَّصِل يشهد لهذا الحديث.

رابعًا: أن يُوَافِقَ قَوْلَ صَحَابِيّ أو يُفْتِيَ به أكثر الصحابة، فما كان كذلك فإنَّ الشَّافِعِي يقْبَلُهُ.

قوله: (ولو ضعيفًا)، الكلمة المنصوبة التي تأتي بعد لو -مثل كلمةضعيفا هنا- يَكُون إعرابها خبرًا لـ(كان) المحذوفة هي واسمها، فالتقدير: ولو كان ذلك الشاهد ضعيفًا(١).

وَإِذَا تَعَارَضَ فِيهِ حَدِيثَانِ، - أي: في سبب النزول - **فَإِنْ أَمْكَنَ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا**

---

(١) وفي هذا يقول ابن مالك:

ويحذفونها ويبقون الخبر   وبعد إن ولو كثيرًا ذا اشتهر

فَذَاكَ، - أي: فذاك هو الطريق الحسن- **كَآيَةِ اللّعَانِ** -مثل: آية اللعان - **فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدي أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ عُوَيْمِرٍ العَجْلَانِيِّ**(١)**، وَفِيهِ أَيْضًا** -أي: في الصحيح أيضًا- **أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ**(٢)**، فَيُمْكِنُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي حَقِّهِمَا؛ أَيْ: بَعْدَ سُؤَالِ كُلٍّ مِنْهُمْ فَيُجْمَعُ بِهَذَا.**

الحديثان صحيحان فلا نستطيع أن نرجح أحدهما على الآخر، وعليه فيقول: نَجمع بينهما بأنَّ النَّازِلَ وَاحِد والأسباب متعددة؛ أي: حدثت هذه القصة لفلان

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٤) عن سهل بن سعدٍ الساعدي، قال: جاء عويمرٌ العجلاني، إلى عاصم بن عدي، فقال: أرأيت رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فيقتله، أتقتلونه به، سل لي يا عاصم رسول الله ﷺ، فسأله، فكره النبي ﷺ المسائل، وعابها، فرجع عاصمٌ، فأخبره أن النبي ﷺ كره المسائل، فقال عويمرٌ: والله لآتين النبي ﷺ، فجاء وقد أنزل الله تعالى القرآن خلف عاصمٍ، فقال له: «قد أنزل الله فيكم قرآنًا»، فدعا بهما، فتقدما، فتلاعنا، ثم قال عويمرٌ: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها. ففارقها، ولم يأمره النبي ﷺ بفراقها، فجرت السنة في المتلاعنين، وقال النبي ﷺ: «انظروها، فإن جاءت به أحمر قصيرًا مثل وحرةٍ، فلا أراه إلا قد كذب، وإن جاءت به أسحم أعين ذا أليتين، فلا أحسب إلا قد صدق عليها». فجاءت به على الأمر المكروه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٧) (٤٧٤٧) وفي (٥٣٠٧) عن ابن عباسٍ، أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌّ في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حدٌّ في ظهرك»، فقال هلالٌ: والذي بعثك بالحق إني لصادقٌ، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النور: ٦] فقرأ حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩]، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلالٌ فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذبٌ، فهل منكما تائبٌ»، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبةٌ، قال ابن عباسٍ: فتلكأت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك ابن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأنٌ». وأخرجه مسلم (١٤٩٦) أيضًا، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وحدثت لفلان آخر أيضًا، فجاءا إلى رسول الله ﷺ فاتَّفَقَ نزول هذه الآية لأَجْلِ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ.

وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ قُدِّمَ مَا كَانَ سَنَدُهُ صَحِيحًا أَوْ لَهُ مَرَجِّحٌ؛ كَكَوْنِ رَاوِيهِ صَاحِبَ الْوَاقِعَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ.

إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الجمع بمثل ما جُمِعَ فِي قِصَّةِ اللِّعَانِ التي حدثت قُدِّمَ ما كان سَنَدُهُ صَحِيحًا، فإن كان سند أَحَدِ الحديثين صحيحًا والآخر ضعيفًا أو حسنًا، فيُقَدَّم الصَّحِيح، ويقدم ما في البخاري ومسلم على ما في غيرهما... إلى آخِرِ طرق الجمع.

(أَوْ لَهُ مرجح ككون راويه صَاحِبَ الواقِعَة)، فالسند يرويه صحابيان أَحَدُهُما: حَضَرَ الواقعة وعاينها وشاهدها، والآخر لم يحضرها ولم يعاينها ولم يشهدها، فَلأنَّ مظنة الخلل في الآخر أقوى يُقَدَّم صاحب الواقعة التي رآها وعايشها.

فَإِنِ اسْتَوَيَا فَهَلْ يُحْمَلُ عَلَى النُّزُولِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ يَكُونُ مُضْطَرِبًا يَقْتَضِي طَرْحَ كُلٍّ مِنْهُمَا؟ عِنْدِي فِيهِ احْتِمَالَانِ، وَفِي الحَدِيثِ مَا يُشْبِهُهُ.

أي: فإن استويا في كل الأمور، ولم يكن هنالك أي وجه من أوجه الترجيح فيقول: إما أن يكون الحديثان مضطربين.

والاضْطِرَابُ[1] في الحديث هو: أن يُروى الحَدِيثُ على أَوْجُهٍ مُتَعَدِّدَة متساوية في درجة القوة، ومتباينة بحيث لَا يُمْكِنُ الجَمْع بَيْنَهما أبدًا، فهذا نقول

---

(١) قال الحافظ في النزهة (ص٢٢٨): أو كانت المخالفة بإبداله- أي: الراوي- ولا مرجح لإحدى الروايتين على الأخرى، فهذا هو المضطرب. وهو يقع في الإسناد غالبًا، وقد يقع في المتن.

عنه: حَدِيث مُضْطَرِب، والحَدِيث المضطرب مِنْ أقْسَامِ الحديث الضعيف، مثاله: قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ**»(١)، وقول رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ فِي المَالِ حَقّ سِوَى الزَّكَاةِ**»(٢)، فهَذَانِ الحَدِيثَانِ استويا في القوة واضْطربا في المتن، فتَرَكَ العُلَمَاءُ واحدًا منهما وهو «إِنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ»، وحملوا ذلك -إن صح الحديث- على ما بين المسلمين من التَّعَاوُنِ والتآزر والتكافل، وما يقع في الحروب من أخذ بعض الأموال إلى آخره، ويؤخذ بحديث «لَيْسَ فِي المَالِ حَقّ سِوَى الزَّكَاةِ»؛ لأن الأحاديث الكثيرة المتواترة على أن الحق في المال المشروع هو الزَّكَاة فقط، فَتَرَكَ العُلَمَاءُ الحَدِيثَ الآخر؛ لاضطراب الحَدِيثَيْنِ، ومَجِيئهما بألفاظ مختلفة مع استوائهما في القوة.

فيقول: (**فإن استويا**) الحديثان في جميع الجوانب، فهل يُحمل على النزول مرتين كما سيأتي، أو يكون مضطربًا يقتضي طرح كل منهما؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٠) والدارقطني في السنن (٢٠١٦)، (٢٠١٧) والطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٠٣)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٤٢) عن أبي حمزة، عن عامرٍ الشعبي، عن فاطمة بنت قيسٍ، عن النبي ﷺ قال: إن في المال حقًا سوى الزكاة. ورواه: ابن جرير في التفسير (٢٣/ ٢٧٠) وسعيد بن منصور في التفسير من السنن (٥/ ١٠٠) بيانٌ عن الشعبي، قال: إن في المال حقًا سوى الزكاة. قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديثٌ إسناده ليس بذاك، وأبو حمزة ميمونٌ الأعور يضعف. وروى بيانٌ، وإسماعيل بن سالمٍ، عن الشعبي هذا الحديث قوله، وهذا أصح.

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٧٨٩) عن شريكٍ، عن أبي حمزة، عن الشعبي عن فاطمة بنت قيسٍ، أنها سمعته- تعني: النبي ﷺ- يقول: «ليس في المال حقٌ سوى الزكاة». يقال فيه ما قيل في الذي قبله. قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (السنن الكبرى-٤/ ٨٤): فهذا حديثٌ يعرف بأبي حمزة: ميمونٍ الأعور، كوفي، وقد جرحه أحمد بن حنبلٍ، ويحيى بن معينٍ، فمن بعدهما من حفاظ الحديث. والذي يرويه أصحابنا في التعاليق «ليس في المال حقٌ سوى الزكاة»، فلست أحفظ فيه إسنادًا، والذى رويت في معناه ما قدمت ذكره، والله أعلم.

وَرُبَّمَا كَانَ فِي إِحْدَى الْقِصَّتَيْنِ (فَتَلا)، فَوهَمَ الرَّاوِي، فَقَالَ: (فَنَزَلَتْ) -كَمَا تَقَدَّمَ فِي آيَةِ الزُّمَرِ- وَالْبَارِعُ النَّاقِدُ يَفْحَصُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمْثِلَةُ هَذَا النَّوْعِ تُسْتَقْرَأُ مِنَ الْكُتُبِ المُصَنَّفَةِ فِيهِ، وَذُكِرَ مِنْهَا كَثِيرٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي الأَنْوَاعِ السَّابِقَةِ وَالَّتِي سَتَأْتِي.

فبدل أن يقول: (فَتَلَا) قال: (فَنزلت) كما تقدم في آية الزمر ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ..﴾ [الزمر: ٦٧] حيث تَقَدَّم لنا أن هذه الآية مَكِّيَّة، ولما سأل اليهود رسول الله ﷺ في المدينة أسئلة تلا رسول الله ﷺ الآية التي سبق أن نزلت عليه في مَكَّة، لكن أحد الصَّحابة قال: فَنَزَلَتْ في المدينة، لكن البارع المحقق يَعْلَم أَنَّ هذه الآية نَزَلَتْ في مكة، وأَنَّ الصَّحَابِيّ وهِم في قوله: فنزلتَ، بل هي: «فَتَلا رسُول الله ﷺ»(١).

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١) وانظر أطرافه، ومسلم (٢٧٨٦)، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السماوات على إصبعٍ والأرضين على إصبعٍ، والشجر على إصبعٍ، والماء والثرى على إصبعٍ، وسائر الخلائق على إصبعٍ، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) عن عطاءٍ، عن أبي الضحى، عن ابن عباسٍ، قال: «مر يهوديٌّ برسول الله ﷺ وهو جالسٌ، قال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه - وأشار بالسبابة- والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ كل ذلك يشير بأصابعه »، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٩١]. قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ حسين بن حسين الأشقر، قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وعطاء قد اختلط.

ثُمَّ مِنْهَا المَشْهُورُ وَهُوَ قِسْمَانِ:

المَشْهُورُ يراد به أحيانا المشهور المشهور الاصطلاحي في الحديث، ويراد به أحيانا المشهور على الألسنة، فهُنَاكَ أَحَادِيث مشهورة على الألسنة، منها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف ومنها الموضوع.

والظاهر أنه يريد به هنا المشهور على الألسنة وليس المشهور الاصطلاحي الذي يرويه -أي: يروي الحديث- في كل طَبَقَة مِنْ طَبَقَاتِ السَّنَدِ ثلاثة رجال فأكثر لَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغ حَدَّ التواتر بعدُ (١).

وحد التَّواتر الذي لا يبلغه المشهور قيل: أربعة، وقيل: عشرة، وقيل: أكثر من ذلك، أوصله بعضهم إلى عشرين وإلى أربعين، لكن بعض الأئمة صححوا أن ما رواه عشرة فصَاعِدًا يُعَدّ حديثا متواترا، فالحديث المشهور مَا رَوَاه في كل طبقة من طبقات السند ثلاثة من الرجال فأكثر ما لم يبلغوا حَدّ التواتر، وتوسط بعضهم فقال: المتواتر هو أن يرويه عشرة من الرجال في كل طبقة من طبقات السند(٢).

---

(١) قال الحافظ في النزهة (ص٤٩-٥٠): الثاني -وهو أول أقسام الآحاد-: ما له طرقٌ محصورةٌ بأكثر من اثنين، وهو المشهور عند المحدثين. ثم المشهور يطلق:

١- على ما حرر هنا.

٢- وعلى ما اشتهر على الألسنة؛ فيشمل ما له إسنادٌ واحدٌ فصاعدًا، بل ما لا يوجد له إسنادٌ أصلًا.

(٢) قال الحافظ في النزهة (ص٣٧-٣٨-٣٩): المتواتر أن يكون له طرقٌ؛ أي: أسانيد كثيرةٌ، وتلك الكثرة أحد شروط التواتر، إذا وردت- بلا حصر عددٍ معينٍ، بل تكون العادة قد أحالت تواطؤهم على الكذب، وكذا وقوعه منهم اتفاقًا من غير قصدٍ- فلا معنى لتعيين العدد على الصحيح.

ومنهم من عينه في الأربعة. وقيل: في الخمسة. وقيل: في السبعة. وقيل: في العشرة. وقيل: في الاثني عشر. وقيل: في الأربعين. وقيل: في السبعين. وقيل غير ذلك. وتمسك كل قائلٍ بدليلٍ جاء فيه ذكر ذلك العدد؛ فأفاد العلم. وليس بلازمٍ أن يطرد في غيره؛ لاحتمال الاختصاص. فإذًا وردَ الخبر كذلك، =

صَحِيحٌ؛ كَقِصَّةِ الإِفْكِ وَآيَةِ السَّعْيِ وَالتَّيَمُّمِ وَالْعُرَنِيِّينَ وَمُوَافَقَاتِ عُمَرَ.

أَمَّا قِصَّة الإفْك فمعروف ما حدث لعائشة وهي البريئة المُطَهَّرة رضي الله عنها وأرضاها[1].

وأما آية السَّعي فهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]؛ لِأَنَّ الصَّحابة في الجاهلية كان كثير منهم يسعون بين الصفا والمروة؛ حيث كان من الشَّعائر قبل الإسلام، وكان على الصفا والمروة صنمان من الأصنام الكثيرة المنتشرة في ذلك الزمان (يُقَالُ لَهُمَا: إِسَافَ وَنَائِلَةَ)، فلما جاء الإسلام تحرَّج الصَّحابة أن يطوفوا بين الصَّفا والمروة لما كان عَلَيْهِما من الأصنام، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨][2].

= وانضاف إليه أن يستوي الأمر فيه في الكثرة المذكورة من ابتدائه إلى انتهائه -والمراد بالاستواء: أن لا تنقص الكثرة المذكورة في بعض المواضع، لا أن لا تزيد؛ إذ الزيادة مطلوبةٌ هنا من باب الأولى- وأن يكون مستند انتهائه الأمر المشاهد أو المسموع، لا ما ثبت بقضية العقل الصرف، كالواحد نصف الاثنين. [فهذا هو المتواتر].

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٦٤٣) و(١٧٩٠) و(٤٤٩٥) ومسلم (١٢٧٧) عن عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فوالله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا =

وأَمَّا آية التَّيَمم فمعروفة أيضًا، وذلك في قصة فَقْدِ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعقدها؛ حيث كان تحت الجمل ولم تدر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَحُبِسَ الجيش بحثًا عن عقدها، وَجَاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما شَكَا إِلَيْهِ أَحَدُ الصَّحَابَةِ وجعل يَطْعَن عائشة في خصرها؛ لِأَنَّهَا حبست الصَّحابة، وكان رأس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشريف على فخذها فلم تستطع أن تتحرَّك مَعَ تَألمها، ثم بعد ذلك نزلت آيَةُ التَّيَمُم المشهورة، وكانت عائشة بَرَكَة على المسلمين كما كانت دائمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١).

رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وقد سن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطواف بينهما، فليس لأحدٍ أن يترك الطواف بينهما»، ثم أخبرت أبا بكر ابن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلمٌ ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالًا من أهل العلم يذكرون: أن الناس، - إلا من ذكرت عائشة - ممن كان يهل بمناة، كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرجٍ أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآيةَ. قال أبو بكرٍ: «فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما، في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام، من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا، حتى ذكر ذلك، بعدما ذكر الطواف بالبيت».

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤) ومسلم (٣٦٧) عن عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدٌ لي، فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماءٍ، فأتى الناس إلى أبي بكرٍ الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ. فجاء أبو بكرٍ ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضعٌ رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس، وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ؟! فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكرٍ، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فخذي، «فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أصبح على غير ماءٍ، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا»، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكرٍ. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته.

وأَمَّا (قِصَّةُ الْعُرَنِيِّين) فهم قوم جاءوا إلى رسول الله ﷺ وهم على حال عَظِيمٍ مِنَ الفَقْرِ وَمِنَ الحَاجَةِ، فاجتووا المدينة؛ أي: لم يناسبهم هَوَاء المدينة، فهم أهل بادية، فاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أن يقيموا خارجها، فأذن لهم رسول الله ﷺ وبعث معهم ﷺ أحد مَوَاليه الذين هم مِنَ الرُّعاة، وأمرهم ﷺ أن يَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِ الإِبِلِ وأَبْوَالِهَا؛ لِأَنَّهُ -كما هو معلوم- كل ما يُؤْكَل لحْمُهُ فبَوْلُهُ طَاهِر[(١)]، وكان العرب يَسْتَشْفُون بأبوال الإبل وأبوال البقر، فأَمَرَهَمُ رسول الله ﷺ أن يشربوا من ألبانها وأبوالها، فعَادَتْ إليهم الصحة والعافية وتحسَّنَت أجسادهم، فلما حصل لهم ذلك اعتدوا على الراعي وقتلوه، ووضعوا الشوك في عينيه وهربوا إلى بلادهم، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة أن يلحقوهم، فعاد الصحابة بهم، فقتلهم رسول الله ﷺ قِتْلَة عظيمة لم يقتل مثلها أحدًا قَبْلَهم ولا بعدهم: بأن قطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَلَ أعْيُنَهُم. والسَّمْل للأعين جزاءً لما فَعَلُوهُ بالرَّاعِي؛ لأنهم قتلوه وسمَلُوا عَيْنَيْهِ. و(السَّمْلُ): هو إذهاب العين بحديدة محماة ونحوها[(٢)]. ورَمَاهُمْ في الحرة ﷺ فكانوا يستسقون فلا يُسْقَوْن؛ جزاءً لما صنعوا من كفران النِّعمة ومن القتل وسَمْل الأعين، ففعل بهم ﷺ مثل ما صنعوا، ونزل قول الله تبارك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ

(١) انظر: الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء ابن عقيل (٥/ ١٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠٣).

﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤](١).

وأَمَّا (موافقات عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ):

فمنها: عندما غضب رسول الله ﷺ من نسائه، فقال عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عسى ربه إِنْ طلقكن أَنْ يبدله أَزوَاجًا خيرًا مِنْكُنَّ، فنزلت الآية بقول عمر بالتَّمام: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥](٢).

ومنها: آية الحجاب المشهورة، فقد وَافَقَ القرآن فيها قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومنها أيضًا: اتخاذ مقَام إِبْرَاهيم عليه الصلاة والسلام مصلى.

ومنها أيضًا: أسرى بدر، فقَدْ كان رَأْيُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يُدْفَع كُلّ قريب إلى قريبه فيَقْتُله جزاءً وفاقًا، لكن رسول الله ﷺ -وكان ذلك رأي أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠١)، و(٤١٩٢)، ومسلم (١٦٧١) عن قتادة، أن أنسًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حدثهم، أن ناسًا من عكلٍ وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرعٍ، ولم نكن أهل ريفٍ. واستوخموا المدينة، «فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها»، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة، كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود، «فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢) عن أنس بن مالكٍ، قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وافقت ربي في ثلاثٍ: فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن)، فنزلت هذه الآية. وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٩٩) عن نافعٍ، عن ابن عمر، قال: قال عمر: «وافقت ربي في ثلاثٍ: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدرٍ».

أيضًا- مَنَّ عَلَى الأسرى وأطْلَقَهُمْ، فَنَزَلَ قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، فجَلَسَ رسول الله ﷺ وأبو بكر يبكيان، فجاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا رسول الله! ما الذي يبكيكما فإن وجدت بكاءً بكيت وإلا تباكيت؟[١]. انظر إلى أَدَبِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ! فأخبره رسول الله ﷺ بنزول الآية.

ومنها قوله: (فَتبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ)، لكنها أيضًا رُوِيَتْ عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما نزل قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فقال معاذ أو عمر -على اختلاف بين الروايات-: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ فنزلت كذلك تتِمَّة الآية ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[٢].

وهناك موافقات أُخرى لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزل بها القرآن.

وَضَعِيفٌ[٣] كَآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾، وَقَدِ اشْتُهِرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ، وَأَسَانِيدُ ذَلِكَ بَعْضُهَا ضَعِيفٌ وَبَعْضُهَا مُنْقَطِعٌ[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦٣) عن ابن عباس، يقول: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (١٣٧) عن أبي الخليل، قال: نزلت هذه الآيات على رسول الله ﷺ، وعمر عنده: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ﴾ [المؤمنون: ١٣]. قال: فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. قال: يقول رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها ختمت بما تكلمت به»، تفرد عمر بهذه الفضيلة.

(٣) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الباعث الحثيث (ص٤٤): قال: وهو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن.

(٤) سبق تخريجه، وانظر: أخبار مكة، للأزرقي (١/ ٢٦٥) فقد رواه من عدة أوجه عن ابن شهاب وابن جريج ومجاهد، والكل مرسل.

يقول: هذه الآية لم يثبت فيها – أي: في سبب نزولها – حديث صحيح، لكن مجموع الروايات ترقى بهذه الحادثة إلى درجة الحسن لغيره.

قوله: (أسانيد ذلك بعضها ضعيف وبعضها منقطع)، الضَّعيف أَنْوَاعُهُ كثيرة، والمنقَطِع نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاع الضَّعيف، لكن الانقطاع له حالات؛ فإن كان الانقطاع مِنْ أعلى السند سُمِّيَ ذلك الحديث: حديثًا مُرْسَلًا[١]، أَمَّا إِنْ كَانَ الانقِطَاع من آخر السند فيسمى: حديثًا معلقًا[٢]، وهناك انقطاع بأن يسقط راويان فأكثر فيسمى: حديثًا مُعْضلًا[٣]، وما عدا هذه الصور الثَّلاث فهو حديث منقطع[٤] وهو ضعيف.

وَمِنْهَا: الْغَرِيبُ، وَهُوَ أَيْضًا قِسْمَانِ: صَحِيحٌ وَضَعِيفٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا الْفَصْلُ مِمَّا حَرَّرْتُهُ وَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ قَوَاعِدِ الحَدِيثِ وَلَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

الغريب قِسْمَان[٥]: غريب مطلق، وغريب نِسْبِيّ.

---

(١) قال الحافظ في النزهة (ص١٠٠-١٠١): والثاني: وهو ما سقط من آخره من بعد التابعي، هو «المرسل». وصورته: أن يقول التابعي –سواءٌ كان كبيرًا أم صغيرًا–: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل كذا، أو فعل بحضرته كذا، ونحو ذلك. وإنما ذكر في قسم المردود؛ للجهل بحال المحذوف؛ لأنه يحتمل أن يكون صحابيًا، ويحتمل أن يكون تابعيًا.

(٢) قال الحافظ في النزهة (ص٩٨): السقط إما أن يكون: من مبادئ السند من تصرف مصنفٍ، أو من آخره –أي: الإسناد– بعد التابعي، أو غير ذلك. فالأول: المعلق، سواءٌ كان الساقط واحدًا، أم أكثر.

(٣) قال الحافظ في النزهة (ص١٠٢): والقسم الثالث من أقسام السقط من الإسناد: إن كان باثنين فصاعدًا مع التوالي، فهو «المعضل».

(٤) قال الحافظ في النزهة (ص١٠٢): فإن كان الساقط باثنين غير متواليين، في موضعين مثلًا، فهو المنقطع، وكذا إن سقط واحدٌ فقط، أو أكثر من اثنين، لكن يشترط عدم التوالي.

(٥) قال الحافظ في النزهة (ص٥٤): الغريب: وهو ما يتفرد بروايته شخصٌ واحدٌ في أي موضعٍ وقع التفرد به من السند.

والحَدِيث الْغَرِيب هو الحديث الَّذِي يَتَفَرَّد بروايته رَاوٍ فَقَطَ، مثل الحديث المشهور المعروف: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[١] حيث تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مبتدأ السَّنَد، ثم تفرَّع تفرعًا هائلًا بعد ذلك.

والْغَرِيب النِّسبي: أن يُقَالَ: تَفَرَّدَ به مالك عن الزهري رحمهما الله تبارك وتعالى، فهذَا حديث غريب نِسْبِيٌّ، أو يُقَال: تَفَرَّدَ به أهل الشَّام عن أهل الحجاز، أو أهل العراق عن أهل الحجاز، أو تفرد به الرَّاوي الفلاني، أو تَفَرَّد بِرِوَايَتِهِ الإمام مسلم، أو تفرد بروايته الإمام الترمذي، فَهَذَا غريب لكنه غريب نسبي.

أَمَّا الْغَرِيب الْمُطْلَق: فهو ما انفرد بروايته راوٍ واحد من أصل السَّند، والله أعلم.

وقوله: (هذا الفصل ممَّا حَرَّرْتُهُ مِنْ قَوَاعِدِ الحديث ولم أُسبق إليه)، إنما قال هذا قبل أن يَرَى كِتَاب البرهان للزَّرْكَشِي رَحِمَهُ اللهُ[٢] كما أسلفت في البداية.



---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. ت [٧٩٤هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ٦٠)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (١/ ٤٣٧).

النوع الثاني والثالث عشر
أول ما نزل وآخر ما نزل[١]

اخْتُلِفَ فِي الأَوَّلِ، فَالأَصَحُّ أَنَّهُ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

معرفة أَول ما نَزَل وآخر ما نَزَل تفيد عدَّة فوائد منها:

أولًا: معرفة تدرج التَّشريع الإسلامي، كَيْفَ تدرج وارْتَقَى بالصَّحَابَةِ رضي الله عنهم حتى صاروا أَحْسَنَ جِيل ظهر على هذه البسيطة مِنْ لَدُن آدم حتى تقوم الساعة، وكيف تَرَبَّى هذا الجيل؟ فمعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل يوضح كيفية هذه التربية، ويوضِّحُ حِكْمَة الشَّارِع الحكيم في تشريعه.

ثانيًا: يُوَضِّحُ النَّاسخ والْمَنْسُوخ؛ لأَنَّ العُلَمَاء إِذَا اضْطروا إلى الترجيح بين الرِّوَايَاتِ فإِنَّهُمْ يرجعون إلى ما نزل آخِرًا فيعتمدونه.

ثالثًا: إظهار عناية المسلمين بقرآنهم العَظِيم، حَتَّى عرفوا فيه ما الذي نزل أولًا، وما الذي نزل آخرًا.

رابعًا: معرفة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، عن طريق ربط أول ما نزل منه بآخره، فإن من ينظر في أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل يعرف الصلة الوثيقة بين آياته كلها في ألفاظها ومعانيها ومراميها، ويتبين له بوضوح أن أول ما نزل مقدمة تقود الباحث إلى ما في هذا الكتاب العزيز من مقاصد وعبر، وأحكام وحكم، وآخر ما نزل يوجز كل ما ورد فيه من تلك المقاصد والعِبَر، والأحكام والحكم فيلتقي الآخر بالأول في نسق واحد، ونسج فريد لا تناقض فيه ولا اختلاف[٢].

---

(١) قال العلامة الزرقاني في مناهل العرفان (١/ ٩٢): مدار هذا المبحث على النقل والتوقيف. ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها.

(٢) مناهل العرفان (١/ ٩٢)، دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل ص (٣٤).

وَقِيلَ: المُدَّثِّرُ، وَقِيلَ: الفَاتِحَةُ.

حُجَّةُ الأَوَّلِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ السَّابِقُ فِي المَكِّيِّ وَالمَدَنِيِّ[(١)]، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ رَوَاهُ فِي المُسْتَدْرَكِ[(٢)].

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وَن وَالْقَلَمِ[(٣)].

ما أدري كيف غَفَلَ الحافظ رَحِمَهُ اللهُ عن الحديث الصَّحيح المشهور أَنَّ رسول الله ﷺ كان يتحنَّثُ في الغار اللَّيَالِي ذَوَات العدد، ونزل عليه جبريل بصدر سورة اقرأ، وهو حديث مشهور معروف رواه البخاري وغيره من الأئمة، وهذا الحديث نَصّ قاطع للنِّزاع في أَنَّ سورة (اقرأ) هي التَّي نزلت أوَّلًا؟[(٤)].

وَحُجَّةُ الثَّانِي: مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَأَلْتُ جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، قُلْتُ: أَوَ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾؟ قَالَ: أُحَدِّثُكُمْ بِمَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ -يَعْنِي: جِبْرِيلَ- فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَأَمَرْتُهُمْ فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سبق تخريجه وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٤/ ٥٣٠)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٥٥)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «أول سورةٍ نزلت من القرآن اقرأ باسم ربك». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٤/ ٥٣١)، (٥٣٢) وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص٣٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم... الحديث.

ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ﴾[(١)].

قوله: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ شَهْرًا»، المُجَاوِرَة هنا هي: الاعتكاف.

وقوله: «فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي» أي: صِرْتُ فِي بَطْنِ الوَادِي، لَمَّا صَارَ ﷺ في بطْنِ الوادي رَأَى جبريل.

هَذَا حديث صحيح أيضًا، ظَاهِرُهُ مُشْكِل، لَكِنَّهُ -إن شاء الله- ليس كذلك؛ لِأَنَّ قوله ﷺ: «فَإِذَا هُوَ عَلَى الْكُرْسِيِّ فِي الْهَوَاءِ» هذا الضمير يُفْهِم منه أن رسول الله ﷺ يتَحَدّث عن شيء معروف سَلَفًا قبل ذلك، وهذا ما جاء في الرِّوَاية الصَّحيحة أيضًا الَّتي تُوضِحُ هَذَا الحديث.

وأجَابُوا عن هذا الحديث بأَنَّ المراد بالأَوَّلِيَّة هنا هي أوَّلِيَّة مخْصُوصَة بِفَتْرَة ما بَعْدَ انقِطَاعِ الوَحْي. وقِيل: بأن جابرًا ﷺ لم يضبط ألفاظ الحديث، وهَذَا أَصَحّ وأقوى ما جاء في رد هذا الحديث.

والحديث الآتي: «**فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ**» نصٌّ قاطع للنِّزاع في المسألة لا يحتاج إلى تأويل.

وَأَجَابَ الأَوَّل -أي: الذي ذهب إلى أنَّ أوَّلَ ما نَزَلَ مُطْلَقًا هو (اقْرَأ)- **بِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْي، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرَجَعْتُ وَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا**

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) عن يحيى بن أبي كثيرٍ، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن... الحديث.

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾(١). فَقَوْلُهُ: (المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ) دَالٌّ عَلَى أَنَّ هَـذِهِ الْقِصَّةَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ قِصَّةِ حِرَاءَ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

هذا الكلام واضح، ويُحْمَل الحديث المروي عن جابر رضي الله عنه أولًا على هذا الحديث الذي معنا، لِذَلك قالوا: إن المراد بالأولية في حديث جابر أي: الأول بعد فَتْرَةِ انقطاع الوحي؛ لأنَّهُ ذكرها وهو يُحَدّث عن فَتْرَةِ انقطاع الوَحْيِ، وقالوا أيضًا: إن المراد بالضمير (هو) يعني: المَلَك الذي جاءه بِحِرَاء، وَهَذا هو المذكور نَصًّا أيضًا.

ويُحمل على وَهْمِ الراوي عن جابر رضي الله عنه، وأنَّه لم يضبط حديثه عن جابر رضي الله عنه، والله أعلم، معَ أَنَّ نص الحديث المتأخر واضِحٌ فِي أَنَّ (اقرأ) هِيَ التي نَزَلَتْ أَوَّلًا.

ومعنى قوله: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» مأخوذ من التَّزْمِيلُ: وهو الالتفاف بالثوب(٢).

وقوله: «فَدَثِّرُونِي» التَّدْثِيرُ: هو أن يُغَطِّي الإنسان نَفْسَه بثوب(٣)، فمعناهما متقارب، وهذا من أعظم الأدلة على نبوة رسول الله ﷺ، وأَنَّ هذا القرآن العظيم جاء به مِنْ عند الله تبارك وتعالى؛ فَإِنَّ رسول الله ﷺ أَخَذَتْهُ رَجْفَة، تقول عائشة رضي الله عنها: «فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ»(٤)، والبَادِرَةُ هي: صفحة العنق(٥)، وهذا ليس

---

(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) انظر: القاموس المحيط (١/ ١٠١٠).

(٣) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عن عروة بن الزبير، أن عائشة، زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم.... الحديث».

(٥) انظر: تاج العروس (١٠/ ١٣٨).

تمثيلًا؛ وفيه رد على الْمُسْتَشْرِقين الذين يقولون: إِنَّ النَّبيَّ ﷺ كان قد جاء بهذا القرآن مِنْ عِنْدِهِ، فهَذَا لا يمكن أن يكون، فهَذِهِ البوادر لا تَرْجُفُ بإرادة الإنسان، إِنَّمَا تَرْجُفُ في حَالَاتِ الخَوْفِ العَظِيمِ الشَّدِيد، فإن رسول الله ﷺ قَدْ فجَأه الملك مفاجأة عظيمة، وبِنَصِّ القرآن لم يَكُنْ رسول الله ﷺ يتصور أن يأتيه الوحي، ولَمْ يَكُنْ يَنْتَظِره؛ لأن المستشرقين يقولون: إنه جاور في غار حراء تشوُّقًا وانتظارًا وتدَرُّبًا، وهذا الكلام خطأ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ كذلك لما فُوجِئَ ﷺ هذه المفاجئة الهائِلَة، ولمَا رجع إلى خَدِيجَةَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ﷺ.

وفي بعض الروايات أنه حُمَّ ﷺ، والحُمَّى لا يأتي بها الإنسان مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وذهبت به خديجة إلى ورقة ابن عمها رضي الله عنهما ، فكل هذا دَلِيل واضح على نبوة ذلك النبي الكريم ﷺ.

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: وَيُجْمَعُ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ بِأَنَّ السُّؤَالَ كَانَ عَنْ نُزُولِ بَقِيَّةِ اقْرَأْ وَالمُدَّثِّر، فَأَجَابَهُ بِمَا تَقَدَّمَ[1].

أي: أن الذين سألوا جابرًا رضي الله عنه كانوا يسألونه عن بقية نزول السُّور لا عَن نزول صَدْرِ السُّور، فإِنَّ نزول صدر السُّور كان مِمَّا لا إشكال فيه؛ هكذا يقول البلقيني رحمه الله، مَعَ أَنَّ نص الحديث المروي لا يفهم منه ذلك، فسياق الحديث المرْوِيّ أَوَّلًا عن جابر ليس كذلك.

وَحُجَّةُ الثَّالِثِ -أي: الذِّين قالوا: إِنَّ الفاتحة نَزَلَت أَوَّلًا، وهو قول ضعيف لا شك- **وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْبُلْقِينِيُّ: مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلائِلِ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرِو ابْنِ شُرَحْبِيلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً،**

---

(١) انظر: مواقع العلوم (٥٧).

فَذَكَرَ الحَدِيثَ.

وَفِيهِ: فَأَتَى وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَقَصَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ لَهُ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فَأَتَى وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ. الحَدِيث[1].

أَمَّا ورقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] فجاء حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أنه رآه في الجنة، فهو من المُسْلِمين الموحِّدِين، والحديث واضح في أنه قال: «**إِنْ يُدْرِكْنِي يومك أَنْصُرك نَصْرًا مُؤَزَّرًا**. ثُمَّ مَا لَبِثَ ورَقَةُ أَنْ مَاتَ وَفَتَرَ الوَحْي»[3]، فورقة في الجنة -إن شاء الله- بنص حديث رسول الله ﷺ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا مُنْقَطِعٌ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ نُزُولِهَا بَعْدَ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ: اقْرَأْ وَالمُدَّثِّرُ.

هذا الحديث منقطع بالإرسال، فهُوَ حديث ضعيف لا حُجَّةَ فيه للذين قالوا: إن الفاتحة نزلت أولًا، وإن كان محفوظًا.

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٩٧٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٢٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٥٨) والبلاذري في أنساب الأشراف (١/ ١٠٦) عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل: أن رسول الله ﷺ قال لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... الحديث». قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا منقطعٌ، فإن كان محفوظًا فيحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعدما نزلت عليه: اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر، والله أعلم.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي الأسدي، كان ممن رغب عن عبادة الأوثان، وسأل العلماء من أهل الأديان عن الدين الحنيف. ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ. ذكره الطبري، والبغوي، وابن قانع، وابن السكن، وغيرهم في الصحابة. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عروة بن الزبير، أن عائشة، زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم...» الحديث.

والحديث المحْفُوظ: هو الذي يُقَابِل الشاذ.

والشَّاذ: هو الذي يرويه الثقة مخالفًا لمن هـو أوثـق منـه، أو مخالفًـا لجماعـة مـن أمثالـه ونظرائـه مـن الثِّقـات، فحديثه هـذا حـديث شـاذ ضـعيف، وحـديث المخالَفِين هو الحديث المحفوظ القوي[١].

أَمَّا الحديث الْمُنْكَر: فهو يقرب جدًّا من الحديث الشاذ، والفرق بينهما دقيق، فالحديث المنكر: ما يرويه الضعيف مخالفًا للثقة[٢]. وكلاهما من الأحاديث المردودة التي لا تقبل.

يقول: هذا الحديث منقطع وإن كان محفوظًا غير شاذ.

قُلْتُ: وَإِنْ صَحَّ أُخِذَ مِنْهُ أَنَّهَا مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ كَمَا لَا يَخْفَى.

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: وَأَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بِالمَدِينَةِ: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ فِي قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ[٣].

قوله: (فِي قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ)، علي بن الحسين هو زين العابدين، وهو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

يقول الزهري رحمه الله[٤]: ما رأيت قرشيًّا أَفْضَلَ منه ولا أَوْثَق منه، والزّهْري إِمَام من أئمة المسلمين يقول عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه ذلك، وُلِدَ

---

(١) انظر: نزهة النظر، للحافظ ابن حجر (٧٠).

(٢) انظر: نزهة النظر، للحافظ ابن حجر (٨٧).

(٣) انظر: مواقع العلوم (٥٧).

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالبٍ، الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكرٍ القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. قال الحافظ: الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه. قال الذهبي: أحد الأعلام. انظر: تقريب التهذيب ص ٥٠٦.

سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة، وتوفي سنة أربع وتسعين من هجرة النبي ﷺ[(١)].

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: بَلِ الْبَقَرَةُ، وَكِلَاهُمَا مُرْسَلٌ بِلَا إِسْنَادٍ.

والصَّحيح أَنَّ المطفِّفين أوَّل ما نزلت بالمدينة المنورة؛ لأَنَّ الحديث المشهور أَنَّ رسول الله ﷺ عندما قدم المدينة وجد أن أهلها أخبث الناس كيلًا، فنَزَلَتْ هَذِهِ الآيات، ثُمَّ نزلت البقرة بعد ذلك بتمامها[(٢)].

قُلْتُ: أَمَّا مُرْسَلٌ فَصَحِيحٌ.

قوله: إنه مُرْسَلٌ قَوْلٌ صَحِيح؛ لأنه عن علي بن الحسين وعَنْ عِكْرِمَة وكِلَاهُمَا مِنْ كبار التَّابعين فالأحاديث مرسلة.

وَأَمَّا بِلَا إِسْنَادٍ فَلَا، فَقَدْ تَقَدَّمَ مُسْنَدًا عَنْ عِكْرِمَةَ وَالحَسَنِ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بِهَا: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، بَلْ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَانْتَفَى الإِرْسَالُ أَيْضًا.

هناك أيضًا روايات عن ابن عباس بهذا فانتفى الإرسال، وانْتَفَى كذلك قولهم: بِلَا إسناد، بل تَقَدَّمَ مُسْنَدًا مرسلًا، وتقَدَّمَ مُسْنَدًا مُتَّصِلًا، فانْتَفَى قولهم: ليس له سند، وليس بِمُتَّصِل.

وَأَسْنَدَ أَبُو دَاوُدَ–هو الإمام المشهور المعروف صاحب السُّنَن - **فِي النَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ مِنْ طَرِيقِ حَسَّان بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكِرْمَانِي عَنْ أُمَيَّةَ الأَزْدِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ بِالْقُرْآنِ.**

روى عَطَاءٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَوْ أَنَّ أَهْلَ البَصْرَةِ نَزَلُوا عِنْدَ قَوْلِ

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢٣)، وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٥٩٠)، وابن جرير في التفسير (٢٤/ ١٨٦)، وابن حبان (٤٩١٩)، والحاكم (٢/ ٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٥٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١) عن ابن عباسٍ، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة.... الحديث.

جَابِرِ بنِ زَيْدٍ، لأَوْسَعَهُم عِلْمًا عَمَّا فِي كِتَابِ اللهِ[١]. وناهيك بمن يَمْدَحه ابن عباس في العلم والفضل والقرآن![٢].

ورُوِيَ عن ابْن عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: تَسْأَلُونِي وَفِيْكُم جَابِرُ بنُ زَيْدٍ![٣].

وعنْ عَمْرِو بنِ دِيْنَارٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ[٤].

قَالَ: أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ: (اقْرَأْ) ثُمَّ (ن)، وَسَرَدَ سَائِرَ السُّوَرِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي النَّوْعِ الأَوَّلِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَلَى التَّرْتِيبِ عَاطِفًا كُلَّ سُورَةٍ بِثُمَّ، وَذَكَرَ بَيْنَ (ص) و(الجِنّ): (الأَعْرَافَ).

ذكر السيوطي الرِّواية التي سبق أن ذكرناها في أول الكتاب، حيث ذُكِرَتْ بِنَسَق مُعَيَّن وفي سياق معين.

يقول: هذه الرِّواية المروية ها هنا حدث فيها بعض الاختلاف بينها وبين الرِّواية الأولى، ويبين هذا الاختلاف، فيقول: ذكر بين ص والجن الأعراف، بينما لم تُذْكَر هنالك كذلك.

وَبَيْنَ المَلَائِكَةِ -فاطر- وَطَه: كهيعص -مريم-، وَسَمَّى يُونُسَ التَّاسِعَة، وَقَالَ: حَم المُؤْمِن، ثُمَّ حم السَّجْدَة، ثُمَّ الزُّخْرُف، ثُمَّ الدُّخَان، ثُمَّ الجَاثِيَةُ، وذَكَرَ بَعْدَ الْكَهْفِ حم عسق، ثُمَّ تَنْزِيل السَّجْدَة، ثُمَّ الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ النَّحْلَ: أَرْبَعِينَ مِنْهَا وَبَقِيَّتُهَا بِالمَدِينَةِ، ثُمَّ نُوحٌ، ثُمَّ الطُّورُ، ثُمَّ المُؤْمِنُونَ، ثُمَّ المُلْكُ، وَقَدَّمَ إِذَا السَّمَاءُ

---

(١) أخرجه ابن سعد (٧/ ١٧٩، ١٨٠) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٢) حلية الأولياء (٣/ ٨٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٨٦).

(٤) حلية الأولياء (٣/ ٨٦) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٣) وروايتهما: «ما رأيت أحدًا أعلم بالفتيا من أبي الشعثاء».

انْفَطَرَتْ عَلَى إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَقَالَ بَعْدَ الْعَنْكَبُوتِ: ثُمَّ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، فَذَاكَ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ.

وقلنا: ويل للمطَفِّفين الْأَصَحُّ أَنَّها نزلت بالمدينة كما هو معلوم، والإسناد المتقدم ذكر أَنَّها نزلت بالمدينة.

ثُمَّ قَالَ: وَأَنْزِلَ بِالمَدِينَةِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، فَذَكَرَ سَائِرَ السُّوَرِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَجَعَلَ الصَّفَّ بَعْدَ التَّغَابُنِ. وَمِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَ بِمَكَّةَ: الإِسْرَاءُ وَالْكَهْفُ وَطَه.

الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء، هؤلاء السُّور الخمس هي رواية البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي في نسق واحد متتابع كما هو معلوم.

فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّهُنَّ مِنْ تِلَادِي مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ[١].

يقول: هذه السُّور أخذتها من فِي رسول الله ﷺ قديمًا في مكة، فإِنَّها من تَلَادِي.

و(التِّلَاد)[٢]: هو المال القديم الموروث، فشَبَّه هذه السور التي أخذها قديمًا بالمال القَدِيم الموروث الذي يحافظ عليه، فهذه السور عَتِيقَة في أَخْذِ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لها عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في مَكَّةَ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ -القاسم بن سلام الإمام المشهور-: مِنْ أَوَّلِ مَا أَخَذْتُ مِنَ الْقُرْآنِ. فَشَبَّهَهُ بِتِلَادِ المَالِ الْقَدِيمِ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠٨)، (٤٧٣٩)، (٤٩٩٤) عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: سمعت ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) انظر: لسان العرب (٣/ ٩٩-١٠٠).

(٣) فضائل القرآن (ص٣٦٦).

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ.

لَقَدْ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وَإِنِّي جَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[(١)].

قولها: (حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ) أَي: حتى إذا رجع النَّاس إلى الإسلام، واطمأنت نفوسهم إليه، وخالَطَتْ بشاشَة الإسلام قلوبهم واطمأنُّوا إلى هذا الدين العظيم نزل بعد ذلك الحلال والحرام، وهذا من حكمة التَّشريع العظيم، ففي الحديث عن عائِشَة رضي الله عنها وهو حديث طويل أخرجه البخاري رحمه الله وفيه: «وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا»[(٢)]، فهذا مِنْ حِكْمة التشريع الحكيم في معرفة نفوس الصحابة رضي الله عنهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

قولها: لَقَدْ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وَإِنِّي جَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] من سورة القمر، تقول: نزلت وهي جارية صغيرة تلعب في مكة رضي الله عنها.

أَمَّا سُور المفصل فهي التي تبدأ من الحجرات، وقيل: تبدأ من ق، وقيل غير ذلك[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٩٣) عن يوسف بن ماهكٍ، قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٤/ ١٤١): وأما المفصل فهو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت: مفصلا؛ لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر: بسم الله الرحمن الرحيم. وقد ذكر الماوردي في أول «تفسيره» في المفصل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من أول سورة (محمد) إلى آخر القرآن، قاله الأكثرون. والثاني: من سورة (قاف) إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة. والثالث: من (الضحى) إلى آخره، قاله ابن عباس.

وَمِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالمَدِينَةِ: الأَنْفَالُ كَمَا فِي الحَدِيثِ المَشْهُورِ عَنْ عُثْمَانَ، أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ وَغَيْرُهُ[1].

وهذا الحديث المشهور عن عثمان عندما قال له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ المَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَة وَهِيَ مِنَ المِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَهُوَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَالَ: وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ، فَيَقُولُ: «**ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا**» وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وهذا الحديث مدار روايته على يزيد الفارسي، ويزيد الفارسي ضَعّفَهُ الإمام البُخَاري رَحِمَهُ اللَّهُ وابن معين وعدد من الأئمة.

قوله: (أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ وَغَيْرُهُ)، فالحَاكِم قال: هذا حديث صحيح، والذَّهَبِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ يوافقه على ذلك، وهو في سنن أبي داود، وجامع الترمذي أيضًا،

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والبزار (٣٤٤)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٥٣)، وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١١٤)، وابن حبان (٤٣)، والحاكم (٢/ ٢٤١)، والبيهقي (٢/ ٤٢) من طرق عن يزيد الفارسي، قال: حدثنا ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ، لا نعرفه إلا من حديث عوفٍ، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباسٍ. قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ومتنه منكر، يزيد الفارسي هذا لم يرو عنه هذا الحديث غير عوف ابن أبي جميلة، وهو في عداد المجهولين، وقد انفرد بروايته، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: لكن الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على مسند الإمام أحمد(١) تكلم عن هذا الحديث كلامًا طويلًا جدًّا، من أراده فليرجع إليه في الحديث التاسع والتسعين بعد الثلاث مائة من مسند عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخلاصة كلامه: هذا الحديث وإن قال الحاكم فيه: صحيح، ووافقه الذهبي، وإن قال فيه عدد من المحدثين: صحيح فمداره على فلان، وفلان هذا ضعيف، وهذا الحديث يخالِفُ المتواتر الثابت عن أئِمَّةِ المسلمين قديمًا وحديثًا في أَنَّ السُّور ابتداؤها وانتهاؤها لا يُحَدّدها أفراد المسلمين إنما يُحَدّدها النبي ﷺ، أو يحددها إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نقلًا عن رسول الله ﷺ، فلا يمكن أن يكون عثمان قد قَرَنَ بين السورَتَيْن من عند نفسه. وقال: هذا الحديث عندي ضعيف جدًّا(٢).

والشاهد في هذا الحديث: مِنْ أَوَائِل ما نَزَلَ بالمدينة: الأنفال كما هو في الحديث المشهور عن عثمان أن عبد الله بن مسعود سأله: ما حملكم... إلى آخره.

فَرْعٌ: مِنْ هَذَا النَّوْعِ: أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ مُطْلَقًا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ الآيَة. رَوَاهُ الحَاكِمُ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٣).

---

(١) وكان أخوه أيضًا إمامًا من أئمة الأدب واللغة وهو الأستاذ محمود شاكر، وهو الذي حقق كتاب عبد القاهر الجرجاني في إعجاز القرآن.

(٢) انظر: مسند أحمد (٣٩٩) تحقيق أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه والنسائي (٢/ ٦) وفي الكبرى (٤/ ٢٦٤)، وابن حبان (٤٧١٠)، الحاكم (٣/ ٧ - ٨)، والطبراني (١٢٣٣٦) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أخرج أهل مكة النبي ﷺ قال أبو بكرٍ الصديق =

وقال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح إن شاء الله.

وَأَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِيهِ بِالمَدِينَةِ -أي: في القتال في المدينة-: **﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾** [البقرة: ١٩٠] **حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ**(١).

فائدة: إذا قال الإمام في مصنف من المصنفات: حكاه فلان فالمراد ذكره بدون إسناد. لكن الذي عند ابن جرير الطبري في التفسير أتى به مسندًا إلى الربيع بن خُثَيْم وهو أحد أئمة التابعين، فقوله: (حكاه) لا تطلق هذه الكلمة على ما جاء مسندًا إلى التابعي، إنما يُقَال: أَخْرَجَه الطبري في كتابه بإِسْنَاده إلى فلان، أو حكاه الطبري بإسناده إلى فلان كل هذا سائغ.

أمَّا أن يُقَالَ: حكاه الطبري فإنه يُوهِمُ أنه بدون إسناد، وليس الأمر كذلك، بل عند الطَّبَرِي إسناد من لدنه إلى الربيع التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَأَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الأَطْعِمَةِ بِمَكَّةَ: آيَةُ الأَنْعَامِ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ...﴾، ثُمَّ آيَةُ النَّحْلِ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَبِالمَدِينَةِ آيَةُ

= رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخرجوا نبيهم، ليهلكن. قال: فنزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وكان ابن عباسٍ يقرؤها «أذن». قال أبو بكرٍ الصديق: فعلمت أنها قتالٌ. قال ابن عباسٍ: «وهي أول آيةٍ نزلت في القتال». قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وأخرجه الترمذي (٣١٧٢)، وابن جرير في التفسير (١٧/ ١٧٢) عن سعيد بن جبير مرسلًا.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٣٢٥) عن أبي العالية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٠] قال: «هذه أول آيةٍ نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عن من كف عنه، حتى نزلت سورة براءة». وعند ابن جرير في التفسير (٣/ ٢٨٩) حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعدٍ، وابن أبي جعفرٍ، عن أبي جعفرٍ، عن الربيع، قوله، ولم يذكر أبا العالية.

الْبَقَـرَةِ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ الآيَـة، ثُـمَّ آيَـة المَائِـدَةِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ الآيَة. قَالَهُ ابْنُ الحَصَّارِ.

وأخذ ابن الحصار هذا مِنْ تَتَبّعه لأوائل السِّور التي نزلت، فمن أوائل السِّور التي نزلت بالمدينة: البقرة، قيل: إنها أول سورة نزلت مطلقًا، وقِيلَ: إنَّها ثَانِي سُورَة نزلت بعد المُطَفِّفين، فيُفْتَرَض أن تكون ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣] من أول ما نَزَلَ فِي الأطْعِمَة بالمدينة، والله أعلم.

وَأَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الخَمْرِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة:آيه ٢١٩]، ثُمَّ آيَةُ النِّسَاءِ، ثُمَّ آيَةُ المَائِدَةِ.

آية النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، ثـم آيـة المائـدة: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] وهذه هي آية التحريم النهائي.

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ، وَصَحَّحه[1]، وَقَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُم ابْنُ عُمَرَ وَالشَّعْبِيُّ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

وَأَمَّا آخِرُ مَا نَزَلَ فَرَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠) وفي الكبرى (٥٠٣١) عن عمر بن الخطاب، أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاءٍ. فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاءٍ. فنزلت التي في النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾، فدعي عمر، فقرئت عليه، ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاءٍ. فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: انتهينا، انتهينا. قال الترمذي: وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسلًا. وهذا أصح من حديث محمد بن يوسف.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: بَرَاءَة[1].

(البَرَاءُ) هو: ابنُ عَازِبِ بنِ الحَارِثِ الأَنْصَارِيُّ الحَارِثِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رَدَّهُ رَسُول الله ﷺ في غزوة بدر؛ لِصِغَرِهِ، ثم شهد مع رسول الله ﷺ من الغزوات الكثير، قيل: إنه شَهِدَ معه خمس عشرة غزوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،وهو وأبوه صَحَابِيَّان، وتُوُفِّي زَمَن ولاية مصعب بن الزبير على العراق في الكوفة سنة اثنتين وسبعين من هجرة رسول الله ﷺ، فتأخر بعده جدًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وستأتي بعض الآيات التي قد تُوهِم التناقض في آخر ما نزل مِنْ كتاب الله تبارك وتعالى؛ فبعضهم يقول: آخر ما نزل آيات الرِّبَا، وبعضهم يقول: آخر ما نزل آية الدَّيْن، وبعضهم يقول: إن آخر ما نزل ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، والحافظ يعلم أن آية الرِّبَا، وآية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وآية الدَّيْن هي آيات مُتَعَاقِبَات في كتاب الله تبارك وتعالى، فالذي قال: آية الربا هي آخر ما نزل قوله صحيح، والذي قال: آية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هي آخر ما نزل فهو صحيح، والذي قال: إن آية الدَّيْن آخر آية نزلت فهو صحيح أيضًا؛ لأنها في السورة متعاقبة، فَلَا بأس في هذا.

ثم هناك بعض الصحابة يقول: آخر آية نزلت كذا، وهَذِهِ الآخِرِيَّة تحتمل أن تكون مخصوصَة بأشياء معينة يذكرها الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ وليست آخر ما نزل مطلقًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٤)، (٦٧٤٤)، ومسلم (١٦١٨) عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «آخر آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورةٍ نزلت براءةٌ».

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤١١).

وهذا هو مدار هذا كله، فلا ننزعج مِنْ كثرة الاختلافات هنا، فهذا توجيهها، والله أعلم.

قول البراء: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت براءة، يُحْتَمَل أنها آخر آية نزلت في الفرائض خاصة، وسورة براءة آخر سورة نزلت في الجهاد كاملة.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا[(١)].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ مِثْلَهُ[(٢)].

وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: آخِرُ الْقُرْآنِ عَهْدًا بِالْعَرْشِ آيَةُ الرِّبَا وَآيَةُ الدَّيْنِ[(٣)].

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ، وَزَادَ: وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ وَثَمَانُونَ يَوْمًا.

وَرَوَى أَيْضًا عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَحَدٌ وَثَلَاثُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٤) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «آخر آيةٍ نزلت على النبي ﷺ آية الربا».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٦١)، وابن ماجة (٢٢٧٦)، والمروزي في السنة (١٩٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٣)، وابن جرير في التفسير (٥/ ٦٦) عن عمر بن الخطاب، قال: «كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن نبي الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والريبة». قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريج أحاديث الإحياء: وهو من رواية ابن المسيب عنه، والجمهور على أنه لم يسمع منه. اهـ.

(٣) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص٣٦٩)، عن ابن شهابٍ، قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدين. وأخرجه ابن جرير في التفسير (٥/ ٦٨) عن ابن شهابٍ، قال: ثني سعيد ابن المسيب، أنه بلغه «أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين»؛ يعني بذلك جل ثناؤه: واحذروا أيها الناس يومًا ترجعون فيه إلى الله فتلقونه. قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح القدير (١/ ٣٥٠): وأخرج ابن جريرٍ بإسنادٍ صحيحٍ عن سعيد بن المسيب. وانظر: العلل، لابن أبي حاتم (٤/ ٧٠٤).

يَوْمًا(١).

لكن المعتمد هو الأول لِضَعْفِ الكَلْبِي؛ لأن الكلبي متهم في الحديث، فالمعتمد هو واحد وثمانون يومًا.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: زَعَمُوا أَنَّهُ ﷺ مَكَثَ بَعْدَهَا سَبْعَ لَيَالٍ وَبَرِئَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَمَاتَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ(٢).

وَرَوَى الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ إِلَى آخِرِهَا(٣).

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافق الذهبيُّ الحَاكِمَ رحمهما الله تبارك وتعالى، فيُحْتَمَل أنه بيَّن رضي الله عنه آخر ما عنده، وقال بعض الأئمة: إنه

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٩٩١، ١٠٩٩٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١)، وابن جرير في التفسير (٥/ ٦٧) عن ابن عباسٍ، قال: «آخر آيةٍ نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]». وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣) عن ابن عباسٍ قال: «آخر آيةٍ أنزلت»: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٤): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقاتٌ. قلت: فيه أيوب بن سويد الرملي، أبو مسعود الحميري السيباني. قال الحافظ: صدوق يخطئ. قال الذهبي: ضعفه أحمد وجماعة. وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ١٣٧) عن الكلبي، عن أبي صالحٍ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما. والكلبي ضعيف.

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد (٣٧٠) عن ابن جريجٍ، قال: قال ابن عباسٍ: آخر آيةٍ أنزلت من القرآن. وفيه ابن جريج؛ وهو: عبد العزيز بن جريج القرشي، مولاهم، المكي، والد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. قال الحافظ: لين. وقال الذهبي: قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وحسن الترمذي له. انظر تقريب التهذيب (ص ٣٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١١٧)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٨)، والطبراني في الكبير (١/ ١٩٩)، والشاشي في مسنده (٣/ ٣١٠-٣١١)، وفي جزء حنبل بن إسحاق (ح٣١) عن ابن عباسٍ م عن أبي ابن كعبٍ رضي الله عنه قال:... فذكره. قال الحاكم: حديث شعبة عن يونس بن عبيدٍ «صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وانظر: إتحاف المهرة (٦/ ٢١٧) فقد ذكر مصادره وطرقه.

أخبر هاهنا عن آخر آية نزلت في براءة وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة: الآيات ١٢٨] إلى آخر السورة، فيُحْتَمَلُ إِمَّا أن يكون آخر ما علمه أُبَيّ رضي الله عنه هو هذا، ويُحْتَمَل أنه أَخْبَرَ عن آخر آيات نزلت من براءة، والله أعلم.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[1]. فآخر سُورَة كاملة نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، ولم ينزل بعدها سورة كاملة، بل نزل بعدها بعض آيات مثل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ ومثل (آية الدين) و(آيات الربا).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ عَائِشَةَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَت: المَائِدَة، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ[2].

قال الأئمة في توجيهها: يَعْنِي: آخر سورة نزلت مما كان فيها حلال وحرام.

وَرَوَى الحَاكِمُ مِثْلَهُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عمرٍو وَعُثْمَانَ فِي حَدِيثِهِ المَشْهُور:

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٤) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباسٍ: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورةٍ نزلت من القرآن، نزلت جميعًا؟ قلت: «نعم، إذا جاء نصر الله والفتح»، قال: صدقت، وفي رواية ابن أبي شيبة: تعلم أي سورةٍ، ولم يقل: آخر.

(٢) أخرجه أحمد (٤٢/ ٣٥٣)، إسحاق بن راهويه (١٦٦٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٣)، وهو عنده في «التفسير» (١٥٨)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص (٢٠)، أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٣٩، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٣٥٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٦٣)، والحاكم (٢/ ٣٤٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١١٨)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٢٧٨) عن جبير بن نفيرٍ، قال: دخلت على عائشة فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ قال: قلت نعم. قالت: فإنها آخر سورةٍ نزلت... الحديث. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

بَرَاءَة مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نُزُولًا[١].

هذا الحديث هو الذي ذَكَرْنَاهُ سابقًا، والذي ضَعَّفَه الإمام أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول البَاقِلَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الانتصار للقرآن»: كل هذه الأقوال إنما قالوها بضرب مِنْ غَلَبَةِ الظنّ والاجتهاد، ليس فيها شيء مَرْفُوع عن رسول الله ﷺ، ويُحْتَمَل -ما زال الكلام للباقِلّاني - أن كلاً مِنْهُم قد أخبر بما نزل آخرًا مما عَلِمَه وعَرَفَهُ، لكن المشهور آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قالوا: لأنها مُشْعِرَة بِقُرْبِ انتقال رسول الله ﷺ إلى الرَّفِيقِ الأعلى، والله أعلم[٢].

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَيُجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الاخْتِلَافَاتِ -إِنْ صَحَّتْ- بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ أَجَابَ بِمَا عِنْدَه[٣]، وَلَمْ يَذْكُرِ الْبُلْقِينِيُّ مِنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَمِنْ أَغْرَبِ مَا رُوِيَ فِي هَذَا النَّوْعِ: مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَامِرٍ السَّكُونِيُّ -السَّكوني نسبة إلى السَّكُون، وهم بطن من كندة- قَالَ: أَنْبَأَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: أنبأنا ابن عَيَّاشٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيّ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآيَة، وَقَالَ: إِنَّهَا آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ[٤].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهُوَ أَثَرٌ مُشْكِلٌ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا آيَةٌ نَسَخَتْهَا وَلَا تُغَيّر حُكْمَهَا، بَلْ هِيَ مُثْبَتَةٌ مُحْكَمَةٌ فَاشْتَبَهَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ، فَرَوَاهُ بِالمَعْنَى عَلَى مَا فَهِمَهُ. انْتَهَى[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الانتصار للقرآن (١/ ٢٤٥).

(٣) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ١٣٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٥/ ٤٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٩٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٤): «رجاله ثقات».

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٠٩).

هذا أثر مُشْكِل يخالف كثيرًا مِنْ روايات الصحيحين وروايات الأحاديث المتقدمة، وسورة الكهف سورة متقدِّمة جدًّا في النزول، فَيَبْعُدُ أن يكون آخر آية منها هي آخر آية نزلت. لكن كما قال ابن كثير رحمه الله: لعل المراد آخر آية منها نزلت محكمة لم يتغير حكمها ولم ينسخها شيء، فنقل بعض الرواة ذلك على أنها آخر آية نزلت، والله تبارك وتعالى أعْلَم وأحكم.



النوع الرابع عشر
ما عرف تاريخ نزوله عامًا وشهرًا ويومًا وساعةً

من هذا النُّوع الرابع عشر إلى النوع التاسع عشر سيكون ختامًا لهذه المباحث الكثيرة التي مضت فِي كَيْفِيَّة تنزّل الوحي على النبي ﷺ وأمَاكِنِ تَنَزّلِهِ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتي وَهُوَ مُهِمٌّ، وَلَهُ أَمْثِلَةٌ:

أَوَّلهَا وَثَانِيهَا: اقْرَأْ وَالْفَاتِحَة، نَزَلَتَا عَامَ المَبْعَثِ؛ لأَنَّهَا مُقَارِبَةٌ لها، وَعَامُ المَبْعَثِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ، وَمَوْلِدُهُ عَامَ الْفِيلِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي الأَمْرَيْنِ الثَّابِت فِي الْبُخَارِيِّ، وَقِيلَ: عَامَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ، وَقِيلَ: بُعِثَ عَامَ أَرْبَعِينَ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ، وَثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ فِيهِ يَوْمُ الاثْنَيْنِ(١). قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ(٢).

الصحيح ما أثبته أولًا رَحِمَهُ اللهُ، وباقي الأقوال لا تخلو مِنْ ضَعْف.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ سئل عن صومه؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ، فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، وببيعتنا بيعةً. قال: فسئل عن صيام الدهر، فقال: «لا صام ولا أفطر - أو ما صام وما أفطر -» قال: فسئل عن صوم يومين وإفطار يومٍ؟ قال: «ومن يطيق ذلك؟» قال: وسئل عن صوم يومٍ، وإفطار يومين؟ قال: «ليت أن الله قوانا لذلك» قال: وسئل عن صوم يومٍ، وإفطار يومٍ؟ قال: «ذاك صوم أخي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ» قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين؟ قال: «ذاك يومٌ ولدت فيه، ويومٌ بعثت - أو أنزل علي فيه -» قال: فقال: «صوم ثلاثةٍ من كل شهرٍ، ورمضان إلى رمضان، صوم الدهر» قال: وسئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية». قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية». وفي هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين والخميس، فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهمًا.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن إسحاق ص (١/ ٢٣٩).

وهذا النَّوع من أهم الأنواع التَّي تدل على مدى عناية علمائنا وأئمتنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التنقيب حَتَّى يستخرجوا مثل هذا الفوائد، فإنهم قد أتعبوا أنفسهم -جزاهم الله خيرًا- ليستخرجوا أمثال هذا المذكور في هذا النوع الرابع عشر، فإنه يحتاج إلى نَوْعِ تَتَبّع، ونوع حِفْظٍ وفِطْنَة.

يقول: (أَوَّلهَا وَثَانِيهَا: اقْرَأْ وَالْفَاتِحَة نزلتا عَامَ المَبْعَثِ؛ لأَنَّها مُقَارِبَةٌ لها) صدر سورة (اقرأ) معروف نزولها على التَّعْيِين، كما جاء من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان يتحنَّث في غار حراء الليالي ذوات العدد...[١].

فقوله: (أَوَّلهَا وَثَانِيهَا: اقْرَأْ وَالْفَاتِحَة نزلتا عَامَ المَبْعَثِ؛ لأَنَّها مُقَارِبَةٌ لها)، هذا لعله الصحيح والله أعلم؛ لأَنَّهَا -أي: الفاتحة- مقاربة لها -لسورة اقرأ في النزول-، بل قال بعض النَّاس -وهذا القول مرجوح كما ذُكِرَ ذلك سابقًا-: إنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ الفاتحة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأَنَّها مُقَارِبَةٌ لها) أي: في النزول، وهذا هو الصَّحيح في هذا، والله أعلم.

وعَام المَبْعَث سَنَة أربعين من مولده ﷺ هذا هو المشهور، ومولده عام الفِيلِ هذا هو الصحيح في الأمرين الثابت في البخاري[٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في السيرة النبوية (١/ ٢٠٣): والمقصود أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل على قول الجمهور. فقيل: بعده بشهرٍ، وقيل: بأربعين يومًا، وقيل: بخمسين يومًا، وهو أشهر. وعن أبي جعفرٍ الباقر: كان قدوم الفيل للنصف من المحرم، ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمسٍ وخمسين ليلةً. وقال آخرون: بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله ﷺ بعشر سنين. قاله ابن أبزى. قيل: بثلاثٍ وعشرين سنةً. رواه شعيب بن شعيبٍ عن أبيه عن جده كما تقدم. وقيل: بعد الفيل بثلاثين سنةً. قاله موسى بن عقبة عن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ. واختاره موسى بن عقبة أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ. قال أبو زكريا العجلاني: بعد الفيل =

وقد ذكرنا سابقًا الاختلاف بين الأئمة في هذا، وذكرنا ذلك على التفصيل فليُرْجَع إليه، وقيل: عَامَ ثلاثة وأربعين وهو مرجوح، وقيل: بُعِثَ عَام أربعين ولم ينزل عليه القرآن إلا بعد ثلاث سنين. وهذا قول غريب ضعيف؛ لأن حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حديث واضح في نزول جبريل عليه الصلاة والسلام بصدر سورة اقرأ على رسول الله ﷺ في الغار(١).

وثبت في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللهُ: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِهِ؟ قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِبَيْعَتِنَا بَيْعَةً. قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ قَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -**»(٢). فيوم الاثنين مولد رسول الله ﷺ، وهجرة رسول الله ﷺ وَقَعَتْ فيه، وأُنْزِلَ عليه القرآن فيه، وتُوُفِّي فيه ﷺ(٣)، هكذا ذهب بعض الأئمة إلى أن يوم الاثنين هو =

بأربعين عامًا. رواه ابن عساكر، وهذا غريب جدًا. وأغرب منه ما قاله خليفة بن خياط: حدثني شعيب ابن حبان، عن عبد الواحد ابن أبي عمرو عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنةً. وهذا حديثٌ غريبٌ ومنكرٌ وضعيفٌ أيضًا. قال خليفة ابن خياط: والمجمع عليه أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد عام الفيل.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠٦) وفي العلل ومعرفة الرجال لعبد الله (٢/ ٢٢٢)، (٣/ ٢٨٩) وابن جرير في التفسير (٨/ ٩٠) والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣٧) عن ابن عباس، قال: «ولد النبي ﷺ يوم الإثنين، واستنبئ يوم الإثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفي ﷺ يوم الإثنين ورفع الحجر الأسود يوم الإثنين». قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٦): وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيفٌ، وبقية رجاله ثقاتٌ من أهل الصحيح.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره (٣/ ٢٨): أثرٌ غريبٌ، وإسناده ضعيفٌ. وكذا ضعفه السيوطي كما في الدرر المنثور (٣/ ١٩).

الذي حدثت فيه هذه الحوادث الأربع العظيمة، وكان ﷺ يصومه.

ثَالِثُهَا: الْمُدَّثِّرُ، نَزَلَتْ بَعْدَ (اقْرَأْ) بِسَنَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ كَمَا فِي الصَّحِيحِ.

وهذه سبق ذكرها، فهذا الباب يُعَدُّ تلخيصًا سريعًا لِمَا سَبَقَ ذكره فِي أَوْقَاتِ النزول، وأماكن النزول، والسَّفَرِيّ منها والحضري، والنهاري منها واللَّيْلِي.

الرَّابِعُ: آيَةُ الْقِبْلَةِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ فِي رَجَبٍ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنِ الْبَرَاءِ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] الحديث، وَفِيهِ: أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا الْعَصْرُ، فَيَكُونُ نُزُولُهَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهَا نَزَلَتْ لَيْلًا، وَسَبَقَ بَيَانُهَا[1]. سبق بيان ذلك، وذكرنا أنَّ الجمع بينهما ممكن، وهو أنَّهَا نزَلَتْ بَيْنَ الظهر والعصر كما في رواية الصحيحين الأولى، ثم إنها لم تبلغ أهل قباء إلا في صلاة الفجر.

وعُرِفَ أن آية القبلة بعد ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا؛ لأن رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، فهو الشهر الثالث، فإذا أضَفْتَ ستة عشر شهرًا إليه كانت النتيجة أنه في رجب، وإذا أضفت سبعة عشر شهرًا كان في شعبان، لذلك يقول بعد ذلك: **وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ**[2]**: حُوِّلَتْ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩) و(٧٢٥٢) عن البراء رضي الله عنه مرفوعًا به.

(٢) هو: الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوري الواعظ المفسر. [المتوفى: ٤٠٦ هـ].
=

الثُّلَاثَاءِ نِصْفَ شَعْبَانَ. عَلَى القول بأنها سبعة عشر شهرًا.

الخَامِسُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] اخْتُلِفَ فِيهَا، فَرَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، وَفِيهِ نَزَلَتْ(١).

وهذا هو الصحيح، وقد ورد بلفظ آخر عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَتَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ وَأَشْكَلَتْ عَلَيْنَا الْقِبْلَةُ، فَصَلَّيْنَا، وَأَعْلَمْنَا، فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِذَا نَحْنُ قَدْ صَلَّيْنَا لِغَيْرِ الْقِبْلَةِ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥](٢). وفيه ضعف.

يقول: نزلت في جماعة من المسلمين صلّوا ليلًا واشتبهت عليهم القبلة، فلما أصبحوا إذا هم قد صلوا لغير القبلة، فنزلت هذه الآية.

وفي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللهُ في سبب نزولها، أَنَّ رسول الله ﷺ كان يُصَلّي على راحلته كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

=

صنف في القرآن، والتفسير، والآداب، وعقلاء المجانين. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ١٠٥).

(١) أخرجه مسلم (٧٠٠): عن ابن عمر، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبلٌ من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]».

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠٢٠) عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: «أظلمت مرةً ونحن في سفرٍ واشتبهت علينا القبلة... ».

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ في السنن الكبرى (٢/ ١٨): ولا نعلم لهذا الحديث إسنادًا صحيحًا قويًا؛ وذلك لأن عاصم بن عبيد الله بن عمر العمرى ومحمد بن عبيد الله العرزمى ومحمد بن سالمٍ الكوفى كلهم ضعفاء.

إذا أردنا أن نعرف كيف ومتى نزلت هذه الآية تحديدًا؟ يقول الشيخ هنا في الحديث: «وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ»، وسورة البقرة مدنية، فلا يكون ذلك في سفر الهجرة كما هو واضح ومعلوم، فيتعين أن يكون في سفرٍ مِنْ مَكّة إلى المدينة، ولم يكن سفر من مكة إلى المدينة إلا في الحديبية، وفي عَامَ الْقَضِيَّةِ، وفي الفتح، ولذلك بعد هذا:

قَالَ ابْنُ الحَصَّارِ: وَهُوَ ﷺ لَمْ يَدْخُلْ مَكَّةَ بَعْدَ الهِجْرَةِ إِلَّا عَامَ الْقَضِيَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ، وَعَامَ الْفَتْحْ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَعَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ سَنَةَ تِسْعٍ، وَهَذَا أَصَحُّ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي نُزُولِهَا. فلذلك عرفوا أَنَّها نزلت في هذه الثلاث سنوات، لكن لم يستطيعوا تَحْدِيد أي سنة بالضبط، والله أعلم.

فائدة: يقال: عمرة القضية، أو عمرة القضاء كلاهما صحيح لغة.

السَّادِسُ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. قَالَ ابْنُ الحَصَّار: نَزَلَتْ فِي عَامِ الْقَضِيَّةِ أَوِ الْفَتْحِ أَوِ الْوَدَاعِ. مثل الآية السابقة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإتقان: نزلت بمكة عام حجة الوداع، فأخرج ابن أبي حاتمٍ وابن مردويه عن جابرٍ قال: لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم، قال: قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فنزلت[1].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٢٢٦): عن جعفر بن محمدٍ، عن أبيه، سمع جابرًا، يحدث عن حجة النبي ﷺ... الحديث. وقال الحافظ في «العجاب» (١/ ٣٧٧): «سنده صحيح، وأصله عند مسلم، وأخرج النسائي وابن مردويه من حديث جابر نحوه». نعم؛ أصله عند مسلم (٢/ ٨٨٦) رقم (١٢١٨) لكن دون ذكر سبب النزول.

وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمونٍ عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله! أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت[1].[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في لباب النقول: وظاهر هذا وما قبله أن الآية نزلت في حجة الوداع[3].

الثَّامِنُ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة: ١٩٦] سَنَةَ سِتٍّ فِي ذِي الْقِعْدَةِ. أي: في ذي القعدة سنة ست في الحديبية كما هو مشهور من حديث كعب بن عُجْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ هَوَامُ رَأْسِهِ آذَتْهُ[4]، وقد بيناه في مكان غير هذا.

التَّاسِعُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] نَزَلَتْ فِي سَرِيَّةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ فِي رَجَبٍ.

السَّرِيَّة: تبدأ من خمسة أنفس إلى ثلاثة مئة أو أربع مئة نفس، فإذا زاد العدد على ذلك تسمى: جَيْشًا.

---

(١) انظر: ما قبله.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٧٣).

(٣) لباب النقول في أسباب النزول (ص ١٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٨١٦) ومسلم (١٢٠١): عن عبد الله بن معقل، قال: قعدت إلى كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في المسجد، فسألته عن هذه الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقال كعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نزلت فيَّ، كان بي أذًى من رأسي، فحملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى، أتجد شاةً؟» فقلت: لا، فنزلت هذه الآية: ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسكٍ، قال: «صوم ثلاثة أيامٍ، أو إطعام ستة مساكين نصف صاعٍ، طعامًا لكل مسكينٍ». قال: فنزلت فيَّ خاصةً، وهي لكم عامةٌ.

والسَّرِيَّة: سُمِّيَتْ بذلك لأنها عادة تَحْوِي أشراف القوم[١]، والسري هو الشريف، وسراة القوم وأشرافهم يكونون في السرايا المرسلة مِنْ قِبَلِ رَسُولِ الله ﷺ فلذلك سُمِّيَتْ: سَرِيَّة، ومنه قول الله تبارك وتعالى لمريم عليها رحمة الله ورضوانه: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] سَرِيًّا، قيل: إنه نهر جار، وقيل: إنه شريف ﷺ؛ أي: جعل تحتها عيسى عليه الصلاة والسلام الرسول الشريف المطهر.

وقيل: سُمِّيَتْ سَرِيَّة؛ لأن القوم يَسْرُونَ ليلًا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] فسُمِّيَتْ: سَرِيَّة من أجل ذلك، والله أعلم[٢].

و(**عبدُ الله بن جَحْشٍ**)[٣]، هو عبد الله بن جحشٍ أبو محمدٍ الأسدي شهد بدرًا، واستشهد بأحدٍ، من مهاجرة الحبشة، وهو من أسد بن خزيمة حليف بني أمية، أخو أبي أحمد، سأل ربه ﷻ الشهادة فاستجيبت دعوته، وهو أول أميرٍ أمره رسول الله ﷺ، فغنم من المشركين غنيمةً، فبعثه إلى نخلة يتحسس أخبار قريشٍ، فكانت غنيمته أول غنيمةٍ غنمها المسلمون من المشركين، وفيه وفي أصحابه نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، نزل هو وأخوه أبو أحمد حين قدما المدينة مهاجرين على عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، كان صهر رسول

---

(١) قال أبو الحسين ابن فارس في حلية الفقهاء (١٦١): وأما السرية، فإنما سميت بذلك لأن الغالب عليها أنها تسري ليلًا، والسرى لا يكون إلا بالليل.

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٨٣)، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٦٣).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣١).

الله ﷺ، أخته زينب بنت جحشٍ تحت رسول الله ﷺ، كانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشمٍ[١].

وكانت هذه السرية في سنة اثنتين من الهجرة، وحالها عجيب؛ قال محمد ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحشٍ في رجبٍ مقفله من بدرٍ الأولى، وبعث معه بثمانية رهطٍ من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ، وكتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره، ولا يستكره من أصحابه أحدًا. فلما سار عبد الله بن جحشٍ، يومين فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا فيه: وإذا نظرت إلى كتابي هذا، فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله بن جحشٍ في الكتاب قال: سمعًا وطاعةً، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة فأرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبرٍ، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى أصحابه معه، فلم يتخلف عنه أحدٌ، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له: بحران، أضل سعد بن أبي وقاصٍ وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا عليه يعتقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحشٍ وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عيرٌ لقريشٍ تحمل زبيبًا، وأدمًا، وتجارةً من تجارة قريشٍ فيها منهم عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٧).

المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريبًا منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصنٍ، وقد كان حلق رأسه؛ فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عمارٌ، لا بأس علينا منهم، وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يومٍ من جمادى، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لنقتلنهم في الشهر الحرام. فتردد القوم فهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم؛ فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهمٍ فقتله، واستؤسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم. وقدم عبد الله بن جحشٍ وأصحابه بالعير، والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، وقد ذكر بعض آل عبد الله ابن جحشٍ أن عبد الله بن جحشٍ قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمتم الخمس؛ وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم. فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرها على أصحابه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: «**مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ**»، فوقف العير، والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك، سقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا، وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتالٍ؛ وقالت قريشٌ: قد استحل محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام، فسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال وأسروا. فقال من يرد ذلك عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في جمادى؛ وقالت يهود تتفاءل بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرٌو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب،

وواقد بن عبد الله: وقدت الحرب، فجعل الله عليهم ذلك وبهم. فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله جل وعز على رسوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ أي: عن قتالٍ فيه ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أي: إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم عنه، إذ أنتم أهله وولاته أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، أي: قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه وذلك أكبر عند الله من القتل، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾؛ أي: هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين، فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير، والأسيرين[(١)].

فلا بأس عليكم -أيها المسلمون- فيما حاول الكفار أن يفسدوا ما صنعتم؛ فحتى لو كان القتال كبيرًا في الأشهر الحرم فإن ما يصنعه هؤلاء الكافرون من صَدٍّ عَنْ سَبِيل الله وكُفْر به وصد عن المسجد الحرام، وإخراجكم منه أكبر بكثير عند الله تبارك وتعالى من حُرْمَة الأشهر الحرم، والله تبارك وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣/ ٦٥٤) والبيهقي في الكبرى (٩/ ٩٩)، وفي دلائل النبوة (٣/ ١٧- ١٨)والحنائي في فوائده (١/ ٦٦١): عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحشٍ... الحديث. و أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٠٢٢) وابن جرير في التفسير (٣/ ٦٥٥)، النسائي في الكبرى (٨٧٥٢) وأبو يعلى في مسنده (١٥٣٤) وفي المفاريد عن رسول الله ﷺ (ص ٤٨) والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢) والبيهقي في الكبرى (٩/ ٢٠): عن أبي السوار، عن جندب بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه بعث رهطًا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح أو عبيدة، فلما ذهب لينطلق بكى صبابةً إلى رسول الله ﷺ، فجلس، فبعث عليهم عبد الله بن جحشٍ مكانه... الحديث. وإسناده حسن.

الْعَاشِرُ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآيَة [البقرة: ٢٥٦]، رَوَى ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتِ المَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاةً، فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إن عَاشَ لها وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ، وَأُجْلِيَ بَنُو النَّضِيرِ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ[1].

هذه رواية أبي داود رَحِمَهُ اللهُ. (والمِقْلَاة): هي التي لا يعيش لها ولد[2].

لما أجلى النبي ﷺ بني النضير كان معهم بعض أبناء الأنصار الذين كانوا يُنْذَرون مِنْ قِبَل أمهاتهم لليهودية، فحصل عليهم ما حصل من الإخراج والإجلاء، (فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا)، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فإذا شاءوا البقاء على دين الإسلام فليبقوا، وإذا شاءوا البقاء على اليهودية فَلْيَخْرُجُوا مع اليهود.

الحَادِي عَشَرَ: مِنْ أَوَّلِ آلَ عِمْرَانَ إِلَى ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ آيَةً نَزَلَ فِي وَفْدِ نَجْرَانَ سَنَةَ تِسْعٍ. رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ.

قوله: (مِنْ أَوَّلِ آلَ عِمْرَانَ)، وعمران مذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ فَسُمِّيَتِ السورة: (سورة آل عمران)، فلا تُحَرّف بالإضافة ولا بشيء آخر من العوامل النحوية.

يقول: (مِنْ أَوَّلِ آلَ عِمْرَانَ إِلَى ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ آيَةً نَزَلَ فِي وَفْدِ نَجْرَانَ)، كما هو معروف، فإنه لمَّا قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٨٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
(٢) انظر: لسان العرب (٢/ ٧٣).

فقال رسول الله ﷺ: **دعوهم**. فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم[(١)]، ورد النبي ﷺ بعض أخطائهم وأكاذيبهم ورفضوا الدخول في الإسلام، وفي رواية: «أتوا النبي ﷺ فقالوا: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فقال: «**هُوَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» قالوا له: هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك؟ قال: «**وَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟**»، قالوا: نعم. قال: «**فَإِذَا شِئْتُمْ**»، فجاء النبي ﷺ وجمع ولده والحسن والحسين، فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرجل؛ فوالله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين. فجاءوا فقالوا: يا أبا القاسم! إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا، وإنا نحب أن تعفينا قال: «**قَدْ أَعْفَيْتُكُمْ**»، ثم قال: «**إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ أَظَلَّ نَجْرَانَ**»[(٢)]. فرفضوا المباهلة، وأقروا بالجزية، ورجعوا إلى بلادهم مرة أخرى، وهي حادثة مشهورة رواها ابن إسحاق[(٣)] في «السيرة».

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»[(٤)]، وابن أبي حاتم[(٥)] أيضًا في «تفسيره»

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢١٨) البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٢) «باب وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا ﷺ بأنه النبي الذي كانوا ينتظرونه، وامتناع من امتنع منهم من الملاعنة وما ظهر في ذلك من آثار النبوة». عن ابن إسحاق، قال: وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة... الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٤٩) والآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٠١)، عن الشعبي، عن جابرٍ، أن وفد نجران أتوا النبي ﷺ... الحديث. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ، ولم يخرجاه. قال الذهبي: على شرط مسلم.

(٣) انظر: السير والمغازي (٢١٨).

(٤) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٥/ ٣٨٢).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٧): عن السدي ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فأخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعلي: اتبعنا، فخرج معهم ولم يخرج يومئذٍ النصارى؛ قالوا: إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي، وليس دعوة الأنبياء كغيرهم. فتخلفوا، فقال رسول =

في سورة آل عمران[١].

الثَّانِي عَشَرَ: مَا فِيهَا مِنْ قِصَّةِ أُحُدٍ[٢]، وَأَوَّلُهُ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ سَنَةَ ثَلَاثٍ فِي أَوَاخِرِهَا، وَكَانَ يَوْمُ الْوَقْعَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ، وَقِيلَ: يَوْمَ النِّصْفِ مِنْهُ.

قوله: (**وَكَانَ يَوْمُ الْوَقْعَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ، وَقِيلَ: يَوْمَ النِّصْفِ مِنْهُ**) فيه تاريخ نزول هذه الآيات، وهي في قصة أحد كما هو المشهور.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلفوا في أي يوم كان ذلك، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم أُحد، قاله عبد الرحمن بن عوف[٣]، وابن مسعود، وابن عباس[٤]،

= الله ﷺ: «**لو خرجوا إلا احترقوا**». فصالحوه على صلحٍ على أن له عليهم ثمانين ألفًا.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ١٧٦) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٢)، عن كرز بن علقمة قال: «قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، ستون راكبًا... الحديث. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٣٨): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه بريدة بن سفيان، وهو ضعيفٌ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٧٤٩) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٤٨)، عن المسور بن مخرمة، قال: قال لعبد الرحمن بن عوفٍ: يا خالي! أخبرني عن قصتكم يوم أحدٍ. فقال: اقرأ بعد العشرين ومائةٍ من آل عمران تجد قصتنا ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]. قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين. قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١١): رواه أبو يعلى، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيفٌ. قلت: جاء في رواية أبي يعلى أن ذلك كان في بدر.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٦) وابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٧٤٨): عن ابن عباسٍ، قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]: «فهو يوم أحدٍ».

والزهري[(١)]، وقتادة[(٢)]، والسدي[(٣)]، والربيع[(٤)] وابن إسحاق[(٥)]، وذلك أنه خرج يوم أُحد من بيت عائشة إلى أُحد، فجعل يصف أصحابه للقتال.

والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن[(٦)]، ومجاهد، ومقاتل.

والثالث: يوم بدر نقل عن الحسن أيضًا. قال ابن جرير: والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾، وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أُحد][(٧)].

الثَّالِثَ عَشَرَ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآيَة، نَزَلَتْ كَمَا رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى عَلَى النَّجَاشِيِّ حِينَ مَاتَ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: يُصَلِّي عَلَى عِلْجٍ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟! فَنَزَلَتْ هَذِهِ

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٩٢)، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٦): عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]: «ذلك يوم أحدٍ، غدا نبي الله ﷺ من أهله إلى أحدٍ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال».

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٧): عن السدي: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١] قال: «هنا يوم أحدٍ».

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٦): عن الربيع، قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] «فغدا النبي ﷺ من أهله إلى أحدٍ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال».

(٥) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٧): عن ابن إسحاق: «مما نزل في يوم أحدٍ»: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

(٦) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٧) وابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٧٤٨): عن الحسن، في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] قال: يعني: محمدًا ﷺ غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب».

(٧) زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٣١٩- ٣٢٠).

الآيَةُ(١).

(العِلْج)(٢) هو الرَّجُلُ الَّذِي لا يتكلم العربية مِنْ كُفَّارِ العجم.

وهَذا نَصّ رواية ابن جرير في تفسيره رَحِمَهُ اللَّهُ «فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: انْظُرُوا هَذَا- أي: النَّبِيّ ﷺ- يُصَلِّي عَلَى عِلْجٍ نَصْرَانِيٍّ لَمْ يَرَهُ قَطُّ...»؛ لظنهم أنه كافر، ولكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم كما هو معروف.

وهذا الحديث في إسناده ضعف، وتفرد به ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»(٣)، أما قصة صلاة النبي ﷺ على النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فثابتة في الصحيحين وغيرهما(٤).

الرَّابِعَ عَشَرَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ نَزَلَتْ بِإِثْرِ أُحُدٍ، كَمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ جَابِرٍ جَاءَتِ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدٍ قُتِلَ أَبُوهُما مَعَكَ فِي أُحُدٍ، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالهُمَا فَلَمْ يَدَعْ لهُمَا مَالًا، فَنَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ(٥).

وكانوا في الجاهلية لا يورِّثون الإناث ولا صغار السن شيئًا، بِدَعْوَى أَنَّهُمْ لا

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦/ ٣٢٧): عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. قلت: فيه أبو بكر الهذلي. قال الحافظ: أخباري متروك الحديث. قال الذهبي: واهٍ. أما صلاة النبي ﷺ على النجاشي فصحيح ثابت.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٢/ ٣٢٦): العلج: الرجل الشديد الغليظ. وقيل: هو كل ذي لحية، والجمع أعلاج وعلوج...

(٣) جامع البيان (٦/ ٣٢٧ ط هجر).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي؛ في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربعًا».

(٥) أخرجه أبو داود (٢٨٩١) والترمذي (٢٠٩٢) وابن ماجه (٢٧٢٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وسكت عنه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢٤٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (٦/ ١٢٢) رقم (١٦٧٧).

يصلحون للحرب، فكانوا يعطون الأولاد مِنْ أَهْلِ الحرب الأكبر فالأكبر، فَمِمَّا حدث من عمل هؤلاء أن «جَاءَتِ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا».

وهذه الرواية هي الأشبه بسبب النزول كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ[(١)]؛ لأن هناك رواية أخرى عند البخاري رَحِمَهُ اللهُ «عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، «فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ» فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ»[(٢)].

لكن الأشبه في سبب النزول ما ذكر هنا، وهو رواية أبي داود رَحِمَهُ اللهُ.

الخَامِسَ عَشَرَ: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآيَة، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَصَابُوا سَبَايَا يَوْمَ أَوْطَاسٍ لهُنَّ أَزْوَاجٌ، فَكَرِهُوا غِشْيَانَهُنَّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[(٣)].

وأَوْطَاسٌ هِيَ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ، وَكَانَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ بَعْدَ الْفَتْحِ بِقَلِيلٍ.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٢٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦٥١) ومسلم (١٦١٦): عن ابن المنكدر، سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا به.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٥٦) عن أبي سعيدٍ الخدري «أن رسول الله ﷺ يوم حنينٍ بعث جيشًا إلى أوطاس...» الحديث.

قوله: (السَّبَايا)(١) جمع سَبِيّ، وهو مشهور للمرأة خَاصَّة، وقَدْ يُطْلَق هذا على الذَّكَر أيضًا، ولا يجوز غشيان السَّبايا إلا بعد الاستِبْرَاء(٢)، واستبراء السبايا يكون بحيضة واحدة، فكَرِهَ الصحابة رضي الله عنهم جِمَاعَهُنَّ؛ لأن لهن أزواجًا، والحكم الفقهي أن عقد الزواج ينتهي بمجرَّد وُقُوع السبي ولو كان زوجها معها في السَّبْي، ولكن الاستبراء مهم، فلا يدخل على هذه المَسْبِيَّة إلا بعد الاستبراء بحيضة، كما هو معلوم(٣).

ثم إن (أوطاسًا) موقع غزوة حنين المشهورة والمعروفة في السيرة(٤).

ووجه الشاهد في الآية والذي لم يذكر هاهنا هو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:٢٤] مِنْ سَبْي أو شِرَاء شرعي.

السَّادِسَ عَشَرَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآيَة، يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانٍ فِي رَمَضَانَ(٥).

ذكرنا من قبل أن هذه نزلت في قصة بني شيبة وأخْذ المفتاح مِنْ سَيّدهم، وقَدْ سَبَق أن ذكر الحافظ نفسه أن أحاديث هذه القصة إما منقطعة وإما ضعيفة.

السَّابِعَ عَشَرَ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ بِإِثْرِ أُحُدٍ؛ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ

---

(١) انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦٧)، والقاموس المحيط (١/ ١٢٩٣).

(٢) قال عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله في حاشية الروض (٧/ ٩١): وهو مذهب الأئمة الأربعة، وجماهير العلماء، واتفقوا على أنه يحرم وطؤها زمن الاستبراء، وفيه جواز وطء السبايا بعد الاستبراء، وإن لم يدخلن في الإسلام، وعمل به الصحابة، وجواز الاستمتاع قبل الاستبراء، بدون جماع، ولفعل ابن عمر وغيره.

(٣) انظر: كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع، لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي (٩/ ٢٦٨).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٤٣٧).

(٥) سبق تخريجه والكلام عليه.

زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ، فَرَجَعَ نَاسٌ، فَكَانَ الصَّحَابَةُ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: نَقْتُلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا، فَنَزَلَتْ[(١)].

قوله: (**بِإِثْرِ أُحُدٍ**)، أي: بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُد وانسحاب عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول[(٢)] بطائفة مِنْ قومه عن رسول الله ﷺ، وخذلانهم لرسول الله ﷺ كما حصل منهم في غزوة تبوك، فإنهم خرجوا إلى ظاهر المدينة وعسكروا مع رسول الله ﷺ، فلما أنْ أَزْمَعَ الذَّهَاب وارْتَحَل رجعوا إلى المدينة! وهذا شأن المُنَافِقِينَ[(٣)] دَوْمًا في كل زمان ومكان.

الثَّامِنَ عَشَرَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ الآيَة، قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: نَزَلَتْ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ.

قوله: (**نَزَلَتْ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ**)، وفيه قصة، وهي: أن الحارث بن يزيد العامري رضي الله عنه وكان قَبْلَ إِسْلَامِهِ يُعَذِّب عَيَّاشَ بن أبي ربيعة على الإسلام، فَهَاجَرَ عَيَّاش وأَسْلَمَ الحَارِث، ولم يدر عياش بأن الحارث قد أَسْلَمَ، فَرَآهُ يَوْمَ الفتح فظَنَّه على شركه فقتله، فَنَزَلَتْ هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢][(٤)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٨٨٤) ومسلم (٢٧٧٦): عن عبد الله بن يزيد، قال: سمعت زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه يقول:... فذكره.

(٢) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية. انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٦٥).

(٣) النفاق في الدين: هو ستر الرجل كفره بقلبه، وإظهاره إيمانه بلسانه فهو منافقٌ.
انظر: التعريفات الفقهية (٢٣٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ١٠٣١): عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ.
وفي (٣/ ١٠٣١): من طريق ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينارٍ، عن سعيد بن جبير نحوه.

التَّاسِعَ عَشَرَ: آيَةُ الْقَصْرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ.

وآية القصر هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١](١).

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ قَوْمٌ مِنَ التُّجَّارِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]، ثُمَّ انْقَطَعَ الْوَحْي. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلٍ، غَزَا النَّبِيُّ ﷺ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ أَمْكَنَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ ظُهُورِهِمْ، هَلَّا شَدَدْتُمْ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: إِنَّ لَهُمْ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَثَرِهَا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢]، فَنَزَلَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ.

الْعِشْرُونَ: آيَةُ صَلَاةِ الخَوْفِ، فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فِي المُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ولا خِلافَ بينهم أن غزوةَ عُسْفَانَ كانت بعدَ الخندق، وقد صحَّ عنه أنه صلَّى صلاة الخوفِ بِذَاتِ الرِّقاع، فعُلِمَ أنها بعد الخندقِ وبعد عُسْفَان، ويؤيِّدُ هذا أنَّ أبا هُرَيرة، وأبا موسى الأشعري شهدا ذاتَ الرِّقاع، كما في

(١) أخرج ابن جرير في التفسير (٧/ ٤٠٦)، عن أبي أيوب، عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللهُ في التفسير (٢/ ٤٠٠): وهذا سياقٌ غريبٌ جدًا.

«الصحيحين» عن أبي موسى، أنه شهد غزوة ذات الرِّقاع، وأنَّهُمْ كَانُوا يَلفُّونَ عَلَى أرْجُلِهِمُ الخِرَقَ لَمَّا نَقِبَتْ[1].

وأمَّا أبو هُريرَة، ففي المسند والسنن أن مروانَ بنَ الحكم سأله: هَلْ صَلَّيْتَ مَعَ رسولِ الله ﷺ صلاةَ الخوفِ؟ قال: نعم، قال: متى؟ قال: عَامَ غَزْوَةِ نَجْدٍ[2].

وهذا يَدُلُّ على أن غزوة ذاتِ الرِّقاع بعد خيبر، وأنَّ من جعلها قبل الخندق، فقدْ وهمَ وهمًا ظاهرًا، ولمَّا لَمْ يَفْطن بعضُهم لهذا، ادَّعى أن غزوةَ ذاتِ الرِّقاع كانت مرَّتين: فمرةً قبلَ الخندق، ومرةً بعدها على عادتهم في تعديدِ الوقائع إذا اختلفت ألفاظهَا أو تاريخُهَا. ولو صحَّ لهذا القائل ما ذكره -ولا يَصِحُّ- لم يمكن أن يكونَ قد صلَّى بهم صلاةَ الخوف في المرة الأولى؛ لما تقدم مِن قصة عُسْفَان، وكونها بعد الخندق. ولهم أن يُجيبوا عن هذا بأن تأخيرَ يومِ الخندق جائزٌ غيرُ منسوخ، وأن في حال المسايفة يجوزُ تأخيرُ الصلاة إلى أن يتمكَّن من فعلها، وهذا أحدُ القولين في مذهب أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، لكن لا حِيلة لهم في قصة عُسفان أن أول صلاة صلاها للخوف بها، وأنها بعد الخندق.

فالصواب تحويل غزوةِ ذات الرِّقاع مِن هذا الموضع إلى ما بعدَ الخندق،

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦): عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوةٍ ونحن ستة نفرٍ، بيننا بعيرٌ نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت: غزوة ذات الرقاع؛ لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا». وحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذاك، قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيءٌ من عمله أفشاه.

(٢) أخرجه أحمد (٨٢٦٠) وأبو داود (١٢٤٠) والنسائي (١٥٤٣) وفي الكبرى (١٩٤٤) وابن خزيمة في صحيحه (١٣٦١) من طرق: عن مروان بن الحكم، أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟

بل بعدَ خَيبر، وإنما ذكرناها هاهنا تقليدًا لأهل المغازي والسير، ثم تبيَّن لنا وهمُهم وبالله التوفيق.

ومما يدلُّ على أن غزوةَ ذاتِ الرِّقاع بعد الخندق: ما رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر قال: أقبلْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، حتّى إذا كُنَّا بذات الرِّقاعِ، قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها لرسول الله ﷺ، فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ مُعَلَّقٌ بالشَّجرةِ فَأَخَذَ السَّيْفَ، فاخْتَرَطَهُ.. فذكر القِصَّةَ، وقال: فُنودي بالصَّلاة، فصلَّى بطائفةٍ رَكعتينِ، ثمَّ تأخَّرُوا، وصلَّى بالطَّائِفَةِ الأُخْرَى رَكعتينِ، فكانت لِرسولِ اللهِ ﷺ أرْبَعُ رَكَعَاتٍ، ولِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ[1].

وصلاة الخوف، إنما شُرِعَتْ بعدَ الخندقِ، بل هذا يدُلُّ على أنها بعد عُسْفَان.. والله أعلم[2].

الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُرَجِّح أن ذات الرقاع حدثت بعد الخندق، وهو يقول: إنها سنة خمس، وقيل: سنة أربع، وفيها اختلافات.

الحَادِي وَالعِشْرُونَ: آيَةُ الْكَلَالَةِ فِي حجَّةِ الْوَدَاعِ. وقد سبق الكلام عليها.

الثَّانِي وَالعِشْرُونَ: أَوَّلُ المَائِدَةِ بِهَا أَيْضًا. وقد سبق الكلام عليها.

الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، فِيهَا أَيْضًا يَوْم عَرَفَةَ يَوْم الجُمُعَةِ، وَالنَّبِيّ ﷺ واقِفٌ بِهَا.

نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة يوم جمعة، وهذا هو المشهور عند

(١) أخرجه مسلم (٨٤٣) عن جابرٍ، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع... الحديث.

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٢٥- ٢٢٧).

جماهير العلماء، أن وقوفه ﷺ بعرفة في حجه كان يوم الجمعة، والله أعلم[١].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي الدَّلَائِلِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَا فِي الصَّحِيحِ[٢].

فالصحيح أنها نزلت يوم الجمعة، ففي الصحيحين «عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا - مَعْشَرَ اليَهُودِ- نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»[٣].

الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ: آيَةُ التَّيَمُّمِ بِهَا، فِي القُفُولِ مِنْ غَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ، وَكَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ، وَقِيلَ: خَمْسٍ، وَقِيلَ: أَرْبَعٍ.

قال في الإتقان: فِي الصَّحِيحِ[٤]، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ وَهُمْ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ. وَفِي لفظ «بالبيداء، أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ»[٥].

فقوله: (**بِهَا**) الضمير هنا يعود على سورة المائدة.

وتكلمنا عليه بالتفصيل في موضع سابق، وكَانَتْ فِي شَعْبَان.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فيه عبد الله بن لهيعة. أخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٢٣٣): عن ابن عباسٍ، قال: ولد نبيكم ﷺ يوم الإثنين، ونبي يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وفتح مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٧٥).

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: فَائِدَة: غَزْوَة بني المصطلق هِيَ غَزْوَة الْمُريْسِيع. قَالَه البُخَارِيّ. قَالَ: وَقَالَ ابْن إِسْحَاق: وَذَلِكَ سنة سِتّ. وَقَالَ مُوسَى بن عقبَة: سنة أَربع. وَقَالَ النُّعْمَان بن رَاشد، عَن الزُّهْرِيّ: كَانَ حَدِيث الْإِفْك فِي غَزْوَة الْمُريْسِيع[(٢)].

والأصح أنها سنة خمس، قبل الخندق، لذكر سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الغزوة، وسعد معلوم أنه قد استشهد بعد الأحزاب في غزوة بني قريظة، وقد وقعت في سنة خمس، فالصحيح أنها في سنة خمس قبل الأحزاب.

الخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ..﴾ الآيَة، فِي قِصَّةِ الْعُرَنِيّين فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَآيَةُ تَحْرِيمِ الخَمْرِ فِي مُحَاصَرَةِ بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ.

أما قصة العرنيين فقد سبق الكلام عليها[(٣)]، وأَمَّا أَنْ يَكُونَ تَحْرِيم الخمر قد نزل في محاصرة بني النضير، فَإِنّي لَمْ أجده بَعْد بَحْث.

السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: سُورَةُ الأَنْفَالِ بَعْضُهَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَبَعْضُهَا بِإِثْرِهَا، وَكَانَتْ فِي رَمَضَانَ.

كيف عرفنا أن بعضها يوم بدر، وبعضها بإثرها؟ ولِمَ لَمْ يكن قبلها؟

الجواب: لأن صدر سورة الأنفال نزل يوم بدر في توزيع الغنائم[(٤)]، وبَعْدَ

---

(١) عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٥٧).

(٢) البدر المنير (٩/ ٩٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧٣٧)عن عكرمة، عن ابن عباسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدرٍ: «من فعل كذا =

ذلك نزلت السورة متتابعة(١).

السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: بَرَاءَةٌ سَنَةَ تِسْعٍ، وَبَعْضُهَا فِي غَزْوَةِ تَبُوك، وَكَانَ مَقْدَمُهُ

وكذا فله من النفل كذا وكذا». قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم، قال المشيخة: كنا ردءًا لكم، لو انهزمتم لفئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ١-٥]، يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذلك أيضًا: فأطيعوني، فإني أعلم بعاقبة هذا منكم. قال الحاكم في المستدرك (٢/ ١٤٣): «هذا حديثٌ صحيحٌ، فقد احتج البخاري بعكرمة، وقد احتج مسلمٌ بداود ابن أبي هندٍ، ولم يخرجاه. قال الذهبي: على شرط البخاري.

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٦) ومن طريقه، والواحدي في أسباب النزول (١٥٥) وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٨٩)، وأبو عبيد في «الأموال» (٧٥٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٧٠) وابن زنجويه في «الأموال» (١١٢٦)، والطبري (١١/ ١٦): عن سعد ابن أبي وقاصٍ، قال: لما كان يوم بدرٍ قتل أخي عميرٌ، وقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، وكان يسمى: ذا الكتيفة، فأتيت به نبي الله ﷺ قال: «اذهب فاطرحه في القبض». قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلبي، قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب فخذ سيفك». هذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه بين محمد الثقفي وسعد؛ فإنه لم يدركه. انظر: «المراسيل» (رقم ٣٢٤). وقال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في «تحقيقه للمسند» (٣/ ٧٨ رقم ١٥٥٦): «إسناده ضعيف؛ لانقطاعه». ا. هـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣) وزاد نسبته لابن مردويه. وأخرج أحمد (١/ ١٧٨)، وأبو داود (رقم ٢٧٤٠)، والترمذي (رقم ٣٠٧٩)، والنسائي في «التفسير» (١/ ٥١٣، ٥١٤ رقم ٢١٦)، والطبري في «جامع البيان» (٩/ ١١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٩/ ٨٧٥٥) وأبو يعلى في «المسند» (٢/ ٨٤ رقم ٧٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٢)، والحاكم (٢/ ١٣٢)، والبيهقي في «سننه» (٦/ ٢٩١) جميعهم من طريق: أبي بكرٍ ابن عياش عن عاصم ابن أبي النجود عن مصعب بن سعدٍ، عن سعد بن مالكٍ قال: قال يا رسول الله قد شفاني الله من المشركين، فهب لي هذا السيف. قال: إن هذا السيف ليس لك، ولا لي، ضعه. قال: فوضعته ثم رجعت، قلت: عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لم يبل بلائي. قال: إذا رجلٌ يدعوني من ورائي؛ قال: قلت: قد أنزل في شيءٌ؟ قال: كنت سألتني السيف وليس هو لي، وإنه قد وهب لي فهو لك. قال وأنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وهذا إسناد حسن.

فِيهَا فِي رَمَضَانَ، وَمِنْهَا: آيَةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا [التوبة: ١١٨] **بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِخَمْسِينَ لَيْلَةً.**

يقول: وقت نزولها بعد مَقْدَمِهِ ووصُولِه ﷺ المدينة بخمسين ليلة، وقد تِيبَ على كعب وصاحبيه بعد خمسين ليلة مِنَ المُعَانَاة، كما هو مشهور ومعروف من حديث كعب رضي الله عنه في الصحيحين(١).

الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ إلى ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ نَزَلَتْ لمَّا قَدِمَ وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ. وَقُدُومُهُمْ سَنَةَ تِسْعٍ.

أخرج الطبراني في معجمه الكبير: أن عامر بن الطفيل قدم على النبي ﷺ المدينة، فراجع النبي ﷺ وارتفع صوته، وثابت بن قيسٍ قائمٌ بسيفه على النبي ﷺ، فقال: يا عامر، غض من صوتك عن النبي ﷺ، فقال: وما أنت وذاك؟ فقال ثابتٌ: أما والذي أكرمه، لولا أن يكره رسول الله ﷺ، لضربت بهذا السيف رأسك، فنظر إليه عامرٌ وهو جالسٌ، وثابتٌ قائمٌ، فقال له: أما والله يا ثابت، لئن عرضت نفسك لي لتولين عني، فقال ثابتٌ: أما والله يا عامر، لئن عرضت نفسك للساني لتكرهن حياتي، فعطس ابن أخٍ لعامرٍ، فحمد الله، فشمته النبي ﷺ، ثم عطس عامرٌ، فلم يحمد الله، فلم يشمته النبي ﷺ، فقال عامرٌ: شمت هذا الصبي وتركتني؟ قال: «**إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ**»، فقال: فمحلوفةٌ، لأملأنها عليك خيلًا ورجالًا، فقال النبي ﷺ: «**يَكْفِينِيكَ اللهُ وَابْنَا قَيْلَةَ**»، ثم خرج عامرٌ، فجمع للنبي ﷺ، فاجتمع إليه من بني سليمٍ أبطنٌ ثلاثةٌ، هم الذين كان رسول الله ﷺ يدعو عليهم: عصية وذكوان ورعلٌ، وكان النبي ﷺ يدعو عليهم في صلاة

(١) سبق تخريجه.

الصبح: «**اللهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانًا وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، اللهُ أَكْبَرُ**»، فدعا النبي ﷺ سبع عشرة ليلةً، فلما سمع أن عامرًا قد جمع له، بعث النبي ﷺ فيهم عمرو بن أمية الضمري وسائرهم من الأنصار، وأميرهم المنذر بن عمرٍو، فمضوا حتى نزلوا بئر معونة، فأقبل، حتى هجم عليهم، فقتلهم كلهم، فلم يفلت منهم إلا عمرو بن أمية، كان في الركاب، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ يوم قتلوا خبر أصحابه، فقال: «**قَدْ قُتِلَ أَصْحَابُكُمْ فَرُوا رَأْيَكُمْ**»، فدعا النبي ﷺ على عامرٍ، فقال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ اكْفِنِي عَامِرًا**»، فكفاه الله إياه، فأقبل حتى نزل بفنائه، فرماه الله بالذبحة في حلقه في بيت امرأةٍ من سلولٍ، وأقبل ينزو وهو يقول: يا لعامرٍ من غدةٍ كغدة الجمل، في بيت سلوليةٍ، يرغب أن يموت في بيتها، فلم يزل كذلك حتى مات في بيتها، وكان أربد بن قيسٍ أصابته صاعقةٌ فاحترق فمات، ورجع من كان معهم[1].

وهَذَا من المهانة، فقد هلك هو وصاحبه، ونزلت فيهم القصة في سورة الرعد.

التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: خَوَاتِيمُ سُورَةِ النَّحْلِ، إِمَّا يَوْمَ أُحُدٍ أَوْ يَوْمَ الْفَتْحِ كَمَا تَقَدَّمَ.

تقدم ذلك عدة مرات، وقلنا: إن اختيار ابن الحصار في هذا أنه تكرر نزولها.

الثَّلَاثُونَ: أَوَّلُ الإِسْرَاءِ[2]، وَاخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَةٍ، وَقِيلَ: بِأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيل: بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: بِخَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بِسَبْعَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ: بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ: بِعِشْرِينَ، وَقِيلَ: بِثَلَاثِ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٢٥) وقد سبق الكلام عليه.

(٢) وفي نسخة: أول الإسراء عام الإسراء.

سِنِينَ، وَقِيلَ: بِخَمْسِينَ[١]، وَقِيلَ: كَانَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وقِيلَ: بِخَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بِعَامٍ وَنِصْفٍ، وَاخْتُلِفَ فِي الشَّهْرِ، فَقِيلَ: فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ، وَقِيلَ: الآخر، وَقِيلَ: رَجَب، وقِيلَ: رَمَضَان، وَقِيلَ: شَوَّال. وَقَدْ بَسَطْتُ الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الأَقْوَالِ فِي شَرْحِ الأَسْمَاءِ النَّبَوِيَّةِ.

وسبب هذا الاختلاف في الأقوال؛ لأنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم لم ينظروا إلى ضبط هذه الحوادث نظرتهم إلى أَخْذِ العبرة والعظة وإتقان رواياتها، كما في قِصَّةِ الإسراء عند البخاري ومسلم[٢]، وفي كثير من كتب السيرة وكتب السنة المطهرة.

فالصَّحَابَةُ كان يهمهم في المقام الأول، ضَبْطُ روايات الأحاديث أكثر من أوقات حدوثها.

وأيضًا فإن الصحابة الذين أسلموا في ذلك الوقت كان عددهم قليلًا، كما هو معلوم، وقَدْ قُتِلَ كَثِير منهم بعد ذلك في المعارك، وتُوُفِّيَ كثير منهم، فلَمْ يَعُد أحد يضبط الأقوال على الوجه الصحيح التام، فيما نقله المحدثون وأهل الأسانيد، وإلا فإن بعض الصحابة كان ضابطًا لهذا وذاكرًا له، لكنه لم يصل إلينا هذا الضبط على الوَجْهِ المُحَدَّد، فحَصَلَتْ هذه الاختلافات.

وقد جزم النووي رَحِمَهُ اللهُ[٣] بالقول الأول: بأنه قبل الهجرة بسنة، وقائله ابن

---

(١) وفي نسخة (بخمس) وهو الأنسب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) عن أنس بن مالكٍ، عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به: الحديث.

(٣) هو أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحراني النووي الشافعي. علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في «نوا» من قرى حوران بسورية، وله تصانيف كثيرة وجليلة؛ منها: «المنهاج، والمجموع شرح المهذب» كلاهما في فقه الشافعية، و«التبيان في آداب حملة القرآن» =

مسعود رضي الله عنه وهو من أدرك ذلك؛ فقد أسْلَمَ قديمًا رضي الله عنه وأرضاه.

وجزم ابن المنير رحمه الله[١]: بأنه في ربيع الآخر يوم الاثنين، وتقدم أن يوم الاثنين هو اليوم الذي شَهِدَ الحوادث الأربعة الكبيرة التي مَرَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ[٢]،وجزم به النووي أيضًا في الروضة.

قوله: (**وَقَدْ بَسَطْتُ الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الأَقْوَالِ فِي شَرْحِ الأَسْمَاءِ النَّبَوِيَّةِ**) هُنَاكَ كِتَاب طُبِعَ حَدِيثًا للإمام السيوطي رحمه الله وهو «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة ﷺ». وقد تَصَفَّحْتُهُ من أوله إلى آخره فلم أر ذكرًا لما قاله ها هنا، ولعل له كتابًا رحمه الله في شرح الأسماء النبوية غير هذا، والله أعلم.

وهذه الأقوال كلها مستوفاة في كتاب السيوطي رحمه الله: «الآية الكبرى في شرح قصة الإسرى» -بالقصر- من أجل السجع.

الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج: ١٩] يَوْمَ بَدْرٍ، أَوْ بِإِثْرِهِ.

وقد ذكرناها في موضع سابق، وذكرنا أنها في المبارزة التي حدثت.

الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٢٩] فِي سَفَرِ الهِجْرَةِ، وَكَانَ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَة.

الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: قِصَّةُ الإِفْكِ[٣] سَنَةَ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطلق، وَهِيَ غَزْوَةُ

و«شرح صحيح مسلم» وغيرها كثير. ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة للهجرة، وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة رحمه الله. انظر: الأعلام، للزركلي (٨/ ١٤٩).

(١) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار، القاضي، العلامة، ناصر الدين، ابن المنير الجذامي، الجروي، الإسكندراني، المالكي، [المتوفى: ٦٨٣ هـ] كان مع علومه له يدٌ طولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة، وكنيته أبو العباس. انظر: تاريخ الاسلام للذهبي (١٥/ ٤٩١).

(٢) سبق الكلام عليه.

(٣) سبق تخريجه.

المُرَيْسِيعُ، وَتَقَدَّمَ تَأْرِيخُهَا. وفيها اختلاف كثير لكنها في سنة خمس على الأصَحّ.

الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: آيَةُ الاسْتِئْذَانِ [النور: ٥٨] **فِي النُّورِ، سَنَةَ عَشْرٍ.**

هذه من المواضع -أيضًا- التي لم أجدها بعد بحث مختصر.

الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: آيَةُ الحِجَابِ فِي الأَحْزَابِ [الأحزاب: ٥٩]**، وَالآيَةُ فِي تَزْوِيجِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ**(١).

أي: أن الأحزاب سنة أربع، وقيل: هي سنة خمس، وهو الأصَحّ.

السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] **فِي وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَذَا أَوَّل (ص)، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ المَبْعَثِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ**(٢).

[وهِدايةُ الله تعالى للإنسان على أَربعةِ أَضرب:

الأَوّل: الهِداية التي عَمَّ بها كُلَّ مكلَّفٍ من العَقْل والفِطْنَة والمَعارف الضروريّة، بل عمّ بها كلَّ شيءٍ حَسَبَ احتمالِه، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهِداية التي جُعلت للنَّاسِ بدُعائه إِيّاهم على أَلْسِنَةِ الأَنبياءِ وإِنْزالِ القرآن ونحوِ ذلك، وهو المقصودُ بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الثالث: التَّوفيقُ الذي يختصّ به من اهْتَدى، وهو المعنِيُّ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

الرّابع: الهدايَةُ في الآخرة إِلى الجنَّة، وهو المعنيُّ بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهدايات الأَربعُ مُتَرتِّبة فإِنَّ من لم تَحْصُلْ له الأُولَى لا تَحْصُلُ له الثانية، بل لا يَصِحُّ تكليفُه. ومن لم تَحْصُلْ له الثانيةُ لا تحصل له الثالثة والرابعةُ.

والإِنسان لا يَقْدِرُ أَن يَهْدِيَ أَحدًا إِلا بالدُّعاءِ وتعريف الطُّرُق دون سائِر الهِدايات، وإِلى الأَوَّل أَشار بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وبقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، أي: داع، وإِلى سائر الهِدايات أَشار بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وكُلّ هدايةٍ ذَكَرَ الله تعالى أَنَّه منَع الكافِرين والظَّالِمين فهي الهِدايَةُ الثالثة، التي هي التَّوْفيق الذي يختصّ به المهتدون، والرّابعة التي هي الثوابُ في الآخرة، وإِدخالُ الجنَّة المشار إِليها بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ إِلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦].

وكلّ هِداية نَفاها عن النبي ﷺ وعن البشر، وذكر أَنَّهم غيرُ قادِرين عليها فهي ماعَدا المُخْتصّ به من الدّعاء، وتعريفِ الطريق، وذلك: كإِعطاءِ العَقْل والتوفيق، وإِدخال الجنَّة، وإِلى هذا المعنَى أَشار بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧]

أي: طالبُ الهُدَى ومُتَحرِّيه هو الَّذى يُوَفِّقه ويَهْديه إلى طريق الجَنَّة لا مَنْ ضادَّهُ فتحرَّى طريقَ الضَلالَة والكُفْر، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣]، الكاذِبُ الكَفَّار هو الَّذى لا يَقْبلُ هِدايَتَه؛ فإنَّ ذلك راجعٌ إلى هذا وإنْ لم يكن لفظُه موضوعًا لذلك، ومن لم يَقْبل هِدايَتَه لم يَهْدِه، كقولك: من لم يَقْبل هَدِيَّتِي لم أُهْدِ لَهُ، ومن لم يقبل عَطِيَّتِي لم أُعْطِه، ومن رَغِب عنِّى لم أَرْغَبْ فيه. وقولُه: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥] فقوله: لا يَهِدِّي، أي: لا يَهْدِى غَيْره ولكن يُهْدَى، أي: لا يعلم شيئًا ولا يَعْرِفُ. وقرئ إلَّا أَن يُهَدَّى، أي: لا هِدايةَ له، ولو هُدىَ أيضًا لم يَهْتَد؛ لأَنَّها مَواتٌ من حِجَارة ونحوِها[1].

السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: مَا فِي الأَحْزَابِ مِنْ آيَاتِ الخَنْدَقِ، وَكَانَتْ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ، وَقِيلَ: أَرْبَعٍ. والقول بأنه سنة خمس هو الصحيح إن شاء الله.

الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: آخِرُ الأَحْقَافِ فِي قِصَّةِ الجِنِّ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ.

وأخذ ذلك من أهل السير الذين رووا هذه القصة.

التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ: سُورَةُ القِتَالِ سَنَةَ سِتٍّ.

وهي سورة محمد ﷺ سنة الحديبية.

الأَرْبَعُونَ: سُورَةُ الْفَتْحِ سَنَةَ سِتٍّ فِي ذِي القعْدَةِ. وَهِي سنة الحديبية أيضًا.

الحَادِي والأَرْبَعُونَ: أَوَّلُ المُجَادَلَةِ سَنَةَ سِتٍّ.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٣١٣ وما بعدها).

[قول الله جل وعلا: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ][(١)].

الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ: الحَشْرُ، فِي بَنِي النَّضِيرِ سَنَةَ خَمْسٍ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ، وَقِيلَ: بَعْدَ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْهَا[(٢)].

قوله: (**بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ**) وجب أن يكون سنة أربع، وقد ذكر ذلك في الصفحة الرابعة بعد المائة، يقول في أول الصفحة الرابعة بعد المائة في السطر الثاني في محاصرة بني النضير: في ربيع الأول سَنَةَ أربع، وهو المشهور في السير أنها حَدَثَتْ في ذلك التاريخ، ثم بعد ذلك يقول: الحشر في بني النَّضِير سنة أربع؛ لأن أحُدًا كانت في سنة ثلاث باتفاق أهل السير الذين كتبوا فيها، والله أعلم، وكانت في شوال، فإذا كانت بعد أحد بخمسة أشهر فتكون في سنة أربع.

الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ: سُورَةُ المُنَافِقِينَ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ أَوْ تَبُوك كَمَا تَقَدَّمَ. أما تبوك فلا، وقد سبق الكلام عليها، فهي في بني المصطلق.

الرَّابِعُ والأَرْبَعُونَ: سُورَةُ النَّصْرِ، نَزَلَتْ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ عَامَ حَجَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٩/ ١١٧) «باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]» ووصله أحمد (٢٤١٩٥) وابن ماجه (١٨٨) والنسائي (٣٤٦٠) وغيرهم من طريق: عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٨٢) ومسلم (٣٠٣١): عن سعيد بن جبيرٍ، قال: قلت لابن عباسٍ.... سورة الحشر، قال: «نزلت في بني النضير».

الْوَدَاعِ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالْبَيْهَقِيُّ(١).

فَهَذِهِ عُيُونُ أَمْثِلَتِهَا، وَلَمْ نَسْتَوْعِبْهَا عُذْرًا مِنَ التَّطْوِيلِ.

هذه عيون أمثلتها: أكثر وأعظم ما عُرِفَ تَارِيخُ نُزُولِهِ سَنَةً وشهرًا ويَوْمًا وساعة.

وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَنْوَاعِ أَمْثِلَةٌ تَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ.

أي: من النوع الأول والثاني إلى النوع الثالث عشر أمثلة تدخل في هذا النوع: الرَّابع عشر.

وَفِي هَذَا النَّوْعِ أَمْثِلَةٌ لِلسَّفَرِي غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.



---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (٨٠) والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٠) وفي الأوسط (١/ ٢٧١) والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٦٧): عن عكرمة، عن ابن عباسٍ، قال: لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها فقال: إنه قد نعيت إلي نفسي. فبكت، ثم ضحكت، قالت: وأخبرني أنه نعي إليه نفسه فبكيت، فقال لي: اصبري. فإنك أول أهلي لحاقًا بي فضحكت. والحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «مرحبًا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزنٍ، فسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، حتى قبض النبي ﷺ، فسألتها فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنةٍ مرةً، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي». فبكيت، فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» فضحكت لذلك. البخاري (٣٦٢٣) ومسلم (٢٤٥٠) بغير ذكر سبب النزول.

النوع الخامس عشر والسادس عشر
ما نزل فيه ولم ينزل على أحدٍ قبل النبي ﷺ
وما أنزل منه على بعض الأنبياء

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: هَـذَانِ نَوْعَـانِ مِنْ زِيَـادَتِي. أي: من زياداته على كتاب البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه قد زاد عليه أنواعًا(١).

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الأَوَّلِ: الْفَاتِحَةُ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَلَكٌ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ قَدْ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي فَأَمْثِلَتُهُ كَثِيرَةٌ، فَرَوَى الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قَالَ ﷺ: كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فبلغ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، قَالَ: وَفَّى، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾(٣).

يقول: [لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قَالَ ﷺ: كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى]؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨] أي: إنّ هَذا الذي تُلِيَ عليكم -معشر المسلمين- لَفِي الصحف الأولى التي أنزلت قبل ذلك، وهو واضح بَيِّن فِي كتاب الله.

(١) مواقع العلوم في مواقع النجوم للبلقيني.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٨-٤٦١-٥١١) والنسائي في الكبرى (١١٦٠٤) وأبو بكر الإسماعيلي في معجم الشيوخ (١/ ٤٨٤) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وهذا حديث صحيح الإسناد، وقال الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يخرجاه؛ أي: البخاري ومسلم، ووافقه الذَّهَبِيّ(١).

وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: أَنْزَلَ اللهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، و﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾، و﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ الآية. والَّتِي فِي سَأَلَ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَآئِمُونَ﴾، فَلَمْ يَفِ بِهَذِهِ السِّهَامِ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ ﷺ(٢).

والمراد بالسهام، هي الصفات الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَـٰذِهِ الآيات، فلَمْ يَفِ بها على حقيقتها، وعلى قَدْرِهَا إلا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورسول الله محمد ﷺ، وهذا الحديث، سكت عنه الحاكم، وكذا سكت عنه الذهبي في تلخيصه لأحكامه.

وأبو أمامة(٣) هو: صُدَيّ بن عَجْلَان الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أرسله النبي ﷺ لدعوة قومه من باهلة، فَرَدّوه ردًّا قبيحًا، وكان جائعًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فنام، فأوتي في منامه بِلَبَن فَشَرِبَهُ، فلما استيقظ تلوّم القوم أنفسهم، وقالوا: جاءكم رسول فلم تسمعوا منه، فلو سَمِعْتُمْ منه، فلما جاءوا إلى أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأتَوْا له بطعام، قال: قَدْ أَطْعَمَنِي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠): عن أبي أمامة، قال: «طلعت كفٌّ من السماء بين أصبعين من أصابعها شعرةٌ بيضاء، فجعلت تدنو من رأس إبراهيم، ثم تدنو فألقتها في رأسه، وقالت: اشتعل وقارًا، ثم أوحى الله إليه أن تطهر، وكان أول من شاب واختتن، وأنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمدٍ في القرآن... الحديث». قلت: فيه القاسم بن عبد الرحمن الشامي، أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى آل أبي سفيان بن حرب الأموي. قال الحافظ: صدوق يغرب.

(٣) انظر: الاصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٦).

الله وسَقَانِي، فَلَمَّا رأوا حاله آمنوا[١]. بهذه الكرامة التي أُكْرِمَ بها أبـو أمامـة ﵁، وقد قال له ﷺ في حديث: «**عَلَيْكَ بالصَّوْمِ؛ فإنَّهُ لا مِثْلَ لـهُ**»[٢]، أي: لا مِثْـلَ لـه في ثوابه وفي جزائـه؛ لأن الله تعـالى يقـول: «**إلا الـصَّوم فإنـه لـي وأنـا أجْـزِي بِـهِ**»[٣]، فكان أبو أمامة وزوجه وخادمه لا يُلْفَوْن إلا صيامًا. فكانوا يداومون على الـصيام ﵃، وتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتّ وثَمَانين من هجرة رسول الله ﷺ. فتأخَّر كَثِيرًا بعد انتقال المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وَرَوَى أَيْـضًا مِـنْ طَرِيـقِ عَطَـاءٍ عَـنْ مَيْـسَرَةَ أَنَّ هَـذِهِ الآيَـةَ مَكْتُوبَـةٌ فِـي التَّـوْرَاةِ بِسَبْعِمِائَةِ آيَـةٍ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، أَوَّل سُورَةِ الجُمُعَةِ[٤].

هذا الأثر ضعيف لإرساله. لكن يجب أن ننتبـه: فـلا يُظَـنّ عنـدما نقـول: هـذا الحديث ضعيف، أنّه مقطوع بضعفه في نفـس الأمـر، لـيس شـرطًا، فربمـا ضُـعِّفَ حديث، وهو في واقع الحال صـحيح، قـد قالـه النبـي ﷺ، وربمـا صُـحح حـديث وهو في واقع الحال ضعيف، أو لـم يقلـه رسول الله ﷺ[٥]، فهذا أمر مهم لا بـد أن

---

(١) أخرجـه الطـبراني في الكبيـر (٨/ ٢٧٩) وابـن أبـي عاصـم في الآحـاد والمثـاني (٢/ ٤٤١) والحـاكم (٣/ ٧٤٤) وصـححه العلامـة الألبـاني في السلـسلة الـصحيحة (٦/ ٤٦١) وقـال الهيثمـي في المجمـع (٩/ ٣٨٧): رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد الأولى حسنٌ؛ فيها أبو غالبٍ وقد وثق.

(٢) أخرجـه النـسائي (٢٢٢٠-٢٢٢١-٢٢٢٢-٢٢٢٣) وفي الكـبرى (٢٥٤١) عـن أبـي أمامـة ﵁. وصححه ابن حبان، وابـن خزيمـة وقـال الحـاكم: هـذا حـديثٌ صـحيح الإسناد، ولـم يخرجـاه. وقـال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٨٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١): عن أبي هريرة ﵁.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٩) والبيهقي في الشعب (٤/ ١٢٢).

(٥) انظر: مقدمة ابن الصلاح (١٠٩).

يُعرف، لكن المحدثين لا يَمْلِكُونَ إلا أَنْ يُعْمِلُوا القَوَاعِدَ الحَدِيثِيَّة على ما رَوَوْهُ من أحاديث، فلا يستطيعون أبدًا أن يأخذوا بمثل هذا، لكن قد يكون هذا الرجل الضعيف غير الضابط لأكثر ما يذكره، أو لكثير مما يذكره، قد يكون ضَبَطَ هذا الحديث الذي قد ضُعِّفَ مِنْ أَجْلِهِ، وهذا واقع، وهذا أمر منطقي لا بأس فيه، فيكون الحديث صحيحًا، لكنا لا نحكم عليه إلا بالضعف.

وهذا الحديث ضُعِّفَ لإِرْسَالِهِ، فلا نعلم هل أخذه من صحابي، فيكون صحيحًا؛ لأنَّ الصحابة كلهم عدول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو يكون أخذه من تَابِعِي آخر، لكن قد يكون أيضًا صحيحًا، لكنا لا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْ نقول: إن هذا مرسل فنضعفه لأجل ذلك.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ -يَعْنِي: النَّبِيّ ﷺ- المَوْصُوفُ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ... الحَدِيث(١).

الحديث عند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وبقيته «أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا».

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ العَيْزَارِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: السَّبْعُ الطُّوَالُ لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ إِلَّا النَّبِيّ ﷺ، وَأُعْطِيَ مُوسَى مِنْهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٥) عن عطاء بن يسارٍ، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

اثْنَتَيْنِ[(١)].

الثابت في النسخة المطبوعة من شعب الإيمان للبيهقي: «فَأَعْطَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا آيَتَيْنِ» لكن قد يكون تحريفًا، فإن «اثنتين» قد تكون على أنهما آيتان اثنتان أو سورتان اثنتان، فهذا مما يدخله التحريف أو التصحيف في النقل.

وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْمُلَيحِ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الأَوَّلِ، وَأُعْطِيتُ طَه وَالطَّوَاسِين والحَوَامِيم مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَى، وَأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَالْمُفَصَّلَ نَافِلَةً»، فَالظَّاهِرُ أَنَّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: (مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَى) لِلتَّبْعِيضِ كَهِيَ فِيمَا بَعْدَهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلْبَدَلِ، فَلَا يَكُونُ مِمَّا أُعْطِيَهَا مُوسَى[(٢)].

هذا أيضًا ضعيف، لكن قد يكون بَعْض أَجْزَائِهِ صحيحًا وله شَوَاهِد.

فقوله ﷺ: أعْطِيتُ سورة البقرة من الذكر الأول، لعله يقصد بذلك اللوح المحفوظ، فإني لم أهتدِ إلى معناه، (**والطواسين**) جمع كل سورة تبدأ بطس أو طسم، (**والحواميم**) للتي تبدأ بحم، (**والمفصل نافلة**)، أي: أعطيت المفصل نافلة زائدًا على ما أعْطِيَ الأنبياء قبلي؛ فإنَّهُمْ لم يعطوا كما أعْطِيتُ ﷺ.

ثم يقول السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: (فالظاهر أن (من) في قوله: (من ألواح موسى)

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٧٥): عن ابن عباسٍ، قال: « السبع الطوال لم يعطهن أحدٌ إلا النبي ﷺ فأعطى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منها آيتين ».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٩-٧٥٧) وفي (٢/ ٢٨٥) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٣٢) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٥) وفي الشعب (٤/ ٤٩-١٠٤)، والألباني في الضعيفة (٦/ ٣٤٩): عن معقل بن يسارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول».

للتبعيض). التبعيض كأن تقول: أخذت من كذا كذا، أي: أَخَذْت بعضًا منه، وأخذت من تفاح السلة؛ أي: أَخَذْتُ بَعْضًا منه، (كهي) مثل كونها للتبعيض أيضًا (فيما بعده) من قوله: (مِنْ كَنْز تَحْتَ العرش). يقول: (ويُحْتَمَل أَنْ تكُونَ لِلْبَدَلِ)، فلا يكون مما أعْطِيَ مُوسَى، أي: أعْطِيَ رسول الله ﷺ طه والطواسين والحواميم من أَلْوَاح مُوسَى فلم يُعْطَها موسى ﷺ إنما أخِذَتْ وأُعْطِيَتْ رسول الله ﷺ مِنْ أَلْوَاح موسى، وعليه فتكون (مِنْ) لِلْبَدَلِ، مِثْل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨] كأنه قال: أتستبدلون الحياة الدنيا بالآخرة، فـ(من) هنا للبدل. وتأتي للظرفية أيضًا كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] فـ(مِنْ) هنا ظرفية، وتأتي لبيان الجنس، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ هذا بيان لجنس الأساور.

وتأتي (مِنْ) أيضًا للتعليل، قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰتِهِمْ﴾، أي: (مِنْ أجلِ خطيئاتهم) فـ(من) للتعليل[١]، وهنا ملاحظة وهو أن (ما) إذا دخلت على (من) لا تكُفّها عن العمل، لكن إذا دخلت (ما) على (إن) مثلًا، أو (لكن) تكفّها عن العمل فلا تَعْمَل، فيُعرب الذي بعدها مبتدأ مَرْفوعًا، تقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فـ(إنما) كافة ومكفوفة، (ما) كفتها عن العمل، و(إن)

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٤٢١)، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ١٥).

مكفوفة عن العمل بـ(ما)[(١)]. وتأتي (من) لخمسة عشر من المعاني هذه بعضها، وكلها جارة.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ كَعْبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ... الآيات. وَبَقِيَ أَمْثِلَةٌ أُخْرَى[(٢)].

كَعْب[(٣)] هو التَّابِعِيّ المَشْهُور، كعب بن ماتع الحميري اليماني رَحِمَهُ اللهُ، مُخَضْرَم، أدرك رسول الله ﷺ ولَكِنَّ الله تبارك وتعالى لم يُقَدّر له اللقاء به، فانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وتوفي أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٤)] ولم يَرَهُمَا، وإنما أَسْلَمَ فِي خِلَافَةِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٥)]، وقَدِمَ إلى المَدِينَةِ، وكان عالمًا كبيرًا، ولَيْسَ أدَلّ على ذلك من قول أبي الدرداء[(٦)]: إن عند ابن الحِمْيَرِيّة لعلمًا كثيرًا[(٧)]، وأيضًا قال ابن عباس فيه قولًا قريبًا من ذلك، وكعب هذا ثِقَة إن شاء الله، وثَّقَهُ كثير من الأئمة، ولم يتكلم فيه كثير من الأئمة بطعن، ووثَّقَهُ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ[(٨)] في كتابه التقريب بقوله: (ثقة)، ولم يُكَذّبه أحد من العلماء المتقدمين،

---

(١) انظر: جامع الدروس العربية (٢/ ٣٠٩-٣١٠).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الفضائل (١/ ٢١٧) وابن جرير في التفسير (٨/ ٨٧) والطبراني في الأوائل (٧١): عن ابن لهيعة، عن يزيد ابن أبي حبيبٍ، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله اليزني، عن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللهُ قال: فذكره.

(٣) كعب الأحبار، أبو إسحاق ابن ماتع الحميري اليماني الكتابي. [المتوفى: ٣٢ هـ]. انظر تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٩).

(٤) انظر: الاصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣٨).

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٨٤).

(٦) واسمه عويمر، مشهور بكنيته وباسمه جميعًا. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٢١).

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٤٤٥) وابن عساكر في التاريخ (٥٠/ ١٤٥).

(٨) الحافظ ابن حجر العسقلاني: هو أحمد بن علي بن محمدٍ، شهاب الدين، المصري، الشافعي.

=

وقد تكلم فيه بعض المتأخرين أمثال السيد محمد رشيد رضا في (تفسير المنار)[١]، حيث كَذَّبَهُ مُطْلَقًا، وأمثال أحمد أمين في (فَجْر الإسلام) وفي (ضحى الإسلام) أيضًا[٢]، وهما كتابان معروفان له، وما أدري مستندهما، ولم يكذبه أحد من السلف فيما أعلم، والله أعلم.

يقول معاوية رضي الله عنه عن كعب، كما في صحيح البخاري وهو الحديث الوحيد في صحيح البخاري الذي ورد فيه اسم كعب الأحبار: «إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ المُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الكَذِبَ»[٣]، وهذا قَوْلٌ مُشْكِل، لكن الجواب عنه سهل إن شاء الله، فإن العَرَبَ تُطْلِق الكذب وتريد به الخَطَأ؛ كقول عائشة رضي الله عنها: كذب أبو هريرة، وتقول أيضًا رضي الله عنها: كذب ابن عمر[٤]، أي: أخطأ أبو هريرة وأخطأ ابن عمر، ولم تقصد أبدًا أن تجرِّح الصحابيين الجليلين بالكذب، إنما العرب تطلق الكذب وتريد به الخطأ أحيانًا، وقال ابن حبان[٥] قولًا قريبًا من هذا دفاعًا عنه رحمه الله، وقال ابن

= صاحب [تهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب] وغيرها. انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ١٧٨).

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ/ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ١٢٦).

(٢) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته إلى (الطباخ). مولده ووفاته بالقاهرة (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ / ١٨٧٨ - ١٩٥٤م). انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ١٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٦١): عن حميد بن عبد الرحمن، سمع معاوية، يحدث رهطًا من قريشٍ بالمدينة، وذكر كعب الأحبار... فذكره.

(٤) انظر: جامع بيان العلم (٢/ ١١٠١).

(٥) قال ابن حبان في الثقات (٥٠٩٥): كنيته أبو إسحاق وهو الذي يقال له كعب الأحبار يروي عن عمر =

الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: يقول أقوالًا هي في نفسها كذب -يرويها من التوراة أو مِنْ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ بَنِي إسرائيل- ولكن الرجل لا يتعَمَّد الكذب، ولا يدري أنها كذب.

فهذا من أحسن دفاع عنه رَحِمَهُ اللَّهُ، فالمقصود بالكذب هنا أنه يخطئ، أو المقصود بالكذب أنه ينقل أقوالًا هي في أصلها كذب لكنه لا يتعمَّد نقلها ولم يعلم أنها كذب.

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذِّرُه فيقول: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القِرَدَة[(٢)]، وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديدًا في دين الله تبارك وتعالى، لا يقبل كثيرًا ممَّا كان يُحَدَّث به في زمانه، حتى إن أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)] حدث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له: «لتأتيني بشاهد على ذلك أو لأوجعنك»[(٤)]،

= وابن عباس وكان قد قرأ الكتب روى عنه الناس سكن الشام ومات بحمص سنة أربع وثلاثين قبل عثمان بن عفان بسنة وقد قيل: إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين وكان قد أسلم في خلافة عمر.

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي ابن الجوزي أبو الفرج القرشي التيمي البكري، صاحب التصانيف في فنون العلم من التفسير والفقه والحديث والوعظ والتاريخ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه ومعرفة صحيحه وسقيمه وفقهه. انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٢٣٨).

(٢) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (١/ ٧٣) وابن شبة في أخبار المدينة (٢/ ١٢).

(٣) عبد الله بن قيسٍ أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٨١)، والاستيعاب (٣/ ٩٧٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣): عن أبي سعيدٍ الخدري، قال: كنت في مجلسٍ من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعورٌ، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا، فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع» فقال: والله لتقيمن عليه ببينةٍ، أمنكم أحدٌ سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعبٍ: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

يقول هذا لأبي موسى الأشعري وهو مِنْ صَحَابَةِ رسول الله ﷺ، فما بالكم بِكَعْب رَحِمَهُ اللَّهُ؟! فإنه أولى أن يقال له ذلك، وما كان ذلك كذلك، وما كُذب رَحِمَهُ اللَّهُ بسبب غير معروف، ولكنه كُذِّبَ بسبب أنه يَرْوِي أَحَادِيثَ كثيرة عن أهل الكتاب فيها غرائب، وفيها كذب في أساسها وفي أصلها، مثل أن يقول -وهذا مشهور عن كعب رَحِمَهُ اللَّهُ-: إن الله تعالى خلق الأرض من زُمُرّدة خضراء[1]. أو أن يقول: إن الأرض على قَرْنَيْ ثَوْر[2]. أو أن يقول مثل هذه الأقوال التي هي كَذِب مَحْض من أكاذيب الأمم التي قبلنا، وهي كثيرة عن كعب رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه لم يتعمد الكذب، هذا من أمثل ما دُوفِعَ به عن هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ. توفي سنة اثنتين وثلاثين في خِلَافَةِ عُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرض الشام على أصح الأقوال.

قوله في هذا الحديث: أول ما أنزل الله في التوراة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾...» من أخبار بني إسرائيل، وكانَ مِنْ حِكْمَةِ رَسُولِ الله ﷺ -بأبي هو وأمي- أن قال: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[3].

وقوله أيضًا ﷺ: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»[4]، فإنهم إن حَدَّثُوكُمْ بصدق فإنكم لم تكذبوهم، وإن حدثوكم بشيء باطل فإنكم لم تصدقوهم، هذا من حكمة الشارع الحكيم ﷺ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١): عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار».

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٨٥-٧٣٦٢-٧٥٤٢): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية.

فأخبار بني إسرائيل فيها تفصيل: إن كانت كذبًا محْضًا فلا يجوز لنا أن نرويها اعتمادًا على قول رسول الله ﷺ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[1]، لأن هذا إن لم يكن ذلك الحديث كذبًا ووضعًا محْضًا، فإن كان كذبًا ووضعًا محضًا ترُدّه القرائن الشرعية، أو يَرُدّه المنطق العقلي الواضح، أو ترُدّه الحَقَائِق العقلية الثابتة فلا يجوز لنا أن نُحَدِّث به؛ اعتمادًا على حديث «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، والله أعلم.

وَقَدْ يَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ البَسْمَلَةُ؛ لأَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى سُلَيْمَانَ.

قوله: (**يَدْخُلُ فِي هذا النوع**)، أي: الذي نزل على رسول الله ﷺ ونزل على الأنبياء قبله، و(قد) إذا دَخَلَت على الفعل المُضَارِع فهي للتَّقْلِيلِ من وقوع الحدث، تقول: قد يَصْدُقُ الكذوب[2]، أما إذا دخل على الفِعْلِ الماضي فإنه للتَّحْقِيق؛ أي: لتحقيق وقوع الفعل، كقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾ [المجادلة: ١]. أما في القرآن فـ(قد) للتحقيق دومًا، سواء دخلت على الفعل المضارع أو على الفعل الماضي، قال تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ**﴾ [النور: ٦٤][3].

قوله: (**قد يَدْخُلُ فِي هذا النوعِ البَسْمَلَةُ؛ لأَنَّهَا نزَلَتْ على سليمان** عليه السلام)، وعرفنا أنها نزلت على سليمان من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [النمل: ٣٠].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ٣٦٨)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٢٣٠).

(٣) انظر: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب (١٣٧).

وهنا سيورد حديثين: الحديث الأول ضعيف، والثاني لم أطلع على سنده، ولكن يغني عنهما كتاب الله تبارك وتعالى؛ فإن فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فهذه الآية أقوى شاهد لهذين الحديثين، فلا يضرّنا -إِنْ شَاءَ الله- ضَعْفُهُمَا.

وَقَدْ رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ، وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لأُعَلِّمَنَّكَ آيَةً لَمْ تَنْزِلْ عَلَى نَبِيٍّ بَعْدَ سُلَيْمَانَ غَيْرِي».. فَذَكَرَهَا[١].

بريدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه وأَرْضَاه مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيّ ﷺ جاهَدَ وَنَشَرَ العِلْمَ، واسْتَقَرَّ في مَرْو من بلاد بخارى[٢]، وتقع اليوم في تركمانستان، نزل بها ذلك الصحابي الجليل ونشر بها العلم، وكان مجاهدًا في تلك الديار، ونُقِلَ عنه أنه كان يَرْتَجِزُ حال الجهاد، فيقول:

لا عَيْشَ إلا طِراد الخيل بالخيل

طراد: أي: مجاهدة الكافرين أعداء الله تبارك وتعالى باتباع خيلهم، وتُوُفِّيَ سَنَةَ اثنتين وستين رضي الله عنه وأرضاه، هكذا كانت همة الصحابة! انظروا أين عاش؟! وانظروا إلى جهاده في سبيل نشر العلم[٣].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَغْفَلَ النَّاسُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ لَمْ تَنْزِلْ عَلَى

---

(١) أخرجه ابن المقرئ في معجمه (٢/ ٦١٩) والدارقطني في السنن (٢/ ٨٠) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٦٠) والخطيب في الكفاية (٢٦١). وقال البيهقي: إسناده ضعيف. وضعفه السيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: معجم البلدان (١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤١٨).

أَحَدٍ سِوَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سُلَيْمَان بْن دَاوُدَ، فَذَكَرَهَا[(١)].

قوله: (فَذَكَرَهَا)، أي: ذكر «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وسيأتي بعد ذلك مزيد كَلَام حول البسملة إن شاء الله.



(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١٩) وأبو إسحاق البغدادي في الجزء الأول من أماليه (٥٦) وفي أمالي ابن أمير الحاج (٨٥) والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ٤٥١) والسيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٨) وقال: أخرج البيهقي في الشعب وابن مردويه بسند حسنٍ من طريق مجاهدٍ عن ابن عباسٍ قال: أغفل الناس آيةً من كتاب الله لم تنزل على أحدٍ سوى النبي ﷺ إلا أن يكون سليمان بن داود: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ».

النوع السابع عشر
ما تكرر نزوله

هذا النوع سبق دراسته في هذا الكتاب، لذا سيكون واضحًا إن شاء الله.

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَقَدْ صَرَّحَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّ مِنَ الْقُرْآنِ مَا تَكَرَّرَ نُزُولُهُ، وَذَكَرَ مِنْهُ ابْنُ الحَصَّارِ خَوَاتِيمَ سُورَةِ النَّحْلِ، وَأَوَّلَ سُورَةِ الرُّومِ كَمَا سَبَقَ. وَقَالَ: قَدْ يَتَكَرَّرُ نُزُولُ الآيَةِ تَذْكِيرًا وَمَوْعِظَةً كَمَا سَبَقَ، وَذَكَرَ مِنْهُ ابْنُ كَثِيرٍ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

سبق الكلام على هذه الآية، ففي الصحيحين أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيبٍ معه، فمر بنفرٍ من اليهود، فقال بعضهم لبعضٍ: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيءٍ تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجلٌ منهم، فقال يا أبا القاسم! ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه، قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾»(١).

أما رواية الإمام أحمد رحمه الله فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قالت قريشٌ لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤).

خيرًا كثيرًا»، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩][١].

فابن كثير يجمع بينهما بتكرار النزول[٢].

وَذَكَرَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ الْفَاتِحَةَ، وَمِنْهُ كُلُّ مَا اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِهِ أَوْ تَأَخَّرَ وَقْتُهُ، وَسَنَدُ كُلٍّ مِنَ الرِّوَايَتَيْنِ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُمْكِنِ الجَمْعُ، وَهُوَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ.

ما دمنا نقول بتكرار النزول فلا يمكن الجمع.

(وَسَنَدُ كُلٍّ مِنَ الرِّوَايَتَيْنِ مستوٍ في درجة القوة)، وكلاهما متأخر النزول فلا يُدْرَى أيّهما نزل أوّلًا، فكيف نجمع؟ نقول بِتكَرّر النزول، فَيُفْهَم من هذا أن القول بتكرار النّزول ليس مبنيًّا على دَلِيل صَحِيح، وَإِنَّمَا هو نوع مِن أنْوَاع الاجتهاد والنظر في أغلبِهِ، والله أعلم، ولا يَضُرّ ذلك القرآن في شيء.

وَمَنْ رَاجَعَ أَسْبَابَ النُّزُولَ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَمِنْهُ الْبَسْمَلَةُ، فَقَدْ نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، وَفِي النَّمْلِ.

قوله: (**نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ**) يشير إلى مذهبه رَحِمَهُ اللَّهُ، من أن البسملة جُزْء من

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٩) والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٥٢) وأبو يعلى (٢٥٠١)، وابن حبان (٩٩)، والحاكم (٢/ ٥٧٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٩). وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه. وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٢) من طريق داود، عن عكرمة، مرسلًا.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير (٥/ ١١٤): هذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي: أن هذه الآية مدنيةٌ، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكيةٌ. وقد يجاب عن هذا: بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرةً ثانيةً كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾.

كل سورة عند الشافعي[(١)]، والسيوطي شَافِعي المذهب.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كان النَّبِيُّ ﷺ لا يَعْرِفُ فَصْلَ السّور حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، زَادَ البَزَّارُ: فَإِذَا نَزَلَتْ عَرَفَ أَنَّ السُّورَةَ قَدْ خُتِمَتْ، وَاسْتُقْبِلَتْ أَوِ ابْتُدِئَتْ سُورَةٌ أُخْرَى[(٢)].

فكان النبي ﷺ لا يعرف أن السورة قد انْتَهَتْ حتى تستقبله ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فيعرف أن السورة قد خُتِمَتْ، وابتدَئَتْ سورة أخرى.

وَالأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى نُزُولِ الْبَسْمَلَةِ أَوَّلَ كُلِّ سُورَةٍ إِلَّا بَرَاءَةَ لا تُحْصَى كَثْرَةً، وَعِنْدِي أَنَّهَا بَلَغَتْ مَبْلَغَ الْقَطْعِ وَالتَّوَاتُرِ، وَإِنَّمَا لَمْ يَكْفُرْ نَافِيهَا لِشُبْهَةِ الخِلَافِ، وَكَمَا لَا يَكْفُرُ مُنْكِرُ الْمُتَوَاتِرِ مِنَ الحَدِيثِ.

قوله: (**وَالأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى نُزُولِ الْبَسْمَلَةِ أَوَّل كُلِّ سُورَةٍ إِلَّا بَرَاءَة**) وهذه صححها أبو داود[(٣)]، والحاكم[(٤)] أيضًا صحح سنده، ووافَقَهُ الذهبي على ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال الهيثمي أيضًا: رواه البزار بإسنادين، رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح[(٥)]، فالحديث صحيح إن شاء الله.

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب ابن عبد منافٍ بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالبٍ، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي. ت [٢٠٤هـ]. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٨٨) والبزار (٢١٨٧ - زوائد)، والحاكم (١/ ٣٥٥) من طرق: حدثنا سفيان عن عمرٍو عن سعيد بن جبيرٍ قال قتيبة عن ابن عباسٍ موصولًا به. وأخرجه أبو داود في المراسيل (٣٦): عن أحمد المروزي، به، مرسلًا. وقال: قد أسند هذا الحديث، وهذا أصح.

(٣) سنن أبي داود (٧٨٨).

(٤) والحاكم (١/ ٣٥٥).

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفرائد (٢/ ١٠٩).

قوله: (**وَعِنْدِي أَنَّهَا بَلَغَتْ مَبْلَغَ الْقَطْعِ وَالتَّوَاتُرِ**) أي: -في مذهبه رَحِمَهُ اللَّهُ- أنها بلغت مبلغ القَطْع والتواتر -التواتر المعنوي- لَكِن بين الأئمة -سواء أئمة الفقه أو أئمة القرآن- خلاف كبير في البسملة(١) من حيث:

أولًا: الإسرار أو الجهر بها.

ثانيًا: قراءتها أَوَّل كل سورة؛ فبعض الأئمة يَرَى أنها واجبة الإثبات أول كل سورة، منهم الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، فلا يرى ترك البسملة أول كل سورة؛ لأنها عنده جزء من السورة، وبعض الأئمة يرى أن الإتيان بها سنة، وبعضهم يرى ألا يأتي بها أصلًا.

ثالثًا: لم يختلفوا أنها قد رُسِمَتْ أَوَّلَ كل سورة في مصحف الإمام، لذلك قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنها جزء من كل سورة، أخذًا من رسمها في مصحف الإمام أول كل سورة.

وفيها خلاف طويل، لا يَسَعُنَا أن نأتي به ها هنا.

قوله: (**وَإِنَّمَا لَمْ يَكْفُرْ نَافِيهَا لِشُبْهَةِ الخِلَافِ، وَكَمَا لَا يَكْفُرُ مُنْكِرُ الْمُتَوَاتِرِ مِنَ الحَدِيثِ**).

إذن: لا يكفر نافي البسملة مع أن الأمر المتواتر يَكْفُرُ نَافِيه وذلك لشبهة الخلاف.

وهنا أمران مهمان:

الأمر الأول: يجب أن نعلم أن هناك أمرًا متواترًا معلومًا عند كافة الناس، فهذا مَنْ يَرُدّه فهو كافر قطعًا، فمن يَرُدّ الصلاة أو الأذان، ومن يقول: إنَّ الأذان

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٠١-١١٦)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٠).

ليس من شعائر الإسلام، فهو كافر قطعًا، مع أن الأذان ليس بواجب، لكن لأنه نقل هذا كل أهل عصر عن من فوقهم إلى عصر الصحابة ﵃، فكيف يُرد مثل هذا وهو شعيرة من شعائر الإسلام؟ فيكفر راد مِثْل هذه الشعائر، لا يَكْفُرُ لأنها متواترة فَقَط، بل يكفر لأنه رَدّ المتواتر الذي هو مِنْ نَقْلِ الكافَّة عن الكافة، فإذا كان المتواتر مِنْ نقل الكافة عن الكافة، فإنه يكفر راده، وهذا مهم، أي: لا يكفر راد كل متواتر.

ومَنْ أَنْكَرَ المُتَواتر، أي: -الَّذِي لَيْسَ مِنْ نَقْلِ الكافة عن الكافة -وعنده تأويل سَائِغ فِي إنكاره، فإنَّ هَذَا لا يكفر قَطْعًا إن شاء الله.

الأمر الآخر: إذا أنكر متواترًا علميًّا لا يعرفه إلا العلماء فقط فلا يكفر، ومثاله: رفع اليدين في الركوع، والرفع منه، هو أمر متواتر، ليس التواتر اللَّفْظي وإنما هو تَوَاتر معنوي؛ لأن هناك تَوَاتُرًا لفظيًّا وهو قليل، مثل: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». وهناك من الأحكام ما وردت فيه أحاديث متواترة تواترًا معنويًّا مثل: رفع اليدين في الركوع، والرفع منه، فقد روي من نحو مائة وجه، وقد قال الخطيب البغدادي ﵀:

«وأما التواتر من طريق المعنى: فهو أن يروي جماعةٌ كثيرون يقع العلم بخبرهم كل واحدٍ منهم حكمًا غير الذي يرويه صاحبه إلا أن الجميع يتضمن معنًى واحدًا فيكون ذلك المعنى بمنزلة ما تواتر به الخبر لفظًا.

مثال ذلك: ما روى جماعةٌ كثيرةٌ عمل الصحابة بخبر الواحد والأحكام مختلفةٌ والأحاديث متغايرةٌ، ولكن جميعها يتضمن العمل بخبر الواحد العدل»[1].

(١) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (١/ ٢٧٧).

فمثل هذا لا يكفر راده؛ لأن هذا المتواتر تَوَاتَرَ تَوَاتُرًا علميًّا بنقل العلماء وليس بنقل كافة الناس إلى رسول الله ﷺ، إنما لم يكفر نافيها لشبهة الخلاف الكبير الواقع بين الأئمة رحمهم الله، والذي بَيَّنْت طرفًا منه آنفًا.

قوله: (وَكَمَا لَا يَكْفُرُ مُنْكِرُ الْمُتَوَاتِرِ مِنَ الحَدِيثِ)، السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا عمَّمَ الحكم، وهذا العُمُوم يحتاج إلى تخصيص وقد بينته.

وَيَلْحَقُ بِهَذَا النَّوْعِ: الآيَاتُ الَّتِي كُرِّرَتْ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ؛ كَالْقَصَصِ وَالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي.

يلحق بهذا النوع -أي: ما تَكَرَّرَ نزوله- الآيات التي كُرِّرَتْ فِي مَعْنى واحد، كالقصص، لكنها ما كررت في معنى واحد أبدًا، إنما جاءت متكررة في كتاب الله لمعانٍ كثيرة، فقول السيوطي: (**كُرِّرَتْ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ**) غَيْر دَقِيق في نظري والله أعلم؛ لأن القصص كررت لمعانٍ جليلة عظيمة، وليست لمعنى واحد، إنما كُرِّرَ أصل القصة فقط، فقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون كُرِّرَت في مواضع كثيرة في أصل القصة، لكن كل قصة فيها إضافات، سواء كانت إضافات قرآنية لفظية أو إضافات معنوية جديدة، فهي إضافات مهمة، فلا يقال: إنَّ هذا القصص كُرِّرَ في معنى واحد. وكذلك الأوامر والنواهي، جاء الأمر والنهي في آيات كثيرة، وقد يُكَرّر هذا الأمر والنهي ليس لمعنى واحد ولكن لمعانٍ عديدة.

وَفَائِدَتُهُ: التَّأْكِيدُ، وَلِتَجْدِيدِ الأَمْرِ فِي الْقُلُوبِ وَقْعٌ.

قوله: (**التَّأْكِيدُ**) يعني: على المعنى المطلوب في الأوامر والنواهي، (**وَلِتَجْدِيدِ الأَمْرِ فِي الْقُلُوبِ**)، كأن تأتي آية -مثلًا- قبل عشر سنوات في أمر من الأوامر، ثم تنزل بعد عشر سنوات آية تماثلها لتجديد الأمر في القلوب وتأكيده، والله أعلم.

النوع الثامن عشر والتاسع عشر
ما نزل مفرقًا وما نزل جمعًا

هَـذَانِ النَّوْعَـانِ مِـنْ زِيَـادَتِي. يعنـي: مـن زيـادات المؤلـف رَحِمَهُ اللَّهُ علـى كتـاب البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ. والأَوَّلُ كَثِيرٌ؛ لأَنَّهُ غَالِبُ الْقُرْآنِ، وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي السُّوَرِ الْقِصَارِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ٢] أَوَّل مَا نَزَلَ مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. هذا بنص حديث عائشة في الصحيح، عِنْدَمَا ضَمّ جبريـل عليـه الـصلاة والـسلام رسـول الله ﷺ تلك الضَّمَّة النورانية، فقـال لـه: (اقْـرَأْ)، ثـم قـال لـه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلى أن قال: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

وَالضُّحَى؛ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْهَا إِلَى: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾(٢).

هذا بعد فترة الوحي، حيث أتته امرأة فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد تركك! واهتم لذلك رسول ﷺ، قيل: إنَّ تِلْكَ الفترة كانت أربعين يومًا، في أقل الأقـوال، وقيل: إنَّهَا ثلاث سـنوات في أكثـر الأقـوال، ولكـن لـيس هنـاك قـول -والله أعلـم- محدد في تلك الفترة، لكني أَمِيلُ إلى أنها كانت فترة قـصيرة لا تبلـغ ثـلاث سـنوات والله أعلم، فَنَزَلَتْ هذه السورة تُسَلِّي رسـول الله ﷺ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الـضحى: ٢] أي: وَمَا قَلَاكَ، وإنما تركت الكاف لأجل الفاصلة كما سيأتي إن شاء الله.

وَفِي حَدِيثٍ: أَنَّ ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ نَزَلَتْ وَحْدَهَا.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠): عن عائشة أم المـؤمنين أنهـا قالـت: أول مـا بـدئ بـه رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم... الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٣) ومسلم (١٧٩٧) عن الأسود بن قيسٍ، قال: سمعت جندبًا، يقول: «اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلةً - أو ليلتين - فأتته امـرأةٌ، فقالـت: يـا محمـد! مـا أرى شـيطانك إلا قـد تركـك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣].

هذا الحديث رواه الطَّبَرَانِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في المعجم الكبير[١]، والأوسط[٢]، أن رسول الله ﷺ قال: «**عُرِضَ عَلَيَّ ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرَّنِي ذلك**»، فنزلت هذه الآية[٣].

هذا تعليم وتربية من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم الشريف ﷺ، عُرِضَ عَلَيْهِ ما هو مفتوح لأمته بعده، فَسَرَّهُ ذَلِكَ ﷺ، ولكن الله تبارك وتعالى عَلّمَهُ بأن ما في الآخرة له ﷺ ولأمَّتِهِ خير له من الأولى؛ أي: من الدنيا وما فيها. وإسناد الطَّبَرَاني في الكبير حسن، أما في الأوسط فهو ضعيف.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] نَزَلَتْ وَحْدَهَا، وَكَذَلِكَ سُورَةُ اللَّيْلِ غَالِبُ آيَاتِهَا نَزَلَتْ مُفَرَّقَةً.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَمِنْهُ الأَنْعَامُ، إِنْ صَحَّ الحَدِيثُ السَّابِقُ فِيهَا.

ذكرنا قبل ذلك أن السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ جَزَمَ بِصِحَّتِهِ في الإتقان، وإنما قال ذلك هنا، لأنه لم يُؤَلّف الإتقان إلا بعد زمان من تأليف هذا الكتاب، لَكِنَّه جزم في الإتقان بصحة الحديث المروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأن [الأنعام] نزلت جملة[٤]، عدا المستثنيات التسع التي ذكرناها قبل ذلك مرارًا.

---

(١) الكبير (٢/ ١٧٣).

(٢) الأوسط (١/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٧٩) وفي الكبير (٢/ ١٧٣) والضياء في المختارة (١٢/ ٣٤٥).
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٩): وإسناد الكبير حسنٌ. وقال العلامة الألباني في الصحيحة (٢٧٩٠): هذا الإسناد حسن عندي.

(٤) سبق تخريجه.

وَمِنْهُ سُورَةُ الصَّفِّ، فَفِي المُسْتَدْرَكِ[(١)] وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الأَعْمَالِ أَحَبّ إِلَى اللهِ عَمِلْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الصف: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَكَذَا[(٢)]. وفي رواية أخرى: قرأها مِنْ أوَّلها إلى آخِرِهَا، وهذا نَصّ صَرِيح في الرِّوَايَةِ الثانية يفيد أن هذه السورة نزَلَتْ مجموعة في سياق واحد.

وَمِنْهُ المُرْسَلَاتُ[(٣)]. يعْنِي: مما نزل مجموعًا، وليس مُفَرّقًا سورة المرْسَلات. فَفِي المُسْتَدْرَكِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَارٍ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] فَأَخَذْتُهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ رَطْبٌ بِهَا، فَلَا أَدْرِي بِأَيِّهَا خُتِمَتْ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] أَوْ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨][(٤)].

سورة المرسلات مَكِّيَّة قديمة، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٧٨-٢٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٠٩) والدارمي في السنن (٢٤٣٥) والحاكم (٢/ ٧٨-٢٤٨) والضياء في المختارة (٩/ ٤٣٧) والبيهقي في الشعب (٦/ ٧٩): عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ... الحديث. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٣٠): عن عبد الله رضي الله عنه، قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غارٍ بمنًى، إذ نزل عليه: والمرسلات، وإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطبٌ بها، إذ وثبت علينا حيةٌ، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها»، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرها».

(٤) المستدرك (٢/ ٢٧٥): وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح. قلت: الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٣٠).

يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٨-٥٠] إنما قال ابن مسعود رضي الله عنه ذلك؛ لأنه مما نزل قديمًا على رسول الله ﷺ، وكانوا في مكة، ومن دلائل ذلك أنهم كانوا في غار، ولَعَلّ ذلك في أيام اختبائهم حال تعليم رسول الله ﷺ للصحابة في الدعوة السّرّيّة، فابن مسعود رضي الله عنه من أوائل من أسلم. [والحديث صحيح، صححه الحاكم، وَوَافَقَهُ الذهبي رحمه الله].

وَمِنْهُ سُورَةُ الْعَصْرِ، وَالْكَوْثَرِ، والنَّصْر، وَتَبَّتْ، وَالإِخْلَاص، وَمِنْهُ الْفَاتِحَةُ خِلَافًا لمَا حُكِيَ عَنْ أَبِي اللَّيْثِ أَنَّهَا نَزَلَتْ نِصْفَيْنِ.

ذكرنا أن أبا الليث السمرقندي[1] قال: إنها نزلت نصفين، وليس لَهُ دَلِيل على ذلك، كما قال السيوطي أيضًا رحمه الله[2].

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ: سُورَتَانِ نَزَلَتَا مَعًا وَهُمَا المُعَوِّذَتَانِ [3]. وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

والحديث مشهور في المعوذتين وأنهما نَزَلَتَا مَعًا، وهو قوله: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين بقوله: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»[4]، ثم لما نزلت المعوذتان ترك رسول الله ﷺ ما كان يُعَوِّذُهُمَا به، وأخذ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَين كما هو معلوم.

---

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث السمرقندي، إمام الهدى. له «تفسير القرآن» وكتاب «النوازل» في الفقه و«خزانة الأكمل» و«تنبيه الغافلين» وكتاب «بستان العارفين». توفي ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. انظر: تاج التراجم، لابن قطلوبغا (٣١٠)، وطبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٤٦).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي «بحر العلوم» (١/ ١٥) قال: ويقال: نصفها نزل بمكة، ونصفها نزل بالمدينة.

(٣) أخرجه مسلم (٨١٤): عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آياتٍ أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس».

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٧١): عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما... به.

النوع العشرون: كيفية النزول

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَفِيه مَسَائِلُ:

الأولى: فِي نُزُولِهِ مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ: رَوَى الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَنصُورٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَكَانَ اللهُ يُنَزِّلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بَعْضَهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ(١).

قال الحاكم رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، أي: على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ. فالحديث صحيح.

قوله: (أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] هذه الليلة هي ليلة القدر، أنزل الله ﷻ القرآن جملة واحدة، حيث فُصِلَ هذا الكتاب العظيم من اللوح المحفوظ، وأُنزِلَ إلى بيت العزة في السماء الدنيا -مكان يسمى: بيت العزة في السماء الدنيا سيأتي إن شاء الله هذا في الأحاديث التالية- فوُضِعَ هُنَالِكَ، ثم أُنْزِلَ بَعْدَ ذلك على حسب المواقع مُنَجَّمًا. هذا هو مواقع النجوم(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧٨)، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٨٥٢١)، وفي الأسماء والصفات (١/ ٥٧٢)، وفي الشعب (٢٠٥٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٩١) (١٢/ ٣٢) (١٢/ ٤٤) من طرق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٢-٦٦٧) والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٢) والنسائي في الكبرى (٧٩٣٧): عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال ابن كثير في فضائل القرآن (ص ٣٦): هذا إسناد صحيح.

والتنجيم[١]: هو التفريق، تقول: كَاتَبَ فُلَانٌ فُلَانًا تنجيمًا، وذلك في المكاتبة -مكاتبة العبيد- أي: أنه أدى إليه حَقَّه كي يحصل على حريته تنجيمًا، أي: تقسيطًا -كما نقول اليوم-، وتنجيم القرآن هو نزول كتاب الله تبارك وتعالى مُفَرَّقًا حسب الوقائع والحوادث والأسئلة، فإن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وغيرهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ أسئلة فَيَنْزِلُ القرآن مُجِيبًا عنها، وكانت الحوادث وأسباب النزول ترد فينزل القرآن مناسبًا لذلك، وكانت القصص تنزل تثبيتًا لفؤاد رسول الله ﷺ وتثبيتًا لأفئدة الصحابة، وغير ذلك من أسباب التفريق والتنجيم.

ومعنى مواقع النجوم: أي: موقع الحادثة أو السؤال الذي أدى إلى أن ينزل نَجْم من نجوم القرآن، أي: أن ينزل جزء من أجزاء القرآن، وبالمصطلح المعاصر أن ينزل قسط من أقساط القرآن إلى السماء الدنيا، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض بحسب الوقائع والحوادث.

وَرَوَى الحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِشْرِينَ سَنَةً[٢].

هذا الحديث رواه الإمام الحاكم[٣]، والبيهقي[٤]، ورواه النسائي أيضًا[٥].

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٧٠).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٢) وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: صحيح.

(٣) المستدرك (٢/ ٢٤٢): وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: صحيح.

(٤) البيهقي في الكبرى (٤/ ٥٠٤). رقم (٨٥٢١).

(٥) النسائي في الكبرى (١١٦٥٢).

ورواية الإمام النسائي هي أوضح الروايات. فعند النسائي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَكَانَ اللهُ ﷻ يُنَزِّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ، قَالُوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وتتمة رواية الحاكم بعد قوله: بعشرين سنة: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

هذا هو سبب من أسباب المدة الطويلة لتنجيم القرآن؛ ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، حتى يتفهمه الناس ويحفظوه.

أما قوله: (**ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِشْرِينَ سَنَةً**) سبق أن ذكرت أن بعض العلماء يرى أن القرآن نزل في عشرين سنة اعتمادًا على مثل هذه الأحاديث.

لكن الأصح -إن شاء الله تعالى- أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة.

وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ حَسَّانَ بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا[١].

(**فُصِلَ الْقُرْآنُ**) من اللوح المحفوظ (**فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا**).

وكل هذه الأحاديث التي سبقت أحاديث صحيحة؛ صححها الحاكم،

---

(١) سبق تخريجه.

ووافقه الإمام الذهبي.

وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُجَالِدِ عَنْ مِقْسَم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَطِيَّةُ بْنُ الأَسْوَدِ فَقَالَ: أَوْقَعَ فِي قَلْبِي الشَّكَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. وَهَذَا نَزَلَ فِي شَوَّالٍ، وَذَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ إِلَى آخِرِهِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ أُنْزِلَ فِي رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ تَرْتِيلًا فِي الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ(١).

قوله: (سَأَلَهُ عَطِيَّةُ بْنُ الأَسْوَدِ فَقَالَ: أَوْقَعَ فِي قَلْبِي الشَّكَّ).

عَطِيَّةُ بْنُ الأَسْوَدِ(٢) وهو أحد التابعين رَحِمَهُ اللَّهُ أشكل عليه هذه التنزّلات، حتى وقع في قلبه الشك، فسأل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأَخْبَرَهُ بأنه نزل في ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك مُفَرَّقًا، وسيأتي مزيد كلام حول هذا.

يقول الإمام الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): هذا الحديث رواه الطبراني وفيه سَعْد بن طريف(٤) وهو متروك. فالحديث ضعيف.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٣١٠)، وابن جرير في التفسير (٣/ ١٩١)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٩١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٤): عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.
قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١٦): رواه الطبراني، وفيه سعد بن طريفٍ، وهو متروكٌ.

(٢) انظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٧/ ٩).

(٣) مجمع الزوائد (٦/ ٣١٦).

(٤) سعد بن طريف الإسكاف، الحذاء، الحنظلي، الكوفي. قال الحافظ: متروك، ورماه ابن حبان بالوضع، وكان رافضيًا. قال الذهبي: واه، ضعفوه، شيعي. انظر: المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥٧).

وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ[١].

هذا الحديث فيه أحَد الرواة المُخْتَلَف في ضَعْفِهِمْ، وهو عمران بن دَاوَر القطان[٢]؛ فوثقه الإمام أحمد، وبعضهم يضعفه، والحافظ رَحِمَهُ اللهُ عنده رأي وسط، حيث يقول: هو صدوق يَهِم[٣]؛ أي: يُخْطِئُ أَحْيَانًا. فالحَدِيث فيه ضعف يسير.

قَالَ الفَخْرُ الرَّازِي[٤]: وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةِ قَدْرٍ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى إِنْزَالِهِ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا. وَتَوَقَّفَ هَلْ هَذَا أَوْلَى أَوِ الأَوَّلُ؟

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٤) والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣١٧) وفي الشعب (٣/ ٥٢١) وفي الأسماء والصفات (١/ ٥٦٨) والطبراني في الأوسط (٤/ ١١١) وابن أبي عاصم في الأوائل (٩٤) وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ١٠٨-٣١٠-) (٢/ ٥٨٧-٥٨٨) وفي (٤/ ١٠٩٠-١١٣٨-١١٤٧-١١٤٩) وفي (٥/ ١٤٢٣-١٥٨٢) وفي (٧/ ٢٠٩٩) وفي (٨/ ٢٠١٦): عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ. وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٧): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقاتٌ. وانظر: السلسلة الصحيحة (١٥٧٥).

(٢) عمران بن داور العمي، أبو العوام القطان البصري. انظر: تهذيب الكمال (٤٤٨٩).

(٣) التقريب (٥١٥٤).

(٤) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري. الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص١١٥) والأعلام، للزركلي (٦/ ٣١٣).

هنا وقع اختلاف بين الأئمة رحمهم الله:

وهو: هل نَزَلَ القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ؟ أم أنه نزل في كل ليلةِ قدرٍ من كل سنة ما يحتاجه الناس في السنة كلها، على خلاف بين الأئمة رحمهم الله.

ثم يقول: (**وَتَوَقَّفَ، هَلْ هَذَا أَوْلَى أَوِ الأَوَّلُ؟**) وتوقف -أي: الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ- هل هذا القول أولى أو الأول؟

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ[1]: وَهَذَا الَّذِي جَعَلَهُ احْتِمَالًا نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ[2].

وَحُكِيَ الإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: وَيُوَافِقُ قَوْلَ الرَّازِي وَمُقَاتِلٍ مَا تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: آخِرُ الْقُرْآنِ عَهْدًا بِالْعَرْشِ آيَةُ الرِّبَا وَآيَةُ الدَّيْنِ[3].

وابن الشِّهَاب هو الزُّهْرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فالحديث مرسل لأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ النَّبِيَّ ﷺ، أو هو مقطوع عليه، ومثل هذا لا يقال باجتهاد، فَالأَثَرُ عَلَى هذا ضعيف مَا لم يأت شَيْء يُعَضِّدُه ويُقَوِّيه. ثم إنَّ المشهور بين الأئمة رحمهم الله جميعًا هو أن القرآن قد نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، أمَّا مَا يُعَارِضهُ مِنْ أَثَرِ ابْنِ شهاب هذا فَيَحتاج إلى النظر فيه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٠٢).

(٢) مقاتل بن حيان بن دوال دور أبو بسطام النبطي. قال الحافظ: صدوق فاضل. وقال الذهبي: ثقة عالم صالح. انظر تقريب التهذيب (ص٥٤٤).

(٣) هذا الأثر أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص٣٦٩) عن ابن شهابٍ، قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدين.

الثَّانِيَةُ: فِي قَدْرِ مَا كَانَ يَنْزِلُ مِنْهُ.

المسألة الأولى: في نزوله من اللوح المحفوظ جملة إلى السماء الدنيا.

والمسألة الثانية: (فِي قَدْرِ مَا كَانَ يَنْزِلُ مِنْهُ) كم كان ينزل منه من السماء الدنيا إلى الأرض في كل مرة؟

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ مِنْ طَرِيقِ وَكِيعٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ لَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ جِبْرِيلَ خَمْسًا خَمْسًا. ثُمَّ رَوَى مِثْلَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي خَلْدَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ عُمَرَ، وَلَفْظُهُ: فَإِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَنْزِلُ بِالْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ خَمْسًا خَمْسًا، قَالَ: وَرِوَايَةُ وَكِيعٍ أَصَحُّ[1].

هنا مسألة حديثية، وهي: (تَعَارُضُ الْوَصْلِ وَالْإِرْسَالِ)[2]، إذا تعارض حديثان: أحدهما روي موصولًا، والآخر رُوِيَ مُرْسلًا، فهَلْ نَأْخُذُ برواية الوصل أم نأخذ برواية الإرْسَالِ؟

في الحديث هنا: خالد بن دينار أبو خلدة رَحِمَهُ اللهُ قال[3]: قال لنا أبو العالية -

---

(١) هذا الحديث اختلف في وصله وإرساله: فرواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٣١٩) والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٤٦ ح ١٨٠٧) والخطيب البغدادي في التاريخ (١٣/ ٢٨٨): عن علي بن بكار، عن أبي خلدة، عن أبي العالية قال: قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تعلموا القرآن خمسًا خمسًا.. الحديث». وخالفه: (وكيع، ومسلم بن إبراهيم) فروياه عن خالد بن دينار، عن أبي العالية، قال: تعلموا القرآن خمس آياتٍ خمس آياتٍ، فإن رسول الله ﷺ كان يأخذه خمسًا خمسًا. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٩٣٠) والبيهقي في الشعب (١٨٠٦) من رواية وكيع: وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٩) من رواية مسلم بن إبراهيم. قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: «خالف وكيعًا في رفعه إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورواية وكيع أصح». قال ابن أبي حاتم في العلل (١٧٤٩): قال أبو زرعة: أبو نعيم رواه عن أبي خلدة، عن أبي العالية، لم يذكر فيه عمر، وهو الصحيح.

(٢) انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (١/ ٢١٤).

(٣) خالد بن دينار التميمي السعدي، أبو خلدة البصري الخياط. قال الحافظ: صدوق. وقال الذهبي: وثقوه. وانظر: تهذيب الكمال (١٦٠٦).

وهو رفيع بن مهران أحد كبار التابعين[١]-: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ جِبْرِيلَ خَمْسًا خَمْسًا».

وأبو العالية لم يَرَ النبي ﷺ ولم يجتمع به، فهذا حديث مرسل.

ثم يقول الإمام السيوطي: روى مثله البيهقي في «شعب الإيمان»[٢] بكيفية أخرى وهي الوصل، عن طريق أبي خلدة نفسه، عن أبي العالية، ولكن أبو العالية قال: قال عمر رضي الله عنه؛ فهنا الحديث موصول ليس فيه إرسال، فهل نأخذ برواية الوصل أو برواية الإرسال؟

نقول: إذا كانت رواية الوصل صَحِيحَةً لا شيء فيها فنأخذ برواية الوصل ونَحْمِلُ الإرسال عليها، لكن رواية الوصل هنا غير صَحِيحة؛ لأنه من غير المعروف أن أبا العالية قد رَوَى هذا عن عمر رضي الله عنه، فإن المشهور بين المحدثين أن أبا العالية قد أرْسَل هذا إرسالًا عن النبي ﷺ، وقد روى البيهقي وصله من طريق عمر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، لكن رواية الإرسال أصح[٣]، فلم يأخذ الأئمة برواية الوصل هنا، فيبقى الحديث على ضعفه بالإرسال، ولذلك قَالَ: (**وَرِوَايَةُ وَكِيعٍ أَصَحُّ**)؛ لأنها هي المعروفة عند المحدثين.

قُلْتُ: وَهُنَاكَ شَاهِدٌ عَنْ عَلِيٍّ سَيَأْتِي فِي المُسَلْسَلِ. هناك نوع يُسَمَّى: المسلسل -سيأتي- ولم أجده هنالك، لعله غفل عنه رحمه الله. وهذا الشاهد ضَعِيف أيضًا، ومعنى قوله: له شاهد عن علي، أي: له رواية، وقَدْ فُسِّرَ الشاهد

---

(١) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري. قال الحافظ: ثقة كثير الإرسال. وانظر: تهذيب الكمال (١٩٢٢).

(٢) والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٤٦ح ١٨٠٧).

(٣) صححها البيهقي، وأبو زرعة الرازي كما سبق.

قبل ذلك والمتابعة في مكان آخر[(١)]، لكن الشاهد المقصود به نَصُّ حديث أو نص أثَرٍ يَعْضُد ويَشْهَد للرواية الأخرى أو للأثر الآخر أو للنص الآخر، فالشاهد هنا ضعيف[(٢)].

وَفِي النَّفْسِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ شَيْءٌ، وَالَّذِي أَسْتَقْرِئُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَغَيْرِهَا أَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى حَسَبِ الحَاجَةِ خَمْسًا وَعَشْرًا وَأَكْثَرَ وَأَقَلَّ، وَآيَةً وَآيَتَيْنِ، وَقَدْ صَحَّ نُزُولُ قِصَّةِ الإِفْكِ جُمْلَةً وَهِيَ عَشْرُ آيَاتٍ، وَنُزُولُ بَعْضِ آيَةٍ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَفِي النَّفْسِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ شَيْءٌ**) يعني: في نزول القرآن خمسًا خمسًا، لأنه قد صح نزول قصة الإفك كاملة[(٣)]، وقد سبق هذا، وهي عشر آيات.

---

(١) انظر: تدريب الراوي، للسيوطي (١/ ٢٨١).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٨٠) رقم (٢٢١١): عن أبي الفضل بزيع بن عبيد بن بزيع البزار المقرئ، قال: قرأت على سليمان بن موسى، فأخذ علي خمسًا يعقده بيده، ثم قال: حسبك، فقلت: زدني. فقال: قرأت على سليم بن عيسى، فأخذ علي خمسًا خمسًا، فقال لي: حسبك، فقلت: زدني، فقال: قرأت على حمزة بن حبيبٍ الزيات، فأخذ علي خمسًا، فقال لي: حسبك، فقلت: زدني، فقال: قرأت على سليمان الأعمش، فأخذ علي خمسًا، فقال لي: حسبك، فقلت: زدني، فقال: قرأت على يحيى بن وثابٍ فأخذ علي خمسًا، ثم قال: حسبك، فقلت: زدني، فقال: إني قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي فأخذ علي خمسًا، ثم قال لي: حسبك، فقلت: زدني، فقال لي: قرأت على علي ابن أبي طالبٍ أمير المؤمنين فأخذ علي خمسًا، ثم قال لي: «حسبك» فقلت: يا أمير المؤمنين زدني، فقال لي: «حسبك هكذا أنزل خمسًا خمسًا، ومن حفظ خمسًا خمسًا لم ينسه إلا سورة الأنعام، فإنها نزلت جملةً في ألفٍ يشيعها من كل سماءٍ سبعون ملكًا حتى أدوها إلى النبي ﷺ، ما قرئت على عليلٍ قط إلا شفاه الله تعالى» قال البيهقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وهذا إن صح إسناده فكأنه خرج من كل سماءٍ سبعون ملكًا، والباقي من الملائكة الذين هم فوق السماوات السبع، وفي إسناده من لا يعرف، والله أعلم». وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات (٧٨) وقال الذهبي في الميزان (١/ ٣٠٨): موضوع.

(٣) سبق تخريجه.

ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد صح نزول بعض آية، فقد أخرج البخاري: عن ابن شهابٍ، قال: حدثني سهل بن سعدٍ الساعدي، أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابتٍ أخبره: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فجاءه ابن أم مكتومٍ وهو يملها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، «فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾(١).

فهذا يُحْمَل على غالب ما نزل من القرآن، أنه نزل خمسًا خمسًا، ثُمّ للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ توجيه آخر قاله في الإتقان(٢) -يُحَلّ به هذا الإشكال إن شاء الله-: (لعل القرآن كان يُلقى إلى رسول الله ﷺ خمسًا ثم خمسًا ثم خمسًا)، أي: يُقرئُه جبريل خمس آيات، ثم بعد أن يفرغ منها يقرئه خمس آيات أخرى على حسب الحاجة، فالقصة التي نزلت عشر آيات -مثلًا- جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أقرأ النبي الخمس الآيات الأولى، ثم بعد ذلك أقرأه الخمس المتبقية.

وأقول: ولعَلّهُ -أيضًا- يُحْمَل عَلَى غَالِب نزول القرآن؛ وأنه كان ينزل

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٦). قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن علي قال: أنزل القرآن خمسًا خمسًا إلا سورة الأنعام ومن حفظ خمسًا خمسًا لم ينسه.

والجواب أن معناه – إن صح – إلقاؤه إلى النبي ﷺ بهذا القدر حتى يحفظه ثم يلقي إليه الباقي لا إنزاله بهذا القدر خاصة، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضا عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمسًا خمسًا.

خمسًا خمسًا، حتى لا نضرب الآثار بعضها ببعض، بل نَجْمَع قَدْر المستطاع بَيْنَ الآثار وبَيْنَ كلام الأئمة، فإن أَثَرَ أبي العالية أثر صحيح؛ وأبو العالية لم يأت بهذا من عنده، بل أتى به من عند الصحابة رضي الله عنهم، فلا بد أن نوفِّق بين هذه الآثار كلها فنقول: يُحمل على غالب النزول، أو كما قال السيوطي رحمه الله يُحْمَل عَلَى مَا كان جبريل عليه الصلاة والسلام يُقْرِئ رَسُول الله ﷺ، فإنه كان يُقرئُهُ خَمْسَ آيات، فإذا فرغ منها ووَعَاهَا رَسُول الله ﷺ أَقْرَأه خمسًا أخرى، والله أعلم.

الثَّالِثَةُ: كَيْفِيَّةُ الإِنْزَالِ وَالْوَحْيِ. قَالَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ الْكَافِيَجِي[١] وَقَبْلَهُ الطِّيبِيّ: لَعَلَّ نُزُولَ الْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَلَقَّفَهُ المَلَكُ مِنَ اللهِ تَلَقُّفًا رُوحَانِيًّا أَوْ يَحْفَظهُ مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ فَيَنْزِلُ بِهِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ ويُلْقِيهِ عَلَيْهِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ لِلْوَحْيِ كَيْفِيَّاتٍ.

هذه مسألة كان الإعراض عنها أفضل من المجيء بها، وهي: كيف أخذ جبريل القرآن من الله تبارك وتعالى؟ هل سمعه منه سماعًا أم أخذه من اللوح المحفوظ؟ هل تَلَقَّفَه تلقّفًا رُوحانيًّا، أي: قُذف في قلبه القرآن، فأتى به إلى النبي ﷺ؟[٢].

---

(١) قال السيوطي في حسن المحاضرة (١/ ٥٤٩): الكافيجي شيخنا العلامة محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الإمام المحقق، علامة الوقت، أستاذ الدنيا في المعقولات.

(٢) وعقيدة أهل السنة في هذا ما ذكره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية (١١٥): ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

هذه مسائل غيبية، لكن الذي نذهب إليه وهو الصحيح -إن شاء الله- وهو مذهب أهل السنة قاطبة: أن جبريل قد سمعه بلفظه من الله تبارك وتعالى؛ لأن الله يتكلم كيف شاء ومتى شاء وبما شاء ﷻ، لا يرده أحد ولا يحدّه أحد ﷻ، والمسألة فيها كلام طويل، وما يُعرف بالكلام النفسي، والكلام اللفظي، ومسألة الحرف والصوت، وهي مسألة في العقائد مشهورة ومعروفة، وفيها خلاف كبير[1]، لكن الصحيح -إن شاء الله تعالى- وهو الحق: أن جبريل قد سمعه من الحق تبارك وتعالى بلفظه، وأدَّاه كما سمعه إلى رسول الله ﷺ، فجبريل رسول، والرسول يبلغ، ليس له أن يُنشئ، وليس له أن يخترع كيفية من كيفيات لفظ الوحي، وليس له أن ينطق بألفاظ على خلاف مراد الله تبارك وتعالى.

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**إذا أَرَادَ اللهُ أن يُوحِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلّم بالْوَحْيِ، فإِذَا تَكَلّم بِالوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءَ رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ خَوْفِ اللهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلُهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ أَهْلُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: الحَقّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ حَيْثُ أُمِرَ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[2].

فقوله ﷺ: (**فَيَكُونُ أَوَّلُهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ**)

---

(١) وانظر في ذلك كله: شرح ابن عثيمين على العقيدة الواسطية (٢/ ٩٣ وما بعدها).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٣٠٨) وأبو داود في السنن (٤٧٣٨)، عبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٦-٥٣٧) ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٨) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٠-٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤) وابن حبان في صحيحه (٣٧) عن عبد الله رضي الله عنه.

في هَذَا دليل على تَقْوِيَة ما ذَهَبَ إليه العلماء الذين قالُوا بأنَّ جِبْرِيلَ سَمِعَهُ من الله تَبَارَكَ وتَعَالى.

ومن أراد التفصيل في هذا فليرجع إلى تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية وغيرها.

وفي روايات أُخَر أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى إذا تكلم بالوحي سَمِعَ أهل السماوات صَوْتًا عظيمًا كأنه سلسلة على صفوان[1] -السِّلْسِلة إذا جُرَّت على صفوان (وهو حجر أملس) تُخرج صوتًا هائلًا- فيسمع أهل السماوات ذلك الصوت، والله تبارك وتعالى يتكلم كَمَا شاء، كيف شاء، بما شاء، فالأقْرَب -والله أعلم- أن جبريل قد سمعه من الله تبارك وتعالى.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (**وقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ لِلْوَحْيِ كَيْفِيَّات**)، وهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى.

إِحْدَاهَا: أَنْ يَأْتِيَهُ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ. رواه البخاري في صحيحه: عن الحارث بن هشام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ** -يعني: التأثير قوي جدًّا على رسول الله ﷺ، والصوت عظيم، فيَغْشَى رسول الله ﷺ من الثِّقَل ما يغشاه بأبي هو وأمي ﷺ ويتأثر جدًّا، وكان رسول الله ﷺ يُصِيبُهُ التعب والإعياء في حالة الوحي كما قال ﷺ: **فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢).

الثَّانِيَة: أَنْ يَنْفُثَ فِي رُوعِهِ الْكَلَامَ نَفْثًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا»[١].

(النَّفْثُ) بين النَّفْخ والتَّفل[٢]، يعني: أن يكون مع الهواء بعض الريق. وجمهور القراء قرأ (القدُس) بِضَمِّ الدال، وابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ قرأها بإسكان الدال (القدْس)، (والرُّوع) بضم الراء[٣]: هو النفْس والقلب، وقيل: هو العقل، أي: كل ما يُقْذَف دَاخِلكَ، فتقول: قُذِفَ في رُوعي كذا، يعني: أُلهِمْتُ كذا، أما الرَّوْع بفتح الراء فهو الفزع الذي يصيب الناس.

قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ[٤]، وعفير بن معدان[٥]: ضعيف عند المحدثين. لكن معنى الحديث صحيح بلا شك؛ لأن رسول الله ﷺ كان يُقذف في قَلْبِهِ من المعاني الشيء الكثير، فكان يُعبر عنها ﷺ بلفظه، وهو السنة، فنقول: إن السنة وحي من الله قد يَتَنَزَّل بِهِ جِبْرِيل، وقد يُقذف في رُوعِهِ ﷺ فيتكَلّم، وهذا كثير في أحاديث رسول الله ﷺ، أن يسأل فيُقذف في قلبه ﷺ فيجيب مباشرة، فالحديث وإن كان ضعيفًا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣٣٢) والبيهقي في الشعب (٩٨٩١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥): من طرق عن عبد الله بن مسعودٍ، عن النبي ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٢٨٦٦).

(٢) انظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلام (١/ ٢٨٩)، لسان العرب (٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: لسان العرب (٨/ ١٣٥).

(٤) مجمع الزوائد (٤/ ٧٢).

(٥) عفير بن معدان، أبو عائذ، الحضرمي، ويقال: اليحصبي. قال الحافظ: ضعيف. وقال الذهبي: ضعفوه. مات سنة (١٦٨هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣٩٦٥).

لكن المعنى صحيح وقوي.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَأْتِيَهُ فَيُكَلِّمَهُ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَنْ يَسْمَعُ الصَّوْتَ فَيَكُونُ بِذَلِكَ نَبِيًّا، وَإِنَّ جِبْرِيلَ يَأْتِينِي فَيُكَلِّمُنِي كَمَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ فَيُكَلِّمُهُ»[١].

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِمَّا فِي الْيَقَظَةِ -كَمَا فِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ- أَوْ فِي النَّوْمِ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟... الحديث[٢].

قوله: (**أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِمَّا فِي الْيَقَظَةِ -كَمَا فِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ-**) فقد كلم الله تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﷺ في ليلة الإسراء، كما هو معلوم[٣].

وقوله: (**أَوْ فِي النَّوْمِ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟**). هذا الحديث مشهور من حديث ابن عباس وغيره: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ -قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي المَنَامِ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا،

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٩٦٨) وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٧١) وابن عساكر في التاريخ (١٦/ ١٦٨): عن ابن عباسٍ عن النبي ﷺ، قال: كان من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون بذلك نبيًا، وكان منهم من يرى في المنام فيكون بذلك نبيًا، وكان من نعب في أذنه وقلبه فيكون بذلك نبيًا، وإن جبريل يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدكم صاحبه فيكلمه. وقال ابن عدي: ولخالد هذا أحاديث غير ما ذكرته، وفي بعض أحاديثه إنكار، وعامة ما ينكر من حديثه قد ذكرته على أن يحيى بن معين قد وثقه، وأرجو أن ما ينكر من حديثه إنما هو وهم منه أو خطأ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣) وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ١٢٦) وأحمد في المسند (٢٢١٠٩) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٨٣) والآجري في الشريعة (١٠٣٩) وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٩) وعبد ابن حميد في المنتخب (٦٨٢) وأبو يعلى في المسند (٢٠٦٨). وانظر: صحيح الترغيب (١/ ١٠٨).

(٣) سبق تخريجه.

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ. أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الكَفَّارَاتِ...» إلى آخر الحديث المشهور الذي أَخْرَجَهُ الترمذي[١]، وهو حديث فيه كلام طويل.

الخَامِسَةُ: أَنْ يَأْتِيهِ المَلَكُ فِي النَّوْمِ. وَفِي الصَّحِيحِ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ[٢].

قَالَ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ[٣]: وَعَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وُكِّلَ بِهِ إِسْرَافِيلُ فَكَانَ يَتَرَاءَى لَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَيَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ وَالْوَحْيِ، ثُمَّ وُكِّلَ بِهِ جِبْرِيلُ فَجَاءَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ[٤]، قَالَ: فَهَذِهِ حَالَةٌ سَادِسَةٌ.

يقول: إن المَلَكَ يَأْتِيهِ في النوم فيخبره، وقَدْ مَرَّ علينا قبل ذلك في مبحث سابق أن هناك سورة نزلت حال نوم رسول ﷺ، وهي سورة الكوثر[٥]، وقد ذكرت قَبْلَ ذلك أن بعض العلماء مَنَع الوحي القرآني في حالة النوم، وقلت: إنه لا مانع من هذا إن شاء الله، فَكُلّه وَحْي، ولا ينطق عن الهوى ﷺ.

أما الذي يتكلم عنه هنا: فهو جميع أنواع الوحي؛ الوحي القرآني وغيره.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، حسنه ابن رجب وصنف فيه كتابًا مطبوعًا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس، الحافظ، الأديب، فتح الدين، أبو الفتح ابن الفقيه أبي عمرو ابن الحافظ أبي بكر اليعمري الأندلسي الأشبيلي ثم المصري، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة. وانظر: طبقات الشافعية (٩/ ٢٦٩)، شذرات الذهب (٨/ ١٨٩).

(٤) أخرجه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (١/ ١٧٠) عن الشعبي: «أخبرت أن إسرافيل تراءى له ثلاث سنين ﷺ. وهو ضعيف مرسل.

(٥) سبق تخريجه.

يقول: (**وَفِي الصَّحِيحِ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ**)[١]، وهذ في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الحالة السادسة: هي التي أخبر عنها ابن سيد الناس، وابن سيد الناس مشهور بهذا اللقب، وله كتاب في السيرة معروف مشهور[٢].

يقول: (**وُكِّلَ بِهِ إِسْرَافِيلُ، فَكَانَ يَتَرَاءَى لَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَيَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ وَالْوَحْيِ، ثُمَّ وُكِّلَ بِهِ جِبْرِيلُ فَجَاءَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ**)، كان إسرافيل يأتيه في أول ثلاث سنين، ثم بعد ذلك كان يأتيه جبريل، وهذا مخالف لما في الأحاديث الصحيحة، أن رسول الله ﷺ قد تلقى الوحي القرآني أول بعثته الشريفة ﷺ بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ إلى آخر الآيات.

وهو حديث ضعيف؛ لأنَّ الشَّعْبِيَّ[٣] تابعي أرسل الحديث، ويعارضه أحاديث أخرى صحيحة، بل في أعلى درجات الصحة.

وَأَمَّا إِتْيَانُ المَلَكِ، فَتَارَةً كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[٤]، وَتَارَةً فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) اسمه «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» مطبوع.

(٣) الشعبي عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبارٍ. قال الحافظ: ثقة مشهور فقيه فاضل. وقال الذهبي: أحد الأعلام. وانظر: تهذيب الكمال (٣٠٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٤): عن ابن مسعودٍ: أنه «رأى جبريل، له ستمائة جناحٍ».

(٥) أخرجه النسائي (٤٩٩١) وإسحاق بن راهويه في المسند (١٦٥) والبزار في البحر الزخار (٩/ ٤١٩) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٧٨): عن أبي هريرة، وأبي ذرٍ، قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيء الغريب... الحديث. وأصله في الصحيحين بدون قوله: «في صورة دحية».

ودِحْيَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١]: قد أرسله النبي ﷺ إلى عظيم بُصْرَى؛ ليوصِلَ رسالته إلى هرقل، وهي قصة مشهورة[٢]، وقد صادف وصول الرسالة وجُود أبي سفيان بن حرب قبل إسلامه، وهي قصة مَشْهُورَة مَعْرُوفة، وفيها أَنَّ هِرَقْل سَأَلَهُ عَنْ رسول الله ﷺ أسئلة كثيرة، وكان أبو سفيان يَوَدّ لَوْ أنه يستطيع أن يُحَرِّف بعض ما يقوله عن رسول الله ﷺ، أو أن يكذب في مَقَالِهِ عن رسول الله ﷺ، تقليلًا من شأن رسول الله ﷺ، لكنه لم يَسْتَطِع لوجود قومه معه.

ودحية كان جميل الوجه، وجرير أيضًا كان جميلًا.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ رَجُلٌ لِعَوَانَةَ بنِ الحَكَمِ: أَجْمَلُ النَّاسِ: جَرِيْرُ بنُ عَبْدِاللهِ البَجَلِيُّ، فَقَالَ: بَلْ أَجْمَلُ النَّاسِ مَنْ نَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَى صُوْرَتِهِ -يَعْنِي: دِحْيَةَ... ثم قال: وَلَا رَيْبَ أَنَّ دِحْيَةَ كَانَ أَجْمَلَ الصَّحَابَةِ المَوْجُودِيْنَ بِالمَدِيْنَةِ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، فَلِذَا كَانَ جِبْرِيْلُ رُبَّمَا نَزَلَ فِي صُوْرَتِهِ.

فَأَمَّا جَرِيْرٌ فَإِنَّمَا وَفَدَ إِلَى المَدِيْنَةِ قَبْلَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَلِيْلٍ[٣].

وذلك، لأن الملائكة فيهم جمال في الصورة، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي في صورة أجْمَل صحابي كان في ذلك الزمان في المدينة وهو دحية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ودحية تأخرت وفاته إلى زمن معاوية رضي الله عنه وأرضاه؛ أي: بعد

---

(١) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي. أرسله النبي ﷺ بكتابه إلى قيصر. صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وقيل: أحد، ولم يشهد بدرًا، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل على صورته، جاء ذلك من حديث أم سلمة، ومن حديث عائشة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٢٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعودٍ، أن عبدالله ابن عباسٍ، أخبره أن أبا سفيان بن حربٍ أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركبٍ من قريشٍ... الحديث.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٤).

الأربعين من هجرة رسول الله ﷺ، لأن عام الجماعة كان بعد الأربعين، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان خليفة عشرين سنة، وكان أميرًا قبلها عشرين سنة، وعندما يقال: زمن معاوية؛ أي: زمن خلافة معاوية وليس زمن إمرته(١).

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي الأَحْرُفِ الَّتِي وَرَدَ الحَدِيثُ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ بِهَا، وَالْكَلَامُ فِي ذَلِكَ فِي مَسَائِلَ:

الأُولَى: فِي بَيَانِ الحَدِيثِ..

أي: نزول القرآن على سبعة أحرف، والحديث تَكَلَّم فيه كثير من الأئمة، وأشْكَلَ عَلَى بَعْضٍ مِنْهم، بل عَدَّ بعضهم هذ الحديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله تبارك وتعالى، فلم يتكَلّمُوا فِيهِ بشيء، فوقف عنده كثير مِنَ الأئمة؛ لِغُمُوضِ مَعْنَاه عندهم، وسيأتي الآن بنصه، وكلام الأئمة فيه.

فَرَوَى الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَصَبَرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقلت: كَذَبْتَ، فانْطَلَقْتُ بِهِ أقودُهُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا. فَقَالَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَؤُهَا، فَقَالَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ(٢).

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حربٍ الأموي، أمير المؤمنين. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٩٢) وفي (٥٠٤١) وفي (٦٩٣٦) وفي (٧٥٥٠) ومسلم (٨١٨).

هذه القصة دارت بين رجلين قُرَشِيَّيْن هما: هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ، وعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما، وفي الحديث رَدّ قَوِيّ على مَنْ يقول بأن الأحرف السبعة هي اختلاف لهَجَات القبائل، وسيأتي إن شاء الله التفصيل.

فمن يزعم أنَّ الأَحْرُفَ السبعة هي اختلاف لهجات القبائل فإن هذا الحديث يَرُدّ عَلَيْهِ؛ لأن هشامًا رضي الله عنه -وهو قرشي- قد قَرَأَ قراءة لم يعرفها عمر رضي الله عنه وهو قرشي أيضًا، ولسان قريش واحد، ولهجة قريش واحدة، فلا يقال بأن المراد بالأحرف السبعة هو اختلاف لهجات القبائل فقط، ويُسْكَت على هذا، بل يُضاف إليه ما سيأتي إن شاء الله.

وفي هذا دلالة على قوة عمر رضي الله عنه في الحق، حيث يقول: (**فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ**) أي: أواثبه في الصلاة، (**فَلَبَّبْتُهُ بردائه**)، التَّلْبِيب: هو أن يأخذ بِمَجْمع ردائه من جهة عنقه فيجره، أو أن يأتي بشيء فيضعه حول عنقه ويجره[1].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[2].

هذا أيضًا رواه البخاري رحمه الله، وقال المؤلف: (روي) اختصارًا، وهذا أيضًا من الأدلة التي يُرد بها على الذين يقولون في قوله: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»: إن السَّبْعَةَ غَير مُرَادَة؛ لأن العرب تَعَوَّدُوا على إطلاق السَّبْعَة، فيقولون: سبعة، وسبعين، وسبعمائة؛ إرادة التكثير، مستدلين بقول اللهِ تبارك وتعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢١٩)، ومسلم (٨١٩).

٨٠] فالسبعين هنا ليست مُرادة، إنما أريد التكثير، وهذا كثير ووارد في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وفي الآثار. لَكِنَّ هَذَا الحَدِيثَ السبعة فيه مرادة ومقصودة، بدليل قوله: «**فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أستزيده ويَزِيدُنِي حتى انتهى إلى سبعة**»، فالسَّبْعَة هنا مرادة بنص هذا الحديث.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أُبَيٍّ: إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأ القُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِليَّ أَنِ اقْرَأْ عَلَى حَرَفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيّ أَنِ اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ(١).

وفي هذا أيضًا دليل على أن السبعة مُرادة.

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ عِنْدَ النَّسَائِي أَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، وَكُلُّ حَرْفٍ كَافٍ شَافٍ(٢).

(**وفي لفظ عنه عِنْدَ النَّسَائِي**)؛ أي: عَنْ أُبَيّ.

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، فَقَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقُلْتُ: خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ(٣).

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ: فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا(٤).

وَفِي لَفْظٍ لأَبِي دَاوُدَ عَنْهُ: لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ، قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢٠).

(٢) أخرجه النسائي في السنن (٩٤١) عن أنسٍ، عن أبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) تفسير ابن جرير (١/ ٣٦): عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٨٢١): عن ابن أبي ليلى، عن أبي بن كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَكِيمًا مَا لَمْ تَخْلِطْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ[(١)].

وَفِي لَفْظِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، فِيهِمُ الشَّيْخُ الْفَانِي، وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ، وَالْغُلَامُ، فَقَالَ: مُرْهُمْ فَلْيَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[(٢)].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: قَدْ تَوَاتَرَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا عَلَى الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ[(٣)].

فقد حكم أبو عبيد القاسم بن سَلَّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتواتر هذا الحديث وهو: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف**». فَبَيْنَ هذه الروايات كُلّها تواتر لفظي، بِإِنْزَال القرآن على سبعة أحرف.

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِهَذَا اللَّفْظِ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ، وَزَادَ: «فَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ عَلَى حَرْفٍ فَلْيَقْرَأْ كَمَا عُلِّمَ وَلَا يَرْجِعْ عَنْهُ»[(٤)].

وَفِي لَفْظٍ لَهُ: «فَلَا يَتَحَوَّلْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ»[(٥)].

قوله: (**وَفِي لَفْظٍ لَهُ**)؛ أي: لأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا، وَكِلَا اللَّفْظَيْنِ صَحِيح إن شاء الله، فهذه الأحاديث الآتية كلها أحاديث صحيحة إن شاء الله.

وَفِي لَفْظٍ لَهُ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ: «كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ»[(٦)]. وهذا أيضًا حديث صحيح.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (١٤٧٧): عن سليمان بن صردٍ الخزاعي، عن أبي بن كعبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جامع الترمذي (٢٩٤٤): عن زر بن حبيشٍ، عن أبي بن كعبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فضائل القرآن، لأبي عبيد (ص ٣٣٩).

(٤) مسند أحمد (٢٣٢٧٣): عن ربعي بن حراشٍ قال: حدثني من لم يكذبني- يعني: حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-. وإسناده ضعيف، فيه إبراهيم بن مهاجر: قال الحافظ: صدوق لين الحديث، ولم يتابع عليه.

(٥) قال عبد الله بن أحمد في المسند (٢٣٢٧٣): قال أبي: وقال ابن مهدي: «إن من أمتك الضعيف، فمن قرأ على حرفٍ فلا يتحول منه إلى غيره رغبةً عنه». ويقال فيه ما قيل في سابقه.

(٦) مسند أحمد (٢٠٤٢٥): عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وفيه علي بن زيد بن جدعان.

وَزَادَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ: «كَقَوْلِكَ: هَلُمَّ وَتَعَالَ»(١). وهو صحيح أيضًا.

وَفِي لَفْظٍ لأَحْمَدَ عَنْ أُمِّ أَيُّوبَ: «أَيَّها قَرَأْتَ أَجْزَأَكَ»(٢). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ الْكِتَابُ الأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، زَاجِرٌ وَآمِرٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ. فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» ثُمَّ رَوَاهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا(٣).

قوله: (**ثُمَّ رَوَاهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا**)، أي: على ابن مسعود رضي الله عنه، والموقوف(٤) هو كلام الصحابي، وقد يَحتمل أن يكون من كلام رسول الله ﷺ فيكون موقوفًا له حكم الرَّفْع، وقد لا يحتمل ذلك فيكون موقوفًا على الصحابي الذي رواه.

---

(١) ابن جرير الطبري في مقدمة «تفسيره» (١/ ٣٨) من طريق زيد بن الحباب، وزاد الطبري في آخره: «كقولك: هلم وتعال».

(٢) مسند أحمد (٢٧٤٤٣) وفي (٢٧٦٢٣): عن أم أيوب.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٩) وفي (٢/ ٣١٧) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٦) وابن حبان في صحيحه (٧٤٥) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ١١٥) والآجري في الأربعين (٩) عن عبد الله ابن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعًا. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وخالفه الذهبي فقال: منقطع. وروي موقوفًا: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٥) والنسائي في الكبرى (٧٩٣٠) والشاشي في مسنده (٨٨١) وعمر بن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠٠٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ١٠٨): عن فلفلة بن عبد الله الجعفي قال: قال عبد الله وهو ابن مسعودٍ: «نزلت الكتب من بابٍ واحدٍ، ونزل القرآن من سبعة أبوابٍ على سبعة أحرفٍ». وفيه فلفلة الجعفي؛ قال الحافظ: مقبول؛ يعني: إذا توبع. وإلا فلين، ولا متابع. وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٤١): وروي عن ابن مسعودٍ من كلامه، وهو أشبه، والله أعلم.

(٤) انظر: نزهة النظر (١٣٩).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا أَشْبَهُ[١]. أي: الموقوف أشبه، وهذا الموقوف حسن عن ابن مسعود، أما المروي مرفوعًا عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ فمنقطع ضعيف، لذلك قال ابن كثير: وهذا أشبه، أي: المَوْقُوف أقْرب إلى الحسن وإلى الصحة إن شاء الله.

وَرُوِّينَا حَدِيثَ السَّبْعَةِ الأَحْرُفِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِ مَنْ تَقَدَّمَ، وَهُمْ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَمُعَاذٌ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ، وَسَمُرَةُ، وَأَنَسٌ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، وَأَبُو جُهَيْمٍ، وَأَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ الخُزَاعِيّ.

يرى النووي أن الأصح في لفظة (رُوِّينَا) أن تكون بتشديد الواو مكسورة.

هذا الحديث رواه واحد وعشرون من الصحابة بألفاظ مختلفة؛ لذلك قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: قَدْ تَوَاتَرَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا عَلَى الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ[٢].

وَفِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى أَنَّ عُثْمَانَ قَالَ عَلَى المِنْبَرِ: أُذَكِّرُ اللهَ رَجُلًا سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: «إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ» لمَّا قَامَ - أي: لِيَقُمْ كُل مَنْ سَمِع النبي ﷺ يقول ذلك- **فَقَامُوا حَتَّى لَمْ يُحصَوْا فَشَهِدُوا بِذَلِكَ، فَقَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ مَعَهُمْ**[٣].

---

(١) التفسير (١/ ٤١).

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد (ص ٣٣٩).

(٣) أخرجه أبو يعلى في الكبير كما في المقصد العلي (٣/ ١٢٠) والحافظ في المطالب العالية (١٤/ ٣٣٨) والبوصيري في الإتحاف (٦/ ٣٢١): حدثنا موسى، حدثنا روح بن عبادة القيسي، حدثنا عوف ابن أبي جميلة، عن أبي المنهال، قال: بلغنا أن عثمان رضي الله عنه قال يومًا وهو على المنبر: أذكر الله رجلًا النبي ﷺ... فذكره. أخرجه الهيثمي في بغية الباحث (٧٢٧): حدثنا هوذة، ثنا عوفٌ قال: بلغني أن عثمان قال على المنبر: مثله. وقال الهيثمي في المجمع (١١٥٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه راوٍ لم يسم.

قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ: رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه راوٍ لم يُسَمَّ[١]؛ لأن أبا يعلى لَهُ مُسْنَدَان: المسند الصغير والمسند الكبير.

يعني: هذا الراوي مجهول، وهذا المجْهُول قد يكون ثقة، وقد يكون ضعيفًا، وقد يكون وسطًا، وقد يكون غير ذلك؛ فلا نعلم حاله؛ لذلك احتاط المحدثون رحمهم الله، فإذا كان في الإسناد رجل مجهول فإنهم يُضَعِّفون الحَديثَ بذلك ولا يقبلونه.

وَقَدْ نَصَّ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٢].

في الحديث السابق: «**فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ**. وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ: **فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا**. وَفِي لَفْظٍ لأَبِي دَاوُدَ عَنْهُ: **لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ، قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا، عَزِيزًا حَكِيمًا، مَا لَمْ تَخْلِطْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ**»[٣] وهو حديث صحيح.

ثم هل المراد أن تقرأ القرآن بهذه الكيفية: عزيزًا حكيمًا، سميعًا عليمًا كما شئت؟

الجواب: للعلماء في ذلك توجيهان:

التوجيه الأول: أن هذا كان قبل استقرار القرآن في النفوس وانتشاره بين الناس، فكان يصعب على الناس ضبط هذه الألفاظ، فتشتبه عليهم جدًّا، فقيل لهم في أول الأمر: إذا قرأت سميعًا عليمًا، عزيزًا حكيمًا، ما لم تخلط آية رحمة

(١) مجمع الزوائد (١١٥٧٨).

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد (ص ٣٣٩).

(٣) سبق تخريجه وتحرير ألفاظه.

بعذاب وآية عذاب برحمة فَلَا بأس بها. وهذا أمر يحتمل، ولَيْسَ هناك نص بتفسير هذا عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الصحابة أو من التابعين رضي الله عنهم، إنما هو فَهْمٌ لِلْعُلَمَاءِ فَهِمُوهُ من هذا الحديث.

التوجيه الثاني: أنه لا يَجُوز لنا أن نخلط (سميعًا عليمًا)، بـ(عليمًا حكيمًا) بـ(عزيزًا حكيمًا)، إلا في الخطأ، أي: اخلط سميعًا عليمًا، بعزيزًا حكيمًا؛ إن كان على سبيل الخطأ، لكن لا تخلط آية رحمة بعذاب، وآية عذاب برحمة، حتى لا تفسد المعنى الذي من أجله نزلت هذه الآيات، فتجعل الرحمة عذابًا وتجعل العذاب رحمة. فهذا كان رخصة -كما سيأتي من كلام الطحاوي رحمه الله- في بداية الأمر، لكنه قد نُسخ ذلك كله بعد، واستقر الأمر على ما أنشأه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف عثمان رضي الله عنه، المصحف الإمام، وانتشر في الأمصار، وسيأتي تفصيل لذلك.

وهنا لا بد أن أُعلق على بعض الأحاديث التي قد يُفْهَم منها شيء غير ظاهرها، وقد استمسك المستشرقون[1] بمثل هذه الأحاديث وقالوا: حتى القرآن يُروى بالمعنى! فكيف تقولون: إنه لا يجوز أن يُبدل حرف من كتاب الله، وأنَّ مَنْ بَدَّل حرفًا فهو كافر... ؟!

نقول لهم: هَذَا غير صحيح؛ لأَنَّ الأمة قد أَجْمَعَتْ على أنه لا يجوز إبدال

(١) استشرق: استشرق يستشرق، استشراقًا، فهو مستشرق:
● استشرق الأوربي: اهتم بالشرق والدراسات الشرقية.
مستشرق [مفرد]:
١ - اسم فاعل من استشرق.
٢ - من يهتم من الأوربيين بالدراسات الشرقية. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١١٩٣).

لفظة بأخرى على الإطلاق، وإنما كان ذلك رُخْصَةً لبعض الضعاف الذين لا يقدرون أن يضبطوا في بداية الأمر، والله أعلم.

ثم إن رواية الإمام أحمد بعد ذلك: «**فمن قَرَأَ مِنْهُمْ عَلَى حَرْفٍ فَلْيَقْرَأْ كَمَا عُلِّم وَلَا يَرْجِعْ عَنْهُ**»(١)، أي: إذا سمعت أخاك يقرأ بغير الحرف الذي تقرأ به - وكان ذلك في أيام النبوة الأولى- فَلَا تَرْجِعْ عن لَفْظِكَ إلى لفظه، بل كلٌّ يقرأ بالحرف الذي عُلِّمَهُ، لِيَقْرَأْ كُلٌّ كَمَا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أو كما علمه كبار الصحابة أن يقرأ، ولا يرجع عنه إلى قراءة غيره.

وفي لفظ: «**لا يتحول منه إلى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ**»(٢)، بل يَسْتَمِر بالحرف الذي أقرأه إياه رسول الله ﷺ.

أما حديث ابن مسعود: «**كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وَعَلَى حَرْف واحِد، وَنَزَلَ القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف...**»(٣) فالمقصود به شيء مختلف تمامًا عن المقصود بالأحرف السَّبْعَة. ومراد ابن مسعود رضي الله عنه أن القران نزل على سبعة أصناف، وسبع طرق، وسبعة مناهج، ولا يقصد بهذه السبعة الأحرف السبعة الواردة في حديث رسول الله ﷺ، إنما يتكَلَّم ابن مسعود على موضوع يَخْتَلِف تمامًا عن موضوعنا، يقول: إن القرآن نزل على سبعة أصناف، وذكرها رضي الله عنه بقوله: «**زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحْكَم ومتشابه...**» إلى آخر ما ذكر، فهذه أصناف كتاب الله تبارك وتعالى، بدليل قوله في آخر الأثر: «**انتهوا عَمّا نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعْمَلوا بِمُحْكَمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا:**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق قريبًا.

آمنا به كُلّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا».

الثَّانِيَةُ: اخْتُلِفَ فِي المَقْصُودِ بِهَذِهِ السَّبْعَةِ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِينَ قَوْلًا، وَأَنَا أَذْكُرُ مِنْهَا مَا هُوَ أَوْجَهُ وَأَشْبَهُ: فَقَالَ خَلْقٌ، مِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَابْنُ جَرِيرٍ..

أي: المرادة في حديث رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ أُنْـزِلَ عَلَـى سَـبْعَةِ أَحْرُفٍ**»(١) هذا الحديث متواتر عن رسول الله ﷺ، كَمَا حَكَمَ بِذَلِكَ الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)، فاختلفوا في المراد من هذه السبعة، فبعض الناس يقول: هي لُغَات ولهجات من لهجات العرب، وبعضهم يقول: هي القراءات السبع، وبعضهم يقول: هي أمثال وأحكام ومُحْكَم ومُتَشَابِه... إلخ.

والحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يبين ما هي هذه السَّبْعَة على التعيين في هذه المسألة الثانية، فيقول: (**أنا أذكر منها ما هو أوجه وأشبه**)؛ لأن كثيرًا من العلماء ذكروا فيها أقوالًا بعيدة جِدًّا عَنِ المُرَاد. والأقوال القريبة هي قولان أو ثلاثة فقط، فعلى طالب العلم أن يَتَنَبَّه إلى ذلك، وأن يَفْهَمَ قول الإمام: (أنا أذكر منها ما هو أوجه وأشبه)؛ أي: أشبه بمراد الله تبارك وتعالى ومراد رسوله ﷺ، إذ لا يَعرف مُرَادَهما أحد على الحقيقة، ولا يعرف المراد من هذا الحديث أحد على الحقيقة.

قال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْمُخْتَارُ عِنْدَي أَنَّهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يُدْرَى تَأْوِيلُهُ**)(٣). أي: الذي لا يَعْرِفُ مَعْنَاه.

(١) سبق تخريجه.

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد (ص ٣٣٩).

(٣) سنن النسائي، حاشية السيوطي (٢/ ١٥١).

وذَكَرَ في الإتقان نحوًا من أربعين قوْلًا محرَّرَة مختصرة، نقل خمسًا وثلاثين منها مِنْ نَقْلِ ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ، وأضاف عليها خمْسَة أخرى موجودة في الإتقان مَنْ أرَادَهَا فليراجعها(١).

قوله: (**فَقَالَ خَلْقٌ، مِنْهُمْ**)، أي: مِنَ العلماء، منهم سفيان(٢)، ومنهم ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

وَنَسَبَهُ بَعْضُهُمْ لأَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ المُرَادَ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ مِنَ المَعَانِي المُتَقَارِبَةِ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، نَحْوُ: أَقْبِلْ، وَتَعَالَ، وَهَلُمَّ... كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ أَبِي بَكْرَةَ. وَرُوِيَ عَنْ أُبَيٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣] (لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْهِلُونَا) (لِلَّذِينَ آمَنُوا أَخِّرُونَا) (لِلَّذِين آمَنُوا ارْقبُونَا)، وَكَانَ يَقْرَأُ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] (مَرُّوا فِيهِ) (سَعَوْا فِيهِ).

الذي يقول هنا: إنها أَحْرُف متقاربة في المعاني فقط ويسكت لم يُصِبْ كبد الحقيقة، لأنه يقول: مثل: [هلم، وتعال، وأقبل]، نَعَم، كثير من القراءات على هذا المنوال: هلم، وتعال، وأقبل، كأنك تقول للشخص: هلم، وهو اسم فعل أمر بمعنى تعال، أو تعال وأقبل(٤)، ولا فَرْقَ واضح بَيْنَ هذه الثلاثة، لكن هناك قراءات صحيحة تَخْتَلِفُ معانيها باختلاف ألفاظها واختلاف قراءتها، فَلَيْسَت

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ١٦٤).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٦٥٠).

القراءة كلها على هذه الوتيرة، وإن كان نسبة لا بأس بها على هذا المِنْوَال متقارِبَة المعاني.

وقوله: كَانَ أُبَيّ يَقْرَأ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣] (أمهلونا)، (ارقبونا) هذا يُحْمَل على أمرين اثنين مِنْ أُبَيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الأمر الأول: أن يكون قوله ذاك بمعنى التَّفْسير لهذا اللفظ أو لهذه الكلمة، وهذا الوجه بعيد؛ لأن هذه الكلمة لا تحتاج إلى تفسير، فهي واضحة، خاصةً في عهد أُبَيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر الثاني: أن يكون هذا الكلام وَصَلَ إليه قبل العرضة الأخيرة، فكان سائغًا -كما ذكرنا سابقًا- عند بعض العلماء أن يقرأ المسلمون بالمعاني المُتَقَارِبَة؛ تيسيرًا عليهم وتَذْلِيلًا للقرآن العظيم على أَلْسِنَتهم، فكان هذا جائزًا مسموحًا به قبل العرضة الأخيرة التي نُسِخَ فيها أمثال هذه كلها، ومصحف أُبَيّ من المصاحف التي أَمَرَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَرْقِهَا وعدم تداولها، واستقر الأمر على إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين في ذلك الزمان، وكانوا أكثر من اثني عشر ألفًا من المسلمين في المدينة النبوية المنورة، أجمعوا على مصحف الإمام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَيْسَ لقارئ بعد ذلك أن يقرأ بحرف خارج عنه. والله أعلم.

وكان يَقْرَأ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ (سَعَوْا فِيهِ)، (مَرّوا فِيهِ) إما أن يكون تقريبًا للألسنة، أو أن يكون ممَّا كَانَ مسموحًا به قبل العَرْضَةِ الأَخِيرَةِ التي نسخت هذا كله، والله أعلم.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ(١): وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ رُخْصَةً أَنْ يَقْرَأَ النَّاسُ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ، لِمَا كَانَ يَتَعَسَّرُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمُ التِّلَاوَةُ عَلَى لُغَةِ قُرَيْشٍ وَقِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْكِتَابَةِ وَالضَّبْطِ وَإِتْقَانِ الحِفْظِ، ثُمَّ نُسِخَ بِزَوَالِ الْعُذْرِ وَتَيَسُّرِ الْكِتَابَةِ وَالْحِفْظِ(٢). وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ(٣)، وَالْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيُّ.

هذا الكلام له وجه لو كان العرب مشتهرين في ذلك الزمان بالكتابة والضبط، فإن الشكل والضبط لم يصح وقوعه إلا في أواخر عهد علي رضي الله عنه، فالعرب لم يكن بينهم ضبط وكتابة يعتمدون عليها، نَعَمْ، كان هناك ضبط وكتابة، لكن أن يعتمدوا عَلَيْهَا في قراءة القرآن اعتمادًا كليًّا كما يقال ها هنا، بحيث إن الحفظ أو الكتابة والضبط قد تيسَّرَا لعموم المسلمين، فهذا كلام تنقضُه الحقيقة التاريخية؛ فإن الكتابة والضبط لم يَنْتِشَرا انتشارًا واسعًا إلا في أواخر الخلافة الراشدة أو بعدها، فهذا الكلام يَحْتَاجُ إلى تحرير.

والطحاوي مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِين الذين كانوا في القرن الرابع، وقد قال ذلك في «مشكل الآثار»؛ لأن هذا من الآثار المشكلة.

وَقَالَ آخَرُونَ: وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ، مِنْهَا سَبْعٌ بِلُغَةِ الْعَجُزِ مِنْ هَوَازِنَ(٤).

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، أبو جعفرٍ الأزدي الحجري المصري الطحاوي الفقيه الحنفي، المحدث الحافظ، أحد الأعلام. توفي سنة (٣٢١هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٧/ ٤٣٩).

(٢) مشكل الآثار (٨/ ١١٥).

(٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، الإمام أبو عمر النمري القرطبي العلم الحافظ، [المتوفى: ٤٦٣ هـ] محدث قرطبة. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٠/ ١٩٩).

(٤) أخرجه أبو عبيد القاسم في فضائل القرآن (ص٣٤٠): وأما الكلبي، فإنه يروى عنه، عن أبي صالح، =

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهُمْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَجُشَم، وَنَصْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَثَقِيفٌ، وَهُمْ أَفْصَحُ الْعَرَبِ. وَالْأُخْرَيَانِ: قُرَيْشٌ وَخُزَاعَةُ[1].

قوله: (**وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ، مِنْهَا سَبْعٌ بِلُغَةِ الْعجزِ مِنْ هَوَازِنَ**)، أي: عُليَا هوازن؛ لأَنَّ هوازن فيها قبائل: عُليا هَوَازِن، وسُفْلَى هوازن، والعجز: هو ما علا من كل شيء، حتى الإنسان، يقال: عجُز الإنسان، وهو ما يعلو من الإنسان في النظر ويطرف منه، فالعجز من هوازن هم عليا هوازن.

قوله: (**قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهُمْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَجُشَم، وَنَصْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَثَقِيفٌ، وَهُمْ أَفْصَحُ الْعَرَبِ. وَالْأُخْرَيَانِ: قُرَيْشٌ وَخُزَاعَةُ**) أي: أفصح العرب باستثناء قريش؛ لأن المعروف أن قريشًا هم أفصح العَرَب على الإطلاق، وكانت لهجتهم مِنْ أَيْسَر اللهجات وأجملها وأحسنها وَقْعًا في النفوس، لذلك نَزَلَ القرآن بلغة قريش؛ أي: نزل في معظمه بلغة قريش، لما فيها من سُهُولَة ويسر، وبُعْد عن مُسْتَقْبح اللهجات واللغات.

وَقَالَ الهَرَوِيُّ[2]**: المُرَادُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ؛ أَيْ: أَنَّهَا مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْقُرْآنِ، فَبَعْضُهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هَوَازِنَ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ.**

المراد بها سبع لغات، بعضه بلغة قريش، وهذا هو الأعظم الأغلب الأكثر في القرآن أنَّه نزل بلغة قريش، ونزل بلهجات عديد من القبائل غير قريش.

= عن ابن عباسٍ، قال: نزل القرآن على سبع لغاتٍ، منها خمسٌ بلغة العجز من هوازن.

(١) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص٣٤٠).

(٢) أحمد بن محمد بن علي، أبو بكر الهروي المقرئ الضرير. سكن دمشق. وتوفي بالقدس في ربيع الآخر [المتوفى: ٤٨٩ هـ]. قرأ على الأهوازي، وعاش اثنتين وثمانين سنة، وولد بهراة. وقد صنف في القراءات الثمان كتابًا سماه «التذكرة». قرأ عليه القراءات إبراهيم بن حمزة بن الجرجرائي، وغيره. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٠/ ٦٢٥).

(والهَـرَوِيُّ)، نسبة إلى هراة، وهي مدينة مشهورة في أفغانستان معروفة اليوم[١].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِهَا مَعَانِي الْأَحْكَامِ: كَالحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكُلّ ذَلِكَ ضَعِيفٌ مَا عَدَا الْأَوَّلَ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ. وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا اخْتِلَافُ الْقِرَاءَاتِ.

قوله: (**وَالصَّوَابُ**) هذا اختيار السيوطيّ رَحِمَهُ اللهُ (**أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا اخْتِلَافُ الْقِرَاءَاتِ**).

قوله: (**وَكُلُّ ذَلِكَ ضَعِيفٌ مَا عَدَا الأَوَّل**): وهو ما أشار إليه بقوله: فقال خلق منهم سفيان وابن جرير، ونسبه بعضهم لأكثر العلماء أن المراد سَبْعَة أوجه من المعاني المُتَقَارِبَة، يقول: هذا هو الأقرب.

ثم يقول: (**إِنَّ الْمُرَادَ بِهَا اخْتِلَافُ الْقِرَاءَاتِ**)، وسَيَأْتِي -إن شاء الله- تقرير المراد في نهاية هذا النوع.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَيْس الْمُرَادُ أَنَّ جَمِيعَهُ يُقْرَأُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُ عَلَى حَرْفٍ، وَبَعْضَهُ عَلَى آخَرَ[٢]. وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ[٣]، وَكَذَا قَالَ أَبُو عَمْرٍو

---

(١) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥/ ٣٩٦).

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم (ص٣٩٩) ونص كلامه: وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجهٍ، هذا شيءٌ غير موجودٍ، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغاتٍ متفرقةٍ في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلةٍ، والثاني بلغةٍ أخرى سوى الأولى، والثالث بلغةٍ أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة. وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعضٍ، وذلك يبين في أحاديث تترى.

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن غالب بن عطية المحاربي أبو محمد، فقيه حافظ محدث مشهور أديب نحوي شاعر بليغ. توفي سنة (٥٤٢هـ). انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس (١١٠٣).

الدَّانِيُّ: المُرَادُ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ وَأَنَّهَا مِنَ الْقِرَاءَاتِ. وَقَالَ قَوْمٌ: لَيْسَ المُرَادُ بِالسَّبْعَةِ الحَصْرَ فِيهَا بِحَيْثُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، بَلِ السَّعَةُ وَالتَّيْسِيرُ، وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي قِرَاءَتِهِ بِمَا أَذِنَ لَهُمْ فِيهِ، وَالْعَرَبُ يُطْلِقُونَ لَفْظَ السَّبْعَةِ، وَالسَّبْعِينَ، وَالسَّبْعِمِائَةِ وَلَا يُرِيدُونَ حَقِيقَةَ الْعَدَدِ، بَلِ التَّكْثِيرُ، وَرَدَّهُ ابْنُ الجَزَرِيِّ: بِأَنَّ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: فَنَظَرْتُ إِلَى مِيكَائِيلَ فَسَكَتَ.

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدِ انْتَهَتِ الْعِدَّةُ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ حَقِيقَةَ الْعَدَدِ وَانْحِصَارَهُ مُرَادٌ.

هَذَا الحديث مَرَّ عَلَيْنَا فِي تَوْجِيهِ قَوْلِ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ العَرَبَ عندما يقولون: سبعة، وسبعون، وسبعمائة لا يريدون حقيقة العدد، بل يريدون التكثير، وأتينا بالآثار وبالآيات الكريمات التي تُبَيِّن هذا، لكن يشوش على هذا التوجيه أن رواية من روايات الحديث: «**مَا زِلْتُ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حتَّى وقَفَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف**»[1]، فكلمة: (وَقَفَ عِنْدَ سبعة أحرف) بَيَّنَت أن المراد سبعة أوجه من القراءات لا تقل ولا تزيد.

قَالَ[2]: وَقَدْ تَتَبَّعْتُ صَحِيحَ الْقِرَاءَاتِ وَشَاذَّهَا وَضَعِيفَهَا وَمُنْكَرَهَا، فَإِذَا هُوَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ لَا تَخْرُجُ عَنْهَا:

هذا الكلام من هنا إلى آخر النوع تقريبًا كلام ابن الجزري منقول بنصه من كتاب «النشر في القراءات العشر»[3]، وهو كتاب مُهِمّ لطلبة العلم الذين يريدون التوسّع في هذا الباب؛ لأن ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ أورد مباحث القراءات في أوائل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) القائل هو ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ، وانظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٦) حيث قال: لا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيفٍ وثلاثين سنةً حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابًا إن شاء الله... إلخ.

(٣) وهو كتاب مطبوع، ومتداول.

الجزء الأول من كتابه، فهُوَ كتاب في جزأين.

يقول ابن الجزري: (وقد تتبَّعْتُ صَحِيحَ الْقِرَاءَاتِ) أي: لأجل أن يعرف معنى حديث رسول الله ﷺ، انظروا إلى العلماء كيف كانوا يجتهدون! وكيف كانوا يصبرون أنفسهم؟ وكيف كانوا يَتَتَبَّعون التتبع الناجم عن استقصاءٍ واستقراءٍ تام؟ حيث يقول: (ما زِلْتُ أُفَكِّرُ في هذا الحديث منذ نيف وثلاثين سنة)، أَكْثَر من ثلاثين سنة يُفَكّر في حديث واحد، ويجيل النظر فيه! وهذا يدل على سَعةِ عِلْمِ علمائنا وَشِدّة صبرهم على التحصيل وعلى طَلَبِ العلم ﷺ، بينما نحن اليوم لو بحثنا في مسألة أسبوعًا واحدًا لأصابنا الملل، ولأصابنا الإعْرَاض، لكن هذا الرجل يفكر في حديث واحد من أحاديث رسول الله ﷺ زيادة عن ثلاثين سنة، هكذا العلم وهكذا يَتَعَلَّم الإنسان ويُصْبِح عالمًا ربانيًّا، كانوا يصبرون على العلم ويصبرون على شدته وعلى لأوائه، واختلافه فيفكرون فيه، مِثْلَمَا فَعَلَ ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ، فيقول: (تَتَبَّعْتُ صَحِيحَ الْقِرَاءَاتِ وَشَاذَّهَا وَضَعِيفَهَا وَمُنْكَرَهَا) وسيأتي في النوع المقبل إن شاء الله، (فَإِذَا هُوَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ لَا تَخْرُجُ عَنْهَا).

١- وَذَلِكَ إِمَّا فِي الحَرَكَاتِ بِلَا تَغَيُّرٍ فِي المَعْنَى وَالصُّورَةِ، نَحْوُ: بِالْبُخْلِ، بِأَرْبَعَةٍ وَيُحْسَبُ بِوَجْهَيْنِ.

يُقرأ: (بالبُخْلِ) بضم الباء وسكون الخاء، ويُقْرَأُ: (بِالبَخَلِ) بفتح الباء والخاء[1] لأن المصحف الإمام العثماني مجرَّد من النقط والشكل، فيسوغ للقارئ إذن أن يقرأ: (بالبُخْلِ) ويسوغ له أن يقرأ: (بالبَخَل) في الوارد عن رسول

(١) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (٢٠٢).

الله ﷺ فقط، وإلا فإنه يَجُوز له أن يقرأ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فيجوز له أن يقرأ: بالبُخْـل، بالبُخَل، بالبُخُل، بالبَخْل، بالبَخَل، بالبِخِل، بالبَخِل... بِطَرَائِق كثيرة! لكن يُقَيّد ذلك بالوَارِد عن رسول الله ﷺ؛ لأن المستشرقين(١) قَدْ تمسكوا بأمثال هذه المرويات، وقالوا: يجوز لك أن تقرأ القرآن كما شئت؛ لأن القرآن كان مجردًا من النقط ومجردًا من الضبط والشكل على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد الخلفاء الراشدين، فكان المسلمون يقرؤونه كيف شاءوا! والدليل على ذلك اختلافه في القراءات! نقول: لا، لو كان يجوز لنا أن نقرأها كيفما شئنا وكيفما فهِمْنَاه من كتاب الله تبارك وتعالى مجرَّدًا مِنَ النَّقْطِ والضَّبْط لجازَ لَنَا أن نقرأ كلمة البخل هذه على عشرة أوجه مثلًا، وعلى أَكْثَرِ مِنْ عَشرة أوجه، لَكِنّا نقيد بالوارد عن رسول الله ﷺ: (بالبُخل) و(بالبَخَل) هذا هو المتواتر الصحيح، فلا يَجُوز لنا أن نتعدى ذلك فنقرأ بأكثر من هذه الأوجه كما قال المستشرقون! لأن المستشرقين كانوا يجْتَهِدون في التشويش على المسلمين، وأن يدخلوا عليهم ما اسْتَطاعوا في كتابهم بالإِفْسَاد والدغَل(٢)، وإظهار أنه كِتَاب محرَّف والعياذ بالله! هذه كانت أمنيتهم و هذا كان مرادهم، ولكن هيهات هيهات أن يثبتوا تحريف حرف واحِدٍ مِنْ كِتَابِ الله! فكِتَابُ الله محفوظ، ولَيْسَ لأحد أن يقرأ إلا كما أَقْرَأَ الناسَ رَسُولُ الله ﷺ، هذا لا بد أن يكون واضحًا في الأذهان.

فالوجه الأول: (تَغَيّر في الحركات) سيخرج رَحِمَهُ اللَّهُ بنتيجة لمعنى حديث

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) قال في لسان العرب (١١/ ٢٤٤): الدغل، بالتحريك: الفساد مثل الدخل. والدغل: دخل في الأمر مفسد.

رسول الله ﷺ: «**إن هذا القُرْآنَ أُنزِلَ على سبعة أحرف**»(١) أي: على سبعة أوجه، والحَرْفُ في كلام العَرَب هو الوَجْه، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١] أي: يعبد الله تبارك وتعالى على وَجْه واحِد من العبادة، وعلى طريقة واحدة من العبادة، فإن أصابه خير على وجهه هذا الذي يسير فيه قال: هذا من عند الله، وفرح به، وإن أصابَهُ شَرٌّ، أو بلاء في نفسه أو في أهله أو في ماله، قال: هذا مِنْ شُؤْمِ هَذَا الدِّين، فانْقَلَبَ على وجْهِهِ.

٢- أَوْ بِتَغَيُّرٍ فِي المَعْنَى فَقَطْ، نَحْوُ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾(٢)(٣).

أو بتغيّر في المعنى فقط، لكن الصورَة بَاقِيَة كما هي عليه كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] عندما عَصَى آدم ربه سبحانه وتعالى، التجأ إليه وخَضَعَ وخشع وذل واستكان بين يديه سبحانه وتعالى، فجازاه الله تبارك وتعالى بأن غَفَرَ لَهُ، أما إبليس فعندما عَصَى رَبه استكْبَرَ واعْتَرَضَ على أمر الله، فجازاه الله لعنة لعنها إياه إلى أن تقوم الساعة، وهو في الآخرة من الخاسرين، فطريق رحمة الله الخشوع والخضوع والذّل كما فَعَلَ آدم، فإذا عصيت -يا ابن آدم- فما عليك إلا أن تسارع بالخشوع والخضوع والذل بين يدي مولاك، فإن هذا هو الطريق الوحيد لعفو الله تبارك وتعالى، وهو الشَّرْطُ الثَّانِي من شروط التوبة، الذي هو النَّدَم على مَا كَانَ، وليس الندم بأنفة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البقرة: آية ٣٧.

(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٢٣٧).

وشَمَم ورفع أنف، إنما الندم باستكانة وخُضُوع وذلّة بين يدي مولاك سبحانه وتعالى، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] هذه الكلمات هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وهذا التَّلَقّي إلهام قَذَفَهُ الله تعالى في قلب عَبْدِهِ آدَم حتى يقوله بَعْدَ عِصْيَانِهِ.

وهناك قراءة أخرى صحيحة لا يَتَرتب عليها تَغَيُّر في الصورة، بل الكلمات باقية كما هي، لكن يَتَرَتَّب عليها تغير في المعنى وهي: (فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ) وهذه قراءة صحيحة متواترة عشرية أيضًا، والمعنى: جعل الله الكلمات هي التي تلقَّفَت آدم، فآدم حيران ما يدري ما يفعل بعد المعصية، وهذه حيرة المعصية، نسأل الله العافية! عصى الله تبارك وتعالى وبَدَتْ عوْرَتُهُ، نظر إليها بعد أن كانت مستورة، فحار لا يدري ما يصنع، فجاءت هذه الكلمات من رحمة الله تبارك وتعالى فتلقَّفَتْ آدم عليه الصلاة والسلام تلقُّفًا. ففي القراءة الأولى أن آدم أخذ الكلمات وأُلهمها، وفي القراءة الثانية المعْنَى تَغَيّر فجُعِلَتِ الكلمات هي التي تلقَّفَتْ آدم، وهي التي أخرجته من حيرَتِهِ فقالها، فنجا عليه الصلاة والسلام، فالتغيّر فِي المعنى فقط وليس في الصورة. وهذا هو الوَجْه الثَّاني من معنى حديث رسول الله ﷺ: «**إن هذا القرآن أنزل على سَبْعَةِ أحرف**»[1].

٣- وَإِمَّا فِي الحُرُوفِ بِتَغَيُّرِ المَعْنَى لَا الصُّورَةِ، نَحْوُ: (تَبْلُوا) (تَتْلُوا)[2]...

نحو: (هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت)، و﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠] فاخْتَلَفَ حَرْفٌ واحد فقط، والقِرَاءَتَانِ صَحِيحَتَان متواترتان، ومعنى

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: حجة القراءات (٣٣١).

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ أي: يَظْهَر مَا أسْلَفَتْ كُلّ نَفْس أمَامَ الخَلائِقِ جميعًا.

فالكَلِمَة بِدُونِ ضَبْط وبدون نَقْط يصح ويسوغ أن نقرأها (تَتْلُوا)، ويَصِحّ ويَسُوغُ أن نَقْرأها (تَبْلُوا). وكذلك يَصِحّ أن نقرأها (نتلوا) وأن نقرأها (نبلوا) لكن الوارد عن رسول الله ﷺ الصحيح هما هذان الوجهان فقط: (تتلوا) و(تبلوا).

٤- وَعَكْسُ ذَلِكَ، نحو (الصِّراط) (السِّرَاط)[1]... وعكس ذلك؛ أي: تَغَيّر في الصورة لا في المعنى، مثل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ **[الفاتحة: ٦]** بالصاد، و(**اهدنا السراط المستقيم**) بالسين، فمن قرأها بالسين فقد قَرَأَها على الأصل؛ لأن الأصل: سَرَطَ -بالسين- و(السراط) -بالسين-: الطريق. ومن قرأ بالصاد قَرَأَهَا على الرَّسْم؛ أي: لَوْ لم تكن هذه الكلمة مرْسُومة بالصاد لما استطعنا أن نقرأها بالصاد، لأننا لا نقرأ إلا بما هو أمام ناظِرَيْنَا من المصحف الشريف؛ لذلك كان مِنْ حِكْمَة الصحابة ﷺ أن كتبوها بالصاد؛ لِيَصِحَّ قراءة الوجهين؛ إذ عندهم عن النبي ﷺ وجهان في قراءة هذه الكلمة.

٥- أَوْ بِتَغَيُّرِهِمَا نَحْوُ: فَامْضُوا فَاسْعوا [الحجر: ٦٥]. أي: بتغير المعنى وتغير الصورة، وهَذِهِ قراءة شاذة؛ لأن الصورة العثمانية قد اختلفت، ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] فلا يجوز لنا أن نقرأها فامضوا إلى ذكر الله؛ لأنه ليس لنا مُسَوِّغ من مصحف عثمان ﷺ الذي أجْمَعَ

---

(١) انظر: حجة القراءات (٨٠)، الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٤).

عليه الصحابة الذين كانوا في ذلك الزمان وكبار التابعين معهم، فلم يَسُغ لنا أن نقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله)، ولا يصح أن نقرأها في الصلاة ولا أن نَتَعَبّد الله تبارك وتعالى بها؛ لأنها لم تُرْسَم في المُصْحَف العثماني إلا ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

وهذه القراءة كانت صَحِيحَة على أوَائِلِ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ ثم لما نَزَلَتِ العرْضَة الأخيرة نسخت كل هذا، فلم يعد سائغًا ولا جائزًا لنا أن نقرأ إلا ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وهو الذي أثبته الصحابة الكرام من غير نكِيرٍ منهم ولا اعتراض وصل إلينا أبدًا، فنقرأ بما أثبتوه في مصاحفهم رضي الله عنهم.

٦- وَإِمَّا فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، نَحْوُ: فَيَقْتُلُونَ، وَيُقْتلُونَ(١).

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] وفي قراءة (فيُقتلون ويَقتلون) فلم يتَغَيَّرِ المعْنَى ولم تتغير الصورة، إنما تغير الشكل فقط، أي: تَغَيّر التقديم والتأخير بِضَبْطِ وشكل الأحرف فقط. وقُدِّمَتْ (فيَقتلون) وأُخِّرَتْ (يُقتلون) وفي القراءة الثانية عُكِسَ الأمر؛ لحكمة لا يعلمها إلا الله، وقد يتأول لها علماء المعاني تأويلات(٢).

٧- أَوْ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ نَحْوُ: أَوْصَى وَوَصَّى(٣).

هذا أمر دندن حوله المستشرقون كثيرًا، وظَنوا أنهم قد خرجوا بفَوْز عظيم

---

(١) انظر: حجة القراءات (٣٢٥).

(٢) انظر: حجة القراءات (٣٢٥).

(٣) حجة القراءات (١١٥).

بقولنا: إن هناك زيادة ونقصانًا في بعض أحرف كتاب الله تبارك وتعالى، وقالوا: هذا كتابكم، أنتم تقولون بجواز الزِّيَادَةِ والنقصان في قراءات متواترة صحيحة وهذا كتابكم يشهد عليكم! وعلماؤكم يَشْهَدُون بذلك! فكيف تعيبون علينا أن في أناجيلنا المختلفة زيادة ونقصانًا وتحريفًا كثيرًا، وكتابكم لا يسلم من أصل ذلك ومن أصل الزيادة والنقصان؟!

نقول لهم: لقد تكلمتم كلامًا بغير طائل، وظننتم أنكم قد فزتم ولكنكم خَسِرتم وخبتم! فهذه قِرَاءَات ثَبَتَتْ في عهد رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يقرأ: (وأَوْصَى بها إبراهيم بنيه) وكان يَقْرَأ (وَوَصَّى بها إبراهيم بنيه) على الوَجْهَيْن، وهَكَذَا جاء بها جبريل عليه الصلاة والسلام من رب العزة سبحانه وتعالى، وهكذا تَكَلّم بها الله تبارك وتعالى، وليس لنا أن نقول: لماذا هذا؟! فهو قرآن متواتر تكلم به الله تبارك وتعالى، فجاء إلى الصحابة ﷺ هكذا، فقالوا: كيف نثبتهما في مُصْحَف واحد، مصحف الإمام: وأوصى، ووصى؟ هل نثبتهما كلمتين متراكبتين أو نثبتهما كلمتين مُتَوَالِيَتَيْنِ؟ فرأوا أن ذلك قد يشوش على الناس في الأجيال القادمة، فخرجوا بفكرة رائعة، وقالوا: نُرِيد أن ننسخ مِنْ هَذِهِ المصاحف، فاتفقوا على أن ينسخوا من هذه المصاحف ويرسلوها إلى الأمصار، قيل بأنها سبعة مصاحف، وقيل بأنها ستة، وقيل بأنها خمسة، وقيل: أرسل إلى دمشق وإلى مكة، وبقي واحد في المدينة، وأرسلوا إلى البَصْرة وإلى الكوفة، هذه خمسة متفق عليها، زاد بعض الناس فقالوا: أرْسِلَ مصْحَف إلى هجر، أي: إلى الأحساء، ومصحف إلى اليمن، على خلاف بين العلماء، لكن الثابت أن هناك خمسة من المصاحف، فقالوا: نثبت في مصحف من المصاحف

(ووصى)، ونثبت في آخَر (وأوْصى) حتى تبقى القراءات الصحيحة المتواترة عن رسول الله ﷺ؛ لأن هذا قُرْآن.

مثال آخر قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في الآية المائة من سورة التوبة، وقرئت: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ هاتان قراءتان ثابِتَتان عند الصحابة الذين كتب المصحف في عهدهم رضي الله عنهم، فلأجل الجمع بينهما قالوا: المصحف الذي نرسله إلى مكة نُثْبِتُ فيه ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بزيادة (من) التي تَلَفَّظَ بها ﷺ، وجَمِيعُ المَصَاحِف المُرْسَلَة إلى الأمصار لا نُثْبِتُ فيها إلا ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بحذف (مِنْ)، ولم يكن ذلك الحذف مِنْ قِبَلِ أنفُسِهِمْ، إنما كَانَ توفيقًا لما وصل إليهم مِنْ ميراث النبوة الطاهرة، فأثبتوا في المصحف المكي ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، لذلك يقرأ الإمام ابن كثير رحمه الله في القراءة المُتَوَاتِرَة الصحيحة إلى يومنا هذا: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، بينما الإمام حفص وباقي الأئمة كلهم يَقْرَؤون ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾(١).

كذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ في سورة الحديد، (فإن الله الغني الحميد) فكلمة (هو) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾(٢) بَقِيَتْ فِي المَصَاحِفِ كلها إلا في المصحف الشامي الَّذِي أُرْسِلَ إلى دِمَشق حُذِفَتْ مِنْهُ كلمة (هو) وبَقِيَ (فإن الله الغني الحميد)؛ تَوْفِيقًا لما

(١) حجة القراءات، لأبي زرعة (٣٢٢).

(٢) حجة القراءات (٧٠٢)، الحجة في القراءات السبع (٣٤٢).

وَصَلَهُمْ من قراءة رسول الله ﷺ والتي تَلَقَّاهَا عن ربه تبارك وتعالى.

فالزيادة والنقصان مِنْ فعل الرحمن سبحانه وتعالى، ولَيْسَتْ مِنْ تحريفات البشر كما حَدَثَ في أناجيلهم المُحَرَّفة، فإن ذاك اليهودي الذي دَخَل في دِينِ النصرانية كَيْدًا وغيظًا وإرادة الشَّرّ بالنصارى، وهو (بولس) حَرَّف أناجيلهم، وكثيرًا من معتقداتهم، فهذا لم يَحْدُث عندنا ولله الحمد، فإن هذا الاختلاف في القراءة كله بأمْرٍ مِنَ الرَّحْمَن سبحانه وتعالى، وهكذا تكلم به الرحمن سبحانه وتعالى، فليس لأحد أن يَحْذِفَ ولا أن يُبْقِي حَرْفًا خلافا لما قاله سُبْحَانه وتعالى.

فَهَذِهِ سَبْعَةٌ وَلَا يَخْرُجُ الاخْتِلَافُ عَنْهَا. هذا رأي ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن -على هذا الرأي- ماذا نقول في لهجات العرب: في الإمالة -وسيأتينا إن شاء الله تعريف الإمالة-؟ فإن بني تميم -على سبيل المثال- كانوا يَمِيلُونَ فِي ذلك الزمان، أليست هذه الإمالة لهجة مِنْ لهجات العرب المُعْتَبرة وكانوا يقرؤون بها؟ وهُنَاكَ حَدِيث نَبَوِيّ أن رسول الله ﷺ أَقْرَأَ بَنِي تمِيم عندما جاءوه بالإِمَالَةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣] عَلَى لهجتهم في ذلك الزَّمَانِ؟ أليس مدار التيسير أَنْ تَقْرَأَ كل قبيلة وكل عشيرة بما تَذَلّل لسانها به منذ قرون طويلة؟ أليس صعبًا على الناس أن يُقْرِئهم رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ -بلا إمالة- وهم أهل إمالة لا يَعْرِفُون الفتح أبدًا؟

لذلك عندما هَاجَرَ بَنُو تمِيم في أول الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام انتشرت الإمالة في بِلَادِ الشام نتيجَةً لِهجْرَاتِ بَنِي تميم إليها، لذلك أهل الشام: سوريا والأردن وفلسطين ولبنان وبعض نواحي العراق، (وتسمى: بلاد الهلال

الخصيب)، الأصل في كلامهم الإمالة إلى اليوم، خاصة أهل لبنان فإنهم يميلون جدًّا في كلامهم، فالتطبيق العَمَلِيّ للإمالة هو في بلاد الشام.

ومثل إزالة الهَمْزَة، فقد كانت قريش لا تهمز، كانت تقول: المومنون، يومنون، تومنون، تومن، وتطبيق هذا في هذه الأيام في البلاد الإسلامية في بلاد المغرب، فبلاد المغرب اليوم لا يهمزون، وقريش كانت لا تهمز ولا تميل، ولكن كان الأصل في لهجتها الفتح، بينما بنو تميم كانوا يميلون ويهمزون، فالأصْل في إنزال القرآن على سبعة أحرف، أو سبعة أوجه، أو على سبعة طرق التيسير على الناس.

يقول الإمام ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَأَمَّا نَحْوُ اخْتِلَافِ الإظْهَارِ وَالإدْغَام، وَالرَّوْم، وَالإِشْمَام، وَالتَّحْقِيق، والتَّسْهيل، وَالنَّقْل، وَالإِبْدَالِ**. والإمالة والفتح. **فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الاخْتِلَافِ الَّذِي يَتَنَوَّعُ فِيهِ اللَّفْظُ وَالمَعْنَى؛ لأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ فِي أَدَائِهِ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفْظًا وَاحِدًا.**

هذا الكلام لا يوافَق عليه: فأُسُّ التيسير أن تقرأ كل قبيلة بلهجتها، وسيأتي إن شاء الله تَوْفِيقٌ لِهَذِهِ الأَقْوَال كلها.

وَقَدْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ وَالجَهَلَةِ أَنَّ السَّبْعَةَ الأَحْرُفَ هِيَ قِرَاءَاتُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَهُوَ جَهْلٌ قَبِيحٌ.

قوله: (**وَقَدْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ وَالجَهَلَةِ أَنَّ السَّبْعَةَ الأَحْرُفَ هِيَ قِرَاءَاتُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ وَهُوَ جَهْلٌ قَبِيحٌ**) ودخل على الناس هذا؛ لأن الإمام ابن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، الذي توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، رَأَى أن يُؤَلِّفَ كِتَابًا في سبعة

(١) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أبو بكر المقرئ. قال الخطيب في التاريخ (٦/ ٣٥٣): كان شيخ =

من قُرَّاءِ المسلمين، وذلك لأن القراء كثروا واختلفت القراءات على الناس، وكَثُرت وتنوَّعَتْ، فرأى أن يضع كتابًا للناس فيه في ظنه وتقديره أصَحّ القراءات التي وصلت إلى ذاك الزمان، فوضع كتابَه «السَّبْعَة في القراءات»[١]، وهُوَ كِتَاب مَطْبُوع مَشْهُور معلوم عند طلبة العلم، فوضعَ فيه سبعة من القراءات، لِسَبْعَة من القراء الكِرَام رضي الله عنهم ورَحِمَهُم، والعُلَمَاء في عَهْدِهِ تَلَقّوا هَذا الكتاب بالقبول، وجاء بعده بقرون مَنْ نظم هذا الكتاب في منظومات، وجاء بعده من شرحه وأعربه وأضاف إليه وذَيّله وحشَّاهُ... إلى آخره، فاهْتَمَّ العلماء بهذا الكتاب جدًّا، فظَنَّ عَامَّةُ الناس أن القِرَاءَات هي سبع فقط، وخلطوا بين قول المصطفى ﷺ: «**إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»[٢] وبين ما صَنَعَ ابن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «السَّبْعَة في القراءات»، وليس بينهما خلط.

والسبع القراءات هي التي اختارها ابن مجاهد في عصره، لكن هناك عَشَرات من القراءات غيرها قد صَحَّتْ عند المسلمين، ولكن لما تطاول الزمان ظن العوام أن سبعة ابن مجاهد هي التي تُفَسّر حديث رسول الله ﷺ: «**إن هذه القرآن أنزل على سَبْعَةِ أَحْرُف**»، وليس هناك علاقة بين الحديث وهذا، بل الأحرف النبوية المُرَادة من هذا الحديث النبوي، هي أَوْجُه من أوجه القراءات المختلفة، والسبعة الواردة عند ابن مجاهد هُمْ سَبْعَة من قُرَّاءِ أئمة الأمصار، وليس بينهم وبين هذا الحديث أي تعلّق حتى يُفْهَم بأن المراد هو تفسير لحديث

= القراء في وقته، والمقدم منهم على أهل عصره. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٤٨٧): شيخ القراء في عصره، ومصنف «السبعة». توفي سنة (٣٢٤هـ).

(١) طبعته دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٠هـ)، تحقيق شوقي ضيف.

(٢) سبق تخريجه.

رسول الله ﷺ.

الثَّالِثَةُ: اخْتُلِفَ: هَلِ المَصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ؟ ذَهَبَ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ إِلَى ذَلِكَ.

قوله: (الثَّالِثَةُ) أي: المسألة الثالثة.

قوله: (وَالمُتَكَلِّمِينَ)، أي: المتكلمين في أصُولِ الدين، لأنَّ مَنْ تَكَلَّم فِي أصول الدين بغير الآيات والآثار أو معها وزاد عليها العقليات المجردة، فإنه يُعَدّ مُتَكَلِّمًا، وتتفاوت دَرَجَات قبول ذلك الكلام ورَدّه، فالمهم أنه يسمى: متكلّمًا، أي: مَنْ تَكَلَّم في أصول الدين، والعقيدة.

وَبَنَوْا عَلَيْهِ أَنَّهُ لا يَجُوزُ عَلَى الأُمَّةِ أَنْ تُهْمِلَ نَقْلَ شَيْءٍ مِنْهَا. فقالوا: هذا قرآن منزل من عند الله تبارك وتعالى، فلا يجوز للأمَّةِ أن تترك حرفًا واحدًا ولا كَلِمَة واحدة مما أنزله تبارك وتعالى.

وَقَدْ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى نَقْلِ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ مِنَ المُصْحَفِ الَّذِي كَتَبَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِ مَا سِوَى ذَلِكَ. كأن هذا تقييد للوارد آنفًا، يقول: لم يُتْرَكْ شَيءٌ من الأحرف السبعة، وَلَا يَصِحّ ذلك.

أما الأحرف السبعة التي وردت قبل العرضة الأخيرة حيث كان جبريل عليه الصلاة والسلام يُدَارس النبي ﷺ في أشرف مجلسٍ مدارسة عرَفَهُ التاريخ، فيأتي جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فيقرأ عليه القرآن، ثم يقرأ رسول ﷺ القرآن على جبريل، وكان يأتيه في كل رمضان يدارسه القرآن، وفي رمضان الأخير قبل أن ينتقلَ رسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بستة أشهر تقريبًا جاءه جبريل ودَارَسَهُ

القرآن مَرَّتَيْن(١) في تينك المرتين نُسخت وأُزِيلَتْ وحُذفت عَدَد من القراءات التي كان سائغًا أن يقرأ بها عَدَد من المسلمين في ذلك الزمان، مثل قراءة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقراءة أبي موسى الأشعري (والذَّكرِ والأنْثَى)، وبعض قراءات أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذه كانت من الأحرف السبعة بِلَا شك، فأُزيلت ونُسخت ولم يعد جائزًا القراءة بها، لذلك نقول: إن الأمة لا يجوز لها أن تترك شيئًا من الأحرف السبعة التي يحتملها رَسْم مُصْحَف عثمان، واتفق عليها الصحابة في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا مهم جدًّا.

كذلك قول أُبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣] (ارقبونا) (أمهلونا) إن صح أنه قرأها كذلك نقول: هذا جزء من الأحرف السبعة بلا شك، لكنه نُسِخَ وأُزيل بالعَرْضَةِ الأخِيرَة، فلم يَعُدْ سَائغًا ولا جائزًا أن نقرأ به اليوم، بل لم يَعُد جائزًا ولا سائغًا أن يقرأ به الصحابة بعد مُصْحَف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يجوز للأمة أن تترك نقل شيء من الأحرف السبعة بَعْدَ أن اسْتَقَرَّ إجماع الصحابة على مصحف الإمام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويوضحه القول الآتي لابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ ابْنُ الجَزَرِيُّ: وَذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَقَطْ، جَامِعَةً لِلْعَرْضَةِ الأخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جِبْرِيلَ مُتَضَمِّنَةً لهَا، لَمْ تَتْرُكْ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨) عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلةٍ من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

حَرْفًا مِنْهَا، وَهَذَا الَّذِي يَظْهَرُ صَوَابُهُ(١). وهنا انتهى النقل من كتاب النشر لابن الجزري.

يقول: ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن الأحرف السبعة إلى يومنا هذا هي ما احتمله رسم المصاحف العثمانية فقط.

ثم لِيُعلم أن هناك أحْرُفًا كان الصحابة رضي الله عنهم -حتى بعد عهد عثمان رضي الله عنه- يقرؤونها وكانت صحيحة عندهم، وهي اليوم شاذة لم يعد يُقْرَأ بها، ولا يَجُوز القراءة بها كما سيأتي إن شاء الله في المتواتر والآحاد والشاذ، فالأحرف السبعة بحر عظيم جدًّا، أُشبِّه ما بقي لنا منه اليوم بنهر أو جدول صغير؛ لأن لهجات العرب الكثيرة -سواء المقبولة، أو المسترذلة، أو المستشنعة، أو المستقبحة- كانوا يقرؤون بها القرآن، وقد ذهب كثير منها بالعرضة الأخيرة، وذهب أيضًا عَدَد منها باجتماع الصحابة على مصحف عثمان، وذهب بعض منها بانقطاع سندها كما سيأتي، وبقي الصحيح المتواتر.

وَيُجَابُ عَنِ الأَوَّلِ بِمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ(٢): قوله: (وَيُجَابُ عَنِ الأَوَّلِ): بأن الأحرف السبعة كلها باقية، وهذا ليس بصحيح كما بيّنّا. بما قاله الإمام ابن جرير رحمه الله: **إِنَّ الْقِرَاءَةَ عَلَى الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ لَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الأُمَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ جَائِزًا لَهُمْ وَمُرَخَّصًا لَهُمْ فِيهَا، فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَةُ أَنَّ الأُمَّةَ تَفْتَرِقُ وَتَخْتَلِفُ إِذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى حَرْفٍ اجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ اجْتِمَاعًا سَائِغًا، وَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَرْكُ وَاجِبٍ وَلَا فِعْلُ حَرَامٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ نُسِخَ**

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٣١).

(٢) سبق التعريف به.

مِنْهُ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ وَغُيِّرَ، فَاتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا مَا تحقّقَ أَنَّهُ قُرْآنٌ مُسْتَقِرٌّ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، وَتَرَكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ.

هذا الكلام: منه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود؛ فالمقبول هو الجزء الأخير منه، وهو قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَرْكُ وَاجِبٍ وَلَا فِعْلُ حَرَامٍ)، أي: بما صنعوه من جمع المَصَاحِفِ العثمانية، بل قَدْ يكون واجبًا، ولا شك أن القرآن نُسِخَ منه في العرضة الأخيرة وغُيِّر، وهذا صحيح، فاتَّفَقَ الصحابة أن يكتبوا ما تحقق أنه قرآن وتركوا ما سوى ذلك.

والكلام الذي يُرد ولا يقبل هو قوله: (فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَةُ أَنَّ الأُمَّةَ تَفْتَرِقُ وَتَخْتَلِفُ إِذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى حَرْفٍ اجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ اجْتِمَاعًا سَائِغًا)، فلم يجتمع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على حرف واحد، ولا يسوغ لهم ذلك، ولا يسوغ للإمام عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يفعل ذلك، إن ما صَنَعَهُ عثمان والصحابة هو أن جمعوا الناس على ما وصل إليهم من العَرْضَةِ الأخيرة التي سمح بها الرسول ﷺ، بل أذن بها الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات، هذا الذي أثبته الصحابة، ولم يتصرف الصحابة في القرآن ولم يحذفوا ولم يبقوا، إنما رأوا ما وَصَلَ إليهم من رسول الله ﷺ وتأكدوا أنه مَرْضِيّ عنه في العَرْضَة الأخيرة فأثبتوه في المصحف، فلم يحذفوا ستة أحرف -كما يقول ابن جرير- ويبقوا واحدًا! فلا يسوغ ذلك! بل لا يسوغ لكائن من كان أن يفعل ذلك إلا أن يكون رسول الله ﷺ بأمر إلهي، وسيأتي توضيح أكثر إن شاء الله في المسألة الرابعة.

الرّابِعَةُ: السَّبَبُ فِي نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى هَذِهِ الأَحْرُفِ: التَّيْسِيرُ وَالتَّسْهِيلُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ.. وقد سبق ذكر هذا، وذكرنا أن الغرض الأساسي من نزول القرآن

على هذه الشاكلة هو التيسير والتسهيل؛ لأن كون كل قبيلة تقرأ القرآن العظيم بِلَهْجَتِهَا، ففي ذلك تيسير عظيم على الناس.

وَالنَّهَاية فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَإِيجَازِهِ، وَبَلَاغَةِ اخْتِصَارِهِ؛ إِذْ تَنَوُّعُ اللَّفْظِ بِمَنْزِلَةِ آيَاتٍ، وَلَوْ جُعِلَتْ دِلَالَةُ كُلِّ لفظٍ آيَةً على حِدَتِهَا لَمْ يَخْفَ مَا فِيهِ مِنَ التَّطْوِيلِ.

فلو جُعلت كل آية تُلْفَظ بقراءة لم يَخْفَ ما في ذلك من التطويل، فمثلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] هذه قراءة، وفي قراءة ثانية: (يخادعون)[١]، فلو لم تَكُن القراءات على هذا النسق المعروف وهذه الطريقة المعروفة اليوم لأنْزِلَتْ كُلّ قراءة في آية ولطَالَ القُرْآن جِدًّا؛ لأن من الآيات ما فيها قراءات كثيرة يطول القرآن جدًّا ببسطها كل آية على حدة، ففي هذه الطريقة بلاغة إيجاز، وفيها اختصار كبير كما لا يخفى.

وَإِظْهَارُ شَرَفِ الْقُرْآنِ بِعَدَمِ تَطَرُّقِ التَّضَادِّ وَالتَّنَاقُضِ إِلَيْهِ مَعَ كَثْرَةِ هَذِهِ الاخْتِلَافَاتِ وَالتَّنَوُّعَاتِ. مع كَثْرَةِ هَذِه الاختلافات والتنوعات في القراءات، فَلَيْسَ هُنَاك تناقض إنَّمَا اخْتِلَاف تنوع؛ فليس بين آيات القرآن العظيم تناقض ولله الحمد.

وَإِعْظَامُ أُجُورِ الْأُمَّةِ فِي إِفْرَاغِهِم الجُهْدَ فِي تَتَبُّعِ مَعَانِي ذَلِكَ، وَاسْتِنْبَاطُ الحُكْمِ والأَحْكَامِ مِنْ كُلِّ لَفْظَةٍ. وذلك نحو: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، (ولا تقربوهن حتى يَطَّهَّرْنَ)[٢]؛ فالذي قرأ ﴿يَطْهُرْنَ﴾ قال: يَجُوزُ قُرْبَان النساء بعد حَيْضِهن بمجرد انقطاع الدم، والذي قرأ: (يَطَّهَّرْنَ) قال: لا يجوز

(١) انظر: حجة القراءات (٨٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يطهرن بتشديد الطاء والهاء(يتطهرن)، وانظر: حجة القراءات (١٣٤).

قربان النساء بعد انقطاع دمهن -دم الحيض- حتى يَتَطَهَّرْنَ منه، حتى يغسلن ذلك الموضع ويغتسلن.

ففي ذلك إِعْظَام لأجور الأمة في استخراج الأحكام الشرعية من مختلف القراءات. وكلمة (الجهد): مفعول به للمصدر (إفراغ) الذي يعمل عمل فعله.

وَإِظْهَار فَضْلِهَا؛ إِذْ لَمْ يَنْزِلْ كِتَابُ غَيْرِهِمْ إِلَّا عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ تَشْرِيفًا لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. لم ينزل كتاب من كتب الأمم السابقة إلا على وَجْه واحد بطريقة قراءة واحدة، وجاء هذا الكتاب -ولله الحمد- من أوجه كثيرة متنوعة؛ تشريفًا لنبينا عليه الصلاة والسلام، وتيسيرًا على المسلمين.



النوع الحادي والثاني والثالث والعشرون
المتواتر(١)، والآحاد(٢)، والشاذ(٣)

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ(٤): في كتابه «مواقع العلوم» -والسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ سينقل عنه هنا نقلًا طويلًا، إلى قوله: انتهى كلامه، وهذا النقل فيه كلام طويل وفيه تحرير، فمعظمه صحيح، ولكن بَعْضُه يحتاج إلى تحرير، وبعضه غير دقيق- اعْلَمْ أَنَّ الْقِرَاءَاتِ تَنْقَسِمُ إِلَى: مُتَوَاتِرٍ، وَآحَادٍ، وَشَاذٍّ. فَالمُتَوَاتِرُ: الْقِرَاءَاتُ السَّبْعَةُ المَشْهُورَةُ، وَالمُرَادُ بِذَلِكَ مَا قَرَؤُوهُ مِنَ الحَرَكَاتِ وَالحُرُوفِ دُونَ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ تَأْدِيَةِ اللَّفْظِ مِنْ أَنْوَاعِ الإِمَالَةِ وَالمَدِّ وَالتَّخْفِيفِ، فَلَيْسَ بِمُتَوَاتِرٍ.

قوله: (مَا قَرَؤُوهُ مِنَ الحَرَكَاتِ وَالحُرُوفِ دُونَ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ تَأْدِيَةِ اللَّفْظِ مِنْ أَنْوَاعِ الإِمَالَةِ وَالمَدِّ وَالتَّخْفِيفِ) يعني: الذي يقول: (يا أيها) -بلا مد- والذي يقول: (يآ أيها) -بالمد- الفرق بينهما غير متواتر، وهذا كلام غير صحيح، فالذي مَدَّ كلمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ كيف مَدَّها إن لم يكن له سند إلى رسول ﷺ بذلك؟! فهذا كلام غير دقيق.

نَعَمْ، أَصْلُ المَدِّ وَالإِمَالَةِ وَالتَّخْفِيفِ مُتَوَاتِرٌ لاشْتِرَاكِ الْقُرَّاءِ فِيهِ. (أَصْلُ المَدِّ)؛ أي: المد الطبيعي مُتَوَاتِرٌ؛ لاشتراك القراء فيه، والإمالة والتخفيف كل هذا

---

(١) المتواتر وهو: ما نقله جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

(٢) الآحاد وهو: ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر، ولا يقرأ به.

(٣) الشاذ وهو: ما لم يصح سنده. وفيه كتبٌ مؤلفةٌ، من ذلك قراءة: «ملك يوم الدين» بصيغة الماضي ونصب «يوم» و«إياك يعبد» ببنائه للمفعول. انظر: الإتقان (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٤) سبق التعريف به.

متواتر لاشتراك القراء فيه، أما فيما يختلف فيه كل قارئ فليس بمتواتر، وهذا ليس بصحيح كما بينت آنفًا.

وَأَمَّا مَا عَدَا السَّبْعَةَ مِنْ قِرَاءَةِ أَبِي جَعْفَرٍ يَزِيدَ بْنِ الْقَعْقَاعِ[(١)] وَيَعْقُوبَ[(٢)] وَاخْتِيَارَاتِ خَلَفٍ[(٣)] الَّتِي هِيَ تَمَامُ الْعَشْرِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْمُتَوَاتِرِ عَلَى الأَرْجَحِ، وَمَنْ جَعَلَهَا مِنْهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَفِي قَوْلِهِ نَظَرٌ. أي: مَنْ جَعَلَ القراءات الثلاث [قراءة أبي جعفر، وقراءة خلف العاشر، وقراءة يعقوب] مِنَ الْمُتَوَاتِرِ ففي ذلك نظر؛ **لأَنَّ الْمُتَوَاتِرَ فِي السَّبْعِ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ تَلَقِّي أَهْلِ الأَمْصَارِ لَهَا مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، وَقِرَاءَةُ الْمَذْكُورِينَ لَمْ يَتَلَقَّهَا أَهْلُ الأَمْصَارِ كَتَلَقِّي تِلْكَ الْقِرَاءَاتِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا آحَادٌ، وَيَلْحَقُ بِالآحَادِ قِرَاءَاتُ الصَّحَابَةِ.**

يقول البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ: (الذي يظهر لي أن هذه القراءات الثلاث يطلق عليها آحاد)، وهذا كلام غير صحيح، وفي ذلك كلام متشعب أَلَخِّصُهُ حتى لا يتشتت الذهن في هذا الباب.

---

(١) يزيد بن القعقاع، أبو جعفرٍ المدني، مقرئ المدينة. ومنهم من يسميه: فيروز. قال الحافظ: ثقة. وقال الذهبي في التاريخ (٣/ ٥٦٦): كان عابدًا صوامًا قوامًا مجودًا لكتاب الله، وله قراءةٌ محفوظةٌ، فهو أحد العشرة الأعلام. توفي سنة ثمانٍ وعشرين ومائةٍ، وقيل: سنة ثلاثين. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (١/ ٤٠).

(٢) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله ابن أبي إسحاق. الإمام أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري. قال الحافظ: صدوق. وقال الذهبي: ثقة. وقال في التاريخ (٥/ ٢٣١): قارئ أهل البصرة بعد أبي عمرو ابن العلاء، وأحد الأئمة القراء العشرة. توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين.

(٣) خلف بن هشام بن ثعلب. ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب أبو محمد البزار المقرئ. قال الحافظ: ثقة له اختيارات في القراءات. وقال الذهبي: من نبلاء الأئمة. وقال في السير (١٠/ ٥٧٧): وله اختيارٌ في الحروف صحيحٌ ثابتٌ ليس بشاذٍ أصلًا، ولا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون. وانظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٢٣).

فأقول: القراءات الثلاث المتممة للسَّبْعَة هي قراءات متواترة تلَقَّتْهَا الأمة بالقبول أيضًا، فالقراءات الصحيحة الواصلة إلى عصر السيوطي، ومِنْ ثَمَّ واصلة إلى زماننا هذا اليوم قراءات عشر صحيحة متواترة عن رسول الله ﷺ، أما مَا عَدَا ذلك فشَاذٌ، وسيأتي إن شاء الله ما هو الشاذ.

والبلقيني قد جعل المعيار في قبول القراءة: تلَقِّي أهل الأمصار لها، وهذا ليس بضابط لقبول القراءة، إنما الضابط تواترها في نفسها، وموافقتها للمصحف العثماني، وأما تَلَقِّي الناس لها فيختلف من قراءة لأخرى، وقد كان الناس في زمن البلقيني نفسه متفاوتين تفاوتًا عظيمًا في قَدْرِ تَلَقِّيهِمْ للقراءات العشر بحسب ما اعتادوه وما انتشر عندهم من القراءات.

ثم إن القراءة إذا كانت آحادًا فإنها لا تُقْبل بحال، بل لا بد من التواتر والاستفاضة حتى تُقْبَل.

قال: (**ويَلْحَقُ بالآحَاد قِراءَات الصَّحَابة**)[1] ما أدري ما يريد بقراءات الصحابة؟ فإن قراءات الصحابة هي القراءات المتواترة الواردة اليوم، فلعله يريد بقراءات الصحابة، مثل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (فصِيَام ثلاثة أيام متتابعات) أو مثل قراءة أُبَيّ، أو مثل قراءة بعض القراء الذين كانوا يقرؤون بما كان ثابتًا في زمانهم ولم يثبت بعد ذلك.

(١) قول البلقيني رحمه الله: [ويلحق بالآحاد قراءات الصحابة] بقية كلامه: [كقراءة ابن مسعودٍ رضي الله عنه، وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ونحوهم رضي الله عنهم].

أَمَّا قِرَاءَاتُ التَّابِعِينَ؛ كَابْنِ جُبَيْرٍ[١] وَيَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ[٢] وَالأَعْمَشِ[٣] وَنَحْوِهِمْ فَمَعْدُودَةٌ مِنَ الشَّاذِّ؛ إِذْ لَمْ تَشْتَهِرْ كَبَاقِي الْعَشَرَةِ، وَلَوْ كَانَ فِي الحَدِيثِ لأُطْلِقَ عَلَيْهِ مُرْسَلٌ[٤].

المرسل في الحديث هو الذي يرسله التابعي إلى النبي ﷺ، ولا يذكر الواسطة، لكن لا يصح هذا في القراءات؛ لأن القراءات كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُنَّة تُتَّبع» يَتَلَقَّاهَا الآخر عن الأوَّل، فلا يصح أن نقول: إن قراءة هؤلاء التابعين -ولو كان حكمها شاذًّا بعد ذلك بسنين طويلة- في حكم المرسل؛ لأن المرسل هو ما يضيفه التابعي إلى رسول الله ﷺ ولا يذكر الواسطة، بينما هؤلاء التابعون قد عُرِفَتْ وَاسِطتهم إلى رسول الله ﷺ، فقد عُرِفَ الأعمش على مَنْ يقرأ، ويحيى بن وثاب على مَنْ يَقْرَأ، وابن جبير على مَنْ يقرأ، فهذا كله معروف عند أئمة القراء رحمهم الله.

وَلَا يُقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا بِالمُتَوَاتِرِ دُونَ الآحَادِ وَالشَّاذِّ[٥].

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمدٍ - ويقال: أبو عبد الله - الأسدي، الوالبي، مولاهم، الكوفي، أحد الأعلام. انظر: تهذيب (٤/ ١١-١٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١).

(٢) يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم. قال الذهبي: قارئ أهل الكوفة. أخذ القراءة عرضًا عن: علقمة، والأسود، وعبيدة، ومسروقٍ، وزرٍ، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبد الرحمن السلمي. وقال محمد بن سعدٍ: كان ثقةً قليل الحديث، صاحب قرآنٍ. توفي بالكوفة سنة ثلاثٍ ومائةٍ. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ١٧٦).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) المرسل من الحديث: ما قال فيه التابعي: قال رسول الله.

(٥) وفي نسخة: ولكن في القراءة يطلق عليه شاذ، ولا يقرأ به في الصلاة.

هذا حُكْم مُجْمَع عليه في الأمة، لا يُقْرَأ في الصلاة إلا بالمُتَوَاتِر دون الآحاد والشاذ، فلا تقبل القراءة في الصلاة وفي غير الصلاة أيضًا؛ إلا بما كان من القراءات العشر المتواترة، أما غير ذلك فلا يُقبل.

وقد أصدر المجمع الفقهي فتوى بأنه لا يجوز أن تُقرأ القراءات أمام العامة الذين لا يفهمون مخرج هذه القراءات، ولا يستطيعون تمييز الأمر فيها فتفتنهم بذلك، بل الواجب أن تقرأ بما تعرفه العوام وبما يستسيغه الناس حتى لا يصبح الأمر فتنة لمن يسمعه.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا التَّقْسِيمِ أَنَّ الأَصْحَابَ تَكَلَّمُوا عَلَى الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ، فَقَالُوا: إِنْ جَرَتْ مَجْرَى التَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ عُمِلَ بِهَا.

المقصود بالأصحاب هنا الشافعية؛ لأن البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ شافعي، كذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عندما يقول: قال أصحابنا، أو يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أصحابنا، فإنهم يقصدون بذلك الحنابلة.

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنْ عَارَضَهَا خَبَرٌ مَرْفُوعٌ قُدِّمَ عَلَيْهَا[١]، أَوْ قِيَاسٌ[٢] فَفِي الْعَمَلِ بِهَا قَوْلَانِ، فَأَنْزَلُوا قِرَاءَةَ الصَّحَابَةِ مَنْزِلَةَ خَبَرِ الْوَاحِدِ، وَقِرَاءَاتُ الثَّلَاثَةِ مُتَّصِلَةٌ بِالصَّحَابَةِ، انْتَهَى كَلَامُهُ[٣].

فحكم القراءة الشاذة عند الشافعية يقول: (**إِنْ جَرَتْ مَجْرَى التفسير والبيان عُمِلَ بها**)، والقِرَاءَةُ الشَّاذَّة[٤] هي التي فَقدت رُكْنًا أو أكثر مِنْ أَرْكَان القراءة

(١) هو ما أضيف إلى النبي ﷺ قولًا أو فعلًا أو تقريرًا أو صفةً. انظر: اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير (٤٥).

(٢) هو إلحاق فرع بأصله؛ لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت. انظر: مختصر التحرير (٤/ ٦).

(٣) مواقع العلوم، للبلقيني (من ص ٦٠ إلى ٦٥).

(٤) سبق بيانه.

المقبولة، فلعل سَنَدَهَا يكون صحيحًا إلى القارئ، فتُعَامَل مُعَاملة أحاديث الآحاد على أقل تقدير، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنْ جَرَتْ مَجْرَى التَّفْسِير والبَيَانِ عُمِلَ بِهَا)؛ لذلك بعض أئمة الفِقْهِ أخذوا بقراءة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فصيام ثلاثة أيام مُتَتَابِعَات) وقالوا: قَدْ جَرَى ذلك مِن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مجْرَى التفسير والبيان للثلاثة الأيام فأخذوا بها، فأَوْجَبوا على مَنْ يَصُوم ثلاثة أيام كفارة أن تكون متتابعة، بينما بعض الفقهاء لم يأخُذْ بذلك، فأجاز أن يصوم الإنسان الأيام الثلاثة ويُفَرِّقها كيف شاء.

ثم يقول: (إن لم تكن جَرَتْ مجرى التفسير والبيان **فإن عارضها خبر مرفوع قُدم عليها**)، فإن عارضها خبر مرفوع صحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّتْهُ الأمة بالقبول قُدِّم على القراءة التي لم تجر مَجْرَى التفسير والبيان والتي فيها خلاف، فيُقَدَّم عليها بلا شك، وإن عارضها قياس، والقياس(١): هو إلحاق فرع بأصل بجامع بينهما، مثاله: أن نلحق حكم النبيذ بحُكْمِ الخَمْر، بجامع الإسكار في كليهما.

يقول: (**أو عارضها قياس ففي العمل بها قولان**) عند الشَّافِعِيَّة رحمهم الله. أميل -والله أعلم- إلى أن القراءة الشاذة إن صح سندها تُقَدَّم على القياس؛ فهي خبر مرفوع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان منزلته كذلك فإنه يُقَدَّم على القياس بإجماع الأمة، فإن وُجِدَ خَبَرٌ مرفوع إلى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحيح غير معارَض ولا منسوخ وليس فيه عِلّة، فإنه يُقَدَّم على القياس؛ لأن القياس إنما يُلْجَأ إليه في حال عدم وجود النص، فإن وُجد نص فلا قياس.

---

(١) انظر: مختصر التحرير (٤/ ٦).

قوله: (**فَأَنْزَلُوا قِرَاءَةَ الصَّحَابَةِ مَنْزِلَةَ خَبَرِ الْوَاحِدِ**[(١)]، **وَقِرَاءَاتُ الثَّلَاثَةِ مُتَّصِلَةَ بِالصَّحَابَةِ، انْتَهَى كَلَامُهُ**)[(٢)]، فأنزلوا قراءة الصحابة منزلة خبر الواحد -لأنها لم تصح، لأنها ليست متواترة- انتهى كلام البلقيني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفِيهِ أَنْظَارٌ -جمع نَظَر- **فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ تُعْرَفُ مِمَّا سَنَذْكُرُهُ، فَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي شَرْحِ المِنْهَاجِ**. السبكي الإمام الكبير المعروف تقي الدين علي السُّبْكي، توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة، أي: بعد وفاة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)] بخمس سنوات؛ لأن ابن القيم توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، فكانا مُتَعَاصِرَين، وكان معاصرًا لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)] الذي توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وإنما ذكرت وفاة الشيخين للربط بينها وبين وفاة السبكي، وتلك طريقة جيدة لمعرفة الوفيات، وكان الشيخ السبكي إِمَامًا مشهورًا في الحديث وفي الفقه رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان مُقَدَّمًا عند الشافعية، بل كان العالم الشافعي الأوحد في دمشق في ذلك الزمان. وولده تاج الدين رَحِمَهُ اللَّهُ مشهور أيضًا[(٥)]، وهو صاحب كتاب «طبقات الشافعية»، وكان قاضي القضاة في بلاد الشام في دمشق.

وهي عائلة أصلها من مصر، وهاجر أبوهم إلى الشام واستقر فيها واشتهرت هذه العائلة في دمشق. وقد كان الإمام تقي الدين صاحب كتب كثيرة ومصنفات

---

(١) هو ما ليس بمتواتر، وفي إفادته العلم القطعي قولان، والصحيح أنه يفيد العلم اليقيني. انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح، للحافظ (١/ ٣٧٤ وما بعدها).

(٢) مواقع العلوم، للبلقيني (من ص ٦٠ إلى ٦٥).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) الأعلام، للزركلي (٤/ ١٨٤).

واسعة، تَرْجَمَ له ابنه في «طبقات الشافعية الكبرى» في قرابة مائتي صفحة، وسيرته مشهورة، وهو إمام كبير.

وهناك أيضًا ولَدُهُ البلاغي الشهير: بهاء الدين أحمد السبكي، وهو معروف في علوم البلاغة والنحو، صاحب «عروس الأفراح في البلاغة»[١].

قوله: (فَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي شَرْحِ المِنْهَاجِ)، والمنهاج كتاب في الفقه الشافعي للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو «منهاج الطالبين»، وهذا الكتاب لا يُحصى مَنْ شَرَحَهُ واختصره كَثْرَةً، فجاء السبكي الكَبِير الإمام تَقِيّ الدين، فَشَرَح هذا الكتاب في مؤلف سماه: «الابتهاج شرح المنهاج»، وصل فيه إلى كتاب الطلاق ومات ولم يكمله، فأكمله ابنه بهاء الدين أحمد السُّبكي رحمهم الله جميعًا.

قَالُوا: تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا بِالسَّبْعِ، وَلَا تجُوزُ بِالشَّاذِّ، وَظَاهِرُ هَذَا يُوهِمُ أَنَّ غَيْرَ السَّبْعِ شَاذٌّ، وَقَدْ نَقَلَ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ الاتِّفَاقَ على القِرَاءَةِ بالثَّلَاثِ أَيْضًا.

قوله: (**وَقَدْ نَقَلَ الْبَغَوِيُّ**[٢] **فِي تَفْسِيرِهِ**) أي: «معالم التنزيل» للإمام البغوي المشهور، طُبِعَ حَدِيثًا، وقد حُقِّقَ في رسائل متابعة في الدراسات العليا بجامعة أم

(١) أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامدٍ السبكي الشافعي، أخي، الشيخ الإمام العلامة بهاء الدين أبو حامدٍ ابن شيخ الإسلام، قاضي القضاة، تقي الدين أبي الحسن.
انظر: معجم الشيوخ، للسبكي (١/ ١٠٢).

(٢) الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة محيي السنة أبو محمد البغوي ابن الفراء، الشافعي الفقيه المحدث، المفسر. [المتوفى: ٥١٦ هـ]، مصنف «شرح السنة» و«معالم التنزيل» و«المصابيح» وكتاب «التهذيب» في الفقه «والجمع بين الصحيحين» و«الأربعين حديثاً». كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه. انظر: تاريخ الإسلا للذهبي(١١/ ٢٥٠).

القرى، وطبع في ثمانية أجزاء كبيرة، وهو كتاب معروف عند أئمة التفسير، وهو في التفسير بالمأثور.

فيقول السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ: قالوا -أي: قال بعض أئمة الفقهاء وبعض أئمة القراء-: إنه لا يجوز القراءة في الصلاة بغير السبع.

ثم يقول معقبًا: (وَظَاهِرُ هَذَا يُوهِمُ أَنَّ غَيْرَ السَّبْعِ شَاذٌّ) وهذا غير صحيح؛ فإن الأئمة بعد ذلك اتفقوا على أن القراءات الثلاث صحيحة، بل متواترة إن شاء الله.

قَالَ: وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، قَالَ: الخَارِجُ عَنِ السَّبْعِ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ رَسْمَ المُصْحَفِ فَلَا شَكَّ فِي تَحْرِيمِ الْقِرَاءَةِ بِهِ، وَمِنْهُ مَا لَا يُخَالِفُهُ وَلَمْ تَشْتَهِرِ الْقِرَاءَةُ بِهِ، بَلْ وَرَدَ مِنْ طَرِيقٍ غَرِيبَةٍ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهَا، وَهَذا يَظْهَرُ المَنْعُ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِهِ أَيْضًا.

قوله: (الخَارِجُ عَنِ السَّبْعِ مِنْهُ) ؛ أي: الخارج عن السَّبْعِ مما تُلُقِّي مِنَ القراءات مِنْهُ ما هو شاذ، ومنه ما هو صحيح، فالقِرَاءَات الثلاث التي ذكرناها خارجة عن السبعة، ولكن الصحيح المتواتر يجوز القراءة به، وهي قرآن بلا شك، ومنه ما يخالف رسم المصحف فلا يجوز القراءة به أصلًا، نحو: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] (فامضوا إلى ذكر الله)، ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] (كالصُّوفِ المنفوش)[١] فلا يجوز القراءة بمثلها؛ لأنه يخالف رسم المصحف العثماني، مع أنها قد تكون جائزة قبل العَرْضَة الأخيرة[٢]، أما بعد

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٨٥) ومسلم (٢٤٥٠)، واللفظ للبخاري: عن عائشة أم المؤمنين، قالت: إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا، لم تغادر منا واحدةٌ، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي، لا والله ما =

العرضة الأخيرة، وبعد أن اسْتَقَرَّ الصحابة على المصحف الإمام فلا يجوز القراءة بها أبدًا؛ لأنها مُخَالِفة للرسم العثماني.

وَمِنْهُ مَا اشْتهرَ عِنْدَ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ الْقِرَاءَةُ بِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا. أئمة هذا الشأن: أئمة القرآن والقراءات قديمًا وحديثًا. **فَهَذَا لَا وَجْهَ لِلْمَنْعِ مِنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ[1] وَغَيْرِهِ**. يعقوب هو أستاذ أبي عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، فَقِرَاءَتُهُ أَوْلَى بالقبول وأَحْرَى، ويعقوب تُقُبِّلَتْ قِرَاءَتُهُ، يقول ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: ما زالت البصرة تقرأ بقراءة يعقوب رَحِمَهُ اللَّهُ حتى القَرْن الخامس.

فقراءته مَقْبُولة متواترة عند الناس، فَهِيَ لا شك من القرآن المتواتر الصحيح.

وَالْبَغَوِيّ أَوْلَى -الكلام ما زال للسبكي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «شرح المنهاج»- **مَنْ**

=

تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحب قال: «مرحبًا بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها، فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى حزنها سارها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله ﷺ بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: عم سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره. فلما توفي، قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: أما حين سارني في الأمر الأول، فإنه أخبرني: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنةٍ مرةً، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك». قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، قال: «يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة».

(١) سبق التعريف به.

(٢) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني المقرئ النحوي، صاحب القراءة، وأمه من بني حنيفة، اسمه زبان، وقيل: العريان. قال الحافظ: ثقة. وقال الذهبي في التاريخ (٤/ ٢٦٣): كان رأسًا في العلم في أيام الحسن البصري. توفي سنة (١٥٤هـ).

(٣) سبق التعريف به.

يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مُقْرِئٌ فَقِيهٌ جَامِعٌ لِلْعُلُوم. أي: البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

قَالَ: وَهَكَذَا التَّفْصِيلُ فِي شَوَاذِّ السَّبْعَةِ، فَإِنَّ عَنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا شَاذًّا. انتهى[٢].

فالإمام نافع رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: أقرأ تلاميذ كثيرين، وشذ عدد كثير من الطرق التي أقرأ بها، أي: توجد لنافع رَحِمَهُ اللَّهُ قراءات شاذة، أما رواية ورش[٤] عن نافع، ورواية قالون[٥] عن نافع، فهذه روايات معتبرة مُتَواتِرَة صحيحة، لكن هناك رواية خارجة عن نافع مثلًا، غير مقبولة وشاذة، فالسبع شذ عنهم شيء كثير.

هذا معنى كلامه، فنحن لا نقبل من السبعة، أومن العشرة إلا الطّرق التي اتفق عليها الأئمة، فهم اتفقوا على أن يجعلوا لكل قارئ راويين، يسمى الرجل الذي أخذ من الإمام: راويًا، فتقول: رواية ورش بقراءة نافع، فنحن نقبل من قراءة نافع ما كان منها من رواية ورش، أو من رواية قالون، أما ما عدا ذلك -

(١) سبق التعريف به.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٤٤).

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو رويم. قال الحافظ: صدوق ثبت في القراءة. انظر: تهذيب الكمال (٦٣٦٤).

(٤) ورش المقرئ، عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان. وقيل: عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق القبطي المصري المقرئ، إمام القراء أبو سعيد، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو القاسم. قال الذهبي: وقد استوفيت أخبار ورش في « طبقات القراء »، وهو ثبت حجة في القراءة. مات بمصر في سنة سبعٍ وتسعين ومائة، ولا أعلمه روى حديثًا. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ١٢٢٩).

(٥) قالون المقرئ، صاحب نافع ابن أبي نعيم، واسم قالون: عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقي، مولى الزهريين، أبو موسى المدني النحوي. معلم العربية. يقال: إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون؛ لجودة قراءته. وقالون معناه: جيد، وهي لفظة رومية. توفي قالون سنة عشرين ومائتين، ورخه غير واحد، وعاش نيفًا وثمانين سنة. وغلط من قال: توفي سنة خمسٍ ومائتين غلطًا بينا. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ٤٢٦).

وهي كثيرة جدًّا- فهي شاذة لا تُقبل، وسيأتي إن شاء الله الشاذ بالتفصيل.

وَقَالَ وَلَدُهُ[١] فِي مَنْعِ المَوَانِعِ. وهو كتاب مُؤلَّف على كتاب جمع الجوامع، وجمع الجوامع كتاب لابن السبكي رَحِمَهُ اللهُ، وهو عبد الوهاب بن علي السبكي تاج الدين المشهور صاحب الطبقات[٢]، فعبد الوهاب هذا ألّف كتابًا سَمَّاهُ: جمع الجوامع، اختصر فيه مائة كتاب مِنْ كُتُبِ الأصُول، وهذا الكتاب مُحَرّر متقن في أصول فقه الشافعية والحنابلة. وأصول الفقه عند الحنابلة والشافعية متقاربة جدًّا، وعند الأحناف والمالكية متقاربة أيضًا، فَمَا كَانَ من كتب الشافعية في الأصول يَصِحّ أيضًا أن يكون من كتب الحنابلة، وما كان من كتب الأحناف في الأصول يصح أن يكون من كتب المالكية، لكن الأحناف تميَّزُوا بمنهج مُسْتَقِلّ في جوانب من الأصول، أمَّا الشَّافِعِيَّة والحنابلة فمنهجهما واحد تقريبًا في الأصول، فاختصر ابن السبكي مائة كتاب من كتب الأصول في كتاب مشهور وهو «جمع الجوامع» ولا يُحصى كثرة مَن شرح هذا الكتاب، ومن حَشَّى عليه. ومَنْ أَبْرَزَهُ واهتم به واعْتَنَى به: الإمام الشهير عبدالله بن إبراهيم العلوي، فنَظَمَهُ في منظومته الشهيرة: «مراقي السعود»[٣] وهي منظومة في الأصول مشهورة خاصةً عند أهل المَغْرب العربي، وأهل القُطْر الموريتاني يتداولونها بينهم

---

(١) هو: بهاء الدين السبكي صاحب «عروس الأفراح» توفي سنة (٧٧٣هـ). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٧٦) شذرات الذهب (٦/ ٢٢٦).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، أبو محمد: فقيه مالكي، علوي النسب، من غير أبناء فاطمة، من قبيلة « إدوعل » من الشناقطة، تجرد أربعين سنة لطلب العلم في الصحاري والمدن. توفي سنة (١٢٣٥هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٦٥).

ويحفظها صِبيتهم، نَظَمَ فيها الإمام عبد الله بن إبراهيم العلوي كتاب جمع الجوامع للسبكي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأضاف عليه زيادات من كتب أخرى، وحذف منه بعض الفصول، منها (معاني الحروف)، وقد اعتمد على منظومته هذه كثيرًا الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «أضواء البيان».

ثم سُئِلَ السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ أسئلة في كتابه هذا جمع الجوامع، وهي ثلاثة وثلاثون سؤالًا، فألَّفَ كتابه «مَنْع الموانع» تعليقًا نافعًا وإِجَابَة على هذه الأسئلة، فمنْعُ الموانع مؤلَّف على جمع الجوامع.

الْقَوْلُ بِأَنَّ الثَّلَاثَةَ غَيْرُ مُتَوَاتِرَةٍ فِي غَايَةِ السُّقُوطِ، وَلَا يَصِحُّ الْقَوْلُ بِهِ عَمَّنْ يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ فِي الدِّينِ، وَهِيَ لَا تُخَالِفُ رَسْمَ الْمُصْحَفِ. فالقراءات الثلاث لا شيء منها يخالف رسم المصحف، فلا شيء يمنع من قبولها.

قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ الإِمَامَ -يَعْنِي: وَالِدَهُ- يُشَدِّدُ النَّكِيرَ عَلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ مَنَعَ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِهَا، وَكَذَا قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ[1] فِي فَتَاوِيهِ: يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْرُوءُ بِهِ قَدْ تَوَاتَرَ نَقْلُهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قُرْآنًا، وَاسْتَفَاضَ، وَتَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بِالْقَبُولِ، فَمَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ ذَلِكَ -مما عَدَا السَّبْعَ أَوِ الْعَشْرَ- فَمَمْنُوعٌ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِهِ مَنْعَ تَحْرِيمٍ لَا مَنْعَ كَرَاهَةٍ؛ لأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي ذَلِكَ الْيَقِينُ الْقَاطِعُ، عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي الأُصُولِ.

أي: أصول الدين، فالمَعْرُوف في أصول الدين أن القرآن لا يكون قرآنًا حتى

---

(١) الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو عمرٍو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبدالرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، الشهرزوري، الموصلي، الشافعي، صاحب (علوم الحديث). توفي سنة (٦٤٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠).

يتوفَّر فيه التواتر [(١)]، واليقين بأن هذا قرآن، والقطع بأنه من رسول الله ﷺ، وتلَقَّتْهُ الأمّة بالقبول، فلا يجوز أن يُقْرَأ بأي قراءة ما لم يتوفَّر فِيهَا هذا الشرط.

وَقَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ[(٢)]: ابن الجَزَرِيّ عَاصَرَ تاج الدين السبكي[(٣)] وكان تلميذًا له؛ لأنه توفي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، فتَلَقَّى منه ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ رَحِمَهُ اللهُ، ودارت مناظرة بينه وبين ابن السبكي رَحِمَهُ اللهُ مُثْبَتَة في مكان آخر.

وَقَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ فِي النَّشْرِ: كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ المَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَو احْتِمَالًا، وَصَحَّ سَنَدُهَا فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا، وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا سَوَاء كَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَوِ الْعَشْرَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ المَقْبُولِينَ[(٤)]. هذا التراث العظيم الكثير الواسع من القراءات، نقبل منه ما كان يحوي شروطًا ثلاثة:

١- صِحَّة السَّند أو تواتره، وسيأتي هنا نقاش طويل.

٢- موافقته للعربية بِوَجْهٍ فَصِيح؛ أو أفصح من السَّاري في العربية وما يعرفه الناس.

٣- أن يكون موافقًا للرسم العثماني.

---

(١) في ذلك خلاف سيأتي، وعن أحمد: لا يشترط التواتر، وهو ظاهر قول شيخ الإسلام، واختيار ابن الجزري كما في النشر (١/ ١٣) كما سيذكر ذلك المؤلف. وقال أبو شامة في المرشد الوجيز (ص١٤٥): ولا يلزم في ذلك تواتر، بل تكفي الآحاد الصحيحة من الاستفاضة وموافقة خط المصحف وعدم المنكرين لها نقلًا وتوجيهًا من حيث اللغة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٩).

وإذا اختل أَحَدُ هَذِهِ الشروط فلا يقبل لا مِنَ السَّبْعِ القراءات ولا من العشر ولا من غيرها، ومتى ثبتت هذه الشروط كلها نَقْبَلُه من السبع أو من العشر أو من غيرها، فهذا ضابط مهم، وفي هذا يقول ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الأَرْكَانُ

وَحَيْثُمَا يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ

فَكُنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ ... فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ

وهي أبيات طويلة في مقدمة النشر له رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكل ما وافق وَجْهَ نحو من القراءات الموجودة؛ أي: مذهبًا من مذاهب العربية فيُقبل، بشرط أن يتوفر أيضًا ركنان معه: أن يصح سنده، وأن يكون موافقًا للرسم العثماني الذي وَضَعَهُ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإجماع من الصحابة في ذلك الزمان، ومن التابعين الحاضرين، وكان يُقَدَّر عَدَدُهم كلهم باثني عشر ألفًا من الرجال في المدينة النبوية المنورة آنذاك، كلهم أجمعوا على ذاك، ولم يشذ منهم أحد، ولم يُنْقَل عن أحد نكير في هذا أبدًا، فهم خَيْرُ الأمَّةِ في ذلك الزمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ(٢).

وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةً أَوْ شَاذَّةً أَوْ بَاطِلَةً، سَوَاء كَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَوْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِن السَّلَفِ وَالخَلَفِ، صَرَّحَ بِذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي، وَمَكِّيٌّ، وَأَبُو العَبَّاس

---

(١) انظر: متن «طيبة النشر» في القراءات العشر (ص٣٢).

(٢) يشير إلى ما رواه البخاري في صحيحه (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣): عن عبيدة، عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». قال إبراهيم: «وكانوا يضربوننا على الشهادة، والعهد».

المَهْدَوِيُّ[(١)] وَأَبُو شَامَةَ[(٢)]، وَنُقِلَ مِثْلُهُ عَنِ الكَوَاشِيِّ[(٣)] وَأَبِي حَيَّانَ[(٤)].

قوله: (**وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ**) وهي: موافقة العربية، وأحد المصاحف العثمانية، وصحة السند.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِكُلِّ قِرَاءَةٍ تُعْزَى إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا لَفْظُ الصِّحَّةِ وَأَنَّهَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِلَّا إِذَا دَخَلَتْ فِي هَذَا الضَّابِطِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَنْفَرِدُ بِنَقْلِهَا مُصَنِّفٌ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِنَقْلِهَا عَنْهُمْ، بَلْ إِنْ نُقِلَتْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقُرَّاءِ لَمْ تَخْرُجْ عَنِ الصِّحَّةِ؛ فَإِنَّ الاعْتِمَادَ عَلَى

---

(١) أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي المقرئ المجود. أصله من المهدية من بلاد القيروان، ودخل الأندلس في حدود الثلاثين وأربعمائة أو نحوهما. وكان عالمًا بالقراءات والأدب متقدمًا إمامًا ألف في التفسير كتابًا حسنًا ومن شعره في ظاءات القرآن. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٥٩٨)، بغية الملتمس في تاريخ الأندلس (٣٥٠).

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الإمام، العلامة، ذو الفنون، شهاب الدين، أبو القاسم، المقدسي الأصل، الدمشقي، الشافعي، الفقيه، المقرئ، النحوي، أبو شامة. [المتوفى: ٦٦٥ هـ]. وصنف في القراءات شرحًا نفيسًا للشاطبية. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ١١٤).

(٣) أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع بن حسين بن سودان، الشيباني، الإمام، العلامة، الزاهد الكبير، موفق الدين، أبو العباس الموصلي، الكواشي، المفسر، [المتوفى: ٦٨٠ هـ]، نزيل الموصل. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٣/ ١٢٦١) وتاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٣٨٥)، غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (١/ ١٥١).

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة. قال الذهبي: ومع براعته الكاملة في العربية له يد طولى في الفقه والآثار والقراءات واللغات، وله مصنفات في القراءات والنحو، وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم، تخرج به عدة أئمة. قال الحافظ ابن الجزري: ونظم القراءات السبع في قصيدة لامية سماها عقد اللآلئ، خالية من الرموز، وجعل عليها نكتًا مفيدة، ونظم قراءة يعقوب، وشرح التسهيل شرحًا جليلًا. وله التفسير الذي لم يسبق إلى مثله سماه: البحر المحيط، في عشرة مجلدات، وغير ذلك من المؤلفات ونظمه في غاية الحسن مع الدين والخير والثقة والأمانة. توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة. انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٨٥).

اسْتِجْمَاعِ تِلْكَ الأَوْصَافِ لَا عَلَى مَنْ تُنْسَبُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى كُلِّ قَارِئٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَغَيْرِهِمْ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ وَالشَّاذِّ[١].

هو هنا ينبه على أمر مهم، وهو أنه عندما تقرأ في كتب التفسير لأئمة السلف الذين كانوا يفسرون بالمأثور خاصة، ويقولون: هذه قراءة نافع[٢]، وهذه قراءة الكسائي[٣]... فَلَا تَغْتَرّ بهذا حتى تَعْلَمَ هل هذه القراءة مما خرج مخْرَجَ التواتر أو لا؟ فإن كانت القراءة مما خرجت مخْرَجَ التواتر فاقبلها، ولا تَغْتَر بنسبتها إلى نافع، أو الكسائي، أو إلى عاصم[٤] أو إلى غيره من القراء المشهورين المعروفين، حتى تتوفر فيها صِحَّة السند، أو تواتره، وصحة الرسم العثماني، وموافقتها للعربية، فهذا ضَابِط مهم فانْتَبِهْ له؛ لأن هناك قراءات شَاذَّة كثيرة منسوبة لهؤلاء الأئمة الكبار، ولأن هؤلاء الأئمة أقرءوا أناسًا كثيرين جِدًّا، فشَذَّ بعد ذلك بعضه، فانتبه لهذا الضابط، فطالب العلم يحتاج إلى أن ينتبه إلى مثل هذا.

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٩-١٠).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، مولى بني أسد، أبو الحسن الأسدي الكوفي الكسائي، شيخ القراء والنحاة. قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي. قال أبو بكر ابن الأنباري: اجتمع في الكسائي أمورٌ: كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، وكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ.
وقيل: إنما عرف بالكسائي؛ لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي. توفي: سنة تسعٍ وثمانين ومائة. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٩٢٧) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٥).

(٤) عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم، الإمام الكبير، مقرئ العصر، أبو بكرٍ الأسدي مولاهم، الكوفي. واسم أبيه: بهدلة. وقيل: بهدلة أمه، وليس بشيءٍ، بل هو أبوه. توفي سنة (١٢٨هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣٠٠٢).

غَيْرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ لِشُهْرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ الصَّحِيحِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ فِي قِرَاءَتِهِمْ تَرْكَنُ النَّفْسُ إِلَى مَا يُنْقَلُ عَنْهُمْ فَوْقَ مَا يُنْقَلُ عَنْ غَيْرِهِمْ[١].

يعني: حينما نقرأ في كتب التفسير مثلًا: قرأ ابن محيصن[٢] بكذا، أو قرأ الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] بكذا، أو قرأ الأعمش[٤] بكذا، لا تَرْكَنُ النفس إليه؛ بخلاف ما إذا قيل: قَرَأَ نافع، وقرأ الكسائي، وقرأ ابن كثير؛ لكثرة ما نُقل عنهم في قراءاتهم من الصحيح المتواتر، ولكثرة ما نُسِبَ إلى الحسن البصري وابن محيصن والأعمش من الشاذ المردود.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ[٥]: وَقَوْلُنَا فِي الضَّابِطِ: وَلَوْ بِوَجْهٍ: نُرِيدُ بِهِ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ النَّحْوِ، سَوَاءً كَانَ أَفْصَحَ أَوْ فَصِيحًا مُجْمَعًا عَلَيْهِ[٦].

قوله: موافقًا للعربية ولو بوجه، أي: وَجْهًا مِنْ وُجُوه النَّحْو، سواءً كان أفصح

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١٠).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء، أبو حفص المكي: مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية. انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته، ولم يلحقوها بالقراآت المشهورة. وكان لا بأس به في الحديث. روى له مسلم والترمذي والنسائي حديثًا واحدًا. توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/ ١٨٩).

(٣) هو: الحسن ابن أبي الحسن يسارٍ، أبو سعيدٍ، مولى زيد بن ثابتٍ الأنصاري. ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرٍو السلمي. قال الحافظ: ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس. قال الذهبي: الإمام، كان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأسًا في العلم والعمل. توفي سنة (١١٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٤).

(٤) الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي أبو محمدٍ الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي. قال الحافظ: ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس. قال الذهبي: الحافظ، أحد الأعلام. توفي سنة (١٤٧أو ١٤٨هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٤).

(٥) سبق التعريف به.

(٦) النشر في القراءات العشر (١/ ١٠).

مِنَ النَّحْو المُتَعَارف عليه أو من الألفاظ العربية المعروفة في ذلك الزمان، أو فصيحًا مجمعًا على فصاحته عند النحاة، أو مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله. وسيأتي الآن بكلام حول هذا الاختلاف.

أَوْ مُخْتَلَفًا فِيهِ اخْتِلَافًا لَا يَضُرُّ مِثْلُهُ إِذَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ مِمَّا شَاعَ وذَاعَ وَتَلَقَّاهُ الأَئِمَّةُ بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ؛ إِذْ هُوَ الأَصْلُ الأَعْظَمُ وَالرُّكْنُ الأَقْوَمُ، وَكَمْ مِنْ قِرَاءَةٍ أَنْكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ النَّحْوِ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعْتَبَرْ إِنْكَارُهُمْ[1].

قوله: (**وَلَمْ يُعْتَبَرْ إِنْكَارُهُمْ**)، هذه مسألة مهمة لا بد لطالب العلم أن يفهمها، وهي أن بعض النحاة في مصنفاتهم يَرُدّون بعض القراءات الصحيحة المتواترة بِدَعْوَى أن هذه القراءة لم يَثْبُت عندهم أن أحدًا من العرب تَلَفَّظَ بنحوها، فيقول الفَرَّاء[2] مثلًا: هذه القراءة فيها لحنٌ لا تجوز القراءة به.

ليس لأن سندها غير صحيح أو ليس بمتواتر، وليس لأنها مخالفة للرسم العثماني، ولكن لأنه لم يثبت عنده أن أحدًا من العرب تلفَّظَ بها.

وهذا غير صحيح؛ لأن القاعدة عندنا: أن المُثْبِتَ مُقَدَّمٌ على النَّافِي[3].

مثاله: أن يأتي إنسان فيقول: أنا ما قرأت هذه الكلمة في ذاك الكتاب، فيأتي إنسان آخر فيقول: أنا قرأتها في ذاك الكتاب، فنقول: المثبت هنا يقدم على النافي؛

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفراء، وهو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي، مولاهم، الكوفي، النحوي. صاحب التصانيف، سكن بغداد، وأملى بها كتاب «معاني القرآن»، وغير ذلك. وكان ثقة. وقد روى عن ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، ولسقطت؛ لأنه خلصها؛ ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد. وقيل: إنما سمي بالفراء لأنه كان يفري الكلام، وجاء أنه توفي بطريق مكة سنة سبعٍ ومائتين، وله ثلاث وستون سنة رَحِمَهُ اللهُ. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ١٤١).

(٣) انظر: مختصر التحرير (٢/ ١١٣) والبحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ١٥٤).

لأن عنده زيادة علم، فلعل النافي سها، أو أسقط وهو يقرأ، فالمُثْبِتُ يُقدَّم على النَّافِي في كل الأحوال وليس فقط في الأحوال الشرعية، ثم بعد ذلك يُنظر في حال ذلك النافي وفي حال ذلك المثبت.

فالنحاة يقولون: هذه قراءة لحن لا يجوز القراءة بها؛ لأن قواعد النحو لا تستقيم لتلك القراءة! نقول: هل نحكِّم قواعد النحو التي وُضعت بعد القرآن بسنوات طويلة على كتاب الله أو نحكِّم كتاب الله تبارك وتعالى على قواعد النحو؟! هذا هو الأصل الذي ينبغي الرجوع إليه، نقول: هذه القراءة إن تواتر أو صَحَّ سنَدُهَا باستفاضة عن رسول الله ﷺ، وجاءت موافقة للرسم العثماني، فهذه هي القراءة المقبولة التي تُقَعَّدُ قواعد النحو بها وليس العكس، هذا أمر مُهِمّ كَثُرَ في كتب النُحاة وتفسيراتهم؛ ألا وهو رد القراءات المتواترة إذا خالفت ما عرفوه وأتت بما يجهلونه، فالزمخشري[١] مثلًا في تفسيره[٢] يقول في قراءة: هذا لحن قبيح لا يجوز القراءة به، لأنها ما جاءت على نسق قواعد اللغة المعروفة عند النحاة، فَرَدَّهَا الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ لذلك، وإنكار القراءة المتواترة الصحيحة بما لم يثبت عندهم من قواعد النحو لا يجوز؛ لأن النحاة أقاموا قواعدهم على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ وعلى الفصيح من كلام العرب نَظْمِهِ ونثره، فيقولون مثلًا: قال فلان الأعْرَابِيّ كذا، فيأتون ببيت شعر له، ثم يقيمون قاعدة نحوية على ذاك البيت، ويقولون: قال أَحَدُ العرب كذا، فيُقِيمُونَ قاعدة نحوية

(١) محمود بن عمر بن محمد بن عمر، العلامة، أبو القاسم الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، صاحب كتاب «الكشاف». توفي سنة (٥٣٨هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١١/ ٦٩٧)، وتاريخ بغداد (٢١/ ١٧٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.

على قول أحد العرب المجهولين الذي لا يُعْرَف مَنْ هُوَ، بل قد لا يعرف اسمه أصلًا فيقيمون على قوله قاعدة نحوية، وقد قال لهم أحد الأئمة متنزِّلًا معهم: هَبوا أن محمدًا ﷺ لم يكن نبيًّا، فقد كان رجلًا مِنْ رجال العرب، أتقبلون كلامه؟ قالوا: نعم، نقبل كلامه ونقيم عليه قواعد النحو، قيل: كيف تقولون هذا وتردون الصحيح الثابت من القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ وأقرأه صحابته رضي الله عنهم بما ثبت عندكم من قواعد النحو؟!

كثير من النحاة رد بعض القراءات بسبب هذا؛ لأنها لم تثبت عندهم، ولمقارنتها بما وَصَلَهُمْ مِنْ كلام العرب وبما أثبتوه من قواعد نحوية، وهذا خطأ كبير جسيم وقع فيه عدد منهم مثل الفراء[(١)]، والزجاج[(٢)]، والزمخشري[(٣)]. وابن جرير رحمه الله[(٤)] أيضًا في تفسيره المشهور[(٥)]، فإنه يقول: هذه القراءة لا تَثْبُت، أو هذه القراءة غَيْر صحيحة، أو الأَوْلَى عندي في هذا هو كذا! ونقول: لا يوجد هناك أَوْلَى، بل كلها قد تكلم بها الله تعالى، ونزلت على رسوله ﷺ وأقرأها الصحابة مشافهة، فليس هناك شيء أولى من شيء، فكلها قراءات مقبولة تُتَلَقَّى بالقَبُول والاحترام، وتُعدّل قواعد النحو عليها، ولا تُرَد القراءات؛ لأن النحاة لا يرتضونها، وسيأتي بأمثلة على ذلك:

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج النحوي. [المتوفى: ٣١١ هـ]. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٩٤).

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) تقدم التعريف به.

(٥) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن».

يقول: (كَإِسْكَانِ بَارِئْكمْ وَيَأْمُرْكُمْ)[(١)]؛ لأن عددًا من النحاة لم يَثْبُتْ عندهم أن العرب أسكنوا حَرْفًا في وسط الكلمة، فقالوا: إنما يسكن الحرف في آخر الكلمة لوقف أو إدغام، أما غير ذلك فلا يثبت عندهم، وعليه فقالوا: فـ(يأمرْكم) الأصل فيها: (يأمرُ)، بضم الراء، فقال بعضهم: إنَّ إسكان الراء لحْن لا يجوز القراءة به. وهي قراءة متواترة صحيحة! فَمَاذا عليهم لو عدّلوا قواعدهم وما أثبتوه بما في كتاب الله تبارك وتعالى وما تقتضيه القِرَاءَاتِ الصحيحة المتواترة.

وَخَفْضِ: وَالأَرْحَامِ. حيث قرأ حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] بخفض (الأرحام) أي: بعطف الأرحام على الضمير (الهاء) في (به) وعِنْدَ النحاة لا يَجُوز عَطْفُ الظاهر على المُضْمَرِ والعَمَلُ فيه إلا بإعادة العامل، فيُرِيدُون أن يُقال في هذه الآية مثلًا: (واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحَامِ)! نقول: هذا كلام الله، لا يجوز أن نُحَكِّم قواعد النحو عليه، إذا قال اللهُ تَعَالى: (والأرحامِ) نقبل هذا. فيقال تصحيحًا للقاعدة: إلا عَلَى قِلَّة، وهو ما جاء في كتاب الله على قراءة حمزة مثلًا[(٢)].

وَنَصْبِ: لِيُجْزَى قَوْمًا. لم يختلف القراء في: (لنجزي قوما) أو ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ فهذا كله سَائِغ عند أئمة النحو ليس فيه خلاف، لكن الذي فيه خلاف عند النحاة هو قراءة أبي جعفر[(٣)]: (لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يكْسِبُونَ)[(٤)] أي: ليُجزى

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٠).

(٢) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (١٩٠)، والحجة في القراءات السبع (١١٨).

(٣) وقراءة أبي جعفر هذه في المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران (ص ٤٠٣) والنشر (٢/ ٣٧٢) وإتحاف فضلاء البشر (ص ٥٠٢).

(٤) الجاثية: آية ١٤.

الجَزَاءُ قَوْمًا بما كانوا يكسبون. مثل أن تقول لرجل: جزاك الله خيرًا، كذلك تقول هنا؛ أي: لِيَجْزِيَ اللهُ الخيرَ قومًا، فإذا بنيت الفعل للمجهول فتقول: (لِيُجْزَى) فتجعل المفعول الأول نائب فاعل، ثم تجعل المفعول الثاني مفعولًا أولًا، فالمفعول الأول (الخيرَ) في: (لِيَجْزِيَ اللهُ الخَيْرَ قَوْمًا) جُعل نائب فاعل: (لِيُجْزَى الخَيْرُ قومًا) ثم حذفت كلمة (الخير)، فجُعِلَتْ: (لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كانوا يكْسِبُونَ) هذا هو تقدير الكلام. فالنحاة أقاموا الدنيا ولم يقعدوها في هذا، وقالوا: هذا لا يجوز! وهذا لا يصح! وهذا لحن! لأن التقدير هنا في نائب الفاعل: «الخير» أو «الجزاء» ونائب الفاعل إذا صَحَّ إظهاره فلا يَسُوغ إِضْمَارُهُ عندهم، والكوفيون يقولون: يصح أن يكون نائب الفاعل هنا هو «بما» في قوله: (بما كانوا يكسبون) أي: الجار والمجرور يكون هنا هو نائب الفاعل، أما البصريون فلا يجيزون أصلًا هذه القراءة، ويقولون: هذه القراءة فيها لحن[١].

وممن بَرَعَ مِنْ أئمة النحو المتوسطين في الجمع بين القرآن والنحو: ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]، وأبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] وكِلاهُمَا أَنْدَلُسِي، فقد بَرَعَا في الجمع بين النحو والقرآن، ، ويَصِحّ أَنْ يَكُونَ معهما ابن هشام[٤] أيضًا، رحمهم الله جميعًا.

---

(١) انظر: شذور الذهب (٢١٣)، شرح ابن عقيل (٢/ ١٢١).

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، الأستاذ المقدم في النحو واللغة جمال الدين أبو عبد الله صاحب التصانيف السائرة. توفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٦٧).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر. قال ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له: ابن هشام أنحى من سيبويه. من تصانيفه « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ». توفي سنة (٧٦١هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ١٤٧).

وَالْفَصْلِ بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ فِي الأَنْعَامِ. في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[(١)] حيث قرأ ابن عامر رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) والمعنى وكذلك زين شُرَكَاءُ هَؤلاء القوم -من الشياطين أو المشركين أو نحو ذلك- لهم قتل أولادهم بِعِلَلٍ مختلفة، فهذه القراءة سائغة، وهي قراءة معروفة، وتقدير الكلام: قتلُ شركائِهم أولادَهم، فالشركاء عندما أشاروا عليهم بهذه المشورة كأنهم هم الذين باشروا قتل الأولاد، فـ(قتل) مضاف و(شركائهم) مضاف إليه، وهَذِهِ القراءة فَصَلَتْ بَيْنَ المضاف والمضاف إليه بفاصل أجنبي وهو (أولادهم)، و(أولادهم) مفعول به للمصدر، والنحاة قالوا: لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وكان يمكن لهم تكملة للقاعدة أن يقولوا: إلا في هذا المثال مثلًا؛ لأن هذا مثال قرآني متواتر وصحيح، أو أن يقولوا: الفصل بين المضاف والمضاف إليه قليل في لغة العرب، ومنه هذا الموضع بتلك القراءة[(٣)]، وَغَيْرِ ذَلِكَ. من الأمثلة كثير[(٤)].

قَالَ الدَّانِي[(٥)]: وَأَئِمَّةُ الْقُرَّاءِ لا تعْمَل فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى

---

(١) الأنعام: ١٣٧.

(٢) القراءة في البحر المحيط (٤/ ٦٥٧)، ومعجم القراءات (٢/ ٣٢٢).

(٣) وقعد لها ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الألفية بهذا البيت:

فصل مضافٍ شبه فعل ما نصب مفعولًا او ظرفًا أجز ولم يعب

أي: أجز فصل مضاف شبيه بالفعل الذي نصب مفعولا به أو ظرفًا.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين (٢/ ٣٢٥)، وشرح ابن عقيل (٣/ ٨٢).

(٥) هو: أبو عمرو، تقدم.

الأَفْشَى فِي اللُّغَةِ وَالأَقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ عَلَى الأَثْبَتِ فِي الأَثَرِ وَالأَصَحِّ فِي النَّقْلِ، وَإِذَا ثَبَتَتِ الرِّوَايَةُ لَمْ يَرُدَّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ وَلَا فُشُوُّ لُغَةٍ؛ لأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَتَبَّعَةٌ يُلْتَزَمُ قَبُولهَا وَالمَصِيرُ إِلَيْهَا(١).

ما أجمل هذا الكلام! هذا كلام إمام عالم يخشى الله تبارك وتعالى. الإمام أبو عمرو الداني(٢): أحد أئمة الأندلس المشهورين، والداني نسبة إلى دَانِيَة مدينة بالأندلس، تُوُفِّيَ سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وكان من كبار أئمة الإسلام في النحو والتفسير والعقيدة والحديث، لَهُ منظومة طويلة تُقَدَّر بثلاثة آلاف بيت من أجمل المنظومات وأسلسها وأحسنها وهي في أصول الدين، وفيها كلام لطيف وهي منظومة سلسة أندلسية جميلة، ليست من المنظومات التي فيها جفاف، وقد اطلعت على بعض أبياتها. وأهل الأندلس أشعارهم معروفة بالسلاسة والجمال والحسن.

فكلام أبي عمرو الداني في هذا الموضع يُسَطَّر بماء الذهب. فيقول: (نحن لا نتبع في القراءة الأفشى في العربية ولا الأقيس في اللغة)، بل إذا ثبتت القراءة فهي سنة مُتبَّعة يُلْتَزَم قبولها والمصير إليها، فلا نخالفها بآراء النحاة وأَقْيِسَتِهم وقواعدهم، وإنما نَلْتَزِمُ الرجوع إلى ما ثَبَتَ في كتاب الله تعالى، أما ما يقوله النحاة فليس دينًا؛ لأن كلام النحاة مَبْنِيّ على الجمع والاستقراء، أي: يجتمعون في مجلس مثلًا فيقولون: هاتُوا كَلَامَ العَرَبِ في هذه المسألة، فيقول: قال فلان كذا، وفلان كذا، وقال فلان الجاهلي كذا، وفلان المخضرم كذا، وفلان الأموي

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١٠-١١).

(٢) سبق التعريف به.

كذا، والعباسي كذا، فيأتون بكلام العرب الذي وصل إليهم ثم يُقَعِّدُونَ القواعد بما وَصَلَ إِلَيْهِم من كلام العرب، هذا هو عمل النحاة، فهو عملٌ استقرائي جمعيٌ. لكن إن كان النحاة لم يصلهم هذا الشيء وهو في كتاب الله، أَنَرُدّ كتاب الله من أجل أن النحاة لم يصلهم شيء في هذا الباب يصححون به القراءة؟! هذا الذي وقع فيه كثير من النحاة للأسف، فلا يسوغ هذا العمل، وبكلام الداني تظهر هذه المسألة خير ظهور.

ثم قال: وَنَعْنِي بِمُوَافَقَةِ أَحَدِ المَصَاحِفِ مَا كَانَ ثَابِتًا فِي بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ.

الكلام لابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول: (**وَنَعْنِي بِمُوَافَقَةِ أَحَدِ المَصَاحِفِ**) وهذه مسألة ذكرناها من قبل، وهي أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حال اجتماعهم عند عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصل إليهم أحْرُف قد علموا وتَيَقّنُوا أن رسول الله ﷺ قرأ بها، فمثلًا وَصَلَ إليهم أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٦]. وقرأ أيضًا: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾[1] بدون واو، ووصل إليهم أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مما قرؤوه على رسولهم ﷺ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وكذلك (سارعوا إلى مغفرة...)[2] بدون واو، فلو أثبتوا الواو وحذفوها في مصحف واحد فإن هذا سيحدث خلافًا، فقالوا: نكتب المصحف الإمام وننسخ منه نسخًا إلى الأمصار -ذكرنا أنها خمسة أو ستة أو سبعة، على خلاف-، فكتبيوا في مصحف الشام

(١) انظر: حجة القراءات (١١٠).

(٢) انظر: حجة القراءات (١٧٤).

مثلًا: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ بدون واو، وأبقوا الواو في بقية المصاحف كلها فكتبوا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هكذا وصل إليهم، وهذا حل جيد يُوَفِّقُ بَيْنَ ما وصل إليهم عن رسول الله ﷺ، فابن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشام ومن كان على مذهبه لم يكونوا يُثْبِتُونَ الواو، إنما كانوا يقرؤون: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وباقي القراء يقرؤون: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ اتِّبَاعًا لما هو في مصاحفهم، وهكذا في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾[1]، و﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] لابْنِ كثير، فإن (مِنْ) مثبتة في المصحف المكي.

وكَقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[2] فِي البَقَرَةِ بِغَيْرِ وَاوٍ، و﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[3] بِالبَاءِ فِيهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي المُصْحَفِ الشَّامِيِّ، وَكَقِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ[4]: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فِي آخِرِ بَرَاءَةَ بِزِيَادَةِ (مِنْ)، فَإِنَّهُ ثَابِتٌ فِي المُصْحَفِ المَكِّيِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنَ المَصَاحِفِ العُثْمَانِيَّةِ فَشَاذَّة؛ لِمُخَالَفَتِهَا الرَّسْمَ المُجْمَعَ عَلَيْهِ[5]. فإن لم تكن تلك القراءة في أي مصحف من المصاحف السبعة فهذه لا نَقْبَلُهَا أَبَدًا، فلا يأتي واحد يُنقص حرفًا أو يزيد حرفًا ليس في المصاحف العثمانية.

وَقَوْلُنَا: وَلَوِ احْتِمَالًا: نَعْنِي بِهِ مَا وَافَقَهُ وَلَوْ تَقْدِيرًا، كَـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

---

(١) انظر: حجة القراءات (٣٢٢)، النشر في القراءات العشر (١/ ١١).

(٢) انظر: حجة القراءات (١١٠).

(٣) آل عمران: ١٨٤. وانظر: حجة القراءات (١٨٥)، النشر (١/ ١١).

(٤) انظر: حجة القراءات (٣٢٢)، النشر في القراءات العشر (١/ ١١).

(٥) النشر في القراءات العشر (١/ ١١).

[الفاتحة: ٤] **فَإِنَّهُ كُتِبَ فِي الجَمِيعِ بِلَا أَلِف، فَقِرَاءَةُ الحَذْفِ تُوَافِقُهُ تَحْقِيقًا، وَقِرَاءَةُ الأَلِفِ تُوَافِقُهُ تَقْدِيرًا لحَذْفِهَا فِي الخَطِّ اخْتِصَارًا.**

وهنا قد يرد اعتراض على هذا بأن يقال: أنتم تقولون: ما نستطيع أن نثبت حرفًا ولا نحذف حرفًا من المصاحف العثمانية، والمصاحف العثمانية اتفقت على كتابة (مَلِك): (ميم، لام، كاف) حروف متوالية متصلة، ليس فيها ألف، فمِنْ أين أتيتم بهذا الألف وقلتم (مالك)؟

نقول: كان العرب في المشهور عندهم في كتابتهم يحذفون الألف تخفيفًا، فيكتبون (إسحق)، ويكتبون (الرحمن) و(بسم) بدون ألف، وهذا مشهور عندهم في كتابتهم، فكذلك قراءة (مَلك) توافق الرسم تحقيقًا، لأن ملك مكتوبة (ملك) هكذا في الرسم، والذي يقرأ (مالك) فقراءته تُوَافِق الرسم تَقْدِيرًا؛ لأن العرب يُكْثِرُونَ مِنْ حَذْفِ الألِفِ في كتاباتهم، فنُقَدِّر أنَّ هُنَاكَ ألفًا محذوفة بين (الميم) و(اللام) وتكتب ألفًا خِنْجَرِيَّة، وتسمى: خنجرية؛ لأنها على شكل خنجر بدون غمد، فلذلك ساغ القراءة بها.

كَمَا كُتِبَ (مَلِك المُلْك) [آل عمران: ٢٦].

وَقَدْ يُوَافِقُ اخْتِلَافُ الْقِرَاءَاتِ الرَّسْمَ تَحْقِيقًا نَحْوُ (تَعْمَلُونَ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ[١].

(تعملون)، و(يعملون)، فإما أن يضع النقطتين فوق فيقرأ (تعملون)، وإما أن يضع النقطتين تحت فيقرأ (يعملون) وليس المقصود أن يضع هذه النقط من عنده -كما يقول المستشرقون[٢]- وإنَّمَا هِيَ بِأَثَر صحيح متواتر عن الصحابة الذين قرؤوا عن رَسُولِ الله ﷺ.

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١١).

(٢) سبق بيانه.

وَ(نَغْفِر لَكُمْ) بِالْيَاءِ وَالنُّونِ[(١)]، وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ تَجَرُّدُهُ عَنِ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ فِي حَذْفِهِ وَإِثْبَاتِهِ عَلَى فَضْلٍ عَظِيمٍ لِلصَّحَابَةِ فِي عِلْمِ الهِجَاءِ خَاصَّةً، وَفَهْمٍ ثَاقِبٍ فِي تَحْقِيقِ كُلِّ عِلْمٍ، وَانْظُرْ كَيْفَ كَتَبُوا (الصِّرَاطَ)[(٢)] بِالصَّادِ المُبْدَلَةِ مِنَ السِّينِ، وَعدَلُوا عَنِ السِّينِ الَّتِي هِيَ الأَصْلُ لِتَكُونَ قِرَاءَةُ السِّينِ -وَإِنْ خَالَفَتِ الرَّسْمَ مِنْ وَجْهٍ- قَدْ أَتَتْ عَلَى الأَصْلِ فَيَعْتَدِلَانِ، وَتَكُون قِرَاءَةُ الإِشْمَامِ مُحْتَمَلَةً، وَلَوْ كُتِبَ ذَلِكَ بِالسِّينِ عَلَى الأَصْلِ لَفَاتَ ذَلِكَ وَعُدَّتْ قِرَاءَةُ غَيْرِ السِّينِ مُخَالِفَةً لِلرَّسْمِ وَالأَصْلِ، وَلِذَلِكَ اخْتُلِفَ فِي رسم (بَصْطَة) [الأعراف: ٦٩] الأَعْرَاف[(٣)]، دُونَ (بَسْطَة) [البقرة: ٢٤٧] البَقْرَة[(٤)]، لِكَوْنِ حَرْفِ البَقَرَةِ كُتِبَ بِالسِّينِ وَالأَعْرَافِ بِالصَّادِ، عَلَى أن مُخَالِفَ صَرِيحِ الرَّسْمِ فِي حَرْفٍ مُدْغَمٍ أَوْ مُبْدَلٍ أَوْ ثَابِتٍ أَوْ مَحْذُوفٍ أَوْ نَحْو ذَلِكَ لَا يُعَدّ مُخَالِفًا إِذَا ثَبَتَتِ الْقِرَاءَةُ بِهِ وَوَرَدَتْ مَشْهُورَةً مُسْتَفَاضَةً، وَلِذَا لَمْ يَعُدّوا إِثْبَاتَ يَاءِ الزَّوَائِد، وَحذفَ يَاءِ: (فَلَا تَسْأَلْنِي)[(٥)] فِي الكَهْفِ [آية: ٧٠]، وواو: (وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ)[(٦)]، و(الظَّاء) مِنْ (بِضَنِين)[(٧)]

---

(١) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (٢٩٨)، والحجة في القراءات السبع (١١٦)، المبسوط في القراءات العشر (١٣٠).

(٢) انظر: جامع البيان في القراءات السبع (١/ ١٢٠)، وحجة القراءات، لأبي زرعة (٨٠).

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٢٨).

(٤) حجة القراءات، لأبي زرعة (١٣٩)، والمبسوط في القراءات العشر (١٤٨).

(٥) قال أحمد بن الحسين بن مهران النيسابورى في كتابه المبسوط في القراءات العشر (٢٨٠): قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: (**فلا تسألني**) [٧٠] مفتوحة اللام مشددة النون. وقرأ الباقون ﴿فَلَا تَسْـَٔلۡنِي﴾ ساكنة اللام خفيفة النون، ولم يختلفوا في إثبات الياء فيه وصلًا ووقفًا؛ لأنها مثبتة في جميع المصاحف. وذكر بعضهم لابن عامر بحذف الياء، وهو غلط؛ لأنني قرأته بالشام بإثبات الياء، وتأملته في مصاحفهم العتيقة، فرأيته مكتوبًا بالياء.

(٦) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٨٨).

(٧) انظر: النشر (٢/ ٣٩٨-٣٩٩).

وَنَحْوِهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الرَّسْمِ المَرْدُودَةِ.

لم يعدوا ذاك مِنْ مُخَالَفَةِ الرسم التي تُرَدّ، فـ(ليس على الوحي ﷺ بضنين) أي: لا يَبْخَل ﷺ في تَبْلِيغِ الوَحْيِ على الوَجْهِ المطلوب[1]، بل يَبْذُله ﷺ لكل طالب، (وليس على الوحي بظنين) أي: لَيْسَ على الوحي بمُتَّهَم، فالظَّنِين هو المُتَّهَم[2]، فمَنْ قَرَأَ بضنين وبظنين فقد قرأ بمتواتر، وصَارَتِ الضَّادُ ظَاءً بهذه الألف التي فوق الضاد وهذه تُقدر في الرسم؛ لأن هذه القراءة متواترة مشهورة عند أئمة العربية وأئمة التفسير والقراءة وأئمة المسلمين وحتى عوام المسلمين! فهما قراءتان مشهورتان، فَلَا يُعَدّ ذَاكَ من وجه الاختلاف المردود.

وكذلك قوله وتعالى: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] (وأكون من الصالحين) تُقَدّر واو صغيرة بين الكاف والنون.. وهكذا. وهذه المسألة تَطُول ويُرْجَع إليها في علم القِرَاءَات، ومَهْمَا شُرِحَت الآن فلا يُسْتَطَاع فَهْمُهَا على الوجه الكامل، إنما تُقَرَّب فقط إلى الأذهان، وتحتاج إلى وسائل حتى تُشرح شرحًا وافيًا.

فَإِنَّ الخِلَافَ فِي ذَلِكَ مُغْتَفَر؛ إِذْ هُوَ قَرِيبٌ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وتمشّيه صِحَّة القِرَاءَةِ وَشُهْرَتُهَا وَتَلَقِّيهَا بِالْقَبُولِ، بِخِلَافِ زِيَادَةِ كَلِمَةٍ وَنُقْصَانِهَا، وَتَقْدِيمِهَا وَتَأْخِيرِهَا، حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ حَرْفًا وَاحِدًا مِنْ حُرُوفِ المَعَانِي، فَإِنَّ حُكْمَهُ فِي حُكْمِ الكَلِمَةِ لا يسُوغُ مُخَالَفَةُ الرَّسْمِ فِيهِ، وَهَذَا هُوَ الحَدُّ الْفَاصِلُ فِي حَقِيقَةِ اتِّبَاعِ الرَّسْمِ وَمُخَالَفَته.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٦١).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٧٣).

اللغة العربية فيها أحرف كثيرة، وبَعْضُ حروفها لها مَعَانٍ، ومن هذه الحروف ما يكون على حرف واحد جَمَعَهَا بعضهم بقوله: (بِكَشْفٍ سألتمونيها)، فالباء إذا دخلت على الكلمة يراد بها التبعيض أو الإلصاق، والهمزة إما للاستفهام أو للنداء أو للتنكير أو للتوبيخ... إلى آخره. وقد تكون على حَرْفَيْنِ مثل: (من، أن، لن). فـ(لن) -مثلًا- حرف يَنْصِب الفعل المضارع، ومِنْ مَعَانِيه التأبيد في الدنيا، كقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقد تكون حروف المعاني هذه ثلاثية أو رباعية أو خماسية، ومن يريد التفصيل في هذا فليرجع إلى «مُغْنِي اللبيب» لابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]، أو كتاب الحسن بن القاسم المرادي[(٢)] «حروف المعاني»[(٣)] وكانا مُتَعَاصِرَيْنِ، فعلى هذا لا يجوز إنقاص حرف واحد مِنْ كتاب الله ولا زيادته أبدًا، ولا يقبل إذا كان خارجًا عن رسم المصاحف.

قَالَ: وَقَوْلُنَا: وَصَحَّ سَنَدُهَا؛ يَعْنِي بِهِ: أَنْ يَرْوِيَ تِلْكَ الْقِرَاءَةَ الْعَدْلُ الضَّابِطُ عَنْ مِثْلِهِ، حَتَّى تَنْتَهِي وَتَكُونَ مَعَ ذَلِكَ مَشْهُورَةً عِنْدَ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ، غَيْرَ مَعْدُودَةٍ عِنْدَهُمْ مِنَ الْغَلَطِ أَوْ مِمَّا شَذَّ بِهَا بَعْضُهُمْ.

قوله: (**حَتَّى تَنْتَهِي وَتَكُونَ مَعَ ذَلِكَ مَشْهُورَةً عِنْدَ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ، غَيْرَ**

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، بدر الدين، أبو محمد، المعروف بابن أم قاسم. ولد بمصر، وأخذ عن أبي حيان وغيره، وأتقن العربية والقراءات، وألف كتبًا، منها شرح التسهيل، وشرح الألفية، وشرح المفصل، والجنى الداني في حروف المعاني. مات يوم عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة. انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٥٣٦).

(٣) مطبوع ومتداول باسم: «الجني الداني في حروف المعاني».

مَعْدُودَةٍ عِنْدَهُمْ مِنَ الْغَلَطِ أَوْ مِمَّا شَذَّ بِهَا بَعْضُهُمْ).

هذه مسألة كثر فيها الكلام بين الأئمة مِنَ السلف والخلف رحمهم الله، هل يُشْتَرَط في القراءة تواتر السند، أو يكفي في ذلك الصحة؟

والتحقيق -والله أعْلَمُ- أنه لا يكفي فيها الصحة فقط، ولا يُشْتَرَط في كل جزئية منها التواتر دَوْمًا، إنما يشترط في القراءة المقبولة أن تكون -على الأقل- صحيحة، أي: منقولة نَقْلَ آحاد عن رسول الله ﷺ ولا بد أيضا -وهو أمْر مهم جدًّا- من الاستفاضة والشهرة، وليست الشهرة الحديثية المعروفة، وهو أن يروي القراءة ثلاثة من الأئمة في كل طبقة من طبقات السند، إنما يعني الأئمة بها أن تُشْتَهَر بين الناس، وتعرف أن هذه قراءة مرفوعة إلى رسول الله ﷺ، فإذا وُجِدَ هَذَا الضابط: (صِحَّة السند، وشهرة هذه القراءة، واستفاضتها في الناس) ولو لم يكن سَنَدُهَا مُتَوَاتِرًا فإنها قراءة صحيحة مقبولة يُقرأ بها في الصلاة، ويُتَعَبَّد بها على أنها قرآن من عند الله تبارك وتعالى، أمَّا الذي يشترط التواتر في كل جزئية وفي كل حركة وكل إمالة فهذا يَشْتَرِطُ أمْرًا بعيدًا، فالتواتر في كل جزئية من جزئيات القراءات لا يمكن لهذا الشخص المشترط له أن يثبته أبدًا، وهذا أمر معلوم، وسيأتي الكلام عليه.

قَالَ: وَقَدْ شَرَطَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ التَّوَاتُرَ فِي هَذَا الرُّكْنِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِصِحَّةِ السَّنَدِ، وَزَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِالتَّوَاتُرِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ مَجِيءَ الْآحَادِ لَا يَثْبُتُ بِهِ قُرْآنٌ. قَالَ: وَهَذَا مِمَّا لَا يَخْفَى مَا فِيهِ؛ فَإِنَّ التَّوَاتُرَ إِذَا ثَبَتَ لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الرُّكْنَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ مِنَ الرَّسْمِ وَغَيْرِهِ.

قوله: (وَهذَا ممَّا لا يخفى ما فيه...) هذا من قول ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، أي: لا يخفى ما فيه من التكلف والبعد عن الصواب؛ لأنه -كما قال- إذا ثَبَتَ التواتر فإنَّا لا نحتاج إلى الرّكنين اللَّذين قد جرى الكلام عليهما قبل ذلك، فقد ذكر أن للقراءة الصحيحة ثلاثة أركان: موافقتها للرسم العثماني، وموافقتها للعربية بوجه فصيح أو أفصح، وصحة السند المتصل. هذه هي الشروط، فابن الجزري يقول: إذا توفر التواتر في القراءة فلا يُحْتَاج إلى إثبات فصاحتها في العربية، ولا إلى إثبات موافقتها للرسم العثماني، بل إذا ثَبَتَ التواتر فإنه يُستغنى به عن كل شَيْء آخر، هذا معنى قوله: (الركنين الأخيرين من الرسم وغيره)؛ أي: موافقة العربية.

إِذْ مَا ثَبَتَ مِنْ أَحْرُفِ الخِلَافِ مُتَوَاتِرًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَقُطِعَ بِكَوْنِهِ قُرْآنًا، سَوَاء وَافَقَ الرَّسْمَ أَوْ لَا، وَإِذَا شَرَطْنَا التَّوَاتُرَ فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنَ حُرُوفِ الخِلَافِ انْتَفَى كَثِيرٌ مِنْ أَحْرُفِ الخِلَافِ الثَّابِتِ عَنِ السَّبْعَةِ. وعن العشرة أيضا، فقد ذكرنا أن القراءات الصحيحة عشر قراءات. أما ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: السبعة؛ للمشهور عند الناس، إنما هم عشرة قراء ثبتت قراءتهم.

قَالَ أَبُو شَامَةَ[٢]: شَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ المُقْرِئِينَ المُتَأَخِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ المُقَلِّدِينَ أَنَّ السَّبْعَ كُلَّهَا مُتَوَاتِرَةٌ، أَيْ: كُلُّ فَرْدٍ فَرْدٍ مِمَّا رُوِيَ عَنْهُمْ. أي: كل قراءة وكل رواية من السبعة متواترة، وكل فرد من تلك القراءة أو تلك الرواية متواتِر أيضًا، ثم قال:

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق التعريف به.

قَـالُوا: وَالْقَطْعُ بِأَنَّهَـا مُنَزَّلَـةٌ مِـنْ عِنْـدِ اللهِ وَاجِـبٌ. هنـا انتهـى قـولهم. ثـم ابـن الجزري رَحِمَهُ اللهُ يقول: وَنَحْنُ بِهَذَا نَقُولُ. ونحـن -أيضًـا- بهـذا نقـول ولله الحمـد. وَلَكِنْ فِيمَا اجْتَمَعَتْ عَلَى نَقْلِهِ عَنْهُمُ الطُّرُقُ، وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْفِرَقُ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ لَهُ، فَلَا أَقَلَّ مِنِ اشْتِرَاطِ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَّفِقِ التَّوَاتُرُ فِي بَعْضِهَا.

وَقَالَ الجَعْبَرِيُّ[1]: الشَّرْطُ وَاحِدٌ، وَهُوَ صِـحَّةُ النَّقْـلِ، وَيَلْـزَمُ الآخَـرَانِ - أَيْ: يَلْزَمُ الشَّرْطَانِ الآخَرَان: موافقة العربية، ومُوَافَقَة الرسـم- فَمَنْ أَحْكَمَ مَعْرِفَةَ حَالِ النَّقَلَةِ، وَأَمْعَنَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَتْقَنَ الرَّسْمَ انْجَلَتْ لَهُ هَذِهِ الشُّبْهَةُ.

وَقَالَ مَكِّيٌّ[2]: مَـا رُوِيَ فِـي الْقُـرْآنِ عَلَـى ثَلَاثَـةِ أَقْسَامٍ: قِـسْمٌ يُقْـرَأُ بِـهِ وَيَكْفُـرُ جَاحِدُهُ، وَهُوَ مَا نَقَلَهُ الثِّقَاتُ وَوَافَقَ الْعَرَبِيَّةَ وَخَطَّ الْمُصْحَفِ.

وَقِسْمٌ صَحَّ نَقْلُهُ عَنِ الآحَادِ وَصَحَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَخَالَفَ لَفْظُهُ الخَطَّ، فَيُقْبَلُ وَلَا يُقْـرَأُ بِـهِ؛ لأَمْـرَيْنِ: مُخَالَفَتُـهُ لِمَـا أُجْمِـعَ عَلَيْـهِ، وَأَنَّـهُ لَـمْ يُؤْخَـذْ بِإِجْمَـاعٍ، بَـلْ بِخَبَـرِ الآحَادِ، وَلَا يَثْبُتُ بِهِ قُرْآنٌ وَلَا يَكْفُرُ جَاحِدُهُ، وَبِئْسَ مَا صَنَعَ إِذَا جَحَدَهُ.

وَقِسْمٌ نَقَلَهُ ثِقَةٌ وَلَا وَجْهَ لَهُ فِـي الْعَرَبِيَّـةِ، أَوْ نَقَلَـهُ غَيْـرُ ثِقَـةٍ فَـلَا يُقْبَـلُ وَإِنْ وَافَـقَ الخَطَّ.

وسـيذكر ابـن الجـزري رَحِمَهُ اللهُ أمثلـة للأقـسام الثلاثـة التـي ذكرهـا الإمـام أبـو محمد مكي بن أبي طالب القيسي رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق: عالم بالقراآت، من فقهاء الشافعية. يقال له: (شيخ الخليل)، وقد يعرف بابن السراج، وكنيته في بغداد (تقي الدين) وفي غيرها (برهان الدين) له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر. توفي سنة (٧٣٢هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٥٥). غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢١).

(٢) سبق التعريف به.

قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ: مِثَالُ الأَوَّلِ كَثِيرٌ: كَقِرَاءَةِ (مَالِك) و(مَلِك)، و(يَخْدَعُونَ) و(يُخَادِعُونَ). فهذه القراءات مثالٌ لِلْقِرَاءَةِ المقبولة التي يَكْفُرُ جاحدها؛ لما تَوَاتَرَ نَقْلُها عَن رسول الله ﷺ واسْتَفَاضَت، واشتهر في الناس أن مِنَ الأئِمَّة مَنْ يَقْرَأ: (ومَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) [البقرة: ٩] ومنهم من يقرأ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾(١)، فَيكفرَ جاحده. ومثلها قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و(مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: ٤]، فهي -أيضًا- من القراءات التي تواترت بين جمهور المسلمين(٢).

وَمِثَالُ الثَّانِي: قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ(٣) وَغَيْرِهِ: (وَالذَّكَرِ والأُنْثَى). والقراءة المعروفة: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]. فابن مسعود أَخَذَ هذه القراءة عَنْ رَسُول الله ﷺ قَبْل نَسْخِهَا بالعَرْضَةِ الأخِيرَةِ. فحُكْم هذه القراءة هو ما ذكره في القسم الثاني: وهو ماصَحَّ نَقْلُهُ عن الآحاد، وصَحَّ في العربية، وخالف لَفْظُهُ الخَطَّ فيُقْبَل؛ لأنه كان يُقْرَأ به قبل العَرْضَةِ الأخِيرَةِ، أما بَعْدَ العَرْضَةِ الأخيرة فلا يُقْبَل على أنه قرآن، ولا يُقرأ به؛ لأمرين أهمهما أنه يخالف الخط؛ أي: ليس عندنا في المصحف العثماني: (والذكرِ والأنثى).

وَقِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ).

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] كان ابن عباس يقرأ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ...)، ولا تُقْبَل؛ لمُخَالَفَتِهَا الخَطّ(٤). وَنَحْوُ ذَلِكَ.

---

(١) انظر: حجة القراءات (٨٧).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧١) الحجة في القراءات السبع (٦٢).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ١٤).

قَالَ: وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي القِرَاءَةِ بِذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ، وَالأَكْثَرُ عَلَى المَنْعِ؛ لأَنَّها لَمْ تَتَوَاتَرْ، وَلَمْ تَثْبُتْ بِالنَّقْلِ، فَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِالْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، أَوْ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى المُصْحَفِ العُثْمَانِيِّ. لأنه لا يُستطاع الآن تحديد ما الذي نُسخ في العَرْضَةِ الأخيرة، وما الذي نُسخ بإجماع الصحابة على المصْحَفِ العثماني، وما الذي نسخ بِغَيْرِ ذَلِكَ فِي حَيَاةِ رسول الله ﷺ مثل ما كان يُقْرَأ: (عَتّى عين)[1] أي: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] وكانت هذه قراءة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من هُذيل.

وَمِثَالُ مَا نَقَلَهُ غَيْرُ ثِقَةٍ كَثِيرٌ مِمَّا فِي كُتُبِ الشَّوَاذِّ مِمَّا غَالِبُ إِسْنَادِهِ ضَعِيفٌ، وَكَالْقِرَاءَةِ المَنْسُوبَةِ إِلَى الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ[2] الَّتِي جَمَعَهَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الخُزَاعِيّ[3]، وَنَقَلَهَا عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ الهُذَلِيّ[4]، وَمِنْهَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] بِرَفْعِ (اللهُ) وَنَصْبِ (الْعُلَمَاءَ)، وَقَدْ كَتَبَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَجَمَاعَةٌ بِأَنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَوْضُوعٌ لا أَصْلَ لَهُ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ المَذْكُورُ هُوَ الحَافِظُ أَبُو الحَسَنِ المَشْهُورُ، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ المُقْرِئِينَ أَيْضًا[5].

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢).

(٢) النعمان بن ثابتٍ بن زوطي، الإمام العلم، أبو حنيفة، الكوفي، الفقيه. قال الحافظ: فقيه مشهور. وقال الذهبي: الإمام فقيه العراق. توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٩).

(٣) محمد بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم الجرجاني المقرئ مصنف كتاب «الواضح» وكان كثير التطواف في طلب القراءات، توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر: شذرات الذهب (٥/ ٥١).

(٤) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة، أبو القاسم الهذلي المقرئ المغربي البسكري. قال الذهبي في التاريخ (١٠/ ١٣٥): أحد الجوالين في الدنيا في طلب القراءات، لا أعلم أحدًا رحل في طلب القراءات- بل ولا الحديث- أوسع من رحلته؛ فإنه رحل من أقصى المغرب إلى أن انتهى إلى مدينة فرغانة، وهي من بلاد الترك. وذكر أنه لقي في هذا الشأن ثلاثمائة وخمسة وستين شيخًا. توفي سنة (٤٦٥هـ).

(٥) قال ابن الجزري في النشر (١/ ١٦): قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاعي وضع كتابًا في الحروف =

ألف محمد بن جعفر الخزاعي كتابًا اسمه «المنتهى في القراءات» -في القراءات الخمس عشرة-، وهو كتاب موجود، ما أدري كيف نُسب إليه، جمع قِرَاءة منسوبة للإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ! مع أن هذه القراءة ليست بثابتة عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قال جماعة من العلماء: إنها موضوعة لا أصل لها. ومن أمثال هذه القراءة: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)، فهذه القراءة لا أصل لها، وليست صحيحة أبدًا، وليست وجهًا من أوجه القراءات![١].

وَمِثَالُ مَا نَقَلَهُ ثِقَةٌ وَلَا وَجْهَ لَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ قَلِيلٌ لَا يَكَادُ يُوجَدُ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ مِنْهُ رِوَايَةَ خَارِجَةَ عَنْ نَافِعٍ[٢]: (مَعَائِش)[٣] بِالهَمْزِ. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠] و(معايش) ما يُعَاشُ به من المال والطعام ونحو، أو ما يُعاش فيه من الزمان[٤]، وروي عن خَارِجَةَ عن نافع، وهي قراءة منسوبة إلى زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا وإلى غيره أنهم كانوا يقرأون: (معائش) بالهمز. ويزعم الإمام الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تاج العروس» أن لهذه القراءة -(معائش) بالهمز- أصلًا في العربية، مع أن جمهور القراء يُضَعِّفُون هذه القراءة ولا يثبتونها[٥]؛ لأن (معايش) جمع معيشة، وأصل كلمة مَعِيشَة: مَعْيَشَة -بسكون العين وفتح الياء- فإذًا: العين -وهي هنا الياء- أصلية في المفرد، فإذا جمعت المفرد على هذا

= نسبه إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعةٍ أن الكتاب موضوعٌ لا أصل له.

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١٦).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) انظر: السبعة في القراءات، لأبي بكر ابن مجاهد البغدادي (٢٧٨).

(٤) انظر: لسان العرب (٦/ ٣٢١) مادة: عيش.

(٥) انظر: غيث النفع في القراءات العشر (٢٣٥).

فإنَّك لا تحوّل الياء إلى همزة، فلا تقول: (معائش)، وإنما تُبقي الياء كما هي، فتقول: (معايش)، وجوز بعضهم (معائش) قياسًا على: مصائب جمع مصيبة، وعلى هذا اتكأ الإمام الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تاج العروس»، وقال: لهذه القراءة بالهمز أصل في العربية، وأتى بأمثلة وأوجه يمكن الرجوع إليه في مادة (عَيَشَ) في تاج العروس لمن أراد. وكثير من القراء؛ كابن الجزري وجمهور القراء يُضَعِّفُون هذه القراءة، بل يرون أنه لا أصل لها في العربية، وأنها غير صحيحة[1].

قَالَ: وَبَقِيَ قِسْمٌ رَابِعٌ مَرْدُودٌ أَيْضًا. يعني: هذا القسم غريب، وقَلَّ من اتخذه أصلًا يَقْرَأ به على الناس، وسيأتي -إن شاء الله- مِثَالُهُ.

وَهُوَ مَا وَافَقَ الْعَرَبِيَّةَ وَالرَّسْمَ وَلَمْ يُنْقَلِ أَلْبَتَّةَ، فَهَذَا رَدُّهُ أَحَقّ، وَمَنْعُهُ أَشَدُّ، وَمُرْتَكِبُهُ مُرْتَكِبٌ لِعَظِيمٍ مِنَ الْكَبَائِرِ.

قوله: (أَلْبَتَّةَ)[2] همزتها همزة قطع على الصحيح، ومن نقل الهمزة فإن له أصلًا يتكئ عليه عند أئمة العربية رحمهم الله، فإن أكثرهم يقول: ألبتة همزتها همزة قطع، وبعضهم يقول: همزتها همزة وصل، فلا شيء في نقلها.

فكلمة (يرجعون) مثلًا، تُقرأ: (تَرْجعون)، وتقرأ (تُرجعون)، وتقرأ (يُرجعون) مثل ما يقوله المستشرقون[3]، وقد بينت ذلك سابقًا، فلم يثبت أن أحدًا كان يُقرئ الناس على هذا المنوال، ولم يقرئ الأئمةُ الناسَ حرفًا إلا بأثر عن رسول الله ﷺ، ولم يُثبِتْ عنهم مُثْبِت أنهم كانوا يقرؤون بما تَيَسَّرَتْ قراءته

---

(١) تاج العروس (١٧/ ٢٨٣).

(٢) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٧٦) مادة: (ب ت ت).

(٣) سبق بيانه.

من مصحف الإمام بدون أن يكون لهم أثر إلى رسول الله ﷺ، إلا ما كان من الإمام أبي بكر بن مقسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، فقد كان يقرأ على هذا الوجه، وعُقِد له مجلس تأديبي ببغداد، ورجع عن قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

وَقَدْ ذُكِرَ جَوَازُ ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُقْسِمٍ، وَعُقِدَ لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَجْلِسٌ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مَنْعِهِ، وَمِنْ ثَمَّ امْتَنَعَت القِرَاءَةُ بِالْقِيَاسِ المُطْلَقِ الَّذِي لا أَصْلَ لَهُ يُرْجَعُ إِلَيْهِ، وَلا رُكْنَ وَثِيقٌ يُعْتَمَدُ فِي الأَدَاءِ عَلَيْهِ.

يمكن أن يقاس في القراءة شيء على شيء، يعني: ثبتت القراءة بالإمالة عن رسول الله ﷺ وجاء نظيره في كتاب الله تبارك وتعالى، فلا مانع عند الأئمة أن يُقْرَأَ النظير كذاكَ بالإمالة، ولو لم تكن فيه رواية، وهو أمر قَلِيل في القراءات، لكنه موجود. والأكثر على أنه ليس هناك حرف يقرأه الإمام المُعْتَبَر في القراءة إلا بأثر عن الصحابة إلى رسول الله ﷺ، وهذا قياس نِسْبِيّ، يعني: أن تأتي إمالة بأثر ويأتي نظيرها فتُمَالُ أيْضًا، وهو الأقل في القِرَاءَة، أمَّا القياس المطلق بدون أَثَر، فهذا مما لا يَصِحّ أبدًا.

قَالَ: أَمَّا مَا لَهُ أَصْلٌ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مِمَّا يصارُ قَبُول القِيَاسِ عَلَيْهِ كَقِيَاسِ إِدْغَامِ: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ [المائدة: ٢٣] عَلَى ﴿ قَالَ رَبِّي ﴾ [الأنبياء: ١١٢]. فالذي يُدْغِم (قارَّبي) يقيس على ذلك (قال رجلان) فيقرأ: (قارَّجلان من الذين يخافون)

---

(١) محمد بن الحسن بن مقسم أبو بكر المقرىء النحوي أحد الأئمة. قال الحافظ في اللسان (٦٦٦٩): تكلموا فيه، ووثقه الخطيب. مات ابن مقسم سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وكان مولده سنة ٢٦٥.

(٢) قال الحافظ في لسان الميزان (٧/ ٧٦): لكنه استتيب من قراءته بما لا يصح نقله، وكان يقرأ بذلك في المحراب، ويعتمد على ما يسوغ في العربية، وإن لم يعرف له قارئ.

وهذا الإدغام هو الإدغام الكبير[1]، أسكنت اللام أولًا ثم أدغمتها في الراء.

وَنَحْوِهِ مِمَّا لا يُخَالِفُ نَصًّا وَلَا أَصْلًا، وَلَا يَرُدُّ إِجْمَاعًا مَعَ أَنَّهُ قَلِيلٌ جِدًّا. هذا القياس قليل جدًّا عند أئمة القراء على ما يقوله ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما الأصل ألا يُقرأ حرفٌ إلا بأَثَرٍ.

قُلْتُ: قَدْ أَتْقَنَ الإِمَامُ ابْنُ الجَزَرِيِّ هَذَا الْفَصْلَ جِدًّا، وَقَدْ حُرّر[2] لِي مِنْهُ أَنَّ رِوَايَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى أَنْوَاعٍ:

الأَوَّل: المُتَوَاتِرُ: وَهُوَ مَا نَقَلَهُ جَمْعٌ يَمْتَنِعُ تَوَطُّؤُهُمْ عَلَى الْكَذِبِ عَنْ مِثْلِهِمْ إِلَى مُنْتَهَاهُ. قلت: وأكثر الاختلاف في قراءات القرآن العظيم هو من هذ النوع، من المتواتر القطعي الذي يكْفُرُ جاحده.

الثَّانِي: الآحَادُ الَّذِي فُقِدَ فِيهِ التَّوَاتُرُ، وَهُوَ مَا صَحَّ سَنَدُهُ وَوَافَقَ الْعَرَبِيَّةَ وَالرَّسْمَ، وَاشْتُهِرَ عِنْدَ الْقُرَّاءِ فَلَمْ يَعُدّوهُ مِنَ الْغَلَطِ وَلَا مِنَ الشُّذُوذِ، وَيُقْرَأُ بِهِ عَلَى مَا قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ، والشَّرْطُ الأَخِيرُ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الْكَلَامِ عَلَى الضَّابِطِ، وَلا بُدَّ مِنْهُ، فَيُتَفَطَّنُ لَهُ.

قوله: (**واشْتُهِرَ عند القُرَّاء**)، هذا أهم شيء في هذه المسألة، وهو الفاصل بين المختلفين في هذه المسألة: من قال: إن القراءات يشترط فيها التواتر، ومن قال: إن القراءات لا يشترط فيها التواتر، بل يُكتفى في ذلك بصحة السند. فالفيصل بينهم هو الشهرة والاستفاضة.

---

(١) قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ في النشر (١/ ٢٧٤): الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا، وينقسم إلى كبيرٍ وصغيرٍ. (فالكبير) ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا، سواءٌ أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين، وسمي كبيرًا؛ لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من السكون.

(٢) وفي نسخة (تحرر لي).

الثَّالِثُ: الشَّاذُّ، وَهُوَ مَا صَحَّ سَنَدُهُ وَخَالَفَ الرَّسْمَ أَوِ الْعَرَبِيَّةَ مُخَالَفَةً تَضُرُّ، أَوْ لَمْ يَشْتَهِرْ عِنْدَ الْقُرَّاءِ وَلَا يُقْرَأُ بِهِ.

ذكرنا أن الشاذ عند أئمة القراء هو الذي يختل فيه رُكْن من الأركان الثلاثة التي سَبَق ذكرها.

الرَّابِعُ: المُنْكَرُ أَوِ الْغَرِيبُ، وَهُوَ مَا لَمْ يَصِحَّ سَنَدُهُ.

الخَامِسُ: المَوْضُوعُ، وَهُوَ أَحَطُّ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ، كَالَّتِي جَمَعَهَا الخُزَاعِيُّ(١).

وَهَذَا تَقْسِيمٌ حَسَنٌ يُوَافِقُ مُصْطَلَحَ الحَدِيثِ، وَلَمْ أُسَمِّ الْقِسْمَيْنِ الأَخِيرَيْنِ بِالشَّاذِّ تَبَعًا لِلْمُحَدِّثِينَ؛ إِذِ الشَّاذُّ عِنْدَهُمْ مَا صَحَّ سَنَدُهُ وَخُولِفَ فِيهِ المَلَأُ، فَمَا لَمْ يَصِحَّ سَنَدُهُ لا يُسَمَّى: شَاذًّا بَلْ ضَعِيفًا أَوْ مُنْكَرًا عَلَى حَسَبِ حَالِهِ، وَالْقُرَّاءُ لَا يَمْنعُونَ مِنْ إِطْلَاقِ الشُّذُوذِ عَلَى ذَلِكَ، وَمَا صَنَعْتُهُ أَقْرَبُ.

قوله: (**وَمَا صَنَعْتُهُ أَقْرَبُ**)، لكن اصطلاح القراء أن الشاذ هو الذي لم يتوفر فيه ركن من الأركان الثلاثة، فالذي لم يصح سنده يعتبر شاذا، أما في الحديث فإن الذي لم يصح سنده لا يسمى: شاذًّا، والسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يقرب مصطلح الشاذ عند المحدثين إلى الشاذ عند القراء. فالشاذ عند المحدثين: مُخَالَفَة الثقة لجماعة الثقات، أو إذا خَالَفَ الثِّقَة من هو أوثق منه ولو كان واحدًا، مثل: الإمام مالك: جبل في الحديث، ركن وثيق، ثقة ثقه، ثقة حجة، يعني: يُوَثَّق بصفات كثيرة، فإذا خَالَفَهُ في الحديث إمام آخر هو ثقة فقط فحديث ذاك الثقة شاذ.

فالسيوطي يُرِيدُ أن يُقَرِّبَ مصطلحات علوم القرآن إلى مصطلحات علوم

(١) سبق التعريف به.

الحديث، لكن عند القراء كما قالوا -وهو صحيح-: مَا انْخَرَمَ رُكْن من أركانه فهو شاذ، سواء لَمْ يصح هذا السند، أو لم يوافق العربية، أو لم يوافق الرسم، هذا هو المعروف، فما فعله السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ اجتهاد مَحْضٌ منه جزاه الله خيرًا.

وَقَدْ ظَهَرَ لِي قِسْمٌ آخَرُ -أي: قِسْم سادس- **يُشْبِهُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الحَدِيثِ المُدْرَجِ، وَهُوَ مَا زِيدَ فِي الْقِرَاءَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْسِيرِ كَقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ**[1]: **(وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ)** [النساء: ١٢].

المشهور المعروف والمتواتر هو: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾، وزيادة (من أم) اخْتَلَفَ أئمة القراء في توجيهها، فقال بعضهم: قد كَتَبَها ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على وجه التفسير؛ لأنه علم أن المراد ها هنا الإخوة من الأم، وهذه مسألة من مسائل الفرائض المشهورة، فقد عَلِمَ ذلك فكتبها بجوار المصحف، فلما جاء التلاميذ ونقلوا مُصْحَفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأدْرَجُوا هذه الكلمة في وسط الآيات. وهذا تعليل لا أجنح إليه؛ لأن القرآن لا يؤخذ هكذا، فلا يأخذ الطالب المصحف -كما هو منقول- دون أن يقرأ على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إنما قد يكون قرآنا قبل العرضة الأخيرة ونسخ بعد ذلك ولم يصل النسخ إلى علم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا عندي أقرب والله أعلم.

قوله: (المُدْرَجِ)[2] المدرج عند المحدثين: هو مَا يُدْرِجُهُ الرَّاوِي -سواء كان

---

(١) في الإتقان (١/ ٢٦٥): وظهر لي سادسٌ يشبهه من أنواع الحديث المدرج، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد ابن أبي وقاصٍ: «وله أخٌ أو أختٌ من أمٍ »، وكذا ذكره ابن الجزري في النشر في القراءات العشر (١/ ٢٨).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في اختصار علوم الحديث (٧٣): وهو: أن تزاد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي، فحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث، فيرويها كذلك.

الصحابي أو التابعي أو مَنْ دونه- في متن الحديث تفسيرًا، مثل: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَصِفُ تَحَنّث رسول الله ﷺ في الغار فتقول: «وَكَانَ يَتَحَنَّثُ أَوْ يَتَعَبَّدُ فِي الغَارِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّد»[١] هكذا في صحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، (وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّد) وهو من إدراج الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] -كما بَيَّنَ المُحَدِّثُون-، فلعله -مثلا- كان يحدث تلاميذه، فيقول لهم: «وكان ﷺ يتحنَّث في الغار الليالي ذوات العدد»، ثم قال لهم: التحنّث التعبّد. ثم أَكْمَلَ الحديث، فجاء مَنْ بَعْدَه في حياته أو بعد مَوْتِهِ، فأَدْرَجَ هذه الكلمة كما قالها الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن الحديث، لا نقول: غفلة منه، بل قد عَرَفُوا أنها مدرجة، لكنهم وضعوا ما قاله الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث كما هو، وجاء مَنْ بَعْدَهُم فأخذ الرواية عنهم هكذا. ومثله الرواية المشهورة عندما كان أحد المحدثين يُمْلِي، فَدَخَلَ عليه أَحَدُ الصَّالحين العباد ووجهه فيه نور، فقال: «مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ». فهو قال هذه الجملة في ذلك الداخل، وكان الطلبة يكتبون، فَكَتَبُوا: «مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ»[٣] على أن هذا حديث عن رسول الله ﷺ وهو ليس كذلك، فهذا لا يعد من الموضوع، وإنما الإمام رأى رجلًا مِنَ العُبَّادِ فَمَدَحَهُ، فظن الطلبة أنه جزء من الحديث، فكتبوه، فهذا هو المدرج. فقوله: (من أمٍّ) بعد

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أبو بكر المدني. قال الحافظ: الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه. وقال الذهبي: أحد الأعلام. توفي سنة (١٢٥هـ، وقيل: قبلها). وانظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣) والبيهقي في الشعب (٤/ ٤٧١) وابن نصر في مختصر قيام الليل (٥٨) وتمام في فوائده (٢/ ١٢٨) والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٥٢) والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٧٦) عن جابرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار». قال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٦٤٤): موضوع.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ قطعة مدرجة كالإدراج الحديثي.

قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ: وَرُبَّمَا كَانُوا يُدْخِلُونَ التَّفْسِيرَ فِي الْقِرَاءَةِ إِيضَاحًا وَبَيَانًا؛ لأَنَّهُمْ مُحَقِّقُونَ لِمَا تَلَقَّوْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قُرْآنًا، فَهُمْ آمِنُونَ من الالْتِبَاسِ، وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُهُ مَعَهُ.

قوله: (**يَكْتُبُهُ مَعَهُ**)؛ أي: في سطر واحد، فيكتب هكذا (وله أَخٌ أَوْ أُختٌ من أُمٍ)، وهذا أستبعده؛ لأنه ما كان يؤخذ القرآن بالنقل مِنْ الكُتُبِ هكذا، وإنما كان يؤخذ بالقِرَاءَةِ على الصحابة رضي الله عنهم.

وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَانَ يُجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِالمَعْنَى فَقَدْ كَذَبَ. انْتَهَى.

قوله: (**فَقَدْ كَذَبَ**) هذه الكلمة تحتاج أيضًا إلى تحقيق؛ لأن هناك جملة من الأحاديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أَنَّهُمْ كانوا يقرئون بعض من لا يستطيع الفهم عنهم في كلمة أو نحوها، ولا يستطيع قراءتها، فيقرئونه كلمة أخرى في معناها، وهذا حالة خاصة بهذا الرجل الأمي الذي يَقْرَأُ عليهم ولا يستطيع أن يفقه بَعْضَ مَا في كتاب الله تبارك وتعالى، فكانوا يُقْرِئونه بالمعنى، وذلك مثل: ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٤] فإن هذا الرجل الذي كان يَقْرأ على ابن مسعود رضي الله عنه لم يستطع أن يقول: الأثيم، فأقرأه عدة مرات ولم يستطع، فقال له: هل تحسن أن تقول: «طعام الفاجر»؟ قال: نعم، قال: قل: طعام الفاجر[1]. فهذا

---

(١) أخرجه أبو يوسف في الآثار (٢٢٣): عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أن رجلًا كان يقرئه ابن مسعودٍ، وكان أعجميًا، فجعل يقول: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣- ٤٤] فجعل الرجل يقول: طعام اليتيم، فرد عليه، كل ذلك يقول: طعام اليتيم، فقال ابن مسعودٍ: قل: «طعام الفاجر»، ثم =

ليس قرآنًا قطعًا، إنما يريد الصحابي رضي الله عنه أن يبين لهذا الرجل معنى ما يقرؤه، وهذا أثر صحيح.

فقول ابن الجزري رحمه الله: (فَقَدْ كَذَبَ) فيها نظر؛ لأنه يوجد عدة أحاديث جاءت عن بعض الصحابة منهم أُبي بن كعب، وابن مسعود رضي الله عنهما أنهم كانوا يُقْرِئُونَ بعض الناس على هَذِا النحو مما يُعْرَفُ ويُقْطَعُ أنه ليس قرآنًا، إنما هو تَفْسِير منهم رضي الله عنهم. فلا نَرُد الآثار أو الأحاديث هكذا، كأن نَقُول: مَنْ فَعَلَ ذلك، أو من قال ذلك فقد كذب، وإنما تُوَجَّه الآثار بما سبق أن ذَكَرْتُه، والله أعلم.

وكلام ابن الجزري صحيح إذا أريد به ظاهره، وهو أن بعض الصحابة كان يجيز القراءة –بمعنى الجواز المطلق بدون سبب ظاهر- فهذا كذب.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أَنْوَاعٍ، وَإِنْ كُنَّا تَرْجَمْنَاهَا أَوَّلَ الْبَابِ ثلاثة.

حيث قال في أول الباب: سأذكر ثلاثة من الأنواع، فتَحَصَّلَ له بعد الكتابة أنها ستة، وليس في ذلك إشكال إن شاء الله.

ثَلَاثَةٌ حَرَّرْتُهَا بَعْدَ التَّعَبِ الشَّدِيدِ، وَإِنْ كَانَ فِي أَلْفَاظِ الْقُرَّاءِ اسْتِعْمَالُ أَسْمَاءٍ غَيْرِ الأَخِيرِ مِنْهَا.

عن أبي حاتم سهل بن محمد السجِسْتاني(١) قال: قرأ علي أعرابي بالحرم:

= قال ابن مسعودٍ: «إن الخطأ في القرآن ليس أن تقول: الغفور الرحيم، العزيز الحكيم، إنما الخطأ أن تقرأ آية الرحمة آية العذاب، وآية العذاب آية الرحمة، وأن يزاد في كتاب الله ما ليس فيه». وله شاهد: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٩): عن أبي الدرداء رضي الله عنه مثله. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(١) سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني النحوي المقرئ البصري. قال الحافظ: صدوق فيه دعابة. وقال الذهبي: كان صدوقًا، من أعلم الناس بالأصمعي. توفي سنة (٢٥٥هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٨).

(طيبي لهم وحسن مآب) فقلت: طوبى، فقال: طيبي فأعدت فقلت: طوبى فقال: طيبي، فلما طال علي قلت: طوطو قال: «طي طي»(١).

وقد حدث هذا في زماننا ورأيته بنفسي، بعض الناس يقرأ في الفاتحة: (عليهُم) لا يستطيع أن يقول (عليهِم) أبدًا، أنا قلت له هكذا: عَلَيْ، فقال: عَلَيْ، ثم قلت: هِم، فقال: هُم، ولا يستطيع، فهذه نقبلها؛ لأنها توافق قراءة حمزة، فـ(عليهُم) قراءة صحيحة ليس فيها شيء، لكن هو لسانه لا يَسْتَطِيعُ أن يَضْبِط: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، هذا بعد ألف وأربعمائة سنة من نزول الوحي الشريف على رسول الله ﷺ، فكيف الأمر عندما كانت كل قبيلة مُنْغَلِقَة على لهجتها لا تريد أن تلهج بغيرها، ولا تريد أن تنطق بسواها تعزّزًا وحميةً وأنفةً، أو صعوبة... إلى آخره، لِكَيْ نعرف أنَّ من حِكَم القِرَاءات العظيمة التيسير والتسهيل على الناس في كل زمان ومكان.

تَنْبِيهَاتٌ:

الأَوَّلُ: قَالَ ابْنُ الحَاجِبِ(٢): السَّبْعُ مُتَوَاتِرَةٌ فِيمَا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الأَدَاءِ، كَالمَدِّ وَالإِمَالَةِ وَتَخْفِيفِ الهَمْزَةِ(٣). قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ: وَقَدْ وَهِمَ فِي ذَلِكَ، بَلْ حَالُ اللَّفْظِ وَالأَدَاءِ وَاحِدٌ، وَإِذَا ثَبَتَ تَوَاتُرُ ذَلِكَ كَانَ تَوَاتُرُ هَذَا مِنْ بَابٍ أَوْلَى؛ إِذِ اللَّفْظِ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَصِحُّ إِلَّا بِوُجُودِهِ، وَنَصَّ عَلَى تَوَاتُرِ ذَلِكَ كُلِّهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ

---

(١) أخرجه ابن جني في كتابه الخصائص (١/ ٣٨٤)، وياقوت الحموي في معجم الأدباء (٤/ ١٥٩٥).

(٢) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب الكردي، الدويني الأصل، الإسنائي المولد، المقرئ المالكي، النحوي، الأصولي، صاحب التصانيف المنقحة. [المتوفى: ٦٤٦ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٥١).

(٣) في الإتقان: وتحقيق الهمز.

الْبَاقِلَّانِيُّ وَغَيْرُهُ. قَالَ[(١)]: وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا تَقَدَّمَ ابْنَ الحَاجِبِ إِلَى ذَلِكَ[(٢)]. وَتَقَدَّمَ فِي كَلَامِ الْبُلْقِينِيِّ أَنَّ أَصْلَ الإِمَالَةِ وَالمَدِّ وَنَحْوِهِمَا مُتَوَاتِرٌ لَا كَيْفِيَّته، فَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لابْنِ الحَاجِبِ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَوَسِّطًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِطْلَاقِ الجُمْهُورِ.

أَصْلُ المَدّ -أي: المد الطبيعي- متواتر، وما اختلف فيه الأئمة هو الزيادة عليه، فبعضهم قال: الزيادة على أصل المد متواترة، وبعضهم قال: الزيادة غير متواترة. فأصل المد متواتر، والزيادة، (يااا أيها) بالثلاث أو الأربع أو الخمس أو الست حركات على هذا التفصيل ليست متواترةً، وبعضهم يقول: إطالة المد مُتَوَاتِرة بهذه المراتب، وإن كانت لا تسمى: ثلاثا أو أربعا أو خمسا أو ستا آنذاك عند الصدر الأول، لكنها كانت تُؤْخَذ عن الصحابة ﷺ هكذا، بهذا التطويل.

أخرج الطبراني عن ابن مسعود ﷺ أنه أقرأ أحد الناس فوصل إلى قوله تعالى: (السماء) فلم يمدها، فقال: ما هكذا أقرأنِيهَا رسول الله ﷺ، قال: وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها هكذا: (السمآء) ومَدَّ بِهَا صَوْتَهُ»[(٣)]، هذا

(١) أي: ابن الجزري رحمه الله.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٠).

(٣) فيه: موسى بن يزيد الكندي لم أعثر له على ترجمة.

قال الألباني في الصحيحة (٥/ ٢٧٩): قلت: وهذا إسناد رجاله موثقون غير موسى بن يزيد الكندي، فإني لم أعرفه ولا ذكره الحافظ المزي في شيوخ ابن خراش في «التهذيب»، وقد ذكره الهيثمي في «المجمع» (٧ / ١٥٥) من طريق الطبراني، لكن وقع فيه: «مسعود بن يزيد الكندي»، وقال عقبه: «ورجاله ثقات!»، وفي «ثقات ابن حبان» (٣ / ٢٦٠): «مسعود بن يزيد، يروي عن ابن عمر، روى عنه محمد بن الفضل».

قلت: فالظاهر أنه هو، ولم يورده البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما. ثم رأيت الحديث قد أورده الحافظ ابن الجزري في «النشر في القراءات العشر» (١ / ٣١٣) بإسناده إلى الطبراني به، وفيه: «مسعود ابن يزيد الكندي»، فدل على أن «موسى» في «الطبراني» محرف من «مسعود». والله أعلم.

=

المقدار الذي مَدَّهُ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للحرف، هل هو مأخوذ بالتواتر بعد ذلك عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوْ لا؟ هذا هو موطن النزاع بين القراء رحمهم الله جميعًا.

ويُقَاسُ على المد الإمالة[1]: الإمالة الصغرى والإمالة الكبرى، هذا كله أصله متواتر عن رسول الله ﷺ، فحينما جاء وفْدُ بَنِي تميم إلى رسول الله ﷺ فأَقْرَأَهُمْ: (والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى)[2] بالإمالة على لهجة بني تميم فإنهم كانوا يميلون هذه الأحرف.

الثَّانِي: الَّذِي نَقْطَعُ بِهِ وَتَقُومُ عَلَيْهِ الحُجَجُ وَالدَّلَائِلُ وَالْبَرَاهِينُ، وَلَا يَنْبَغِي لآدَمِيٍّ أَنْ يَمْتَرِيَ فِيهِ أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مُتَوَاتِرَةٌ أَوَّلَ كُلِّ سُورَةٍ، نَقَلَهَا الجَمْعُ الْبَالِغُونَ حَدَّ التَّوَاتُرِ عَنْ مِثْلِهِم إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَلِ الأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ بِقِرَاءَتِهَا أَوَّلَ الْفَاتِحَةِ وَأَوَّلَ كُلِّ سُورَةٍ فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَهَا بَلَغَتْ عِنْدِي مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ.

(وَلَا يَنْبَغِي لآدَمِيٍّ أَنْ يَمْتَرِيَ فِيهِ)، وهو أن البَسْمَلَة متواترة أول كل سورة، نقلها الجمع البالغون حد التواتر عن مثلهم إلى رسول الله ﷺ، ثم يضيف على ذلك: (بَلِ الأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ بِقِرَاءَتِهَا أَوَّل الْفَاتِحَةِ وَأَوَّل كُلِّ سُورَةٍ فِي الصَّلَاةِ

= أخرجه سعيد بن منصور في السنن (١٠٢٣) والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٧): حدثني موسى بن يزيد الكندي، قال: كان ابن مسعودٍ يقرئ القرآن رجلًا، فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسلةً، فقال ابن مسعودٍ: «ما هكذا أقرأنيها رسول ﷺ، قال: أقرأنيها: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] فمددها».

(١) قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ في النشر (٢/ ٣٠): والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرًا وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له: الكسر أيضًا، وقليلًا وهو بين اللفظين، ويقال له أيضًا: التقليل، والتلطيف، وبين بين؛ فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضًا إلى قسمين: إمالةٍ شديدةٍ، وإمالةٍ متوسطةٍ، وكلاهما جائزٌ في القراءة جارٍ في لغة العرب.

(٢) لم أقف عليه.

وَخَارِجَهَا بَلَغَتْ عِنْدِي مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ). لم يتكلم عن مسألة الجهر أو الإسرار بالبسملة، وفي حديث أنس ﵁ قال: صليت خَلْفَ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يجهر بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)(١)، فهذه المسألة -مسألة الإسرار أو الجهر بالبسملة- لم يتكلم عليها السيوطي حتى الآن، إنما كلامه: هَلِ البسملة موجودة بداية كل سورة أو لا؟ فيقول: هي موجودة قَطْعًا. ونحن نوافقه في هذا، ونقول: نعم، هي موجودة؛ لأنها مرسومة كذلك بداية كل سورة في المصحف الإمام الذي هو منقول بإجماع الصحابة ﵃ من غير نكير منهم، لكن اختلف الأئمة هل هي جزء من السورة أو لا؟ واختلفوا أيضًا: هل هي جزء من الفاتحة أو لا؟ وهل الفاتحة سبع آيات بالبسملة فتكون ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آية، أم تكون البسملة غير آية من الفاتحة فتكون ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ آية، و﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آية؟ على كلا القولين هي سبع آيات، ولكن الاختلاف في الآيات السبع هل البسملة معها أو لا.

وكذا في بداية كل سورة: أكثر جماهير القراء والفقهاء والمُحَدِّثين على أن البسملة ليست جزءًا من كل سورة، إنما هي مثبتة بداية كل سُورَة، وقول السيوطي ﵀: البسملة متواترة أول كل سورة، وهي موجودة في المصحف الإمام العثماني، لا مِرَاء في هذا الكلام ولا نقاش، إنما الأمر الذي اختلفت فيه أنظار الأئمة والعلماء هو هل هي جزء منها أو لا؟(٢) لكن اتفقوا على أنها جزء

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٤٣) ومسلم (٣٩٩): عن أنسٍ ﵁.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١١٦ وما بعده).

من آية سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وهذا لا شك فيه.

فَقَدْ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسٌ فِي حَدِيثِ نُزُولِ الْكَوْثَرِ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَالحَكَمُ بْنُ عُمَيْرٍ وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَبُرَيْدَةُ وَمُجَالِدُ بْنُ ثَوْرٍ وَبَشِيرُ أَوْ بِشْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَحُسَيْنُ بْنُ عُرْفُطَةَ وَعَائِشَةُ وَأُمُّ هَانِئٍ وَجَمَاعَةٌ آخَرُونَ، وَقَدْ أَفْرَدْتُ أَحَادِيثَهُمْ فِي جُزْءٍ.

قوله: (وَقَدْ أَفْرَدْتُ أَحَادِيثَهُمْ فِي جُزْءٍ) الجزء هو: كل ما ضم مجموعة من الأحاديث تتعلق بأمر فقهي، أو أمر من أمور الشرع أفْردَها المحدث في كتاب، مثل: (جزء في رفع اليدين) وهو جزء جمعه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، و(جزء في مسح الوجه بعد الدعاء)، و(جزء في رفع اليدين في الدعاء) وهذا أيضًا جمعه الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهكذا.

الثَّالِثُ: وَقَعَ لَنَا سُورَتَانِ تَرَدَّدْتُ فِي كَوْنِهِمَا مِنَ الشَّاذِّ أَوِ المَنْسُوخِ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، وَفِيهِ: فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ

---

(١) أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذدزبه، وهي لفظةٌ بخاريةٌ، معناها الزراع، أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسيا. قال الحافظ: جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث. قال الذهبي: الإمام صاحب «الصحيح» وكان إمامًا حافظًا حجة رأسًا في الفقه والحديث، مجتهدًا، من أفراد العلم مع الدين والورع والتأله. توفي سنة (٢٥٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧).

يَفْجُرُكَ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحْيِم، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحَقٌ[١].

يقيم المستشرقون[٢] الدنيا ولا يُقْعِدونها بمثل هذه المسائل، فيقولون: إن أُبَيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد كتب هذين الدعاءين على أنهما سورتان من كتاب الله تبارك وتعالى في مصحفه[٣] فأين هي الآن؟ وممن ناقش هذه المسألة مناقشة حسنة الإمام الباقِلّاني رَحِمَهُ اللهُ[٤] في كتابه: «الانتصار لِلْقُرآن»، وهذه المسألة موجودة في كتاب «نكت الانتصار».

والنكت[٥]: هي الأشياء الدقيقة التي تُعلَق على متن من المتون، مثل نكت ابن حجر على مُقَدِّمَة ابن الصلاح وهو مطبوع بهذا العنوان: «النكت على ابن الصلاح». و«نكت الانتصار لنقل القرآن» هذا كتاب لخص فيه أحد الأئمة كتاب الانتصار وهو كتاب كبير، تكلّم فيه مؤلفه الإمام الباقلاني رَحِمَهُ اللهُ على السورتين المنسوبتين إلى أُبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وممن تكلم عليه أيضًا كلامًا طيبًا الإمام الكبير ابن قتيبة الدِّينَوَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم: «تأويل مشكل القرآن» وهو كتاب مطبوع محقق تحقيقًا جيدًا

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٢٩٨) وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ١١١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٩٥) وابن الأعرابي في معجمه (١/ ٢٥٢) وانظر: إرواء الغليل، للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٤٢٥).

(٢) سبق التعريف بهم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ١١٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٠٦): عن ميمون بن مهران في قراءة أبي بن كعبٍ: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحقٌ.

(٤) سبق التعريف به قريبًا.

(٥) لسان العرب، مادة: «نكت» (٢/ ١٠٠).

حسنًا، حققه الشيخ أحمد صقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الكتاب من الكتب النوادر التي ينبغي أن يرجع إليها طالب علم القرآن الكريم، وابن قتيبة ليس دينوريًّا وإنما تولى قضاء دينوَر فنُسب إليه، وهو في الأصل فارسي، وقد دافع عن الإسلام دفاعًا عجيبًا، ودافع عن لغة الإسلام اللغة العربية دفاعًا عجيبًا أيضًا في وقت كان الشعوبيون يطلون برؤوسهم على أمة الإسلام، فكان بِحَقٍّ أديب أهل السنة كما سَمَّاه عدد من العلماء، منهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وله في الأخبار كتاب: «عيون الأخبار» وهو كتاب في الأدب أيضًا، وله كتاب «تأويل مختلف الحديث»، وله أكثر من سبعين كتابًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصل إلينا عدد قليل جدًّا منها، وهذان الدعاءان اللذان قيل بأنهما سورتان منسُوبَتَان إلى رسول الله ﷺ وأنهما من كتاب الله تبارك وتعالى، هي فِرْيَة افتراها بعض من في قلبه مرض، وتَوَلّى كبرها المستشرقون؛ إذ كيف يَصِحّ في الأذهان أن تكونا سورتين ثم لا تُنقَل لنا نَقْلَ القرآن العظيم؟!

يقول ابن قتيبة ويوافقه في هذا القول الباقِلَّانِي: إن أُبيًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يَسْمَع مُدَاومَةَ رسول الله ﷺ على هذا الدعاء في الوتر، والأحناف لا يثبتون غير هذا الدعاء في الوِتْر، فدعاء الوتر عند الأحناف هذا فقط ، ودعاء الوتر عند الحنابلة الدعاء المشهور: «اللهم اهْدِنَا فيمن هَدَيْت...»، والشافعية كذلك، إنما ذكرت ذلك لأُبَيّن أن هذا الدعاء مشهور على أنه هو دعاء الوتر: «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك، ونؤمن بك ونتوكل عليك...»[2]، وهذا ليس فيه جمال

(١) هو ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتقدمت ترجمته.

(٢) سبق تخريجه.

الآيات وبلاغتها كما هو واضح، إنما هو من دعاء رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن يكون مِنْ كتاب الله تبارك وتعالى، وإلا لنقله لنا الصحابة، لماذا تركه الصحابة إذا كانوا يعرفون أنه قرآن؟! وهل يُعْقل أن أُبيًّا رضي الله عنه يعرف أن هذا قرآن ثم لا يثبته الصحابة ولا يتكلم ولا يشيع كلامه في الناس ولا في التاريخ بأنه اعْترض على أن هذا قرآن ولم تثبتوه في مصحف الإمام عثمان رضي الله عنه؟!

فهذان الدعاءان ليسا في المصحف الإمام الذي اجتمع عليه الصحابة، فلا يُعْقل من اجتماع الصحابة -وقد ذكر بعض الناس أنهم كانوا وكبار التابعين اثني عشر ألفًا تقريبًا- أن يسكتوا على مثل هذا، وأُبي سيد المسلمين -كما يقول الإمام الذهبي رحمه الله- في وقته، وسيد القراء، وكانت له منزلة عظيمة عند رسول الله ﷺ، حتى إن الله تبارك وتعالى أمَرَ النبي ﷺ أن يقرأ على أُبَيّ، فقال أبي رضي الله عنه: وسَمَّاني لك يا رسول الله؟ قال: نعم، فبكى أبيّ[1]، بكى أن الله من فوق سبع سماوات يذكره باسمه، ومن يكون أُبيّ حتى يسميَهُ الله تبارك وتعالى؟! ولكن هذا كان تكْرِمَة لأبي رضي الله عنه، وقد أثنى عليه ﷺ في الحديث الصحيح المشهور: «وأقرؤهم أبي»[2]، فلا يُعْقَل بعد ذاك أن يسكت أُبي رضي الله عنه، أو أن يَعْتَرِض ولا يَظْهَر هذا الاعتراض بين جماهير المسلمين في زَمَانِه، ولا يُنقل إلينا هذا الاعتراض، إنما كتبَهَا أُبَيّ رضي الله عنه في آخر مصحفه تبركًا بدعاء رسول الله ﷺ حتى لا ينساه، فجاء واحد من بعده بَعْدَ تطاوُل الزمان فظَنَّ أنهما سورتان من كتاب

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٨٠٩) ومسلم (٧٩٩): عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال النبي ﷺ لأبيٍ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١]، قال: وسماني؟ قال: «نعم» فبكى.

(٢) سنن الترمذي (٣٧٩٠).

الله تعالى، وليستا كذلك قطعًا! بل هما دعاء مما كان يدعو به رسول الله ﷺ، ومن أراد التفصيل في هذا فليرجع إلى «نكت الانتصار» أو «تأويل مشكل القرآن». والله أعلم.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ[1] فِي حِكْمَةِ الْبَسْمَلَةِ: إِنَّهُمَا سُورَتَانِ فِي مُصْحَفِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ.

لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه كان يكتبها في مُصْحَفِهِ غير أُبي رضي الله عنه، وقد ذكرت وجه كتابتها.

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ[2] عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْنُتُ بِالسُّورَتَيْنِ فَذَكَرَهُمَا.

محمد بن نصر هو المروزي، صاحب كتاب: «قِيَام اللّيل وفضله وقيام رمضان» الذي اختصره المقريزي رحمه الله[3] في كتاب «مختصر قيام الليل وفضله وقيام رمضان»، وهذا المختصر هو المطبوع والمشهور بين الناس.

ومحمد بن نصر المروزي أحد أئمة السلف، كَانَ مُعَاصِرًا للإمَامِ أحْمَد، وألّف كتابًا عظيمًا في بابه، فيه ردٌّ على الذين يقولون بالتبديع لمن يزيد عن الثماني ركعات في صلاة الليل أو إحدى عشرة ركعة؛ إذ يثبت رحمه الله عَمَلَ أَهْلِ

(١) الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالدٍ، وأبو الوليد القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥).

(٢) محمد بن نصر المروزي الفقيه، أبو عبد الله الحافظ. قال الحافظ: ثقة، حافظ، إمام جبل. وقال الذهبي في التاريخ (١٤/ ٣٣): أحد الأعلام في العلوم والأعمال. توفي سنة (٢٤٩هـ).

(٣) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه)، ولد ونشأ ومات في القاهرة. توفي سنة (٨٤٥هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ١٧٧).

المدينة أنهم كانوا يُصَلّون بست وثلاثين رَكْعَة، وكان أهل مكة يُصَلون بقرابة تسع عشرة ركعة، ويذكر آثارًا كثيرة عن كيفية صلاة الصحابة وصلاة التابعين في الليل، وكيفية قيامهم في رمضان وقراءتهم القرآن، وكيفية إتيانهم بالسنن بعد الصلوات، فهو كتاب ممتع فيه آثار كثيرة عن الصحابة ﭫ، وكتاب: «مختصر قيام الليل وفضله وقيام رمضان»(١) اختصره الإمام المقريزي، ويغلب على الظن أن الأصل فُقد، وهذا المختصر هو الذي طُبع، وهو المعلوم والموجود بين الناس.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الدُّعَاءِ مِنْ طَرِيقِ عَبَّادِ بْنِ يَعْقُوبَ الأَسَدِي عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى الأَسْلَمِيِّ عَنِ ابْنِ لهيعَةَ عَنِ ابْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن زُرَيْرٍ الغَافِقِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَان: قَدْ عَلِمْتُ مَا حَمَلَكَ عَلَى حُبِّ أَبِي تُرَابٍ.

عبد الله بن زُرير الغافقي(٢) مصري، ثقة، رُمي بالتشيُّع، أي: التشيع اليسير الذي لا يُخْرِجُ عن كونه ثقة ﵀، مات بعد الثمانين من هجرة رسول الله ﷺ من الطبقة الثانية من رواة الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

وكتاب «الدعاء» للطبراني مطبوع في رسالة دكتوراه، بتحقيق الدكتور محمد سعيد بخاري، وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء كبار.

يقول الطبراني ﵀: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة -عثمان بن أبي شيبة(٣) الإمام المشهور الكبير من رجال البخاري ومسلم ومن رجال الكتب

---

(١) ص (١٢٠): باب عدد صلاة النبي ﷺ بالليل.

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٣٢٧٢).

(٣) عثمان بن أبي شيبة، وهو عثمان بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خوستي، أبو الحسن العبسي، مولاهم الكوفي. أخو أبي بكر، والقاسم. كان من كبار الحفاظ كأخيه، رحل إلى الحجاز، =

الستة، ابنه محمد بن عثمان بن أبي شيبة- قال: حدثنا عباد بن يعقوب، عن يحيى... إلى آخر السند، عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: **قَالَ لِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا حَمَلَكَ عَلَى حُبِّ أَبِي تُرَابٍ..**

قوله: (أَبِي تُرَابٍ)، هو عَلِيّ بن أبي طالب ﷺ، وسبب هذه التسمية أنه عندما حصل بينه وبين فاطمة ﷺ بنت رسول الله ﷺ شيء ذهب إلى المَسْجِدِ فنام فيه، فلصق جنبه بالتراب، فقال له ﷺ مفاكهة: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»[(١)] فهذه الكنية التصقت به رضي عنه.

إِلَّا أَنَّكَ أَعْرَابِيٌّ جَافّ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَقَدْ جَمَعْتُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ أَبَوَاك، فَلَقَدْ عَلَّمَنِي مِنْهُ عَلَيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سُورَتَيْنِ، عَلَّمَهُمَا إِيَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا عَلِمْتَهُمَا أَنتَ وَلَا أَبُوكَ، فَذَكَرَهُمَا[(٢)].

قوله: (**قَالَ لِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ**)[(٣)] أمير المؤمنين وكانت له هيبة، لكن

= والري، والبصرة، والشام، وبغداد، وصنف المسند، والتفسير، وغير ذلك. توفي سنة (٢٣٩هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ٨٨٣).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤١) ومسلم (٢٤٠٩): عن سهل بن سعدٍ، قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليًا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني، فخرج، فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسانٍ: «انظر أين هو؟»، فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقدٌ، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: «قم أبا ترابٍ، قم أبا ترابٍ».

(٢) ضعيف، فيه يحيى بن يعلى الأسلمي، قال الحافظ: ضعيف. وابن لهيعة متكلم فيه. الدعاء، للطبراني (٢٣٨): عن ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن عبد الله بن زريرٍ، قال: قال لي عبد الملك بن مروان:...».

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلابٍ الخليفة، أبو الوليد القرشي الأموي. بويع بعهدٍ من أبيه في خلافة ابن الزبير، وبقي على مصر والشام، وابن الزبير على باقي البلاد مدة سبع سنين، ثم غلب عبد الملك على العراق، وما والاها في =

الأعراب ما كانوا يزنون أقوالهم بين يَدَي الخلفاء، ولا كانوا يزنون ما يذكرونه في مجالسهم، فهذا الأعرابي رد بما عَلِمَ مِنْ حال عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقَدْ كان بين الأمويين وبين آل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما كان مشهورًا في زمانه، ثم قال: لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك.

الشاهد أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما يقول هذا الأعرابي أنه أقرأه بهذا. وهذا النص يحتاج إلى دراسة، والتأكد هل هناك روايات أخرى أو لا؟

ظاهر هذا الإسناد ضعيف لِضَعْفِ ابْنِ لهيعَة رَحِمَهُ اللهُ، أو للكلام فيه، ولضعف أحد الرواة أظنه يحيى بن يعلى الأسلمي، فهناك راوٍ ضعيف، وهناك راويان مُتكَلَّم فيهما، فالإسناد ضعيف، وعليه فنحتاج إلى جمع الروايات في هذا الباب قبل أن نتكلم في مثل هذا، لكنَّ جمع الراويات لا يغني في هذه المسألة شيئًا؛ إذ المقطوع به من عهد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ باتفاقهم على مصحف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنهما ليسا بسورتين أبدًا.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي المَرَاسِيلِ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ لَكِنَّهُ مُرْسَلٌ أَنَّهُ ﷺ بَيْنا هُوَ يَدْعُو عَلَى نَفَرٍ فِي الصَّلَاةِ إِذْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ: اسْكُتْ، فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْكَ لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا وَلَمْ يَبْعَثْكَ عَذَابًا، وَإِنَّمَا بَعَثَكَ رَحْمَةً، لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوب عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبهُمْ، فَإِنَّهُمْ ظَالمُونَ، ثُمَّ عَلَّمَهُ هَذَا القُنُوتَ، فَذَكَرَهُمَا[1].

=

سنة اثنتين وسبعين، وبعد سنةٍ قتل ابن الزبير، واستوسق الأمر لعبد الملك. توفي سنة (٨٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ٩٧٠).

(١) فيه عبد القاهر بن عبد الله، ويقال: أبي عبد الله. قال الحافظ: مجهول. أخرجه أبو داود في المراسيل (ص ١١٨) والبيهقي في السنن (٢/ ٢٩٨): عن معاوية بن صالحٍ، عن عبد القاهر، عن خالد ابن أبي =

قوله: (بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ) -بينا وبينما كلاهما بمعنى-. قوله: (فَذَكَرَهُمَا)؛ أي: دعاء الخَلع والحَفْد، فيسمى هذا الدعاء: دعاء الخَلع والحَفْد، فالخلع مأخوذ من قوله: «نَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ»، والحفْدُ مأخوذ من قوله: «وإلَيْكَ نَسْعَى ونَحْفِدُ».

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ[1]: أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَتَبَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي مُصْحَفِهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ، وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَاللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَتَرَكَهُنَّ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَكَتَبَ عُثْمَانُ مِنْهُنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ[2].

هذه مسألة أخرى، وهي قوله: (وَتَرَكَهُنَّ ابْنُ مَسْعُودٍ)، أي: لم يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب ولا المعوذتين، فقال بعضهم: إن المعوذتين ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى، بل هما دعاءٌ دعا به النبي ﷺ عَلَّمَه إياه جبريل لما سُحِرَ رسول الله ﷺ! وهذا الكلام يُقَال فيه ما قيل في الذي قبله: إن سورتي الخَلْع والحَفْد ليستا من القرآن.

ويكفي في الرد على هذا ما ذكره الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ[3]: في طرق القراء اليوم -يعني: في زمان النووي رَحِمَهُ اللهُ- هناك طرق إلى ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإثبات المعوذتين قرآنًا[4]، أي: الطرق متواترة عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذا. وهذا فيه

= عمران، قال: «بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر...». وقال البيهقي: هذا مرسلٌ، وقد روي عن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صحيحًا موصولًا.

(١) هو القاسم بن سلام، سبق التعريف به.

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣١٨): وإسناده صحيح إلى ابن سيرين.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٠٩).

أبلغ ردٍّ على مَنْ يقول: إن ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه لا يثبتهما قرآنًا.

أما فاتحةُ الكتابِ والمعوذتان: فابن مسعود رضي الله عنه أعلم بالله تبارك وتعالى وأورع وأَتْقَى من أنْ لا يثبتها جميعًا قرآنًا في كتاب الله تبارك وتعالى، فقد كان من أقدم الصحابة الذين أسلموا ودخلوا في دين الله تعالى، وكان يسمع قراءة النبي ﷺ للفاتحة في الصلاة، فكيف يقال: إن ابن مسعود رضي الله عنه لا يرى الفاتحة من كتاب الله وهو من قدماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؟!

أما الفاتحة فهذا القول فيها هو من أغرب ما سمعت في حياتي، لأن ابن مسعود رضي الله عنه كان يسمع من رسول الله ﷺ الفاتحة على الأقل ثلاث مرات في صلاة الفجر وصلاة المغرب والعشاء، في كل ركعة يُكَرِّرها ﷺ فكيف يقال بعد هذا: إن ابن مسعود لا يراها من كتاب الله، هذا هراء واضح!

وَهَذَا الَّذِي نَسَبَهُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ قَدْ رُوِي عَنْهُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، فَرَوَى الْبَزَّارُ[١] مِنْ طَرِيقِ حَسَّانِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الصَّلْتِ بْنِ بهْرَام عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ كَانَ يَحُكّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمُصْحَفِ وَيَقُولُ: إِنَّمَا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ لَا يَقْرَأُ بِهِمَا[٢]. وَرَوَاهُ أَيْضًا ابْنُ

---

(١) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزار، الحافظ، صاحب « المسند » المشهور. قال الحافظ: صدوق مشهور. وقال الخطيب: وكان ثقةً حافظًا، صنف « المسند »، وتكلم على الأحاديث، وبين عللها. توفي سنة (٢٩٤هـ). انظر: لسان الميزان (١/ ٢٣٧) تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ٨٨٦)، تاريخ بغداد، للخطيب (٥/ ٥٤٨).

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار (٥/ ٢٩) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٥): عن الصلت بن بهرام، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله... فذكره». وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٤٩): رواه البزار، والطبراني، ورجالهما ثقاتٌ، وقال البزار: لم يتابع عبد الله أحدٌ من الصحابة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة، وأثبتتا في المصحف. وأخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٤): عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، أنه: كان يحك المعوذتين من مصحفه، فيقول: «ألا خلطوا فيه ما ليس فيه».
=

حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

وَأَجَابَ ابْنُ قُتَيْبَةَ[١] **فِي «مُشْكِلِ الْقُرْآنِ» عَنْ هَذَا بِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنَ الْقُرْآنِ؛ لأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُعَوِّذُ بِهِمَا الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، فَأَقَامَ عَلَى ظَنِّهِ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ أَصَابَ فِي ذَلِكَ، وَأَخْطَأَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ**[٢]. هذا أحد الردود في هذه المسألة.

قوله: (**وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ أَصَابَ فِي ذَلِكَ، وَأَخْطَأَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ**)، أي: لا يُقَالُ بِأَنَّ ابن مسعودٍ رضي الله عنه أصاب وأخطأ المهاجرون والأنصار كلهم رضي الله عنهم باعتبار المعوذتين جزءًا من كتاب الله، نحن عندما نقول ذلك إنما نتكلم عن أمر تاريخي، أما الأمر المقطوع به في المصاحف من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى اليوم هو أنهما مِنْ كتاب الله، والصحابة أعلم بالله من أن يتركوا شيئًا من كتاب الله تبارك وتعالى ولا يعدوه منه، هذا غير معقول وغير مقبول من جماهير الصحابة من المهاجرين والأنصار، بل الواقع أنهم كتبوهما في مصحف الإمام وقَرَؤُوهمَا في صلاتهم واعتمدوهما آياتٍ من كتاب الله تبارك وتعالى، لا يُقال في الرد غير ذاك.

أما رد ابن قتيبة رحمه الله: فأرى أن فيه تكلفًا قليلًا؛ لأن المعوذتين أكبر من أن يُرد فيهما بمثل هذا الرد، فهما من كتاب الله ولا شك، سمعهما جماهير الصحابة من رسول الله ﷺ مرات وكرات كثيرة، فلا يُتَأَوّل قول ابن مسعودٍ

= وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٤٩): رواه عبد الله بن أحمد والطبراني، ورجال عبد الله رجال الصحيح، ورجال الطبراني ثقاتٌ.

(١) سبق التعريف به.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (٣٤).

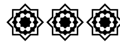
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشيء، بل يقال: إن هذا غير ثابت عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خاصة أنه أقرأ الصحابة بهما، كما قال الإمام النووي[(١)]، وهناك أسانيد من قراءات القراء العشرة تنتهي إلى ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه قد أقرأ الصحابة بالمعوذتين، وهذا أكبر برهان وأكبر دليل، فلا يحتاج إلى أن نتأول كلام ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل نُسْقِطُ هذه الرواية ولا نقبلها أبدًا عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أتقى وأورع وأعلم من أن يقال عنه مثل ذاك.

وَأَمَّا إِسْقَاطُهُ الْفَاتِحَةَ مِنْ مُصْحَفِهِ فَلَيْسَ لِظَنِّهِ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ - مَعَاذَ اللهِ - وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا كُتِبَ وَجُمِعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ مَخَافَةَ الشَّكِّ وَالنِّسْيَانِ وَالزِّيَادَةِ وَالنّقْصَانِ، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ مَأْمُونٌ فِي سُورَةِ الحَمْدِ؛ لِقِصَرِهَا وَوُجُوبِ تَعَلُّمِهَا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ.

هذا التأويل يمكن أن يُقبل، لكن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما سبق أن ذكرتُ- هو أعظم بكثيرٍ من أن يترك الفاتحة والمعوذتين.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ[(٢)]: لا يَصِحُّ إِسْقَاطُ المُعَوِّذَتَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ لأَنَّ قِرَاءَةَ بَعْضِ السَّبْعَةِ مِنْ طَرِيقِهِ وَفِيهَا المُعَوِّذَتَانِ[(٣)].

هذا هو أفضل رَدّ يُرد به على من يقول ذاك؛ إذ إن أسانيد القراء متواترة، بعضها إلى ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيها إثبات المعوذتين، فلا يُقَال في هاتين السورتين: إن ابنَ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تركهما أبدًا، وكذلك الفاتحة من باب أولى، والله أعلم.



(١) سبق التعريف به.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، من ص٤٢ إلى ٤٩.

النوع الرابع والعشرون: قراءات النبي ﷺ[١]

هذا الباب قد عَقَدَهُ الإمامُ السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ جَرْيًا على عادة بعض المحدثين الذين عَقَدُوا أبوابًا متشابهةً في كتبهم في قراءاتِ النبيِّ ﷺ مِنْ أَمْثَالِ الإمامِ الترمذيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] والإمام الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرِهما، والمقصودُ بهذا البابِ هو ما وَصَلَ إلى المحدثينَ بأسانيدِهم مما قَرَأَهُ رسولُ الله ﷺ على قراءات مختلفة متنوعة.

أما القراءاتُ العشر المتواترة فإنها قد ثَبَتَتْ عندنا بأسانيدَ من لَدُنِ القُرَّاءِ الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى رسول الله ﷺ بأسانيد متواترة في الأغلب، أو بأسانيدَ صحيحةٍ مشهورةٍ مستفيضةٍ تُلُقِّيَتْ بالقبول بين أئمة القُرَّاءِ منذ القرن الثاني إلى يومنا هذا، ولا حاجةَ لهم إلى أسانيدِ الْمُحَدِّثِينَ حتى تُنْقَدَ هذه الأسانيدُ، هذا أمرٌ لا بد من التنبيه عليه، لذلك ما سَيُنْقَدُ من أحاديثَ بأسانيدَ واصلةٍ إلى رسول الله ﷺ فيها قراءاتُ النبيِّ ﷺ إنما هو نقد أسانيد المحدثين، ولا يضر أسانيد القراء المتواترة في شيء.

وليُعْلَم أن هذه القراءات نوعانِ: نوعٌ ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ ثبوتًا متواترًا، ونوعٌ شَذَّ فلم يَثْبُتْ بالشروط المذكورة سابقا.

قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) انظر: مواقع العلوم، للبلقيني (ص ٦٨).

(٢) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل: هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن: الحافظ، العلم، الإمام، البارع، ابن عيسى السلمي، الترمذي الضرير، مصنف (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك. اختلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كبره، بعد رحلته وكتابته العلم. قال الحافظ: أحد الأئمة. توفي سنة (٢٧٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، تهذيب الكمال (٥٥٣١).

عَقَدَ لَهُ الْحَاكِمُ[(١)] وَالتِّرْمِذِيُّ بَابًا[(٢)]، وَذَكَرَ الْبُلْقِينِيُّ[(٣)] مِنْهُ أَشْيَاءَ، وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ. وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، ثُمَّ يَقِفُ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ يَقِفُ[(٤)].

قد أَخَذَ علماءُ عَدِّ الآيِ -آيِ كتابِ اللهِ تبارك وتعالى- عَدَّهُم مِنْ وَقْفِ رسول الله ﷺ، فقالوا: ما وَقَفَ عليه رسولُ الله ﷺ دائمًا فهو رأسُ آيةٍ، وما لم يَقِفْ عليه أبدًا فليس برأس آيةٍ، وما كان يَقِفُ عليه تارةً وَيَصِلُهُ أخرى فاختلف فيه علماءُ عَدِّ الآيِ؛ لذلك كان عَدُّ الآياتِ الكوفية يختلف عن عَدِّ الآيات البَصْرِيَّةِ، ويختلف عن عَدِّ الآيات الحمصية إلى آخرِ العَدِّ المشهورِ، فقد عَدَّ الكوفيونَ القرآنَ ستةَ آلاف ومائتين وَسِتًّا وثلاثين آيةً، بينما يختلف العدُّ المدنيُّ

---

(١) المستدرك (٢/ ٢٥٠).

(٢) جامع الترمذي (٥/ ١٨٢).

(٣) انظر: مواقع العلوم (ص ٦٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، الحاكم في المستدرك (١/ ٣٥٦) (٢/ ٢٥٢) وأبو داود في السنن (٤٠٠١) وأحمد في المسند (٢٦٥٨٣)- (٢٦٧٤٢) وإسحاق في مسنده (١٨٧٢)، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١١٩)، وفي (٥/ ١٥٥) وتمام في الفوائد (١/ ٢١٥)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٧٨-٣٩٢) وابن خزيمة في صحيحه (٤٩٣) والبيهقي في الكبرى (٢/ ٦٥) وغيرهم، من طرق، عن أم سلمة ﵂. وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ، وبه يقرأ أبو عبيدٍ ويختاره. هكذا روى يحيى بن سعيدٍ الأموي، وغيره عن ابن جريجٍ، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة، وليس إسناده بمتصلٍ؛ لأن الليث بن سعدٍ روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملكٍ، عن أم سلمة. وحديث الليث أصح، وليس في حديث الليث: وكان يقرأ (ملك يوم الدين). وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة، والدارقطني والحاكم، لكن قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال الذهبي في «السير» (١٥/ ٣٦٢ – ٣٦٣): غريب منكر، وإسناده نظيف.

عن العَدّ الحمصيّ عن العَدّ البَصْرِيّ إلى آخرِه، وكان رسولُ الله ﷺ من سُنَّتِهِ أن يقفَ عند رؤوس الآي تَبْيِينًا للمعاني.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ: مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ[١].

أما الأولُ فقد قال الحاكمُ: على شرطِ الشيخينِ، وقال الذهبي: صحيحٌ[٢]، فوَافَقَهُ الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ في الحديث الأول.

وأما الثاني فلا حاجةَ لنا في بحث إسناده؛ لأن هذه القراءة قد تواترت عن رسول الله ﷺ، بل أكثرُ القُراءِ العشرةِ رحمهم الله كانوا يقرؤون: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وإنما كان عاصمٌ[٣]، والكسائي[٤] رحمهما الله تعالى يقرآنِ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤].

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، بِالصَّادِ[٥]. يقول الذهبي: هذا حديثٌ لَمْ يَصِحَّ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٢)، وابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ (١٧٥) وابن المقرئ في المعجم (٣٥٩) وابن الأعرابي في معجمه (١/ ١٨٧) وجزء في قراءات النبي ﷺ لحفص ابن عمر (ح ٣) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ١٥) وابن أبي داود في المصاحف (٢٢٨-٢٣٠-٢٣١) جميعًا: من طرق، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قرأ: (ملك يوم الدين)، وفي بعض الطرق: عن أبي هريرة، «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾». وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف (٢٣٠) و(٢٣٢): عن الأعمش، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة، « أنه كان يقرأ: ﴿ مَٰلِكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ».

(٢) المستدرك (٢/ ٢٥٢).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٣) وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبي: بل لم يصح. قلت: فيه إبراهيم بن سليمان الكاتب، لم أقف له على ترجمة.

لكن الروايةَ تَوَاتَرَتْ عن رسول الله ﷺ بأن الصحابةَ رضي الله عنهم كانوا يقرؤونَ بما عَلَّمَهُمْ رسولُ الله ﷺ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [الفاتحة: ٦] بالصَّادِ.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ: (كَيْفَ ننْشزهَا) [البقرة: ٢٥٩] بِالزَّاي(١).

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ خَارِجَةَ أَيْضًا قَالَ: أَقْرَأَنِي زَيْدٌ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ) [البقرة: ٢٨٣] بِغَيْرِ أَلِفٍ(٢). هذه في آخر سورة البقرة. وَخَارِجَةُ(٣) هو ابْنُ زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه وعن أبيه، يقول: أَقْرَأَنِي زيدٌ -أي: أَبُوهُ-: (فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ) [البقرة: ٢٨٣]، والرُّهُنُ(٤): جَمْعُ رَهْنٍ، وقيل: هو جَمْعُ الجَمْعِ، تقول:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٥) وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه؛ فإنهما لم يحتجا بإسماعيل بن قيس بن ثابتٍ». وتعقبه الذهبي بقوله: إسماعيل بن قيس من ولد زيد بن ثابت ضعفوه. وقد روي الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه من وجه آخر: فأخرجه مسدد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (ل ١٣١/ ب) عن شيخه يحيى بن سعيد القطان، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية؛ قال: إن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يقرأ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾، أعجم الزاي. وسنده صحيح، رجاله ثقات. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٣٦٨) قال: سمعت هشام بن حسان يحدث عن محمد بن سيرين، أن زيد بن ثابتٍ كان يقرؤها: «كيف ننشزها»، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٦) وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: إسماعيل ضعفوه.

(٣) خارجة بن زيد بن ثابتٍ أبو زيدٍ الأنصاري، الفقيه، الإمام، ابن الإمام، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام، أبو زيدٍ الأنصاري، النجاري، المدني، وأجل إخوته، وهم: إسماعيل، وسليمان، ويحيى، وسعدٌ. وجده لأمه هو: سعد بن الربيع الأنصاري، أحد النقباء السادة. توفي سنة (١٠٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٧).

(٤) قال ابن جرير في التفسير (٥/ ١٢٣): واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] بمعنى جماع رهنٍ، كما الكباش جماع كبشٍ، والبغال جماع بغلٍ، والنعال جماع نعلٍ، وقرأ ذلك جماعةٌ آخرون: (فرهنٌ =

رَهْنٌ وَرِهَانٌ ورُهُنٌ، فرِهَانٌ جَمْعُ رَهْنٍ، وَرُهُنٌ جَمْعٌ لِرِهَانٍ، فهو جَمْعُ الجمع، مثلما تقول: سَقف، وسُقُف.

وهذه رواية متواترة عن رسول الله ﷺ قد قرأ بها كثيرٌ من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

أما الحديث نفسه فقد ذكر الذهبي رحمه الله أن في سنده راويًا قد ضُعِّفَ(١).

لكن القراءةَ متواترةٌ عن رسول الله ﷺ بأسانيدَ للقُرَّاءِ جاءت عن غير طريق أسانيد المحدثين رحمهم الله جميعًا.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) [آل عمران:١٦١] بِفَتْحِ الْيَاءِ(٢).

= مقبوضةٌ) على معنى جمع رهانٍ، ورهنٍ جمع الجمع، وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع رهنٍ مثل سقفٍ وسقفٍ، وقرأه آخرون: (فرهنٌ) مخففة الهاء، على معنى جماع رهنٍ، كما تجمع السقف سقفًا؛ قالوا: ولا نعلم اسمًا على فعلٍ يجمع على فعلٍ وفعلٍ إلا الرهن والرهن والسقف والسقف. والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]؛ لأن ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فعلٍ، كما يقال: حبلٌ وحبالٌ، وكعبٌ وكعابٌ، ونحو ذلك من الأسماء، فأما جمع الفعل على الفعل أو الفعل فشاذ قليلٌ إنما جاء في أحرفٍ يسيرة، وقيل: سقفٌ وسقفٌ، وقلبٌ وقلبٌ وقلبٌ من قلب النخل، وجد وجد، للجد الذي هو بمعنى الحظ، وأما ما جاء من جمع «فعلٍ» على فعلٍ فثط وثط، وورد وورد، وخود وخود، وإنما دعا الذي قرأ ذلك: (فرهنٌ مقبوضةٌ) إلى قراءته -فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فعلٍ- أنه وجد الرهان مستعملةً في رهان الخيل، فأحب صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل، الذي هو بغير معنى الرهان، الذي هو جمع رهنٍ، ووجد الرهن مقولًا في جمع رهنٍ، كما قال قعنبٌ:

بانت سعاد وأمسى دونها عدن   وغلقت عندها من قلبك الرهن

(١) هو: إسماعيل بن قيس أبو سعد القيسي البصري. قال الحافظ في لسان الميزان (٢/ ١٦٢): قال أبو حاتم: مجهول ليس بالمشهور. وقال غيره: صالح الحديث. انتهى. وذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٦) وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي بقوله: بل واهٍ. قلت: فيه داود بن الحصين قال أبو داود: أحاديثه عن عكرمة مناكير، وأحاديثه =

هذا الحديث قال فيه الذهبيُّ: هذا حديثٌ وَاهٍ؛ أي: شديدُ الضَّعْفِ، لكنه قَدْ ثَبَتَتْ قراءةُ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

قوله: (وَأَخْرَجَ)، أَي: الحاكمُ، فكُل هذه الرواياتِ التي ستأتي في مستدرك أبي عبد الله الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فمعنى قراءة: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) أي: ما كان لنبي أن يخونَ أصحابَه في قِسْمَةِ الغنائم، حاشَ الأنبياء أن يفعلوا ذاكَ! وَمعنى قراءة: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ) أي: أن يَغُلَّهُ أصحابُه، أي: أن يخونَه أصحابُه في تقسيم الغنائم، وَكِلتا القراءتين متواترةٌ عن رسول الله ﷺ(١).

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] بِالرَّفْعِ(٢).

= عن شيوخه مستقيمة. وقال على ابن المديني: ما روى عن عكرمة، فمنكر الحديث. قال الحافظ: ثقة إلا في عكرمة. توفي سنة (١٣٥هـ). انظر: تهذيب الكمال (٨/ ٣٨١).

(١) قال الحسين بن أحمد بن خالويه في كتابه «الحجة في القراءات السبع» (١١٥-١١٦): قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾. يقرأ بفتح الياء وضم الغين، وبضم الياء وفتح الغين. فالحجة لمن فتح الياء: أنه جعله من (الغلول)؛ ومعناه: أن يخون أصحابه بأخذ شيء من الغنيمة خفية. والحجة لمن ضم الياء: أنه أراد أحد وجهين: إما من الغلول. ومعناه: أن (يخون) لأن بعض المنافقين قال يوم بدر- وقد فقدت قطيفة حمراء من الغنيمة-: خاننا محمد وغلنا، فأكذبه الله عز وجل. وإما من الغل، وهو: قبض اليد إلى العنق. ودليله قول (ابن عباس): «قد كان لهم أن يغلوا النبي ﷺ وأن يقتلوه». والغل معروف. والغل: المصدر. والغل: الحقد. والغلل: الماء في أصول الشجر. والغليل: حرارة العطش.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٧-٢٥٨) وأبو داود (٣٩٧٦)، (٣٩٧٧) والترمذي (٢٩٢٩) وأحمد (١٣٢٤٩) عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا به. وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح. قلت: مداره على أبي علي بن يزيد ابن أبي النجاد الأيلي، أخو يونس بن يزيد، مولى معاوية ابن أبي سفيان. قال الحافظ: مجهول. وقال الترمذي: وهذا حديثٌ =

هذه قراءةُ الكسائيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفُ بِالأَنْفِ وَالأُذُنُ بِالأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ) [المائدة: ٤٥]. والرفعُ هنا على الاستئناف؛ أَيْ: على الابتداء.

وقيل: هو معطوفٌ على مَحَلِّ النفسِ قبل دخولِ «إِنَّ» عليها.

وهذا الحديث أيضًا فيه راوٍ قد كُذِّبَ، لكنها قراءةٌ صحيحةٌ متواترةٌ عن رسول الله ﷺ.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غنمٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ عَنْ قَوْلِ الْحَوَارِيِّينَ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] أو (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) [المائدة: ١١٢] قال: أَقْرَأَنِي رسولُ الله ﷺ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ) بِالتَّاءِ[2]. أولًا: هذه الروايةُ قال الحاكم فيها: هي على شرط الشيخين، ووافقه الذهبيُّ، يعني: هي رواية صحيحة، وهي أصلًا قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ.

وعبد الرحمن بن غنمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] هو أحدُ الصحابة الْمُخْتَلَفِ في صحبتهم،

=

حسنٌ غريبٌ. « قال محمدٌ: « تفرد ابن المبارك بهذا الحديث عن يونس بن يزيد. وقال أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٧٩): هذا حديث منكر... ويرويه عقيل عن الزهري، عن النبي ﷺ، وأهاب هذا الحديث عن النبي ﷺ جدًا.

(١) سبق التعريف به.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٠) والترمذي (٢٩٣٠) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٩) وفي مسند الشاميين (٣/ ٢٧٤) وفي جزء في قراءات النبي ﷺ لحفص بن عمر (ح٤٢): عن معاذ بن جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا به. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. وقال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث رشدين، وليس إسناده بالقوي، ورشدين بن سعدٍ والإفريقي يضعفان في الحديث».

(٣) قال الحافظ في التقريب ص ٣٤٨: مختلف في صحبته.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٨٥٠): عبد الرحمن بن غنم الأشعري، جاهلي، كان مسلمًا على

=

هل أدرك رسولَ الله ﷺ أو لم يُدْرِكْهُ، كما أخبر الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] ظَاهِرُهُ أن الحواريينَ قد سألوا سؤالًا عظيمًا يقتضي الشكَّ في استطاعة الله تبارك وتعالى أن يفعلَ ذلك، وقد وُجِّهَ توجيهًا آخرَ غيرَ الشك، ولكن لو قلنا: إنه شَكٌّ فإنه يُعذر الإنسانُ بالجهل إن لم يعلم قدرةَ الله تبارك وتعالى العظيمةَ على شيء من الأشياء، والدليلُ على ذلك ما أخرجه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**»[(١)]؛ لأنه قد وَقَرَ في نفسه أن الله تبارك وتعالى لن يَجْمَعَهُ بعد ذاك. وهناك أيضًا حديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صحيحٌ[(٢)].

وهناك آثارٌ أخرى تُفِيدُ بأن الإنسان إذا جَهِلَ قدرةَ الله سبحانه وتعالى العظيمةَ على شيء فإنه لا يَكْفُرُ ابتداءً، فإن هذا ظَاهِرُهُ الكفرُ ولكنه يُعْذَرُ بجهله.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

= عهد رسول الله ﷺ، ولم يره، ولم يفد عليه، ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن إلى أن مات في خلافة عمر، يعرف بصاحب معاذ؛ لملازمته له...».

وقال البغوي في معجم الصحابة (٤/ ٥٠٠): لا أدري أدرك النبي ﷺ. وقيل: إنه ولد على عهد رسول الله ﷺ ويختلف في صحبته...».

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٧٨) ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) لعله يقصد ما أخرجه مسلم (٩٧٤): عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب، أنه قال يومًا: ألا أحدثكم عني وعن أمي؟ قال: فظننا أنه يريد أمه التي ولدته، قال: قالت عائشة: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى، قال: قالت... مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم...».

قَـرَأَ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] -بفتح الفاء: (أَنْفَسِكُمْ)- يعني: من أَعْظَمِكُمْ قَدْرًا[١].

هذه الروايةُ فيها ضَعْفٌ، وهي رواية شاذةٌ لم تَثْبُتْ في القراءات العشر الموجودة عندنا اليومَ، ولكن معناها صحيح، فهو أَنْفَسُنَا ﷺ وهو سيدنا.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا)[٢]. هذه الروايةُ شاذةٌ، وبالنسبة لِلسَّنَدِ فهي روايةٌ واهيةٌ. والشذوذُ فيها لأنها- وبحسب الأركان التي ذَكَرْنَاهَا للشذوذ- مُخَالِفَةٌ للرسم العثماني في موضعين كما يذكر الشيخ: (صَالِحَة) و(أمامهم) فالرسم العثماني على خلاف هذا.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ) [الذاريات: ٥٨][٣]. وهذه أيضًا روايةٌ شاذةٌ؛ لمخالفتها للمصحف العثماني، وإن كان عبدالله ابن مسعودٍ رضي الله عنه قد قرأ بها مدة؛ لكنها لا تُقبل؛ لأنها شاذة بإجماع الصحابة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٢) وفيه: علي بن الحسين بن عبد الرحمن الدمشقي، لم أعثر له على ترجمة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٦) وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. قال الذهبي: هارون بن حاتم واهٍ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٥) وأبو داود (٣٩٩٣) والترمذي (٢٩٤٠) والنسائي في الكبرى (٧٦٦٠) وفي (١١٤٦٣) وابن حبان في صحيحه (٦٣٢٩) والطيالسي في المسند (٣١٥) وغيرهم من طرق: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا به. وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ». وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

ﷺ على ما في المصحف العثماني، ووافَقَهُم على ذلك كبارُ التابعينَ ومن تبعهم إلى يومِنَا هذا من عُلماء القِرَاءَات والحديث والأصول؛ فإن مثل هذه الروايات يحكمون عليها بالشذوذ.

وَأَخْرَجَ مِنَ طَرِيقِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) [الغاشية:٢٢] **بِالصَّادِ.**(١). [وهي رواية مشهورة، من طريق أبي الزبير عن جابر]، وهي رِواية صحيحة بالنسبةِ للقِرَاءات، وبالنسبة للحديث فهي صحيحة على شرط مسلم.

وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا هَمَزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلا أَبُو بَكْرٍ وَلا الْخُلَفَاءُ، وَإِنَّمَا الْهَمْزُ بِدْعَةٌ ابْتَدَعَهَا مَنْ بَعْدَهُمْ، يَعْنِي: فِي (النَّبِيِّ)(٢).

يعني: في لَفْظِ النَّبِيِّ، مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: آية ١] فتقرأ: (يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك) وَكِلَا الروايتين مُتَوَاتِر. أما ﴿النَّبِيءُ﴾ بالهمز فهو مأخوذٌ من النبأ؛ أي: الخبر؛ لأن رسول الله ﷺ مُخْبِرٌ عن ربه، مُنبئٌ عنه ﷻ، فـ﴿النَّبِيءُ﴾ مأخوذة من النبأ، وأما ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ فقيل: إن الهمزة هنا حُذِفَتْ للتخفيفِ، أو أنها مأخوذة من النَّبْوَةِ وهي الرِّفْعَةُ؛ لأن الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٩) والحديث في صحيح مسلم (٢١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥١) وإسناده ضعيف، فيه: موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذي، أبو عبد العزيز المدني، أخو عبد الله بن عبيدة، ومحمد بن عبيدة، ينتسبون إلى اليمن، والناس ينسبونهم إلى الولاء. وقد أشار الحاكم إلى ضعفه بقوله عقبه: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني الحافظ، يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن يحيى، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: «لا أكتب حديث موسى بن عبيدة الربذي، ولا حديث عبد الرحمن بن زيادٍ الأفريقي». قال أحمد، وعلي بن المديني، وأبوحاتم: منكر الحديث. وانظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ١٠٤).

مرفوعُ الرتبةِ على سائر الخلق(١).

أما هذه الرواية حديثيًّا فَلَمْ تَثْبُتْ كما قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأيضًا يخالفها قراءةُ الإمام نافع رَحِمَهُ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ) بالهمز، وهي قراءة متواترة، وكل ما وَرَدَ من ألفاظ (النبي) فإن نافعًا رحمه الله يهمزها(٢).

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمُقْرِئُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا الْبَغَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْكِسَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ عَنْ حُمْرَانَ ابْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيءَ اللهِ، فَقَالَ: «لَسْتُ بِنَبِيءِ اللهِ، وَلَكِنَّنِي نَبِيُّ اللهِ»، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَشَاهِدُهُ مَا تَقَدَّمَ.

قُلْتُ: بَلْ هُوَ مُنْكَرٌ لَمْ يَصِحَّ، وَحُمْرَانُ لَيْسَ بِثِقَةٍ، وَلَوْ صَحَّ لَمْ يُعَارِضْ مَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ وَالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ الْمَشْهُورِ(٣).

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٣).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨)، غيث النفع في القراءات العشر (٤٧٥) الكنز في القراءات العشر (١/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥١) وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر لم يصح. قلت: وله شاهد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه ابن جميع الصيداوي في معجم شيوخه (١٨٥) أخبرني أبو نصر إسحاق بن إبراهيم بن معروف البستي بمكة قال: حدثنا أبو خالد يزيد بن خالد العقيلي: حدثنا عبد الرحيم بن حماد الثقفي: حدثنا الأعمش، عن الشعبي، عن ابن عباس... به مثله. قلت: ولا يصح، فيه عبد الرحيم بن حماد الثقفي البصري. قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٠٤): ولا أصل لهذه الأحاديث من حديث الأعمش. وقد روى حديث همز النبي بإسناد آخر لين، والآخر جاء بإسناد جيد مرسل. قلت: عبد الرحيم هذا شيخ واه لم أر لهم فيه كلامًا. وهذا عجيب، وقد وقع لي من حديثه في معجم ابن جميع عاليًا. وقال في ديوان الضعفاء (٢٥١٢): صاحب مناكير.

قوله: (**أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ**) هو ظَالِمُ بنُ عمرٍو[(١)].

قوله: (**وَشَاهِدُهُ مَا تَقَدَّمَ**) أي: حديث: «ما هَمَزَ رسولُ الله ﷺ...» السابق ذكره.

وقد عقد الحاكم في كتابه «المستدرَك» بابًا كاملًا في قراءات النبي ﷺ وذكر فيه عشرات الروايات غير ما ذكر هاهنا، ولكن السيوطي رَحِمَهُ اللهُ اختار روايات قليلة مما ذَكَرَهُ الحاكمُ رَحِمَهُ اللهُ.



(١) أبو الأسود الديلي، ويقال: الدؤلي البصري، قاضيها، اسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الديل، ويقال: اسمه عمرو بن ظالم، ويقال: عمرو بن سفيان، ويقال: عثمان بن عمرو. وقال الواقدي: اسمه عويمر بن ظويلم. قال الحافظ: ثقة فاضل مخضرم. وقال الذهبي: ثقة ابتكر النحو. توفي سنة (٦٩هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٧).

النوع الخامس والسادس والعشرون
الرواة والحفاظ

أَشْهَر[(١)] قُرَّاءِ الْقُرْآنِ مِنَ الصَّحَابَةِ: عُثْمَانُ[(٢)]، وَعَلِيٌّ[(٣)]، وَأُبَيٌّ[(٤)]، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ[(٥)]، وَابْنُ مَسْعُودٍ[(٦)]، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ[(٧)].

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) وفي نسخة (اشتهر بإقراء القرآن من الصحابة).

(٢) عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمسٍ يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عمرٍو، ذو النورين مهاجري، ذو الهجرتين، بدري بسهمه وأجره كان أشبه الصحابة بالنبي ﷺ خلقًا، لم يجمع بين بنتي نبي غيره، كانت خلافته ثنتي عشرة سنةً، سنه تسعون، وقيل: ثمانٍ وثمانين، قتل مظلومًا سنة خمسٍ وثلاثين يوم الجمعة أوسط أيام التشريق، ودفن بالبقيع ليلًا. انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٤/ ١٩٥٢).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر الأنصاري، وقيل: يكنى أيضًا أبا الطفيل، سيد القراء. شهد العقبة وبدرًا. أمر النبي ﷺ بعرض القرآن عليه، وسمى له باسمه، وبشره ﷺ وقال له: «ليهنك العلم أبا المنذر»، أحد الستة الذين انتهى إليهم القضاء من الصحابة، وكان أقرأ الصحابة رضي الله عنه. توفي سنة (١٩هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ١٠٧) ومعرفة الصحابة، لأبي نعيم (١/ ٢١٤).

(٥) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيدٍ الخزرجي بن لوذان بن عمرو بن عبد عوفٍ بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة. الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرضيين، مفتي المدينة، أبوسعيدٍ، وأبو خارجة الخزرجي، النجاري، الأنصاري، كاتب الوحي رضي الله عنه، حدث عن النبي ﷺ وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمةٌ. قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة فأجازه عام الخندق، وكان حبر الأمة علمًا وفقهًا وفرائض، من الراسخين في العلم. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٧) معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٣/ ١١٥١).

(٦) سبق التعريف به.

(٧) أبو الدرداء، واسمه عويمر بن عبد الله، وقيل: ابن زيد، وقيل: ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد، ويقال: عامر بن مالك، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي [المتوفى: ٣٢ هـ]. انظر تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٤).

يَقُولُ: خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ[١].

وَفِيهِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ[٢].

وَفِيهِ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا قَالَ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ[٣].

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ[٤]: فَيَكُونُ الْحُفَّاظُ بِمُقْتَضَى الرِّوَايَتَيْنِ خَمْسَةً، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ مِنَ الأَنْصَارِ، وَإِلَّا فَقَدْ حَفِظَهُ عَلَى عَهْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ غَيْرِ الأَنْصَارِ عُثْمَانُ، وَسَالِمٌ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، فَهَؤُلَاءِ ثَمَانِيَةٌ[٥].

قال علماء القرآن: إن كُلَّ راوٍ قد أَخْبَرَ بما وصل إلى عِلْمِهِ، فإن أَنَسًا[٦] رضي الله عنه لم يصل إلى علمه أنه قد جمع القرآن من الأنصار غير هؤلاء الأربعة، وأبو زيد أَحَدُ عُمُومَةِ أنس؛ لأنه قد سُئل في حديث فقيل له: مَنْ أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. وسيأتي[٧].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٨٠٨)، ومسلم (٢٤٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٠)، مسلم (٢٤٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٤) وتمامه «قال: ونحن ورثناه».

(٤) سبق التعريف به.

(٥) انظر: مواقع العلوم (٧٧).

(٦) أنس بن مالكٍ بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي. خادم رسول الله ﷺ وآخر أصحابه موتًا، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. توفي سنة (٩٢ وقيل: ٩٣هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥١-٥٢).

(٧) أخرجه البخاري (٣٨١٠) مسلم (٢٤٦٥): عن قتادة، قال: سمعت أنسًا، يقول: «جمع القرآن على =

فأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يخبر بما تَنَاهَى إلى عِلْمِهِ، أَمَّا مَنْ جَمَعَ القرآنَ من الأنصار فقط فهُمْ أكثر من ذلك، وجَمَعَ البلقيني رَحِمَهُ اللهُ هنا بين الروايتين فقال: خَمْسَةٌ؛ لأنه ذَكَرَ أَبَا الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في رواية عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يُذكره في رواية أخرى، فصار مَنْ جَمَعَهُ مِنَ الأنصار على هاتين الروايتين خمسة.

قوله: (وَإِلَّا فَقَدْ حَفِظَهُ عَلَى عَهْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ غَيْرِ الأَنْصَارِ عُثْمَانُ، وَسَالِمٌ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، فَهَؤُلَاءِ ثَمَانِيَةٌ) كما ذكرنا أن مَنْ جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أكثر من هذا العدد.

قُلْتُ: بَلْ جَمَعَهُ فِي عَهْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ غَيْرُهُمْ أَيْضًا؛ فَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَدْ قَالَ: جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُ بِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ... الْحَدِيثَ[1].

فَهِمَ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ من هذا الحديث: أن عبد الله بن عمرو بن العاص[2] مِمَّنْ جَمَعَ القرآنَ، ولكن من الممكن أن يعترض شخص فيقول: إن عبد الله بن عمرو بن العاص حَفِظَ المقدار الذي نزل في زمان الحديث الذي وقع، عندما

= عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ، كلهم من الأنصار: معاذ بن جبلٍ، وأبي بن كعبٍ، وزيد بن ثابتٍ، وأبو زيدٍ». قال قتادة: قلت لأنسٍ: من أبو زيدٍ؟ قال: أحد عمومتي.

(١) أخرجه أحمد (٦٥١٦) والنسائي في الكبرى (٨٠١٠) وابن حبان في صحيحه (٧٥٦): «عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ...».

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا محمد. وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبو نصير، وهي غريبة. وأما ابن معين فقال: كنيته أبو عبد الرحمن، والأشهر أبو محمد، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلًا حافظًا عالمًا، قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له. توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليالي الحرة بالطائف. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٧).

أتى النبي ﷺ وقال له النبي ﷺ: «**اقْرَأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قَالَ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ، فَمَا زَالَ، حَتَّى قَالَ: «**فِي ثَلَاثٍ**» وهو حديثٌ مشهورٌ[(١)].

فقد يكون حَفِظَ ما نزل من القرآن العظيم إلى ذلك الوقت، ثم لم يحفظ القرآن كُلَّهُ بعد ذلك.

فهذه الرواية لا يُفهم منها أن رسولَ الله ﷺ توفي وعبد الله بن عمرو بن العاص قد جَمَعَ القرآنَ كُلَّهُ. والله أعلم.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَدْ قَدَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِمَامًا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، مَعَ أَنَّهُ قَالَ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»[(٢)]، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللهِ لَمَا قَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ[(٣)]، قُلْتُ: وَأَيْضًا فَهُوَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا فَكَيْفَ يَجْمَعُهُ مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَهُ بِدَهْرٍ وَلَا يَجْمَعُهُ هُوَ، وَهُوَ هُوَ.

قوله: (وَلَا يَجْمَعُهُ هُوَ، وَهُوَ هُوَ)، أي: وهو مَنْ هو في المنزلة العظيمة، لكن هذا -مع تقديري لِفَهْمِ السيوطي وَفَهْمِ ابْنِ كَثِيرٍ رحمهما الله فَهُمَا من أئمتنا ومن علمائنا الأَجِلَّاءِ- ليس فيه دليلٌ على أن أبا بكر ﵁ قد حَفِظَ القرآنَ، وليس فيه أن أبا بكر ﵁ لم يحفظ القرآن، لكن يمكن أن يُقال: -وهذا من فَهْمِي والله أعلم، فإذا أخطأتُ فأسأل الله تبارك وتعالى المغفرةَ- إن أبا بكر ﵁ يُقَدَّمُ مُطْلَقًا سواء حَفِظَ أو لم يحفظ؛ لأن رسول الله ﷺ عندما كان على فراش الموت وأراد الناسُ أن يقدموا غيرَ أبي بكر ﵁، فقال ﷺ: «يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُؤْمِنُونَ، يَأْبَى

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٩٧٨) ومسلم (١١٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧٣): عن أبي مسعودٍ الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله...».

(٣) انظر: فضائل القرآن، لابن كثير (١٦٠).

اللهُ ذَلكَ وَالْمُؤْمِنُونَ، يَأْبَى اللهُ ذَلكَ وَالْمُؤْمِنُونَ»(١) فيفهم من هذا - وهو موافق لفَهْمِ الأئمة السابقين أيضًا - أن تقديمَ رسول الله ﷺ إشارةٌ إلى أنه سَيَلِي الأَمْرَ بعدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهو مُقَدَّمٌ حَفِظَهُ أو لم يحفظه، وكأن هذا الحديثَ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»(٢)، يعني: يؤم القومَ المتساوينَ في الفضل أقرؤهم لكتاب الله، فأما قوم فيهم أبو بكر، أو عمر، أو عثمان رضي الله عنهم فإنهم يتقدمونهم؛ حَفِظُوا القرآنَ أو لم يَحْفَظُوهُ. والله أعلم.

وَسَالِمٌ وَهُوَ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ(٣)، وَأَبُو زَيْدٍ أَحَدُ عُمُومَةِ أَنَسٍ(٤)، وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ فَقِيلَ: لا يُعْرَفُ، وَقِيلَ: ثَابِتُ بْنُ زَيْدٍ، وَقِيلَ: مُعَاذٌ، وَقِيلَ: أَوْسٌ، وَقِيلَ: قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ وَهُوَ خَزْرَجِيٌّ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الأَوْسِ، وَاسْمُهُ سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ، وَقِيلَ: هُمَا اثْنَانِ جَمَعَا الْقُرْآنَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦٠): عن عبد الله بن زمعة، قال: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين دعاه بلالٌ إلى الصلاة فقال: «مروا من يصلي للناس»، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكرٍ غائبًا، فقلت: يا عمر قم فصل بالناس، فتقدم فكبر، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلًا مجهرًا، قال: «فأين أبو بكرٍ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون» فبعث إلى أبي بكرٍ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس. قال العلامة الألباني في ظلال الجنة: حسن صحيح (١١٥٩ - ١٠٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سالمٌ مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة. وقال بعض المتأخرين: هو سالم بن عبيد بن ربيعة، ووهم لأنه مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وقيل: ابن معقل، يكنى أبا عبد الله، تبناه أبو حذيفة وأرضعته سهلة بنت سهيل بن عمرٍو بعد البلوغ، وكانت رخصةً له، شهد بدرًا، واستشهد باليمامة في خلافة أبي بكرٍ رضي الله عنه، وكان يؤم بالمهاجرين والأنصار في مسجد قباء، منهم عمر بن الخطاب مقدمه المدينة مهاجرًا، وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يستقرئوا القرآن من أربعةٍ هو أحدهم. توفي سنة (١٢هـ). انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٣/ ١٣٦١).

(٤) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم (١/ ٤٧٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٩٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٠٥).

ثُمَّ أَخَذَ عَنْ هَـؤُلاءِ الصَّحَابَةِ: [أَبُو هُرَيْرَةَ][(١)] وَابْنُ عَبَّاسٍ[(٢)] وَعَبْدُ اللهِ بْنُ السَّائِبِ[(٣)] عَنْ أُبَيٍّ[(٤)]، وَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ زَيْدٍ أَيْضًا، وَأَخَذَ عَنْهُمْ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ، فَمِمَّنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ: ابْنُ الْمُسَيَّبِ[(٥)] وَعُرْوَةُ[(٦)] وَسَالِمٌ[(٧)]، وَعُمَرُ بْنُ

---

(١) وفي نسخة: أبو زيد، وهو خطأ، والصواب المثبت، وانظر: مواقع العلوم، للبلقيني أصل هذا الكتاب (ص ٧٧). وأبو هريرة هو: أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخرٍ، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، اختلف في اسمه على أقوالٍ جمةٍ، أرجحها: عبد الرحمن بن صخرٍ. وكذا في اسم أبيه أقوالٌ. توفي رضي الله عنه سنة (٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨) الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨).

(٢) عبد الله بن عباسٍ البحر أبو العباس الهاشمي، حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبدالله، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشمٍ، واسمه عمرو بن عبد منافٍ بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهرٍ القرشي، الهاشمي، المكي، الأمير رضي الله عنه. مولده: بشعب بني هاشمٍ، قبل عام الهجرة بثلاث سنين. صحب النبي ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملةٍ صالحةٍ. توفي رضي الله عنه سنة (٦٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١) معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩).

(٣) عبد الله بن السائب ابن أبي السائب صيفي بن عابدٍ المخزومي العابدي، أبو السائب، ويقال: أبو عبدالرحمن، المكي، قارئ أهل مكة. له صحبةٌ وروايةٌ، وكان أبو السائب شريك النبي ﷺ قبل المبعث، وأسلم السائب يوم الفتح. توفي رضي الله عنه بمكة قبل عبد الله بن الزبير بيسير. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٦٥٧) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٨٩).

(٤) هو ابن كعب رضي الله عنه سبق ذكره.

(٥) سعيد بن المسيب بن حزنٍ بن أبي وهب بن عمرو بن عائذٍ بن عمران بن مخزومٍ، الإمام أبو محمدٍ القرشي المخزومي المدني، عالم أهل المدينة بلا مدافعةٍ. توفي رحمه الله بعد سنة (٩٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ١١٠٣)، تهذيب التهذيب (٤/ ٨٧).

(٦) عروة ابن حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلابٍ، الإمام، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة. توفي سنة (٩٤هـ على الصحيح). انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١١).

(٧) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عمر، ويقال: أبو عبد الله المدني الفقيه، [الوفاة: ١٠١ - ١١٠ هـ]، أحد الأعلام. توفي سنة (١٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٤٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٣٦).

عَبْدِ الْعَزِيزِ(١).

قوله: (**وَسَالِمٌ**) هو سالم بن عبد الله بن عمر، وهو من كبار التابعين، وهو غير سالم مَوْلَى أبي حذيفة الصحابي.

وَسُلَيْمَانُ وَعَطَاءٌ ابْنَا يَسَارٍ(٢)، وَمُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ(٣) الْمَعْرُوف بِمُعَاذٍ الْقَارِئِ(٤) وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزَ الأَعْرَجُ(٥)، وَابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ(٦)، وَمُسْلِمُ بْنُ جُنْدُبٍ(٧)،

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمسٍ بن عبد مناف بن قصي ابن كلابٍ، أمير المؤمنين أبو حفصٍ القرشي الأموي رضي الله عنه. توفي سنة (١٠١هـ). انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢).

(٢) سليمان بن يسارٍ المدني مولى أم المؤمنين ميمونة، الفقيه، الإمام، عالم المدينة، ومفتيها، أبو أيوب - وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله - المدني، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية، وأخو عطاء بن يسارٍ، وعبد الملك، وعبد الله. توفي بعد سنة مائة هجرية، وقيل: قبلها. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٩).

عطاء بن يسارٍ أبو محمدٍ المدني الفقيه، مولى ميمونة أم المؤمنين، وهو أخو سليمان، وعبد الله، وعبد الملك، وكان قاصا واعظًا ثقةً جليل القدر. توفي سنة (٩٤هـ وقيل: بعدها). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ١٠٤)، تهذيب الكمال (٢٠/ ١٢٥).

(٣) معاذ بن الحارث أبو حليمة الأنصاري المدني القارئ. قالت عمرة: ما كان يوقظنا من الليل إلا قراءة معاذٍ القارئ. قتل معاذٌ يوم الحرة. توفي سنة (٦٣هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٧٢١).

(٤) وفي نسخة [المشهور].

(٥) الأعرج عبد الرحمن بن هرمز المدني، الإمام، الحافظ، الحجة، المقرئ، أبو داود، عبد الرحمن بن هرمز المدني، الأعرج، مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشمٍ. توفي سنة (١١٧هـ). انظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٥/ ٣٦٠) سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٩).

(٦) سبق التعريف به.

(٧) مسلم بن جندب الهذلي أبو عبد الله، قاضي أهل المدينة وقارئهم. قرأ القرآن على: عبد الله بن عياشٍ القارئ، وابن عمر، وروى عن: أبي هريرة، وحكيم بن حزامٍ، وابن عمر. قرأ عليه القرآن نافعٌ، وهو أحد شيوخه الخمسة. توفي سنة (١٠٦هـ). قاله ابن حبان. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ١٦٥)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٩٥).

وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ[١].

وَبِمَكَّـةَ: عُبَيْـدُ بْـنُ عُمَيْـرٍ[٢]، وَعَطَـاءٌ[٣]، وَطَـاوُوسٌ[٤]، وَمُجَاهِـدٌ[٥]، وَعِكْرِمَةُ[٦]، وَابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ[٧].

---

(١) زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري، الإمام، الحجة، القدوة، أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني، الفقيه. قال الحافظ: ثقة عالم وكان يرسل. توفي سنة (١٣٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٦).

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة أبو عاصمٍ الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر. ولد في حياة النبي ﷺ. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحضر مجلسه، وكان ثقةً إمامًا. توفي قبل وفاة ابن عمر بيسيرٍ، وقيل: توفي سنة أربعٍ وستين. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٨٦٠).

(٣) عطاء بن أبي رباح المكي، أبو محمد ابن أسلم. قال الحافظ: ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، وقيل: تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه. وقال الذهبي: أحد الأعلام. توفي سنة (١١٤هـ). انظر: تقريب التهذيب (٤٥٩١).

(٤) طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم الفارسي. يقال: اسمه ذكوان، وطاوس لقب. قال الحافظ: ثقة فقيه فاضل من الثالثة مات سنة ست ومائة، وقيل: بعد ذلك. انظر: التقريب (٣٠٠٩).

(٥) مجاهد بن جبر- بفتح الجيم وسكون الموحدة- أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي. قال الحافظ: ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. انظر: التقريب (٦٤٨١).

(٦) عكرمة بن خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي. يروي عن: أبيه. ويروي عنه: مسلم بن إبراهيم. قال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: ليس بشيءٍ. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: ضعيف. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٥١).

(٧) عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة، واسمه زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أبو بكر، ويقال: أبو محمد، المكي، الأحول. كان قاضيًا لعبد الله بن الزبير، ومؤذنًا له. قال الحافظ: ثقة فقيه. توفي سنة (١١٧هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٢٥٦).

وَبِالْكُــــوفَةِ: عَلْقَــمَةُ(١)، وَالأَسْــوَدُ(٢)، وَمَـسْـرُوقٌ(٣)، [وَعَبِيــدَةُ(٤)](٥)، وَعَمْــرُو بْــنُ شُــرَحْبِيـــلَ(٦)، وَالْحَـــارِث بْـــنُ قَيْـــسٍ(٧)، وَالرَّبِيـــعُ بْـــنُ

---

(١) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي، الفقيه، عم الأسود بن يزيد، وخال إبراهيم النخعي. ولد في حياة النبي ﷺ، وقرأ القرآن على ابن مسعود، وسمع من عمر وعلي وأبي الدرداء، وعائشة ﭫ وطائفة. وقال علقمة: قرأت القرآن في سنتين، وقال إبراهيم: كان علقمة يقرأ القرآن في خمس، وقد قام بالقرآن في ليلة عند البيت، توفي علقمة سنة اثنتين وستين. انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (ص ٢٦-٢٧).

(٢) الأسود بن يزيد النخعي: أبو عمرو أخذ القراءة عرضًا عن ابن مسعود ﭬ، وحدث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ، وبلال، وعائشة ﭫ وجماعة، وكان أسن من علقمة بسنوات. قال منصور عن إبراهيم: كان الأسود يختم القرآن في كل ست، وفي رمضان في كل ليلتين، وكان علقمة يختم في خمس. قال المدائني: توفي سنة خمس وسبعين. وقال غيره: قبل ذلك. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي (٢٦).

(٣) مسروق بن الأجدع، واسم الأجدع عبد الرحمن بن مالك بن أمية، أبو عائشة الهمداني، ثم الوادعي الكوفي. مخضرمٌ، سمع أبا بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليا، وابن مسعودٍ، ومعاذًا، وأبي بن كعبٍ، وخباب ابن الأرت، وعائشة، وطائفةً. روى عنه: أبو وائلٍ، وسعيد بن جبيرٍ، وأبو الضحى، وإبراهيم النخعي، ويحيى بن وثابٍ، وأبو إسحاق السبيعي، وعبد الله بن مرة، وآخرون. توفي سنة (٦٢ ويقال: ٦٣هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٧١٢)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٥١).

(٤) وفي نسخة [عبيدة] -بضم أوله وفتح ثانيه- وهو خطأ، والصواب المثبت، وانظر: مواقع العلوم للبلقيني -أصل هذا الكتاب- فقد ذكره على الصواب منسوبًا.

(٥) عبيدة بن عمرٍو السلماني المرادي الكوفي، الفقيه، أحد الأعلام، وسلمان جدهم، هو ابن ناجية بن مرادٍ. أسلم عبيدة في عام فتح مكة، بأرض اليمن، ولا صحبة له. وأخذ عن: علي، وابن مسعودٍ، وغيرهما، وبرع في الفقه، وكان ثبتًا في الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٤٠).

(٦) عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة الهمداني الكوفي. روى عن: عمر، وعلي، وابن مسعودٍ. وكان سيدًا صالحًا عابدًا، إذا جاءه عطاءٌ تصدق به رحمه الله. قال ابن سعدٍ: توفي في ولاية عبيد الله بن زيادٍ بالكوفة. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٦٩٠)، تهذيب الكمال (٢٢/ ٦٠).

(٧) الحارث بن قيس الجعفي الكوفي. روى عن: عبد الله بن مسعود، وعلي ابن أبي طالب. روى عنه: خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، ونفيع أبو داود الأعمى، ويحيى بن هانئ بن عروة المرادي. قال الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمن: كان الحارث بن قيس من أصحاب عبد الله بن مسعود، وكانوا =

خُثَـيْمٍ[١]، وَعَمْـرُو بْنُ مَيْمُـونٍ[٢]، وَأَبُـو عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ السُّـلَـمِيُّ، وَزِرُّ ابْـــنُ حُبَـيْشٍ[٣]، وَ [عُبَيْـدُ بْـنُ نـضلَةَ[٤]][٥]، وَسَـعِيدُ بْـنُ جُبَيْـرٍ[٦]، وَالنَّخَعِـيُّ[٧]، وَالشَّعْبِيُّ[٨].

=
معجبين به، وكان يجلس إليه الرجل والرجلان فيحدثهما، فإذا كثروا قام وتركهم. توفي: زمن معاوية، وصلى عليه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٢٧٣).

(١) الربيع بن خثيم بن عائذٍ الثوري، أبو يزيد الكوفي. أرسل عن النبي ﷺ وكان عبدًا صالحًا جليلًا ثقة نبيلًا، كبير القدر، توفي سنة (٦١ وقيل: ٦٣هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٩٣٢).

(٢) عمرو بن ميمون بن مهران الجزري، الإمام، الحافظ، أبو عبد الله الجزري، الفقيه. كان يقول: لو علمت أنه بقي علي حرفٌ من السنة باليمن، لأتيتها. قلت: هذه الدعوى تدل على سعة علمه. توفي سنة (١٤٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٦)، تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٥٤).

(٣) زر بن حبيش بن حباشة بن أوسٍ، أبو مريم الأسدي الكوفي. ويقال: أبو مريم، وأبو مطرفٍ. أدرك الجاهلية، وعمر دهرًا. قال الحافظ: ثقة جليل. مات سنة (٨١ أو ٨٢ أو ٨٣هـ). انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٣٣٥).

(٤) وفي نسخة [عبيد بن فضيلة] وهو خطأ، والصواب المثبت.

(٥) عبيد بن نضيلة أبو معاوية الخزاعي الكوفي المقرئ، مقرئ أهل الكوفة. سمع: المغيرة بن شعبة، ومسروقًا، وعبيدة السلماني، وأرسل عن ابن مسعودٍ، وقرأ القرآن على علقمة. قيل: إنه توفي في ولاية بشر بن مروان العراق، وكان مقرئ أهل الكوفة في زمانه. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٨٦٠).

(٦) سبق التعريف به.

(٧) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي أبو عمران الكوفي، فقيه أهل الكوفة. قال الحافظ: ثقة إلا أنه يرسل كثيرًا، فقيه. توفي سنة (١٩٦هـ). انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣).

(٨) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرٍو. علامة أهل الكوفة في زمانة، ولد في وسط خلافة عمر. قال الحافظ: ثقة فقيه فاضل. توفي سنة (١٠٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٧٠)، تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨).

وَبِالْبَصْرَةِ: أَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو رَجَاءٍ(١)، وَنَصْرُ ابْنُ عَاصِمٍ(٢)، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ(٣)، وَالْحَسَنُ(٤)، وَابْنُ سِيرِينَ(٥)، وَقَتَادَةُ.

وَبِالشَّامِ: الْمُغِيرَةُ بْنُ أَبِي شِهَابٍ الْمَخْزُومِيُّ صَاحِبُ عُثْمَانَ(٦)، وَخُلَيْدُ بْنُ سَعْدٍ صَاحِبُ أَبِي الدَّرْدَاءِ(٧).

هذا تَدَرُّجٌ تَارِيخِيٌّ، فمنذ أن قال: (ثُمَّ أَخَذَ عَنْ هَؤُلاءِ الصَّحَابَةِ أَبُو زَيْدٍ وَابْنُ

---

(١) أبو رجاءٍ العطاردي عمران بن ملحان، الإمام الكبير، شيخ الإسلام، عمران بن ملحان التميمي، البصري. من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ، وأورده: أبو عمر بن عبد البر في كتاب (الاستيعاب). وقيل: إنه رأى أبا بكرٍ الصديق. توفي سنة (١٠٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٣)، تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٥٦).

(٢) نصر بن عاصمٍ الليثي البصري، صاحب العربية. يقال: إنه أول من وضع العربية. حكاه أبو داود السجستاني، وغيره. وحدث عن مالك بن الحويرث، وأبي بكرة الثقفي، وغيرهما. قرأ عليه: عبد الله ابن أبي إسحاق، وأبو عمرو ابن العلاء. توفي بعد سنة (٨٠ هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ١٠١٣)، تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٤٧).

(٣) يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني، الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني، البصري، قاضي مرو. ويكنى: أبا عدي. قال أبو عمرٍو الداني: روى القراءة عنه عرضًا: عبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرٍو ابن العلاء. توفي قبل سنة (١٠٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٥٣).

(٤) الحسن بن أبي الحسن يسارٍ، أبو سعيدٍ، مولى زيد بن ثابتٍ، ويقال: مولى جميل بن قطبة، إمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر. توفي سنة (١١٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٢٥).

(٥) محمد بن سيرين أبو بكرٍ الأنصاري البصري، الإمام الرباني، صاحب التعبير، مولى أنس بن مالكٍ. كان سيرين من سبي جرجرايا، فكاتب أنسًا على مالٍ جليلٍ فوفاه. توفي سنة (١١٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ١٥١).

(٦) المغيرة بن أبي شهابٍ المخزومي. قرأ على عثمان بن عفان. وعليه قرأ عبد الله بن عامرٍ الدمشقي. نقل القصاع أنه توفي سنة إحدى وتسعين وله تسعٌ وثمانون سنةً. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ١١٧٥).

(٧) خليد بن سعد مولى أبي الدرداء، عداده في أهل الشام، يروي عن أبي الدرداء، روى عنه طلحة بن نافع، كان يسكن بيت المقدس. انظر: الثقات، لابن حبان (٢٥٣٩).

عَبَّاسٍ...)، بدأ المؤلف يَذْكُرُ تَدَرُّجًا تاريخيًّا لطبقات القراء الكرام ﷺ، ثم بعد ذلك كيف تَشَعَّبَتِ القراءاتُ، ثم بعد ذلك كيف جَاءَ أئمةٌ عشرة من أئمة القرآن تصدروا وَنُسِبَتِ القراءاتُ لهم، ثم كيف أُلِّفَتْ طبقاتُ الْقُرَّاءِ، إلى آخر ما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ تَجَرَّدَ قَوْمٌ وَاعْتَنَوْا بِضَبْطِ الْقُرْآنِ أَتَمَّ عِنَايَةٍ حَتَّى صَارُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ وَيُرْحَلُ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ بِالْمَدِينَةِ: أَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ، ثُمَّ شَيْبَةُ بْنُ نِصَاحٍ[(١)]، ثُمَّ نَافِعُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ[(٢)]. وَبِمَكَّةَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ كَثِيرٍ[(٣)]، وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ الأَعْرَجُ[(٤)]، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَيْصِنٍ. وَبِالْكُوفَةِ: يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ، وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ[(٥)]، وَسُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ[(٦)]، ثُمَّ حَمْزَةُ[(٧)] ثُمَّ الْكِسَائِيُّ[(٨)].

---

(١) شيبة بن نصاح بن سرجس، مولى أم المؤمنين أم سلمة، وأحد مشيخة نافعٍ في القراءة. قال قالون: كان نافع أكثر اتباعًا لشيبة بن نصاحٍ منه لأبي جعفرٍ. وقال خليفة بن خياطٍ: مات سنة ثلاثين ومائة.
انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٤٣٢).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة. قال ابن عيينة: حضرت جنازته سنة عشرين ومائة. وقال غيره: عاش خمسًا وسبعين سنة. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (٥٠).

(٤) حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي القارئ، أخو عمر سندل. قرأ القرآن على مجاهد ثلاث مرات، وروى عن مجاهد وعطاء والزهري وغيرهم. قال خليفة: توفي في سنة ثلاثين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار (٥٦).

(٥) سبق التعريف به.

(٦) سبق التعريف به.

(٧) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التميمي الزيات أحد القراء السبعة. كان إمامًا حجة قيمًا بكتاب الله تعالى، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا، خاشعًا، قانتًا لله، ثخين الورع، عديم النظير. مات حمزة سنة ست وخمسين ومائة.
انظر: معرفة القراء الكبار (٦٦).

(٨) سبق التعريف به.

هؤلاء كثير منهم أئمة في الحديث وأيضًا أئمة في القرآن، فكثير منهم من رجال البخاري ومسلم وأصحاب الكتب الستة، وكثير منهم أيضًا أئمة القراءة.

وَبِالْبَصْرَةِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ(١)، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ(٢)، وَأَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ(٣)، وَعَاصِمٌ الْجَحْدَرِيُّ(٤)، ثُمَّ يَعْقُوبُ الْحَضْرَمِيُّ.

وَبِالشَّامِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ(٥)، وَعَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيِّ(٦)، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْمُهَاجِرِ(٧)،..

---

(١) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري النحوي المقرئ، أخو يحيى ابن أبي إسحاق، وجد أحمد ابن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، واسم أبيه أبي إسحاق: زيد بن الحارث. ذكره ابن حبان في «كتاب الثقات». قال الحافظ: صدرق. تهذيب الكمال (١٤/ ٣٠٥).

(٢) عيسى بن عمر الهمداني الكوفي القارئ، مولى بني أسد، لا عيسى بن عمر الثقفي البصري النحوي، كنيته أبو عمر. قرأ على عاصم ابن أبي النجود، وطلحة بن مصرف، والأعمش، قرأ عليه الكسائي وعبيد الله بن موسى، وعبد الرحمن ابن أبي حماد، وجماعة. وكان مقرئ أهل الكوفة بعد حمزة. مات سنة ست وخمسين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار (٧٢).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) عاصم ابن أبي الصباح الجحدري البصري المقرئ المفسر. [وهو عاصم بن العجاج أبو مجشر]. مات قبل الثلاثين ومائة، وقال المدائني: سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٤٣٧) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٣٩).

(٥) عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة، أبو عمران على الأصح. ثابت النسب إلى يحصب بن دهمان، أحد حمير، وحمير من قحطان، وبعضهم يتكلم في نسبه، والصحيح أنه صريح النسب. قال خليفة ومحمد بن سعد وابن جرير: وتوفي ابن عامر سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار (٤٨-٤٩) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٣).

(٦) عطية بن قيس أبو يحيى الكلابي الحمصي الدمشقي، تابعي، قارئ دمشق بعد ابن عامر، ثقة، ولد سنة سبع في حياة النبي ﷺ، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، عرض القرآن على أم الدرداء. مات سنة إحدى وعشرين ومائة وقد جاوز المائة سنة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥١٣-٥١٤).

(٧) الإمام الكبير، أبو عبد الحميد الدمشقي، مولى بني مخزوم، ومفقه أولاد عبد الملك الخليفة، من الثقات العلماء، وقال أبو مسهرٍ: أدرك إسماعيل بن عبيد الله معاوية وهو غلامٌ. قيل: إن عبد الملك =

ثُمَّ يَحْيَى بْنُ الْحَارِث الذِّمَارِيُّ[(١)] ثُمَّ شُرَيْحُ بْنُ يَزِيدَ الْحَضْرَمِيُّ[(٢)].

وَاشْتُهِرَ مِنْ هَؤُلاءِ فِي الآفَاقِ: الأَئِمَّةُ السَّبْعَةُ: نَافِعٌ[(٣)]، وَأَخَذَ عَنْ سَبْعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ[(٤)]، مِنْهُمْ: أَبُو جَعْفَرٍ[(٥)].

وَابْنُ كَثِيرٍ[(٦)]، وَأَخَذَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ الصَّحَابِيِّ[(٧)]. وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَخَذَ عَنِ التَّابِعِينَ. وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَخَذَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَصْحَابِ عُثْمَانَ. وَعَاصِمٌ، وَأَخَذَ عَنِ التَّابِعِينَ. وَحَمْزَةُ، وَأَخَذَ عَنْ عَاصِمٍ وَالأَعْمَش وَالسَّبِيعِيّ وَمَنْصُور بْنِ الْمُعْتَمِرِ[(٨)] وَغَيْرِهِمْ. وَالْكِسَائِيُّ، وَأَخَذَ عَنْ حَمْزَةَ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ

=

قال له: يا إسماعيل، علم ولدي، ولست أعطيك على القرآن، إنما أعطيك على النحو. مات: في سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ، قبل دخول بني العباس دمشق بالسيف بثلاثة أشهرٍ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٣).

(١) يحيى بن الحارث الذماري الغساني الدمشقي، إمام الجامع، ومقرئ البلد، وذمار قرية من قرى اليمن من أعمال صنعاء أبوه منها، وهو الذي خلف ابن عامر بدمشق، وانتصب للإقراء، أخذ عن ابن عامر. إمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، يعد من التابعين. قال خليفة: توفي سنة خمس وأربعين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار (٦٣)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٦٧).

(٢) شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة، ومقرئ الشام، وهو أحد الثلاثة الذين سموا لأبي عبيد ونسي اسمه. قاله الداني عن شيخه أبي الفتح، وهذا هو الصحيح، والله أعلم، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وهو والد حيوة بن شريح الحافظ، وله اختيار في القراءة.
مات في صفر سنة ثلاث ومائتين. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٢٥).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) التابعي: قال الحافظ في نزهة النظر (١١٣): أو تنتهي غاية الإسناد إلى التابعي، وهو من لقي الصحابي كذلك، وهذا متعلقٌ باللقي، وما ذكر معه؛ إلا قيد الإيمان به؛ فذلك خاص بالنبي ﷺ. وهذا هو المختار؛ خلافًا لمن اشترط في التابعي طول الملازمة، أو صحبة السماع، أو التمييز.

(٥) سبق التعريف به.

(٦) سبق التعريف به.

(٧) سبق التعريف به.

(٨) منصور بن المعتمر، الحافظ، الثبت، القدوة، أبو عتابٍ السلمي، الكوفي، أحد الأعلام. كان من كبار

=

عَيَّاشٍ[(١)].

ثُمَّ انْتَشَرَ الْقُرَّاءُ فِي الأَقْطَارِ وَتَفَرَّقُوا أُمَمًا بَعْدَ أُمَمٍ، وَاشْتُهِرَ مِنْ رُوَاةِ كُلِّ طَرِيقٍ مِنَ السَّبْعَةِ رَاوِيَانِ، فَعَنْ نَافِعٍ: قَالُونُ[(٢)]، وَوَرْشٌ[(٣)] عَنْهُ، وَعَنِ ابْنِ كَثِيرٍ: قُنْبُلٌ[(٤)]، وَالْبَزِّيُّ[(٥)] عَنْ أَصْحَابِهِمَا عَنْهُ -يعني: قنبل والبزي عن ابن كثيرٍ بواسطة، فلم يَقْرَآ عليه مباشرةً، إنما قَرَآ عليه بسند إليه- وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو: الدُّورِيِّ[(٦)] -نسبة =

الحفاظ الأثبات. قال شعبة: قال منصور: ما كتبت حديثًا قط. وقال عبد الرحمن ابن مهدي: لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور. توفي سنة (١٣٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٢).

(١) أبو بكر ابن عياش بن سالم الأسدي الحناط - بالنون - الكوفي المقرئ العابد، أحد الأئمة الكبار، مولى واصل الأحدب، في اسمه عدة أقوال أشهرها: شعبة. قرأ القرآن على عاصم ثلاث مرات، وسمع منه. توفي سنة (١٩٤هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ١٢٦١).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) قنبل، مقرئ أهل مكة، هو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن خرجة المخزومي المكي. ولد سنة خمس وتسعين ومائة. انتهت إليه رياسة الإقراء بالحجاز. وإنما لقب قنبلًا لاستعماله دواءً يقال له: قنبيل يسقى للبقر. فلما أكثر من استعماله عرف به، ثم خفف، وقيل: قنبل. وقيل: بل هو من قوم بمكة يقال لهم: القنابلة. وكان قنبل قد ولي الشرطة وإقامة الحدود بمكة، وطال عمره وضعف، وقطع الإقراء قبل موته بسبعة أعوام. توفي سنة (٢٩١هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ١٠٠٢).

(٥) أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع ابن أبي بزة، أبو الحسن المخزومي مولاهم البزي المكي المقرئ. مؤذن المسجد الحرام أربعين سنة. والبزة: الشدة. كان شيخ الحرم وقارئه في زمانه، مع الدين والورع والعبادة. وتوفي بمكة سنة خمسين ومائتين. تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ١٠٦٩) معرفة القراء الكبار (١٠٢) غاية النهاية (١/ ١١٩).

(٦) أبو عمر الدوري، حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان. ويقال: صهيب الأزدي، المقرئ النحوي البغدادي الضرير، نزيل سامراء مقرئ الإسلام، وشيخ العراق في وقته. قرأ على إسماعيل بن جعفر، وعلى الكسائي وعلى يحيى اليزيدي، وعلى سليم، وسمع الحروف من أبي بكر. ويقال: إنه أول من جمع القراءات وألفها. وتوفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين. انظر: معرفة القراء الكبار (١١٣).

حفص بن سليمان أبو عمر الدوري مولاهم الغاضري الكوفي المقرئ الإمام صاحب عاصم، وابن =

إلى الدُّورِ في العراق- **وَالسُّوسِيُّ**[١] **عَنِ الْيَزِيدِيِّ**[٢] **عَنْهُ**؛ فَهُمَا لم يقرآ على أبي عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما قَرَآ عليه بواسطة. **وَعَنِ ابْنِ عَامِرٍ: هِشَامٌ**[٣]، **وَابْنُ ذَكْوَانَ**[٤] **عَنْ أَصْحَابِهِمَا عَنْهُ** -أي: بِسَنَدٍ أيضًا-. **وَعَنِ الْكِسَائِيِّ: الدُّورِيُّ، وَأَبُو**

زوجة عاصم. قال خلف بن هشام: مولد حفص سنة تسعين، ومات سنة ثمانين ومائة. كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر ابن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم -أقرأ الناس- دهرًا، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: معرفة القراء الكبار (٨٥) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٢٥٤). هذا حفص راوي عاصم لا راوي أبي عمرو.

(١) أبو شعيب السوسي: صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود، بن مسرح الرستبي الرقي المقرئ. قرأ القرآن على اليزيدي. مقرئ ضابط محرر ثقة، أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن أبي محمد اليزيدي وهو من أجل أصحابه. قال أبو حاتم: صدوق. ومات في أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب تسعين سنة. انظر: معرفة القراء الكبار (١١٥) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٣٢).

(٢) يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحوي مقرئ ثقة علامة كبير، نزل بغداد وعرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فكان يؤدب ولده. توفي سنة اثنتين ومائتين بمرو، وله أربع وسبعون سنة، وقيل: بل جاوز التسعين وقارب المائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٧٥).

(٣) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السلمي. وقيل: الظفري الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرؤهم ومحدثهم ومفتيهم. قال أبو علي أحمد بن محمد الأصبهاني المقرئ: لما توفي أيوب بن تميم رجعت الإمامة في القراءة إلى رجلين: ابن ذكوان وهشام، قال: وكان هشام مشهورًا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث. مات سنة خمس وأربعين ومائتين. وقيل: سنة أربع وأربعين. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٥٦).

(٤) عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو، وأبو محمد البهراني، مولاهم الدمشقي، مقرئ دمشق، وإمام جامعها، قرأ على أيوب بن تميم المقرئ، عن يحيى الذماري، عن ابن عامر. وتصدر للإقراء والحديث. قال أبو حاتم: صدوق. وقال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان في زمان عبد الله بن ذكوان أقرأ عندي منه. توفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وأربعين. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ١١٥٥).

الْحَارِثِ[١].

ثُمَّ لَمَّا اتَّسَعَ الْخَرْقُ، وَكَادَ الْبَاطِلُ أَنْ يَلْتَبِسَ بِالْحَقِّ قَامَ جَهَابِذَةُ الأُمَّةِ وَبَالَغُوا فِي الاجْتِهَادِ وَجَمَعُوا الْحُرُوفَ وَالْقِرَاءَاتِ، وَعَزَوُا الْوُجُوهَ وَالرِّوَايَاتِ، وَمَيَّزُوا الصَّحِيحَ وَالْمَشْهُورَ وَالشَّاذَّ بِأُصُولٍ أَصَّلُوهَا، وَأَرْكَانٍ فَصَّلُوهَا.

وَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي الْقِرَاءَاتِ: أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ[٢] ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيُّ[٣]، ثُمَّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَالِكِيُّ صَاحِبُ قَالُونَ[٤]، ثُمَّ أَبُو جَعْفَرِ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بن عُمَرَ

---

(١) أبو الحارث هو: الليث بن خالد المروزي، وهو ثقة حاذق ضابط للقراءة ، ومحقق لها. قال أبو عمرو الداني: كان الليث من جلة أصحاب الكسائي، روى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول وعن اليزيدي. وروى عنه القراءة عرضًا وسماعًا: سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، والفضل بن شاذان، وغيرهم. توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٤).

(٢) أبو عبيدٍ القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، قرأ القرآن على: أبي الحسن الكسائي، وإسماعيل بن جعفرٍ، وشجاع بن أبي نصرٍ البلخي. وسمع الحروف من طائفةٍ. وصنف التصانيف المونقة التي سارت بها الركبان. وله مصنفٌ في القراءات لم أره، وهو من أئمة الاجتهاد. توفي سنة (٢٢٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠).

(٣) أحمد بن جبير بن محمد بن جعفر بن أحمد بن جبير أبو جعفر، وقيل: أبو بكر الكوفي نزيل أنطاكية، كان أصله من خراسان، سافر إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ثم أقام بأنطاكية فنسب إليها، كان من أئمة القراءة. قال الذهبي: كان من كبار القراء وحذاقهم ومعمريهم، عني بلقي القراء من الصغر، بإفادة والده، فقرأ على والده. توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين يوم التروية، ودفن يوم عرفة بعد الظهر بباب الجنان. انظر: معرفة القراء الكبار (١٢٢) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢).

(٤) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي، أبو إسحاق الأزدي البغدادي، ثقة مشهور كبير، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، روى القراءة عن قالون وله عنه نسخة. وصنف كتابًا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إمامًا. توفي فجأة وقت صلاة العشاء الآخرة من ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ببغداد رَحِمَهُ اللهُ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٦٢).

الدَّاجُونِيُّ[١]**، ثُمَّ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ. ثُمَّ قَامَ النَّاسُ فِي هَـذَا الْعَصْرِ وَبَعْدَهُ** -أي: عصر ابن مجاهد وَمَنْ بَعْدَهُ- **بِالتَّأْلِيفِ فِي أَنْوَاعِهَا جَامِعًا وَمُفْرَدًا وَمُوجَزًا وَمُسْهَبًا**. أي: هذه الكتب المؤلَّفة كانت كُتُبًا جامعةً لقراءات كثيرة أو مُفْرَدَةً إِفْرَادًا، كأن يأتي إنسانٌ فَيُفْرِدُ قراءةَ يعقوب، ويُسَمِّيهَا «مُفردةَ يعقوبَ»، أي: ما قرأ به يعقوبُ مُسْنَدًا إلى رسول الله ﷺ.

وَأَئِمَّةُ الْمُقْرِئِينَ لا يُحْصَوْنَ، وَقَدْ صَنَّفَ طَبَقَاتِهِمْ حَافِظُ الإِسْلامِ: أَبُو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ[٢]**، ثُمَّ حَافِظُ الْقُرَّاءِ: أَبُو الْخَيْرِ بْنُ الْجَزَرِيُّ**[٣]**، وَلَا مَزِيدَ عَلَى كِتَابَيْهِمَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ**. كِلَا الكتابينِ مطبوعٌ.



---

(١) أبو بكر الداجوني: محمد بن أحمد بن عمر الرملي، الضرير المقرئ، وهو الداجوني الكبير. أحد من عني بهذا الشأن، ورحل إلى الشيوخ، وجمع القراءات. توفي بعد العشرين وثلاثمائة، فقيل: مات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. انظر: معرفة القراء الكبار (١٥٢).

(٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء.

النوع السابع والعشرون: كيفية التحمل[١]

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي؛ وَهُوَ نَوْعٌ مُهِمٌّ. وَأَوْجُهُ التَّحَمُّلِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ ثَمَانِيَةٌ[٢]: السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ، وَالْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاعُ عَلَيْهِ.

سيستطرد السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فيذكر كيفيةَ التحملِ، أي: كيف يَتَحَمَّلُ الرَّاوِي حديثَ رسول الله ﷺ؟

فقال: (**وَأَوْجُهُ التَّحمُّلِ عند الْمُحَدِّثِينَ ثَمَانِيَةٌ**) أَي: ثمانيةُ طُرُقٍ في التحمل؛ ذَكَرَ منها ثلاثةً:

(**السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ**) وهو: أن يقرأ الشيخ والطلبةُ يَسْمَعُونَ.

(**وَالْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ**) هو أن يقرأ الطالب والشيخ يستمع. أن يقرأ عليه واحدٌ منهم إما بِعينِهِ مُسْتَمِرًّا أو يتناوب القراءةَ عليه طلبةٌ كثيرونَ.

(**والسَّمَاعُ عَلَيْهِ**) هو أن يَسمع إنسانًا آخرَ يقرأ والشيخ يسمع.

فهذا أيضًا مما اعتبره المحدثون طريقًا لتحمل حديثِ رسولِ الله ﷺ.

فيأتي إنسانٌ ضابطٌ؛ إما ضَبْطَ صَدْرٍ أو ضَبْطَ كتاب- معه كتاب- ويسمع رجلًا يقرأ على مُحَدِّثٍ. فيقول: حدثني الشيخُ فلانٌ قراءةً عليه وأنا أسمعُ، ولو قال: حدثنا، أنبأنا، أخبرنا، أخبرني، صح.

هذه ثلاثة أنواع اتفق عليها المحدثونَ والأصوليونَ والفقهاءُ وأئمةُ الإسلامِ لا خلافَ فيها في التَّلَقِّي والتحملِ.

ثم (**الْمُنَاوَلَةُ**): ولها درجتانِ: إما تُقْرَنُ بالإجازةِ، فأقول لك: هذا كتابٌ

---

(١) هذا الباب من زيادات المؤلف على كتاب البلقيني.

(٢) انظر: تدريب الراوي (١/ ٤١٨).

سَمِعْتُهُ عن شيخي فلانٍ خُذْهُ وَأَجَزْتُكَ أن تقرأه وَتُقْرِئَهُ مَنْ شئتَ، فهذه المناولةُ مقرونةٌ بالإجازة، وهي أكبرُ درجاتِ المناوَلةِ. وهناك مناولةٌ غيرُ مقرونةٍ بالإجازة، وهذه التي اختلف فيها أنظارُ عُلَمَاءِ الإسلام، وهي كأن يقول الشيخُ للطالب: هذا كِتَابِي وهو سَمَاعِي على شيخي فلانٍ، ولم يَقُلْ له: أَجَزْتُكَ، فهذا يُثْبِتُهُ كثيرٌ من المحدثين أو الفقهاء طريقًا للتحمل، وينفيه أيضًا بعضُ المحدثين رحمهم الله تعالى جميعًا.

ثم (**الإجازة**): وهي السماحُ للطالبِ بأن يقرأَ ويُقْرِئَ مَنْ شاء. والإجازةُ لها تسعةُ أقسامٍ: كأن يقول العالم: أَجَزْتُكَ- يُخَاطِبُ شخصًا- أو يقول: أجزتُ أهلَ بلدي، أو أجزتُ أهلَ زماني، فكل مَنْ وُجِدَ في زمانه أَجَازَهُ، أو يقول: أجزتُ ابنًا لفلان، أو ابنةً لفلان ولم تأتِ بعدُ، أو أجزتُ جميعَ أبناء فلان، وهم لم يأتوا بعدُ، أو أجزتُ جميعَ بنات فلان وهن لم يأتين بعدُ، فهذه إجازةٌ لمعدوم، وإجازة لمجهول، وإجازةٌ لأهل الزمان، وإجازةٌ لأهل البلد.

وللعلماء تِسْعُ طُرُقٍ للإجازة مذكورةٌ بالتفصيل في كتاب الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللهُ «تَدْرِيبُ الرَّاوِي شَرْحُ تَقْرِيبِ النَّوَاوِي»(١).

و(**المُكَاتَبَةُ**): وهي أن يكتب الشيخُ رسالةً لصديقه الشيخِ أو لتلميذه أو للطالب عنده يقول له: أَثْبَتُّ لكَ في هذه الرسالة أو هذا الكتاب مَرْوِيَّاتِي عن شيخي فلان، إما أن يقول له: أجزتُكَ معها أن تقرأها وتُقْرِئَ مَنْ شئتَ، أو أن لا يقول له ذلك.

وجميع هذه الأقسام اخْتَلَفَ فيها العلماءُ- ما عدا الثلاثة الأولى-هل هي

(١) تدريب الراوي (١/ ٤٤٧).

مقبولة أو لا؟

ثم (**الوصية**): والوصية معروفةٌ؛ كأن يقول الإنسانُ وهو على فراش الموت: أَجَزْتُ فلانًا الغائبَ أو الحاضرَ أن يقرأ جميعَ كُتُبِي وأن يُقْرِئَهَا مَنْ شاء. أو وصية المسافر، كعالم سافر فقال: أَجَزْتُ فلانًا أن يُقْرِئَ كُتُبِي من بعدي، أو أجزتُ ابني الصغيرَ أو الكبيرَ -لا يهم- أن يَقْرَأَ كتبي إذا كَبِرَ من بعدي، أو يُقرئَها مِنْ بعدي.

ثم (**الإعلام**): فيُعلِم الشيخُ الطالبَ بأن هذا الكتاب سَمَاعُهُ، كان في مكتبةٍ أو كان في مجلس، فيقول الشيخُ للطالب: هذا الكتاب سَمَاعِي، ولم يقل له: أَجَزْتُكَ، أو خُذْهُ. ولم يُنَاوِلْهُ، ولم يفعل معه شيئًا. فاختلف فيه الناسُ: هل هذا من طُرُقِ التَّحَمُّلِ أو لا؟ أي: هل يجوز لهذا الطالبِ أن يأخذَ هذا الكتابَ ويُقْرِئَ الناسَ به في المحافل والمجامع؟ هذا محل خلاف بين العلماء.

ويضاف إلى هذه الثمانية: (**الْوِجَادَةَ**): أي: أن يجدَ الإنسانُ كتابًا يقطع أن هذا الكتاب منسوبٌ لِفُلانٍ؛ إما لمعرفته خَطَّهُ، أو لمعرفته أن فلانًا هذا لا يُؤَلِّفُ مثلَ هذا الكتاب غيرُه، المهم أن يقطع بنسبة الكتاب بطريقة من الطُّرُقِ لشخص من الأشخاص.

وجماهير الْمُحَدِّثِينَ لا يُجِيزُونَ الرواية بالوجادة، ولكن كثيرًا من الفقهاء والأصوليين وبعض المحدثين يجيزونها، ويقولون: لا سبيلَ في هذا الزمان -أي: في زمانهم ذلك قبلَ ستةِ قرونٍ أو سبعة قرون- لإيجاد إجازة لكل كتاب نريد أَنْ نَقْرَأَهُ في المساجد.

ولك أن تتصور هذا الزمان الآن، لو قلنا: لا يجوز لنا أن نُقرئ الناس شيئًا

إلا بإجازة! فلا يجوز للناس أن يقرؤوا رياضَ الصالحين في المساجد؛ لأنه ليست هناك إجازةٌ به من الإمام النووي، ولا يجوز للأئمة أن يقرؤوا البخاريَّ في المساجد؛ لأن معظمَهم أو كثيرًا منهم ليس لهم إجازةٌ من الإمام البخاري وهكذا!

فـ (الوجادةُ) قال كثيرون من العلماء- في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع- بأنها لا غنًى عنها في هذا الزمان -أي: في زمانهم ذاك- لإقراء الناس، فلا محذور -إن شاء الله- في الرواية بالوجادة، وإن مَنَعَهَا أغلبُ المحدثين، لكن الصحيح -إن شاء الله تعالى خاصةً في هذه الأزمان التي انقطع فيها كثيرٌ من أسانيد الكتب المشهورة- أنه يجوز إقراءُ الناسِ بمثل هذا، بشرطِ أن يكونَ الشيخُ ضابطًا لما يقرأه، والتلميذ أهلًا لما يسمعه، والله أعلم.

فَأَمَّا غَيْرُ الأَوَّلَيْنِ فَلَا يَأْتِي هُنَا كَمَا سَتَعْلَمُ مِمَّا نَذْكُرُهُ. أي: من الأنواع الثلاثة الأولى، وهما: السماع من لفظ الشيخ، والقراءة عليه لا يأتي هنا في القرآن، ولا يصلح للإجازة القرآنية.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ عَلَى الشَّيْخِ فَهِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ سَلَفًا وَخَلَفًا -أي: في كتاب الله تبارك وتعالى-، **وَأَمَّا السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ فَقَدْ كُنْتُ أَقُولُ بِهِ هُنَا؛ لأَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم إِنَّمَا أَخَذُوا الْقُرْآنَ مَنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَكِنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَالمنْعُ فِيهِ ظَاهِرٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا كَيْفِيَّةُ الأَدَاءِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ يَقْدِرُ عَلَى الأَدَاءِ بِهَيْئَتِهِ، بِخِلافِ الْحَدِيثِ.**

يعني: أن رسول الله ﷺ كان ينتصب للصحابة في المسجد لإقرائهم القرآنَ، فَيُسْمِعُهُمُ الآياتِ التي نزل بها جبريلُ عليه الصلاة والسلام على قلبه الشريف

ﷺ، والصحابةُ يسمعون؛ فمن شدةِ فصاحتهم ودُرْبَتِهِمْ بأساليب اللغة، ومن شدة تَحَرُّزِهِمْ ﭫ، فإن ذلك كان يكفي في زمانهم، فلم يكن من الضروري أن يعيد الصحابيُّ القراءةَ على رسول الله ﷺ إنما يكفي سماعُه منه.

ثم في الأزمان التي جاءت بعد الصحابة قال المؤلف: (**لَكِنْ لم يأخذ به أحدٌ من القُرَّاءِ**) أي: بهذه الطريقة، أن يأتي قارئٌ ويُقْرِئَ الناسَ في المسجد، ثم يقول لهم: أَجَزْتُكُمْ بإقراءِ هذا.

وقول السيوطي: (**لم يأخذ به أحدٌ من القراء**) كلامٌ مردودٌ؛ لأن الكسائي גּ(١) -وهو من أئمة السلف- الذي تُوُفِّيَ سنةَ تسع وثمانين ومائة، كان يجلس في المسجد، فيُنصَبُ له كُرْسِيٌّ للإقراء فيجلس عليه وأصحابه بجواره، فكان يقرأ عليهم القرآنَ، فيضبطونه مِنْ فِيهِ גּ، ثم بعد ذلك يُجِيزُهُمْ؛ لأن أصحاب الكسائي من القرون الثلاثة المُفَضَّلَةُ(٢)، من الذين لم يَغْلِبْ عليهم العُجْمَةُ بَعْدُ، فكانوا من الأقحاح الذين صَحَّتْ ألسنتُهم سليقةً بغير تعليم.

وبهذا يُعْلَمُ أن كلامَ السيوطيِّ גּ: (**لم يأخذ به أحدٌ من القُرَّاءِ**) كلامٌ مَرْجُوحٌ.

وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ يَقْدِرُ عَلَى الأَدَاءِ بِهَيْئَتِهِ، هذا أكيدٌ؛ فلا يجادل فيه اثنانِ.

بِخِلافِ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ الْمَعْنَى أَوِ اللَّفْظُ لا بِالهَيْئَاتِ المُعْتَبَرةِ فِي

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) عن عمران بن حصين ﭭ قال: قال النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»- قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثةً - قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن».
متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

أَدَاءِ الْقُرْآنِ.

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم؛ وهي: هل يجوز رواية الحديث بالمعنى أم لا بد من الإتيان به بلفظه؟[١].

فبعضُ المحدثينَ اشترط في أحاديثِ رسولِ الله ﷺ أن تُرْوَى باللفظِ من غيرِ إبدالٍ لمعنًى مقاربٍ أو بعيدٍ، وَسَمَحَ آخرونَ بتأدية الأحاديث بروايتِها بالمعنى القريب لمن يَفْهَمُ لغةَ العربِ، وأن يكون المعنى مُقَارِبًا للمعنى الأصلي إما بالترادف أو بغيره.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ فَكَانَتْ فَصَاحَتُهُمْ وَطِبَاعُهُمُ السَّلِيمَةُ تَقْتَضِي قُدْرَتَهُمْ عَلَى الأَدَاءِ كَمَا سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيُحْكَى أَنَّ الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ ابْنَ الْجَزَرِيِّ[٢] لَمَّا قَدِمَ الْقَاهِرَةَ وَازْدَحَمَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ لَمْ يَتَّسِعْ وَقْتُهُ لِقِرَاءَةِ الْجَمِيعِ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الآيَةَ ثُمَّ يُعِيدُونَهَا عَلَيْهِ دفْعَةً وَاحِدَةً، فَلِمَ يَكْتَفِ بِقِرَاءَتِهِ.

فلم يكتفِ بقراءتِه عليهم إنما أَعَادُوها عليه، لكن لكثرةِ الناسِ ولقلةِ وقتِه فإنهم يعيدونها عليه دفعةً واحدةً؛ ليتأكد أنهم قد أَحْكَمُوا نُطْقَهَا.

وَتَجُوزُ الْقِرَاءَةُ عَلَى الشَّيْخِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُهُمْ، وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ[٣] -تلميذُ

---

(١) انظر: شرح علل الترمذي، للحافظ ابن رجب (١/ ١١٦) توضيح الأفكار، للصنعاني (٢/ ٢٢٣).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) علي بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن الهمداني الشيخ علم الدين السخاوي المصري، شيخ القراء بدمشق، لازم الشاطبي وأخذ عنه القراءات وغيرها، وكان فقيهًا يفتي الناس، وإمامًا في النحو والقراءات والتفسير قصده الخلق من البلاد لأخذ القراءات عنه، وله المصنفات الكثيرة والشعر الكثير، وكان من أذكياء بني آدم. توفي السخاوي في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين =

الشاطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقْرَأُ عَلَيْهِ اثْنَانِ وَثَلاثَةٌ فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَرُدُّ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ، وَكَذَا لَوْ كَانَ الشَّيْخُ مُشْتَغِلًا بِشُغْلٍ آخَرَ كَنَسْخٍ وَمُطَالَعَةٍ.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ مِنَ الْحِفْظِ فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرْطٍ، بَلْ يَكْفِي وَلَوْ مِنَ الْمُصْحَفِ.

هذه مسألةٌ مهمةٌ، إذا كان الشيخ متشاغلًا بشيء هل يُقْرَأُ عليه أو لا؟ المسألةُ جائزةٌ إن شاء الله، لكن الأفضلَ أن يَنْتَبِهَ الشيخُ للتلميذ ويعطيَه كُلِّيَّتَهُ؛ لأن القرآن كلماتُه لها هيئةٌ معينةٌ يحتاج لأَنْ ينظر إلى التلميذ كيف ينطق هذه الكلماتِ، فيحسن بالشيخ ألا يكونَ مشتغلًا عن الطالب بشيء، لكن لو اشتغل بشيء بحيث لا يذهب عليه ما يقرأه الطالبُ فإن هذا مما لا بأسَ فيه، وأتى بحكاية الشيخ السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ وأنه كان يذهب من مسجده إلى الجبل والبيتُ في الجبل، وكان يركب على دابةٍ والتلاميذُ حولَه على دوابَّ، فكان اثنان أو ثلاثة يقرؤون عليه في وقت واحد وهو يَرُدُّ عليهم رحمهم الله جميعًا.

أَمَّا الْقِرَاءَةُ [عَلَى الشَّيْخِ مِنْ حِفْظِ الطَّالِبِ][1] فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرْطٍ بَلْ يَكْفِي مِنَ الْمُصْحَفِ.

لَكِنْ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِهَذَا، بَلْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَحْفَظَ الإِنْسَانُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَقْرَأَهُ عَلَى الشَّيْخِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، لكن لو أراد الطالبُ أن يقرأ على شيخه من المصحف فإن هذا -أيضًا- مما لا بأسَ به، والله أعلم.

وَأَمَّا كَيْفِيَّاتُ الْقِرَاءَةِ فَثَلاثٌ[2]:

= وستمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ٢٩٧).

(١) وفي نسخة: (وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط، بل يكفي ولو من المصحف).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٠٥).

أَحَدُهَا: التَّحْقِيقُ[1]، وَهُوَ إِعْطَاءُ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ، وَتَحْقِيقِ الْهَمْزِ، وَإِتْمَامِ الْحَرَكَاتِ، وَاعْتِمَادِ الإِظْهَارِ وَالتَّشْدِيدَاتِ، وَبَيَانِ الْحُرُوفِ وَتَفْكِيكِهَا، وَإِخْرَاجِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ مَعَ التَّرَسُّلِ وَالتُّؤَدَةِ بِلا قَصْرٍ وَلَا اخْتِلَاسٍ وَلَا إِسْكَانِ مُتَحَرِّكٍ وَلَا إِدْغَامِهِ.

هذا الذي يُسَمِّيهِ: التحقيقَ أو الترتيلَ أو التَّرسُّلَ، وَكُلُّهَا بمعنًى، وهو غاية البطءِ في إخراج الكلمات مقروءةً من القارئ مع إعطائِها غايةَ التحقيقِ، يقول: (بلا قصر وبلا إدغام)؛ أي: بلا إدغامٍ كبيرٍ، وبإتمام الحركات... إلى آخِرِ ما قاله.

فقول السيوطي ها هنا: (بِلا قَصْرٍ)، واعتماد الإظهار والتشديدات، وإتمام الحركات هذا يكون في الحَدْرِ، ويكون في التدوير –وهو التوسط–، ويكون في الترتيل، فليس هذا خَاصًّا بالترتيل فقط.

وبالمناسبة الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن له شيخٌ في القراءات، يقال: إن له أَلْفِيَّةً في اختلافِ القراءاتِ ولكني لم أَعْثُرْ عليها ولم أَسْمَعْ بأن أحدًا قد عَثَرَ عليها. المقصود أن الإمام السيوطيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن له شيخٌ فيها؛ لذلك يظهر من ثَنَايَا كلامه هاهنا بعضُ الأمور التي ليست كما هي في الواقع؛ منها قوله هنا: إن التحقيقَ (بلا قصر)، والصحيحُ أن التحقيقَ يجوز فيه القصرُ والتوسطُ والمدُّ.

قوله: (إِعْطَاءُ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ وَتَحْقِيقِ الْهَمْزِ)، تتخلص العرب من شدة الهمز بِطُرُقٍ: إما بحذفه تمامًا فتقول: يُومِنُونَ، وَمُومِنُونَ، نُومِنُ.

أو بالتسهيل ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] فتقول: (أَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)

(١) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٠٥): أما التحقيق فهو مصدرٌ؛ من حققت الشيء تحقيقًا إذا بلغت يقينه، ومعناه المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادةٍ فيه ولا نقصانٍ منه.

بتسهيل الهمزِ بنطقه بحالة بينَ بينَ. بين الهمز وبينَ الحرف الذي هو شَكْلُ الهمزِ، وهذا التسهيلُ يحتاج إلى أَخْذٍ عن مشايخَ حتى يُضبط إخراجُه.

فالتسهيلُ والحذفُ وإثباتُ الهمزِ كله يجوزُ مع التحقيق والترتيل والتدوير: مع السرعة في القراءة ومع البطء في القراءة ومع التوسط في السرعة. وكلُّ هذا جائزٌ كما هو معروفٌ عند أئمةِ القراءاتِ وطُلَّابِها، فَكُلُّ هذا الكلامِ يحتاجُ إلى ضَبْطٍ ها هنا؛ لأنه ليس مُخْتَصًّا بالترتيل فقط: الذي هو إخراج القراءة على غاية من البطء والترسل.

(والتؤَدَة بلا قصر) -أي: في المد- **(ولا اختلاس)** -أي: في الحركات- **(ولا إسكان متحرك ولا إدغامه)**، هنا يشير إلى الإدغام الكبير، والإدغامُ الكبيرُ: هو إسكانُ الحرفِ المتحركِ وإدغامُه في الحرف الذي بَعْدَهُ، وإنما قيل له: كبير؛ لأن فيه عَمَلَيْنِ أو أكثرَ، مثل: ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣]. فيقرأ السُّوسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): (الرحيم مّلِك يوم الدين) بإدغام الميم، وقوله تعالى: ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]: يقرأها هكذا (أَخْرَشَّطْأَهُ) بإدغام الجيم في الشين، فالجيم كانت متحركةً فَأَسْكَنَهَا أولًا ثم أَدْغَمَهَا في الشينِ، وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ(٢).

وَيُسْتَحَبُّ الأَخْذُ بِهِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ مِنْ غَيْرِ مُجَاوَزَةٍ إِلَى حَدِّ الإِفْرَاطِ بِتَوْلِيدِ الْحُرُوفِ مِنَ الْحَرَكَاتِ، وَتَكْرِيرِ الرَّاءَاتِ، وَتَحْرِيكِ السَّوَاكِنِ، وَالْفَصْلِ بَيْنَ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ، كَمَا يَقِفُ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ عَلَى التَّاءِ مِنْ نَسْتَعِينُ وَقْفَةً لَطِيفَةً مُدَّعِيًا أَنَّهُ يُرَتِّلُ(٣).

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٨٩).

(٣) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٠٥): وهو الذي يستحسن ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير =

البطءُ في القراءة إن لم يُضبط ضَبْطًا صحيحًا قد يؤدي إلى التمطيط، والتمطيط، هو: مَطُّ الحركةِ حتى تُصْبِحَ حرفًا(١).

وَيُراد بإتمامِ الحركاتِ: الإتيان بالكسر كاملًا، والإتيان بالضم كاملًا بِضَمِّ الشفتينِ ضَمًّا، والإتيان بالفتح كاملًا بمفارَقة ما بين الفَكَّيْنِ حتى يخرجَ الحرفُ مُعْتَرِضًا في الفمِ، ولكل هذه كيفياتٌ ليس هنا محلُّ ضبطِها.

قوله: (**كَمَا يَقِفُ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ عَلَى التَّاءِ مِنْ نَسْتَعِينُ**)، مراده ها هنا أن يبلغ غايةَ الترتيل فيتجاوز بأن يفصل بينَ السينِ والتاءِ بلا سَنَدٍ له في هذا وبلا ضبط على شيخ.

الْحَدْرُ -بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ-: وَهُوَ إِدْرَاجُ الْقِرَاءَةِ وَسُرْعَتُهَا وَتَخْفِيفُهَا بِالْقَصْرِ وَالتَّسْكِينِ وَالاخْتِلَاسِ وَالْبَدَلِ وَالإِدْغَامِ الْكَبِيرِ وَتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ بِالْقَصْرِ وَالتَّسْكِينِ.

المرتبة الثانية: (الحَدْرِ)(٢) وهو: السرعةُ في إخراجِ الكلماتِ على أَتَمِّ ما يكون أيضًا، وليس السرعة بالإدماج؛ لأنه يُحْذَرُ في السرعة من إدماج الحروف

=

أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط من تحريك السواكن وتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات...».

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير (١/ ٦٥): قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة- رحمهم الله- على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفًا أو ينقص حرفًا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم.

(٢) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٠٧): وأما الحدر فهو مصدرٌ من حدر - بالفتح يحدر بالضم - إذا أسرع؛ فهو من الحدور الذي هو الهبوط؛ لأن الإسراع من لازمه بخلاف الصعود فهو عندهم عبارةٌ عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز، ونحو ذلك مما صحت به الرواية، ووردت به القراءة مع إيثار الوصل، وإقامة الإعراب ومراعاة تقويم اللفظ، وتمكن الحروف، وهو عندهم ضد التحقيق.

كما أنه يُحْذَرُ في الترتيل من تَمْطِيطِهَا. ويُستخدم الحدرُ في مراجعة الحفظ، بدلًا من الترتيل؛ لأن الترتيلَ هو مَظِنَّةُ التدبرِ.

قوله: (**وَتَخْفِيفُهَا بِالْقَصْرِ وَالتَّسْكِينِ**) لعله: وتخفيف الهمزةِ بالقصرِ والتسهيلِ. أما القَصْرُ فهو حذفُ الهمزةِ عندَ الوقفِ، ففي كلمة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ تقول: (السما)، وهذه قراءةٌ صحيحةٌ؛ ولكن ليس هذا النوع عند حفص عن عاصم. والتسهيل هو تسهيل الهمزة بإخراجها بينَ الهمز والحرفِ الذي هو شَكْلُهَا. وسَبَقَ أن ذكرنا أن ما قاله يجوز في الحدر ويجوز في الترتيل والتدوير، وجرت العادةُ لمن يريد أن يرتلَ بأن يَمُدَّ المدَّ وأن يُبْطِئَ في إخراج الحركات، وَجَرَتِ العادةُ بأن الذي يريد أن يحدر أن يقصر المدَّ؛ لأن الحدر يساعدُه قصرُ المد، والترتيل يساعدُه تطويلُ المدِّ أو توسيطُه.

وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ بِدُونِ بَتْرِ حُرُوفِ الْمَدِّ، وَاخْتِلَاسِ أَكْثَرِ الْحَرَكَاتِ، وَالتَّفْرِيطِ إِلَى غَايَةٍ لَا يصِحُّ بِهَا الْقِرَاءَةُ، وَلَا تُوصَفُ بِهَا التِّلَاوَةُ.

لأن حرفَ المدِّ لا تقوم ذاتُ الحرفِ إلا به، فالسيوطي رَحِمَهُ اللهُ يُنَبِّهُ على هذا فيقول: (**بِدُونِ بَتْرِ حُرُوفِ الْمَدِّ**)؛ أي: بدون إنقاصِها عن حَقِّهَا الطبيعيِّ عن حركتينِ، (**واختلاسِ أكثرِ الحركاتِ، والتفريطِ إلى غايةٍ لا يصحُّ بها القراءةُ، ولا تُوصَفُ بها التلاوةُ**).

وَهَذَا النَّوْعُ مَذْهَبُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي جَعْفَرٍ، وَمَنْ قَصَرَ الْمُنْفَصِلَ كَأَبِي عَمْرٍو وَيَعْقُوبَ.

فابن كثير وأبو جعفر يَقْصِرَانِ المنفصلَ أيضًا، فكأنه يقول: هذا مذهبُ ابنِ كثيرٍ وأبي جعفر وَمَنْ وَافَقَهُمَا مِمَّنْ قَصَرَ المنفصلَ أمثال أبي عمرٍو في إحدى

الروايتين ويعقوبَ الحضرميِّ رحمهم الله جميعًا.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: التَّدْوِيرُ: وَهُوَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ(١)، وَهُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الأَدَاءِ، وَاخْتُلِفَ فِي الأَفْضَلِ: هَلِ التَّرْتِيلُ وَقِلَّةُ الْقِرَاءَةِ، أَوِ السُّرْعَةُ وَكَثْرَتُهَا؟

هذا إن كان المقامُ ليس مقامَ سرعةٍ، أما إن كان المقامُ مقامَ سرعةٍ فالأفضلُ الحدر والإسراع؛ لأنه ثَبَتَ عن الإمامِ الشافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ(٢) أنه قرأ في رمضانَ سِتِّينَ ختمةً، يقول الإمام ابْنُ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللهُ(٣): حاولتُ ما حاوله الشافعيُّ فلم أَقْدِرْ إلا على تِسْعٍ وخمسينَ ختمةً في رمضان، وابنُ عساكرَ كان يعتكف في رمضان من أولِه إلى آخِرِه في منارةِ جامعِ دمشقَ، فلا ينزل منها إلا آخر رمضان.

ووَجَّهَ العلماءُ هذا مع نهي رسولِ الله ﷺ لعبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ألا يقرأَ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثٍ كما في الحديث المشهور(٤)، في أن المرادَ في غير الزمان الفاضل، وإلا فلو قرأ إنسانٌ القرآنَ في أقلَّ من ثلاث في زمان فاضل

---

(١) التحقيق والحدر.

(٢) الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد منافٍ بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالبٍ، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشمٍ والد عبد المطلب. صنف التصانيف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعًا الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته، وتكاثر عليه الطلبة. توفي سنة (٢٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

(٣) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الحافظ الكبير أبو القاسم ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، الشافعي، صاحب « تاريخ دمشق »، أحد أعلام الحديث. [المتوفى: ٥٧١ هـ]. انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٢٩٥)، تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ٤٩٣).

(٤) سبق تخريجه.

يرجو به بركةَ القرآنِ وأجرَه فلا حَرَجَ في هذا، والدليلُ ما كان يصنعه كثيرٌ من السلف ليس الشافعي فقط، فكثير من السلف كانوا يختمونَ القرآنَ ختماتٍ كثيرةً في رمضان؛ لأن الذي يؤدي فريضةً في رمضان كمن يؤدي سبعينَ فريضةً فيما سِوَاهُ كما ثَبَتَ في الحديث الصحيح[1]، والذي يتطوع في رمضان كان كمن يؤدي فريضةً في غيره.

فكان الأئمةُ -لاغتنامِ فضلِ رمضانَ والأجرِ العظيمِ فيه- يُكْثِرُونَ من قراءةِ القرآنِ.

فالاختلاف في كون الأفضلِ الترتيلَ وقلةَ القراءةِ أو السرعةَ وكثرتها التحقيقُ أن الفضلَ هنا نِسْبِيٌّ؛ بمعنى: إن كان الزمانُ زمانَ رمضانَ فالتحقيقُ أن الحَدْرَ هو الأفضلُ هنا كما كان يصنع الشافعيُّ وغيرُه، وإن كان الزمانُ زمانًا مُعْتَادًا ليس فيه مزيدُ ثوابٍ في قراءةِ القرآنِ فالأفضلُ الترتيلُ. وإن كان الطالبُ يُرَاجِعُ حِفْظَهُ فالأفضلُ له الحَدْرُ، وإن كان الطالبُ يَتَدَبَّرُ القرآنَ فالأفضلُ له الترتيلُ.

وَمُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى الأَوَّلِ، وَتَوَسَّطَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: ثَوَابُ الْكَثْرَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا، وَثَوَابُ التَّرَسُّلِ أَقَلُّ قَدْرًا.

---

(١) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق (٣٦٦) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٢٣) وفي فضائل الأوقات (١٤٦) (١٩٨) والطبراني في الكبير (٦/ ٢٦١) والبزار في البحر الزخار (٦/ ٤٦٩) وابن شاهين في فضائل رمضان (١٤٤-١٤٥) وابن أبي الدنيا في فضائل رمضان (٦٩) وغيرهم، من طرق عن: علي ابن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان، فقال: أيها الناس إنه قد أظلكم شهرٌ عظيمٌ، شهر فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ، جعل الله صيامه فريضةً، وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلةٍ من الخير كان كمن أدى فريضةً فيما سواه، ومن أدى فيه فريضةً، كان كمن أدى سبعين فريضةً فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهرٌ يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائمًا كان له مغفرةً لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيءٌ...». لم أجده في الطبراني والبزار.

قوله: (**وَتَوَسَّطَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: ثوابُ الكثرةِ أكثرُ عددًا، وثوابُ التَّرَسُّلِ أقلُّ قَدْرًا**) هذا كلام غير مستقيم، والصحيح: أكبر قدرًا، لكن يمكن أن نُوَجِّهَ هذه الكلمةَ ونقول: إن ها هنا تحريفًا: فأصل الكلمة أَجَلُّ قدرًا، بدلًا من: أقل قدرًا.

فـ(أَجَلُّ) وَ(أَقَلُّ) كلمتان قريبتان من بعضهما كثيرًا في رسم الكتابة، فالصواب: وثواب الترسل أَجَلُّ قدرًا.

فقوله: (**تَوَسَّطَ بعضُهم فقال: ثوابُ الكثرةِ** -أي: كثرةِ التلاوةِ- **أكثرُ عددًا**) يعني: ينال المرءُ من الثواب الشيءَ الكثيرَ في العدد، لكنَّ ثوابَ التَّرَسُّلِ أَجَلُّ قَدْرًا. والله أعلم[1].

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الأَخْذِ بِإِفْرَادِ الْقِرَاءَاتِ وَجَمْعِهَا؛ فَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ أَخْذُ كُلِّ خَتْمَةٍ بِرِوَايَةٍ، لَا يَجْمَعُونَ رِوَايَةً إِلَى غَيْرِهَا إِلَى أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ.

سيأتي إلى تعريف **القراءة والرواية والطريق**. فالقارئُ الذي عَظُمَ وَشَهُرَ في الناس وصار له مذهبٌ يأتي إليه الناسُ وترحل إليه الطلبةُ هذا يُطلق على مذهبه: **قراءةً**، فنقول: قراءةُ الإمامِ ابن كثيرٍ، وقراءةُ الإمامِ نافعٍ، وقراءةُ الإمامِ حمزةَ... إلى آخِرِه، فهذا يُسَمَّى: قارئًا، ويسمى مذهبُه ذلك: **قراءةً**.

ثم نأتي إلى أشهرِ تلاميذِه وأتقنهم وأحسنهم وأفصحهم فنقول: للإمام نافعٍ

(١) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٠٨): وقد اختلف في الأفضل هل الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة؟ فذهب بعضهم إلى أن كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعودٍ: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنةٌ، والحسنة بعشر أمثالها الحديث. رواه الترمذي وصححه ورواه غيره: كل حرفٍ عشر حسناتٍ، ولأن عثمان رضي الله عنه قرأه في ركعةٍ، وذكروا آثارًا عن كثيرٍ من السلف في كثرة القراءة، والصحيح- بل الصواب- ما عليه معظم السلف والخلف، وهو أن الترتيل والتدبير مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه والتفقه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلةٌ إلى معانيه...».

رَحِمَهُ اللَّهُ طلبةٌ كثيرونَ ولكن المعتمدَ من هؤلاء الطلبة اثنانِ: الإمام قالونُ والإمامُ وَرْشٌ، وقالون وورش لقبانِ لِعَلَمَيْنِ، وليسا اسْمَيْنِ لهما، فقالونُ ظَلَّ يقرأ على الإمام نافع عشرين سنةً في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة حتى قال له نافعٌ: إلى متى تقرأ عَلَيَّ؟! اذْهَبْ إلى تلك الأسطوانة واجلس عندها، وأمرَ بعضَ الطلابِ أن يقرؤوا على قالون. فَظَلَّ يقرأ على إمامِه عشرين سنةً فتكونت له طريقةٌ بحسب ما أَقْرَأَهُ ذلك الإمامُ، وتسمى تلك الطريقة المأخوذة عن القارئ: **رواية**.

أَمَّا ورشٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه أتى من مصرَ إلى المدينة فوجد الإمامَ نافعًا وَوَجَدَ عنده طلبةً كثيرينَ، فطلب منه أن يُقْرِئَهُ سريعًا؛ لأنه ارتحل من مكان بعيد ويريد أن يرجع إلى بلادِه، فقرأ عليه ورشٌ رَحِمَهُ اللَّهُ ختمةً في شهر رمضان ورجع إلى بلده، ولأمر ما يريده اللهُ تبارك وتعالى انتقلت روايةُ ورشٍ وروايةُ قالونَ، وأصبح يُقْرَأُ بها في المغرب العربي الكبير بكامله من أول ليبيا إلى موريتانيا تقريبًا، وفي أجزاء من أفريقية السوداء.

وعليه فيقال: رواية ورش بقراءة نافع، ورواية قالون بقراءة نافعٍ، ولطول مُكْثِ قالونَ رَحِمَهُ اللَّهُ وطول قراءتِه على نافع تكونت عندَه طريقةٌ في القراءة تختلف عن تلك التي قَرَأَ بها وَرْشٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لذا اختلفت الروايتان.

ثم مَنْ قَرَأَ على قالونَ بعد ذلك مهما نَزَلَ يُطْلَقُ عليه: **طريقٌ**، فنقول مثلًا: طريقُ عبيدِ بنِ الصباحِ برواية حفصٍ بقراءةِ الإمامِ عاصمٍ، فمَهْمَا نزل بعد ذلك فيُطلق عليه طريقٌ.

قوله: (**فَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ أَخْذُ كُلِّ خَتْمَةٍ بِرِوَايَةٍ، لا يَجْمَعُونَ رِوَايَةً إِلَى**

غَيْرِهَا) بقي اليوم من القراءات عشرُ قراءاتٍ، لكل قراءة راويانِ، فعندنا عشرون من الرواة. يقول: الذي عليه السلفُ أنهم كانوا لا يَسْمَحُونَ للطالبِ بالجمعِ حتى يقرأ عشرينَ ختمةً لعشرينَ رَاوِيًا!

انظر حِرْصَ السلف رحمهم الله. أما اليوم فقد اختلف الأمرُ كما سيأتي.

فَظَهَرَ جَمْعُ الْقِرَاءَاتِ فِي الْخَتْمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمَحُونَ بِهِ إِلَّا لِمَنْ أَفْرَدَ الْقِرَاءَاتِ وَأَتْقَنَ طُرُقَهَا، وَقَرَأَ لِكُلِّ قَارِئٍ بِخَتْمَةٍ عَلَى حِدَةٍ. قوله: (بِهِ) الضميرُ يعود على جَمْع القراءات، فلم يكونوا يسمحون بجَمْع القراءات إلا لمن أَفْرَدَ القراءاتِ وَأَتْقَنَ طُرُقَهَا، وقرأ لكل قارئٍ بختمةٍ على حِدَةٍ.

بَلْ إِذَا كَانَ لِلشَّيْخِ رَاوِيَانِ قَرَءوا لِكُلِّ رَاوٍ بِخَتْمَةٍ. هذا هو الحال في القراءات العشر فإن لكل قارئ راويين.

ثُمَّ يَجْمَعُونَ لَهُ وَهَكَذَا، وَتَسَاهَلَ قَوْمٌ فَسَمَحُوا بِأَنْ يُقْرَأَ لِكُلِّ قَارِئٍ مِنَ السَّبْعَةِ بِخَتْمَةٍ سِوَى نَافِعٍ وَحَمْزَةَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِخَتْمَةٍ لِقَالُونَ ثُمَّ بِخَتْمَةٍ لِوَرْشٍ - وهما تلميذَا نافعٍ- فإنهم كانوا يأخذونَ بختمة لقالونَ التلميذِ الأولِ لنافعٍ على الترتيب الذي اختاره القراءُ ثم بختمة أخرى لورش- **ثُمَّ بِخَتْمَةٍ لِخَلَفٍ ثُمَّ بِخَتْمَةٍ لِخَلَّادٍ** -وكلاهما تلميذٌ لحمزةَ رحمهم الله جميعًا- **وَلَا يَسْمَحُ أَحَدٌ بِالْجَمْعِ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ.** أي: إذا أردتَ أن تقرأ للقراء السبعة فلا بد أن تقرأ ختمةً لكل قارئ كما سبق أن ذكرتُ، فهذه خمس ختمات لخمسة من القراء مع رُوَاتِهِمْ، إلا نافعًا وحمزةَ؛ فإنهم كانوا يُفْرِدُونَ لكل راوٍ منهما ختمةً فهذه تسع ختمات للقراء السبعة.

نَعَمْ، إِذَا رَأَوْا شَخْصًا أَفْرَدَ وَجَمَعَ عَلَى شَيْخٍ مُعْتَبَرٍ وَأُجِيزَ وَتَأَهَّلَ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ الْقِرَاءَاتِ فِي خَتْمَةٍ لَا يُكَلِّفُونَهُ الإِفْرَادَ؛ لِعِلْمِهِمْ بِوُصُولِهِ إِلَى حَدِّ الْمَعْرِفَةِ وَالإِتْقَانِ[١]. كأن ارْتَحَلَ عَالِمٌ إلى عَالِمٍ فأراد أن يقرأَ عليه في ثلاثة أيام، في أربعة أيام، في أسبوع، في شهر، وهذا العالِم متغربٌ يريد أن يرجعَ إلى بِلَادِهِ أو يريد أن يواصلَ رحلتَه، وهو شيخٌ متمكنٌ له قَدْرٌ في بلادِه وهو معروفٌ فيسمحون له بقراءةِ الختمِ مباشرةً بدون أن يتدربَ أو يتمرنَ بالختمات- التي ذكرتُها سابقًا- على شيخه، فليس ها هنا ضرورةٌ؛ لأن الرجلَ مُتْقِنٌ.

أما اليومَ فقد اختلف الأمرُ واختلفت الحالةُ؛ واصطلح القراءُ على ترتيب القراء حين عرض قراءاتهم على النحو التالي: نافعٌ ثم ابنُ كثيرٍ ثم أَبُو عَمْرٍو ثم ابنُ عَامِرٍ الدمشقيُّ، ثم عاصمٌ، ثم حمزةُ، ثم الكسائيُّ، ثم أبو جعفرٍ، ثم يعقوبُ الحضرميُّ، ثم خلف العاشر، وهكذا.

فاختلف الحال اليومَ حيث تأتي إلى الشيخ فَيُقْرِئُكَ بروايةِ قالونَ عن نافع حتى تُتْقِنَهَا، فلو أَتْقَنْتَهَا بقراءةِ صفحةٍ واحدةٍ أو بصفحتين أو بثلاث صفحات أو أكثر أو أَقَلَّ فإنه ينتقل بك إلى وَرْشٍ وهي قراءة صعبة تحتاج إلى مِرَانٍ كثيرٍ فربما قرأتَ جزءًا أو اثنين أو ثلاثةَ أجزاء على حَسَبِ استعدادكَ، ثم إذا أَتْقَنْتَهَا تنتقل بعد ذلك لِلْبَزِّيِّ وهو راوي ابن كثير الأولُ، فإذا أتقنتَ الْبَزِّيَّ انتقلتَ إلى قُنبُلٍ، وإذا انتهيتَ من قنبل تنتقل إلى الدُّورِيِّ -دوري أبي عمرو- ثم بعد ذلك للسُّوسِيّ، وهكذا حتى تُفْرِدَ لكل راوٍ على حِدَةٍ تمرينًا وتدريبًا، فإذا رأى الشيخُ منكَ تَأَهُّلًا ومقدرةً على الختمِ بدأ معكَ من أول البقرة مرةً أخرى في ختمة

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٦).

للقراء السبعة أو العشرة معًا، فالوضعُ اليومَ اختلف وليس كما يُقَرِّرُه ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه النشر، والذي نقل عنه السيوطي هنا مختصرًا.

ثُمَّ لَهُمْ فِي الْجَمْعِ مَذْهَبَانِ: الْجَمْعُ بِالْحَرْفِ؛ بِأَنْ يَشْرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ، فَإِذَا مَرَّ بِكَلِمَةٍ فِيهَا خُلْفٌ أَعَادَهَا بِمُفْرَدِهَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَقِفُ عَلَيْهَا إِنْ صَلَحَتْ لِلْوَقْفِ، وَإِلَّا وَصَلَهَا بِآخِرِ وَجْهٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْوَقْفِ، وَإِنْ كَانَ الْخُلْفُ يَتَعَلَّقُ بِكَلِمَتَيْنِ كَالْمَدِّ الْمُنْفَصِلِ وَقَفَ عَلَى الثَّانِيَةِ وَاسْتَوْعَبَ الْخِلافَ وَانْتَقَلَ إِلَى مَا بَعْدَهَا، وَهَذَا مَذْهَبُ الْمِصْرِيِّينَ.

بعد أن تَبَلْوَرَتِ القراءاتُ وتبلورت المدارسُ وظهرت واتضحت كانت هناك مدرسةٌ مصريةٌ في الإقراء، ومدرسةٌ شاميةٌ، أما المدرسةُ المصريةُ فقد اعتمدت الجمعَ بالحرف؛ بأن تقفَ على الحرف الذي فيه خلافٌ. فيستوفي الطالبُ قراءةَ هذا الحرف على أَوْجُهِ الخلافِ حتى ينتهيَ منه، ثم ينتقلَ إلى ما بَعْدَهُ، وهذا مذهبٌ آكَدُ في ذهن الطالب وفي ذهن الشيخ؛ لأن الوقفَ قصيرٌ بينَ كلماتِ الخلاف، وليس هناك تعقيدٌ في الذهن في طريقة جمعِ هذه الكلماتِ، فطريقةُ التلفظ بهذه الكلمات تعتمد على طولِ الْمَقْطَعِ؛ أي: مكان الوقف في القراءة، فإذا قلنا مثلًا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨] (يا أيها) فَمِنَ القراءِ مَنْ يقصر ومنهم من يوسط ومنهم مَنْ يُطِيلُ، فيأتي الطالبُ فيقرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيأتي بمذهب القاصرين ثم مذهب المُوَسِّطِينَ ثم مذهب المَادِّينَ، ثم ينتقل إلى ﴿ءامنوا﴾ البدل لورش، فيأتي به حركتينِ وأربع حركاتٍ وَسِتّ حركاتٍ، وهكذا. ثم ﴿قِيلَ﴾ فَيَأْتِي على ما فيها من الإشمامِ، ثم حكم ميم الجمع (إذا

قيل لكمو) و﴿لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾... إلى آخره، وهذا أسهل على الطالب وآكَدُ في ذهنه، وأسهلُ على الشيخ وآكَدُ في ذهنه، لهذا يقول: هو أوسط في الاستيفاء وأخفُّ على الآخِذِ، لكنه يُخْرِجُ عن رَوْنَقِ القراءةِ وَحُسْنِ التلاوةِ.

بينما الطريقة الثانية: الجمعُ بالوقفِ وهو مذهب الشاميينَ؛ أن يبدأَ الطالبُ قراءةَ الآيةِ حتى يصل إلى موضعٍ يَحْسُنُ الوقفُ عليه؛ بأن يكون الوقفُ تَامًّا أو كَافِيًا أو حَسَنًا كما سيأتي إن شاء الله، فإذا وَقَفَ على هذا الموضع يبدأ بالإتيان بحروفِ الخلافِ فيقول مثلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٣٨] هذا الموضع يَقِفُ عندَه القارئُ الذي يقرأ بطريقةِ الجمعِ بالوقفِ. والوقف هو المكان المناسب في الآية الذي يقف عليه الطالبُ إذا كانت الآياتُ طويلةً.

وهذا المذهبُ أكثرُ رونقًا، لكن أشدُّ على الطالب، وَأَشَدُّ على الشيخ، فالطالبُ يَكِدُّ ذهنَه كَدًّا عظيمًا، ولا بُدَّ أن يكون الشيخُ معه حاضرَ الذهنِ حتى لا يَنِدَّ حرفٌ من حروفِ الخلافِ، وهي طريقة صعبةٌ.

وهي تنقسم إلى قسمينِ: إما طريقةُ الجمعِ المعتادِ بأن يبدأ لقالون ثم يستوفي مذاهب القراء ثم يبدأ لقالون مرة أخرى. أو طريقةُ الماهرِ، فإذا وجد الشيخ الطالبَ ماهرًا، وذهنَهُ حاضرًا، وَوَجَدَهُ ذَكِيًّا فإنه يُقْرِئُهُ بما يُسَمَّى بقراءةِ الجمعِ بطريقةِ الماهرِ، وهو أن يقرأ الآيةَ لقالون مبتدئًا به، حتى إذا وَصَلَ إلى موضعٍ وقف فإنه يَسْتَوْفِي حروفَ الخلافِ ثم يأتي بآخِرِ مَنْ قرأ له ويبدأ له الآيةَ مرةً أخرى في المحل الذي وَقَفَ عليه، فمثلا قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ فلو قلنا: إن

حمزةَ هو آخِرُ قارئٍ تَقْرَأ لَهُ هذا المقطع من الآية؛ فإنه يبدأ بعد ذلك: «أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ» بقراءة حمزةَ، فهذه طريقةُ الماهرِ، وكما ذكرنا: هذه أمورٌ لا تُضْبَطُ هكذا سريعًا، إنما يكفي أن أشيرَ إليها إشارةً.

الثَّانِي: الْجَمْعُ بِالْوَقْفِ، بِأَنْ يَشْرَعَ بِقِرَاءَةِ مَنْ قَدَّمَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى وَقْفٍ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى الْقَارِئِ الَّذِي بَعْدَهُ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْفِ، ثُمَّ يَعُودَ وَهَكَذَا حَتَّى يَفْرَغَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّامِيِّينَ وَهُوَ أَشَدُّ اسْتِحْضَارًا وَأَشَدُّ اسْتِظْهَارًا وَأَطْوَلُ زَمَانًا، وَأَجْوَدُ مَكَانًا، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَجْمَعُ بِالآيَةِ عَلَى هَذَا الرَّسْمِ. يعني: بعضُهم يخالفُ كلَّ ما مضى ويأتي بالآية كاملة برواية قالون، ثم بعد ذلك يقرأ الآية برواية ورش وهكذا حتى يستوفِيَ جميعَ الْقُرَّاءِ. وهذه أسهلُ الطُّرُقِ.

وَأَمَّا تَرْتِيبُ الْقِرَاءَاتِ فَلَيْسَ بِشَرْطٍ، وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَبْدَأَ بِمَا بَدَأَ بِهِ الْمُؤَلِّفُونَ فِي كُتُبِهِمْ، فَيَبْدَأُ بِالْقَصْرِ، [فَيَبْدَأُ بِنافِعٍ قبل ابنِ كَثِيرٍ وبقالُون قبل ورْشٍ، وكان بَعْضُهُم يُراعِي التَّناسُبَ فيبْدأُ بِالقصرِ][(١)].

أما ترتيبُ القراءاتِ فليس بشرطٍ كما قال الشيخُ، ولكن اصطلح علماءُ القراءاتِ أن يبدءوا بالترتيبَ الذي سبق ذكره، فيبدءونَ بنافعٍ ويختمونَ بِخَلَفٍ العاشرِ، فيبدأ بنافعٍ قبلَ ابنِ كثيرٍ وبقالونَ قبلَ ورشٍ، وَهُمَا رَاوِيَا نافعٍ، وكان بعضُهم يراعي التناسبَ فيبدأ بالقصر ثم بالمرتبة التي فوقَه، يعني: يبدأ بحركتينِ في المَدِّ المنفصلِ ثم بثلاث ثم بأربعٍ ثم بخمس ثم بستِّ حركاتٍ.

أو يبدأ بِالْمُشْبَعِ؛ أي: يبدأ بِسِتِّ حركاتٍ ثم ما دُونَهُ خمس، أربع، ثلاث إلى القصر الذي هو حركتانِ.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة ليست في النسخ التي بين يدي.

ثُمَّ بِالْمَرْتَبَةِ الَّتِي فَوْقَهُ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ مَرَاتِبِ الْمَدِّ، وَيَبْدَأُ بِالْمُشْبَعِ ثُمَّ بِمَا دُونَهُ إِلَى الْقَصْرِ، وَإِنَّمَا يَسْلُكُ ذَلِكَ مَعَ شَيْخٍ بَارِعٍ عَظِيمِ الاسْتِحْضَارِ، [أَمَّا غَيْرُهُ فَيُسْلَكُ بِهِ طَرِيقٌ وَاحِدٌ](١).

بعضُ الأئمةِ حتى يُعَرِّفُوا الطالبَ جميعَ الأَوْجُهِ، وجميعَ الطُّرُقِ في الجَمْعِ فإنهم ينتقلونَ به من طريقةٍ إلى أُخْرَى أثناءَ الجمعِ حتى تكونَ طُرُقُ الجمع كلُّها حاضرةً في ذهنه، وإنما يُسْلَكُ ذلك مع طالب بارعٍ عظيمِ الاستحضارِ، أما الطالبُ ضعيفُ الاستحضارِ أو الذي ذهنه محدودٌ، فلا يُسْلَكُ به هذا، إنما يسلك به طريقٌ واحدٌ في الجمع.

وَإِذَا انْتَقَلَ الْقَارِئُ إِلَى قِرَاءَةٍ قَبْلَ إِتْمَامِ مَا قَبْلَهَا لَمْ يَدَعْهُ الشَّيْخُ بَلْ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ قَالَ: لَمْ تَصِلْ. يعني: إن نَدَّ ذِهْنُ الطالبِ وَشَرَدَ ذِهْنُهُ أثناءَ القراءةِ فلا بد للشيخِ حين ينبهه أَلَّا يُصَرِّحَ له مباشرةً بأن يقول له: نسيتَ وجهَ كذا، أو نسيتَ قراءةَ كذا، لا يقولُ له ذلك؛ لأن الطالب في شبه اختبار، بل يُنَبِّهُهُ بيدِه مثلًا، فإن لم يَتَفَطَّنِ الطالبُ قال: لم تَصِلْ؛ أَيْ: لَمْ تَصِلْ بعدُ إلى أن تقرأَ الوجهَ الذي بعدَه؛ فإنه يَلْزَمُكَ بعدُ أن تقرأَ أَوْجُهًا أخرى لم تقرأها.

فَإِنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ سَكَتَ حَتَّى يَتَذَكَّرَهُ. إن لم يتفطن أبدًا سَكَتَ الشيخُ حتى يتذكر الطالبُ بدون تَلْقِينٍ؛ لأن التلقينَ هنا مشكلةٌ، أنا أريدُ أن أقرأَ على الشيخ إجازةً فيريد الشيخُ أن يتأكد مِنْ أن هذا الطالبَ سيكون قادرًا على إقراءِ غيرِه؛ فالإجازةُ هي السماحُ من الشيخِ للطالبِ بأن يَقْرَأَ وَيُقْرِئَ مَنْ شاء وَقْتَمَا شاء

(١) وفي نسخة [فيسلك معه ترتيب واحد]. وقال ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ في النشر (٢/ ٢٠٥): أما من كان ضعيفًا في الاستحضار، فينبغي أن يسلك به نوعًا واحدًا من الترتيب لا يزول عنه؛ ليكون أقرب للخاطر، وأوعى إلى الذهن الحاضر...».

كيفما شَاءَ، وهذه تحتاج إلى تَأَكُّدٍ من الشيخ بأن الطالبَ يقرأ قراءةً صحيحةً، ويستحضر الأَوْجُهَ.

فَإِنْ عَجَزَ قَالَ لَهُ[١]. أَيْ: قال له الموضعُ الذي نَدَّ عنه.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالتَّلْفِيقِ وَخَلْطِ قِرَاءَةٍ بِأُخْرَى فَأَجَازَهَا أَكْثَرُ الْقُرَّاءِ، وَمَنَعَهَا قَوْمٌ.

إذا أراد الطالب قراءة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣] بالأَلِفِ، وقرأ بذلك الكسائي وعاصم.

والسُّوسِيُّ عندما أدْغَمَ إدغامًا كبيرًا[٢] قرأ: (الرحيمَّلك يوم الدين) بقصر الأَلِفِ، فإذا قرأ الطالب: (الرحيمَّالك) بالإدغام الكبير وبالألف، فهذا يسمى: التلفيقَ بينَ القراءاتِ وَخَلْطِ بعضِها ببعضٍ. وهذا يُجِيزُهُ أكثرُ القراءِ ويمنعه قومٌ، لَكِنَّ ذلك كله سيأتي عليه قيودٌ.

وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ وَالنَّوَوِيُّ[٣]**: يَنْبَغِي أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى**

---

(١) قال في النشر (٢/ ٢٠٥): ولا ينتقل إلى من بعده حتى يكمل من قبل، وكذلك كان الحذاق من الشيوخ إذا انتقل شخصٌ إلى قراءةٍ قبل إتمام ما قبلها لا يدعونه ينتقل؛ حفظًا لرعاية الترتيب، وقصدًا لاستدراك القارئ ما فاته قبل اشتغال خاطره بغيره، وظنه أنه قرأه. فكان بعض شيوخنا لا يزيد على أن يضرب بيده الأرض خفيفًا؛ ليتفطن القارئ ما فاته، فإن رجع وإلا قال: ما وصلت. يعني: إلى هذا الذي تقرأ له، فإن تفطن وإلا صبر عليه حتى يذكره في نفسه، فإن عجز قال الشيخ له. وكان بعض الشيوخ يصبر على القارئ حتى يكمل الأوجه في زعمه وينتقل في القراءة إلى ما بعد، فيقول ما فرغت. وكان بعض شيوخنا يترك القارئ يقطع القراءة في موضعٍ يقف حتى يعود ويتفكر من نفسه...».

(٢) الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا، وينقسم إلى كبيرٍ وصغيرٍ. (فالكبير) ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا، سواءٌ أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين، وسمي: كبيرًا؛ لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من السكون. وقيل: لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه. وقيل: لما فيه من الصعوبة. وقيل: لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين. (والصغير) هو الذي يكون الأول منهما ساكنًا.... انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٣) سبق التعريف بهما.

يَنْقَضِيَ ارْتِبَاطُ الْكَلَامِ، فَإِذَا انْقَضَى فَلَهُ الانْتِقَالُ إِلَى قِرَاءَةٍ أُخْرَى، وَالأَوْلَى الْمُدَاوَمَةُ عَلَى تِلْكَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ.

الأَوْلَى المداومةُ على قراءةٍ واحدةٍ في مجلسٍ واحدٍ، لكن إن أَرَادَ أن يخلطَ قراءاتٍ كثيرةً فإن له أن يصنعَ هذا بشرطِ أن ينقضيَ الكلامُ أو تنقضيَ القصةُ أو تنقضيَ الحادثةُ القرآنيةُ، فإذا انقضت فَلَهُ أن ينتقلَ بعدَ ذلك إلى قراءةٍ أخرى، فلا يأتي بقراءة يخلطها مع قراءة أخرى في وَسَطِ الآية ولم ينقض الكلامُ بعدُ.

قَالَ ابْنُ الجَزَرِيِّ(١)**: وَالصَّوَابُ التَّفْصِيلُ**(٢)**؛ فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ مُتَرَتِّبَةً عَلَى الأُخْرَى مُنِعَ ذَلِكَ مَنْعَ تَحْرِيمٍ، كَمَنْ يَقْرَأُ: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ)** [البقرة: ٣٧] **بِرَفْعِهِمَا أَوْ بِنَصْبِهِمَا؛ آخِذًا رَفْعَ آدَمَ مِنْ قِرَاءَةِ غَيْرِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَرَفْعَ كَلِمَات مِنْ قِرَاءَتِهِ**(٣)**، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لا يَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ.** قراءة ابن كثيرٍ: «فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ» [البقرة: ٣٧] بنصب آدم ورفع

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) وهذا نص كلام ابن الجزري في النشر (١/ ١٩): والصواب عندنا في ذلك التفصيل والعدول بالتوسط إلى سواء السبيل، فنقول: إن كانت إحدى القراءتين مترتبةً على الأخرى فالمنع من ذلك منع تحريمٍ، كمن يقرأ فتلقى آدم من ربه كلماتٍ بالرفع فيهما، أو بالنصب آخذًا رفع آدم من قراءة غير ابن كثيرٍ ورفع كلماتٍ من قراءة ابن كثيرٍ...». وفي نسخة [قال ابن الجزري...].

(٣) قال ابن الجزري في النشر (١/ ١٨-١٩): ولذلك منع بعض الأئمة تركيب القراءات بعضها ببعضٍ، وخطأ القارئ بها في السنة والفرض. (قال) الإمام أبو الحسن علي بن محمدٍ السخاوي في كتابه جمال القراء: وخلط هذه القراءات بعضها ببعضٍ خطأٌ. (وقال) الحبر العلامة أبو زكريا النووي في كتابه التبيان: وإذا ابتدأ القارئ بقراءة شخصٍ من السبعة فينبغي أن لا يزال على تلك القراءة ما دام للكلام ارتباطٌ، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة آخر من السبعة، والأولى دوامه على تلك القراءة في ذلك المجلس. (قلت): وهذا معنى ما ذكره أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه. وقال الأستاذ أبو إسحاق الجعبري: والتركيب ممتنعٌ في كلمةٍ وفي كلمتين إن تعلق أحدهما بالآخر، وإلا كره. (قلت): وأجازها أكثر الأئمة مطلقًا، وجعل خطأ مانعي ذلك محققًا...».

كلمات، وكأن الكلمات هي التي تَلَقَّفَتْ آدمَ[1]. والكلماتُ هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. لكن القراءةَ الأخرى المشهورةَ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] أي: أن آدمَ تَلَقَّى هذه الكلماتِ من الله تبارك وتعالى، فلو رفع إنسانٌ كلمتي (آدم) و(كلمات) فقال: فتلقى آدمُ من ربه كلماتٌ؛ فإن هذا لا يجوز في العربية، ويَحْرُمُ على التأكيد؛ لأنه أخذ كلمةً من قراءةٍ وأخرى من قراءةٍ وَلَفَّقَ بينَهما وأتى بقراءة ثالثة ليس لها وَجْهٌ في العربية ألبتةَ.

وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فُرِّقَ فِيهِ بَيْنَ مَقَامِ الرِّوَايَةِ وَغَيْرِهَا.

فَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الرِّوَايَةِ حَرُمَ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ كَذِبٌ فِي الرِّوَايَةِ وَتَخْلِيطٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْقِرَاءَةِ وَالتِّلَاوَةِ جَازَ.

يعني: لو أن إنسانًا قرأ بتخليطِ القراءة لنفسه ما لم يأتِ بمثل: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ) فلا شيءَ عليه إن شاء الله، لا نستطيع أن نقول: هذا حرامٌ؛ لأن الحرامَ أمرٌ عظيمٌ، وليس لنا أن نتفوه به إلا ببرهانٍ واضحٍ من كتاب الله تبارك وتعالى أو من سنة رسوله ﷺ، أو من إجماع أو من قياسِ أئمةٍ مُعْتَبَرِينَ أو غير ذلك، أما أن نُطْلِق الحكمَ بالتحريم فإن هذا من أعظم الأشياء؛ لأن التساهل في التحريم كالتساهل في التحليل لا فرقَ بينَهما. والله أعلم. وفي هذا يقول النَاظِمُ:

إِذْ يُكْـــرَهُ التَّخْلِـــيطُ أَوْ يُعَـــابُ وَالأَكْثَـــرُونَ الْحُرْمَـــةُ الـــصَّوَابُ

وَأَمَّا الْقِرَاءَاتُ وَالرِّوَايَاتُ وَالطُّرُقُ وَالأَوْجُهُ، وَسَيَأْتِي فِي النَّوْعِ الآتِي بَيَانُهَا، فَلَيْسَ لِلْقَارِئِ أَنْ يَدَعَ مِنْهَا شَيْئًا أَوْ يُخِلَّ بِهِ؛ فَإِنَّهُ خَلَلٌ فِي إِكْمَالِ الرِّوَايَةِ، إِلَّا

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع (٧٥)، النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١١).

الأَوْجُهَ؛ فَإِنَّهَا عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ، فَأَيُّ وَجْهٍ أَتَى بِهِ أَجْزَأَهُ فِي تِلْكَ الرِّوَايَةِ.

يعني: إذا أردتَ أن تقرأ فَرَاغ أن تأتيَ بكلماتِ الخلافِ مستقصاةً مستوفاةً، ولا تُخِلَّ بشيء منها، إلا ما كان على سبيل أَوْجُهِ التخييرِ؛ فقالون رَحِمَهُ اللَّهُ له أن يقرأ في روايته: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨]. وله أن يقرأ: (عَلَيْهِمُو دَائِرَةُ السَّوْءِ)؛ فله أن يقرأ بإسكانِ الميمِ وَبِصِلَتِهَا، فلو جاء الطالبُ فقرأ ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ فلا شيءَ عليه؛ لأن هذا الوجه لقالون هو وجه تخيير، ولو جَمَعَ بينهما فقال: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ (عَلَيْهِمُو دَائِرَةُ السَّوْءِ) فهو الأحسنُ[1]. هذا هو المقصود بقوله: (إِلَّا الأَوْجُهَ؛ فَإِنَّهَا عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ).

وَأَمَّا قَدْرُ مَا يُقْرَأُ حَالَ الأَخْذِ فَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ لَا يَزِيدُونَ عَلَى عَشْرِ آيَاتٍ لِكَائِنٍ مَنْ كَانَ، وَأَمَّا مَنْ بَعْدَهُمْ فَرَأَوْهُ بِحَسَبِ قُوَّةِ الآخِذِ -أي: بحسب فِطْنَتِهِ، وإدراكِه، واستحضاره-. قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْعَمَلُ الأَخْذُ فِي الإِفْرَادِ بِجَزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ، وَفِي الْجَمْعِ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ[2].

أَيْ: يُقَسَّمُ القرآنُ إلى عشرين ومائة جزءٍ في حالِ الإفرادِ، وإلى أربعينَ ومائتي جزءٍ في حال الجمع، فتختم -لو قرأت كل يوم- مُفْرِدًا في أربعةِ أَشْهُرٍ، وَتَخْتِمُ جامعًا في ثمانية أشهر؛ لأن ثمانيةً في ثلاثين يومًا بأربعين ومائتين من الأيام، فهذه ثمانية أشهر، هذا تقسيمُ القرآن في حال الجمع وفي حال الإفرادِ، وهذا الذي استقر عليه العملُ في عصر ابن الجَزَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وأما اليومَ فيراعى

(١) انظر: حجة القراءات (٨٠-٨١).
(٢) انظر: النشر (٢/ ١٩٧).

حال الشيخ وحال الطالب، فقد يقرأ الطالبُ آيتينِ فقط أو ثلاثا، وقد يقرأ آيات كثيرة... إلى آخره.

وَلَمْ يَحِدَّ لَهُ آخَرُونَ حَدًّا وَهُوَ اخْتِيَارُ السَّخَاوِيِّ(١).

وَقَدْ لَخَّصْتُ هَذَا النَّوْعَ وَرَتَّبْتُ فِيهِ مُتَفَرِّقَاتِ كَلام أَئِمَّةِ الْقِرَاءَاتِ؛ وَهُوَ نَوْعٌ مُهِمٌّ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْقَارِئُ كَاحْتِيَاجِ الْمُحَدِّثِ إِلَى مِثْلِهِ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ.

مَسْأَلَةٌ: ادَّعَى ابْنُ خَيْرٍ(٢) الإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَنْقُلَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ رِوَايَةٌ وَلَوْ بِالإِجَازَةِ.

هذا الكلامُ قد تَقَدَّم، وذكرنا أن الإجازة لها أنواعٌ كثيرةٌ، والذي ليس له روايةٌ إنما يُسَمَّى: الوجادةَ؛ أي: وَجَدَ شيئًا فَرَوَاهُ، وهذه منعها كثيرٌ من العلماء، لكن ابْنَ خَيْرٍ هنا يَدِّعِي الإجماعَ على مَنْعِهَا، والإجماعُ على منعِ قراءة الحديث بالوجادة صعبٌ، يعني: إذا جلس إمامٌ في مسجد من المساجد يقرأ من رياض الصالحين -مثلًا- وليس له به إجازة، فابن خير يرى الإجماعَ على مَنْعِ هذا؛ لكن الصحيح إن شاء الله -خاصةً في هذه الأَعْصُرِ الأخيرةِ- أنه لا بأسَ بهذا إن عُلِمَ أن هذا الكتابَ كتابُ الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ.

فَهَلْ يَكُونُ حُكْمُ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَنْقُلَ آيَةً أَوْ يَقْرَأَهَا مَا لَمْ

(١) سبق التعريف به.

(٢) محمد بن خير بن عمر بن خليفة، المقرئ، الأستاذ، الحافظ، أبو بكر اللمتوني، الإشبيلي، أخذ القراءات عن شريح، واختص به حتى برع وفاق. قال الأبار: وكان مكثرًا إلى الغاية؛ بحيث إنه سمع من رفاقه، وسمع أكثر من مائة نفر. ولا نعلم أحدًا من طبقته مثله. وتصدر بإشبيلية للإقراء والإسماع، وأخذ الناس عنه، وكان مقرئًا مجودًا، ومحدثًا متقنًا، أديبًا، نحويًا، لغويًا، واسع المعرفة، رضًا، مأمونًا. ولما مات بيعت كتبه بأغلى ثمن؛ لصحتها. ولم يكن له نظير في هذا الشأن مع الحظ الأوفر من علم اللسان. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ٥٥٩)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٣٩).

يَقْرَأْهَا عَلَى الشَّيْخِ؟ لَمْ أَرَ فِي ذَلِكَ نَقْلًا، وَلِذَلِكَ وَجْهٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الاحْتِيَاطَ فِي أَدَاءِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ.

هل يجوز في هذه الأيام لأستاذِ الحلقةِ أن يجلسَ فَيُقْرِئُ الناسَ بدون سَنَدٍ إلى رسول الله ﷺ وبدون رواية لما يقرأه؟

نقول: يجوز في هذه الأيام إن شاء الله؛ لأنه لو اشترطنا الإسنادَ لَبَطَلَ كثيرٌ من هذه الحلقات، ولبطل تحفيظُ كتاب الله تبارك وتعالى في كثير منها، فيجوز -إن شاء الله- إذا كان ذلك الأستاذُ ضابطًا مُحَقِّقًا قد قرأ على أستاذ ضابط محقق ولو لم يُعْطِهِ في هذا سندًا، فإنه يجوز له أن يُعَلِّمَ غيرَه لا على سبيل الرواية والإجازة والإقراء، ولكن على سبيل التعليم والتدريب والتمرين.

قوله: (**ولذلك وجهٌ**)؛ يعني: للتحريم وجهٌ (**مِنْ حَيْثُ إِنَّ الاحْتِيَاطَ فِي أَدَاءِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ**).

[وَلِقِدَمِ] اشْتِرَاطِهِ أَيْضًا وَجْهٌ مِنْ حَيْثُ ذَلِكَ. كلمة (وَلِقِدَم) تحتاج إلى توجيه، فقد حَصَلَ فيها تحريفٌ. والصحيح فيها: وَلِعَدَمِ اشتراطِه أيضًا وجهٌ، لأنه قال سابقا: ولذلك وجه؛ أي: في اشتراطِ الروايةِ وجهٌ، ثم قال بعد ذلك:

وَلِعَدَمِ اشْتِرَاطِهِ أَيْضًا وَجْهٌ مِنْ حَيْثُ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ لِخَوْفِ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحَدِيثِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ يُتَقَوَّلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَالْقُرْآنُ مَحْفُوظٌ مُتَلَقًّى مُتَدَاوَلٌ مُيَسَّرٌ، وَلَا يَخْلُو هَذَا الْمَحَلُّ مِنْ نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ، وَلَا يَشْفِي فِيهِ إِلَّا نَقْلٌ مُعْتَمَدٌ.

قوله: (**ولعدم اشتراطه أيضًا وجهٌ**)؛ لأن ألفاظ الحديث ليست مشهورةً بينَ الناس كألفاظ القرآن الكريم، فالقرآن -والحمد لله- مُشْتَهَرٌ بينَ الناسِ يعرف

الصغيرُ والكبيرُ أن هذا قرآنٌ، وأن ذاك ليس بقرآن، فالقرآنُ محفوظٌ مُتَلَقًّى مشهورٌ بين الناس معروفٌ، لذا فليس لاشتراط الرواية وجهٌ.

ثم يقول في النهاية: (**ولا يشفي منه إلا نَقْلٌ معتمدٌ**) والله أعلم.



النوع الثامن والعشرون: العالي والنازل(١)

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي. وَهُوَ أَيْضًا مُهِمٌّ؛ فَإِنَّ عُلُوَّ الإِسْنَادِ سُنَّةٌ وَقُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

الإسناد خصيصةٌ خُصَّتْ بها هذه الأمةُ المباركةُ، فإن الأمم مِنْ قَبْلِنَا لم يكن لكثيرٍ منهم إسنادٌ كإسنادنا، وكلما قَصُرَ الإسنادُ كان ذلك قُرْبَةً إلى الله تبارك وتعالى، وَسُنَّةً من سُنَنِ الأئمةِ يحافظونَ عليها.

وَقَدْ قَسَّمَهُ أَهْلُ الحَدِيث إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ تأتي هنا(٢):

الأَوَّلُ: الْقُرْبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ بِإِسْنَادٍ نَظِيفٍ غَيْرِ ضَعِيفٍ، وَهُوَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ وَأَجَلُّهَا. يعني: لو وجدتَ حديثًا عند فلان بينَه وبينَ رسول الله ﷺ ثلاثةُ أَنْفُسٍ مثلًا، ووجدتَ الحديث نفسَهُ عند آخَرَ بينَه وبينَ رسولِ الله ﷺ أربعةُ أَنْفُسٍ فتأخذ الحديثَ الأولَ؛ لأن قِصَرَ الإسنادِ قُرْبَةٌ إلى الله تبارك وتعالى، وَمَظِنَّةٌ لصحة هذا الحديث، والله أعلم، وهو أفضل أنواع الْعُلُوِّ وَأَجَلُّهَا.

وَأَعْلَى مَا يَقَعُ لِلشُّيُوخِ فِي هَذَا الزَّمَانِ إِسْنَادٌ رِجَاله أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا.

أما زمانُنا اليومَ فَلَا أعرفُ أعلى من ثمانية وعشرين رجلًا بينَه وبينَ رسول الله ﷺ، فأحدُ مشايخنا بينَه وبينَ رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون رجلًا، وهذا أعلى ما أعلم، والله أعلم.

وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ مِنْ قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ، ثُمَّ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ مِنْ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ مِنْ رِوَايَةِ حَفْصٍ وَقِرَاءَةِ يَعْقُوبَ مِنْ رِوَايَةِ رُوَيْسٍ.

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٢٥٤).

(٢) انظر: تدريب الراوي (٢/ ٦٠٧).

الثَّانِي مِنْ أَقْسَامِ الْعُلُوِّ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ: الْقُرْبُ إِلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، كَالأَعْمَشِ وَ [هُشَيْمٍ][(١)].

قوله: (**الْقُرْبُ إِلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ**) أي: مع الصحةِ، فلا بد من هذا الضابط؛ فلا ينفعُ القربُ المجردُ مع كون الحديثِ موضوعًا أو فيه كَذَّابٌ.

قوله: (**كَالأَعْمَشِ**[(٢)] **وَهُشَيْمٍ**[(٣)]) الأعمش هو سليمانُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من كبارِ الْمُحَدِّثِينَ، وَهُشَيْمٌ هو هشيم بن بشير السُّلَمِيُّ أبو معاوية الواسطي رَحِمَهُ اللَّهُ توفي سنةَ ١٨٣هـ. **وَابْنُ جُرَيْجٍ**[(٤)] **وَالأَوْزَاعِيُّ**[(٥)] **وَمَالِكٌ**[(٦)]، **وَنَظِيرُهُ هُنَا الْقُرْبُ إِلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، فَأَعْلَى مَا يَقَعُ الْيَوْمَ لِلشُّيُوخِ بِالإِسْنَادِ الْمُتَّصِلِ بِالتِّلاوَةِ إِلَى نَافِعٍ اثْنَا عَشَرَ وَإِلَى ابْنِ عَامِرٍ اثْنَا عَشَرَ.**

قوله: (**وَنَظِيرُهُ هُنَا**) أي: ونظيرُه في القراءة والقرآنِ.

(١) وفي نسخة: [وهشام] وهو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلدٍ، أبو المنذر القرشي الأسدي الزبيري المدني، أحد الأئمة الأعلام. قال الحافظ: ثقة فقيه ربما دلس. توفي سنة (١٤٥ أو ١٤٦ هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٠١).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) هشيم بن بشير بن أبي خازم، واسم أبي خازم القاسم بن دينار، وكنيته هشيم أبو معاوية السلمي الواسطي. قيل: إنه بخاري الأصل. قال الحافظ: ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي. قال الذهبي: حافظ بغداد، إمام، ثقة، مدلس. توفي سنة (١٨٣هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٧٢).

(٤) سبق التعريف به.

(٥) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرٍو الأوزاعي. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة، ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطًا بها إلى أن مات. قال الحافظ: ثقة جليل فقيه. توفي سنة (١٥٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، التقريب (٣٩٦٧).

(٦) سبق التعريف به.

الثَّالِثُ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ: الْعُلُوُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رِوَايَةِ أَحَدِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ؛ بِأَنْ يَرْوِيَ حَدِيثًا لَوْ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ كِتَابٍ مِنَ السِّتَّةِ وَقع أَنْزَلَ -أي: صار أَنْزَلَ- مِمَّا لَوْ رَوَاهُ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهَا، وَنَظِيرُه هُنَا الْعُلُوُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ كَالتَّيْسِيرِ[1] وَالشَّاطِبِيَّةِ[2].

وَيَقَعُ فِي هَذَا النَّوْعِ الْمُوَافَقَاتُ وَالإِبْدَالُ وَالْمُسَاوَاةُ وَالْمُصَافَحَاتُ.

فَالْمُوَافَقَةُ[3]: أَنْ يَجْتَمِعَ طَرِيقُهُ مَعَ أَحَدِ أَصْحَابِ الْكُتُبِ فِي شَيْخِهِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ عُلُوٍّ عَلَى مَا لَوْ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِهِ أَوْ لا يَكُونُ.

يعني: إنسانٌ يريد أن يَحْصُلَ على إسناد في مجموعة أحاديث هي موجودة في صحيح مسلم مثلًا، فلو أَرَادَ أن يرويَها من طريق تلاميذِ مسلمٍ لوقع إسنادُه نازلًا، لكنه وَجَدَ إسنادًا آخرَ يلتقي فيه مع شيخِ مسْلِمٍ، فوافقَ مُسْلِمًا في شيخه؛ أي: التقى هو وشيخُ مسلمٍ في السند فهذا عُلُوٌّ لا شكَّ، وقد لا يأتي بِعُلُوٍّ، فقد يأتي إنسان فيوافق شيخَ مسلمٍ ويكون روايتُه نازلةً؛ لأن سلسلته طويلة، فالعلو ليس حتمًا ها هنا، ولكن سواء كان عُلُوًّا أو نزولًا أو مساويًا فإنه يُسَمَّى: موافقةً، ثم أتى بمثال لا حاجةَ لنا به حقيقةً من أمثلة القراءات، فيقول:

---

(١) «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني.

(٢) متن «الشاطبية» وهي القصيدة المسماة بحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تأليف: القاسم ابن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي.

(٣) قال الحافظ في النزهة (١٤٨): وهي: الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه؛ أي: الطريق التي تصل إلى ذلك المصنف المعين. مثاله: روى البخاري عن قتيبة عن مالكٍ حديثًا، فلو رويناه من طريقه كان بيننا وبين قتيبة ثمانيةٌ، ولو روينا ذلك الحديث، بعينه، من طريق أبي العباس السراج، عن قتيبة، مثلًا، لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعةٌ؛ فقد حصل لنا الموافقة مع البخاري في شيخه بعينه مع علو الإسناد إليه.

مِثَالُهُ فِي هَذَا الْفَنِّ: قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ رِوَايَةُ الْبَزِّيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ بُنَانٍ[1] عَنْ أَبِي رَبِيعَةَ عنه، يَرْوِيهَا ابْنُ الجَزَرِيِّ مِنْ كِتَابِ المِفْتَاحِ لأَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ خَيْرُونَ[2]، وَمِنْ كِتَابِ المِصْبَاحِ لأَبِي الْكَرْمِ الشَّهْرَزُورِيِّ[3]، وَقَرَأَ بِهَا كُلٌّ مِنَ المَذْكُورِينَ عَلَى عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ عَتَّابٍ[4]، فَرِوَايَتُهُ لَهَا مِنْ أَحَدِ الطَّرِيقَيْنِ يُسَمَّى: مُوَافَقَةً للآخَرِ بِاصْطِلَاحِ أَهْلِ الحَدِيثِ.

وَالْبَدَلُ[5]: أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَهُ فِي شَيْخِ شَيْخِهِ فَصَاعِدًا.

وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا بِعُلُوٍّ وَقَدْ لا يَكُونُ. ثم أتى بِمِثَالٍ من القراءات، فقال:

---

(١) بكار بن أحمد بن بكار بن بنان أبو عيسى البغدادي، المقرئ، من كبار أئمة الأداء. أقرأ القرآن نحوًا من ستين سنة. وثقه الخطيب، وأبو عمرو الداني، توفي في ربيع الأول، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وله ثمان وسبعون سنة. انظر: معرفة القراء الكبار (١٧٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٧٧).

(٢) محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون بن إبراهيم، أبو منصور البغدادي الدباس، الأستاذ البارع مؤلف كتاب المفتاح في العشر. وكان صالحًا خيرًا إمامًا في القراءات، مليح النسخ، ملازم الإقراء، مات في رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة عن بضع وثمانين سنة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٩٢).

(٣) المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان بن منصور الأستاذ، أبو الكرم الشهرزوري، إمام كبير متقن محقق، أحد مشايخ هذا العلم، ثقة صالح. وذكره الحافظ أبو عبد الله ابن النجار فقال: ومن خطه نقلت أحد الشيوخ القراء المجودين المشهورين بحفظ القراءات وطرقها ومعرفة وجوهها، وصنف في ذلك كتابًا حسنًا سماه المصباح في القراءات الصحاح، وكان عالمًا فاضلًا أديبًا دينًا حسن الطريقة، ذا مروءة وسخاء، وصولًا لأهله، كانت له دنيا واسعة، فأنفقها كلها على أهل الخير. توفي سنة (٥٥٠ هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٩-٤٠).

(٤) عبد السيد بن عتاب بن محمد بن جعفر بن عبد الله الحطاب -بالمهملة- أبو القاسم البغدادي الضرير مقرئ كبير مصدر مسند ثقة وشيخ. مات في نصف القعدة سنة سبع وثمانين وأربعمائة عن نحو تسعين سنة. انظر: غاية النهاية (١/ ٣٨٧) معرفة القراء الكبار (٢٤٦).

(٥) قال الحافظ في النزهة (١٤٨): وهو الوصول إلى شيخ شيخه كذلك، كأن يقع لنا ذلك الإسناد بعينه من طريقٍ أخرى إلى القعنبي عن مالكٍ؛ فيكون القعنبي بدلًا فيه من قتيبة. وأكثر ما يعتبرون الموافقة والبدل إذا قارنا العلو، وإلا فاسم الموافقة والبدل واقعٌ بدونه.

مِثَالُهُ هُنَا: قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو رِوَايَةُ الدُّورِيِّ طَرِيقُ ابْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ [أَبِي الزَّعْرَاءِ](١) عَنْهُ، رَوَاهَا ابْنُ الجَزَرِيِّ مِنْ كِتَابِ التَّيْسِيرِ، قَرَأَ بِهَا الدَّانِي عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ، وَقَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي طَاهِرٍ عَنِ ابْنِ مُجَاهِدٍ. وَمِنَ المِصْبَاحِ قَرَأَ بِهَا أَبُو الْكَرَمِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ يَحْيَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ السَّيْبِيِّ، وَقَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي الحَسَنِ الحَمَامِي، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي طَاهِرٍ، فَرِوَايَتُهُ لَهَا مِنَ المِصْبَاحِ تُسَمَّى: بَدَلًا لِلدَّانِي فِي شَيْخِ شَيْخِهِ.

وَالْمُسَاوَاةُ(٢): أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّاوِي وَالنَّبِيِّ ﷺ أَوِ الصَّحَابِيِّ أَوْ مَنْ دُونَهُ إِلَى شَيْخِ أَحَدِ أَصْحَابِ الْكُتُبِ كَمَا بَيْنَ أَحَدِ أَصْحَابِ الْكُتُبِ وَالنَّبِيِّ ﷺ أَوِ الصَّحَابِيِّ أَوْ مَنْ دُونَهُ.

مثاله: حديث رواه الإمامُ مسلمٌ بينَه وبينَ رسول الله ﷺ أربعةُ أَنْفُسٍ، فيجيء الشيخُ في عصر الإمام مسلمٍ فيبحث عن أسانيدَ مختصَرةٍ عالية يساوي بها الإمامَ مسلمًا؛ فيكون بينَه وبينَ رسول الله ﷺ أيضًا أربعةُ أنفس.

وَمِنْ أَعْجَبِ الأمورِ أن الإمامَ السيوطيَّ سَاوَى الإمامَ النَّسَائِيَّ في سِلْسِلَةٍ من

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عبدوس، أبو الزعراء البغدادي المقرئ، أحد الحذاق، وأكبر أصحاب أبي عمر الدوري وأضبطهم. قرأ عليه أبو بكر ابن مجاهد، وعلي بن الحسن الرقي، ومحمد بن معلى الشونيزي، ومحمد بن يعقوب المعدل، وعمر بن عجلان. قال ابن مجاهد: قرأت عليه لنافع نحوًا من عشرين مرة، وقرأ عليه لأبي عمرو وحمزة والكسائي. ذكره الداني وغيره. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ٧٧٢).

(٢) قال الحافظ في النزهة (١٤٩): المساواة: وهي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره؛ أي: الإسناد مع إسناد أحد المصنفين. كأن يروي النسائي مثلًا حديثًا يقع بينه وبين النبي ﷺ فيه أحد عشر نفسًا، فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسنادٍ آخر إلى النبي ﷺ يقع بيننا وبين النبي ﷺ أحد عشر نفسًا؛ فنساوي النسائي من حيث العدد، مع قطع النظر عن ملاحظة ذلك الإسناد الخاص.

الأسانيد! مع أن الإمام النسائي[1] قد تُوُفِّيَ سنةَ ٣٠٣ هـ والإمامُ السيوطيُّ قد تُوُفِّيَ سنة ٩١١هـ، فبينَهما ستمائة سنة! مع هذا كله وقع للإمام السيوطي ثلاثةُ أحاديثَ من أحاديث رسولِ الله ﷺ بينَه وبينَ رسول الله ﷺ عَشَرَةُ أنفسٍ فقط.

وقد أخرج الإمام النسائي حديثًا عن رسول الله ﷺ وهو قوله ﷺ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[2] بإسناد بينَه وبين رسول الله ﷺ عشرة أنفس: صَحَابِيٌّ وستة من التابعين، وثلاثة من تابعي تابعيهم، وهكذا ساوى الإمامُ السيوطيُّ الإمامَ النسائيَّ في ثلاثة أحاديث بينَ كل منهما وبين رسول الله ﷺ عشرة أنفس! وهذه إحدى العجائب.

والترمذيُّ[3] أيضًا له أحاديثُ بينَه وبينَ رسول الله ﷺ عَشَرَةُ أنفس، فمساواة السيوطي هنا للترمذيِّ والنسائيِّ مساواةٌ مطلقةٌ وليست مقيدةً بالنسبة لحديث مُعَيَّنٍ؛ فإن المقيدة بحديث معين لم توجد في عصر السيوطي. والله أعلم.

وَالْمُصَافَحَةُ[4]: أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ عَدَدًا مِنْهُ بِوَاحِدٍ، فَكَأَنَّهُ لَقِيَ صَاحِبَ ذَلِكَ

---

(١) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر، أبو عبد الرحمن النسائي، القاضي، مصنف « السنن» وغيرها من التصانيف وبقية الأعلام. ولد سنة خمس عشرة ومائتين. [المتوفى: ٣٠٣ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٩): عن أبي سعيدٍ الخدري، أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ قل هو الله أحدٌ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن». ومسلم (٨١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) قال الحافظ في النزهة (١٤٩): وهي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف، على الوجه المشروح أولًا، وسميت: مصافحةً؛ لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقيا، ونحن في هذه الصورة كأنا لقينا النسائي؛ فكأنا صافحناه.

الْكِتَابِ وَصَافَحَهُ وَأَخَذَ عَنْهُ.

تُرْبَطُ المصافحة مع المساواة السابقة بأن تقع المساواة لشيخ المصافح، فالشيخ مساوٍ لمسلم –مثلًا- والتلميذ الآخذ عن الشيخ مُصَافِح لمسلم، كأنه صافح الإمام مسلمًا وأخذ منه السند، وهذا المثال أقرب للأذهان وأقرب للفهم مما ذكره الإمامُ رَحِمَهُ اللهُ، وهي نفسها أن يكون أكثرَ عددًا منهُ بواحد؛ أن يكون التلميذ أكثرَ عددًا من مسلمٍ بواحد، هذا الواحدُ هو شيخُه الذي سَاوَى مسلمًا.

مِثَالُهُ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ، رَوَاهَا الشَّاطِبِيُّ(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النَّفَّرِيّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ غُلَامِ الفُرْسِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ نجاحٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِيِّ، عَنْ أَبِي الْفَتْحِ فَارِسِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ عَبْدِ البَاقِي بن الحَسَنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ عُمَرَ المُقْرِئِ عَنْ أَبِي الحُسَيْنِ بْنِ بُويَانِ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الأَشْعَثِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّبْعِيّ –المَعْرُوف بِأَبِي نَشِيط- عن قالون عن نافع. وَرَوَاهَا ابْنُ الْجَزَرِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْخَيَّاطِ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيِّ وَغَيْرِهِ عَنِ الصَّائِغِ عَنِ الْكَمَالِ بْنِ فَارِسٍ عَنْ أَبِي الْيُمْنِ الْكِنْدِيِّ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرِيرِيِّ عَنْ الْفَرَضِيِّ عَنِ ابْنِ بُويَانَ. فَهَذِهِ مُسَاوَاةٌ لابْنِ الْجَزَرِيِّ؛ لأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ بُويَانَ سَبْعَةٌ وَهُوَ الْعَدَدُ الَّذِي بَيْنَ الشَّاطِبِيِّ وَبَيْنَهُ وَهِيَ لِمَنْ أَخَذَ عَنِ ابْنِ الْجَزَرِيِّ مُصَافَحَةٌ لِلشَّاطِبِيِّ.

---

(١) القاسم بن فيره، بكسر الفاء بعدها ياء آخر الحروف ساكنة، ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء؛ ومعناه بلغة عجم الأندلس: الحديد. ابن خلف بن أحمد أبو القاسم وأبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير، ولي الله، الإمام، العلامة، أحد الأعلام الكبار، والمشتهرين في الأقطار، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة من الأندلس. توفي رَحِمَهُ اللهُ في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بالقاهرة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٠).

وَمِمَّا يُشْبِهُ هَذَا التَّقْسِيمَ لأَهْلِ الْحَدِيثِ تَقْسِيمُ الْقُرَّاءِ أَحْوَالَ الإِسْنَادِ إِلَى قِرَاءَةٍ وَرِوَايَةٍ وَطَرِيقٍ وَوَجْهٍ؛ فَالْخِلَافُ إِنْ كَانَ لأَحَدِ الأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ أَوِ الْعَشَرَةِ أَوْ نَحْوِهِمْ وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ وَالطُّرُقُ عَنْهُ فَهُوَ قِرَاءَةٌ.

فمثلًا: قراءة الإمام نافع، اتفق التلاميذُ على أن يقرءوا كلمة من القراءات على وجه واحد، فيقال: قراءة نافع، لكن إِنِ اختلفَ التلاميذُ فيقال: هذه روايةُ قالون قراءةُ نافع، ورواية ورش قراءة نافع؛ لأن التلاميذ قد اختلفت قراءاتُهم فيما بينَهم فلا بد من تَمْييزِهَا.

وَإِنْ كَانَ لِلرَّاوِي عَنْهُ فَرِوَايَةٌ. عَنْهُ؛ أَيْ: عن القارئ.

أَوْ لِمَنْ بَعْدَهُ فَنَازِلًا فَطَرِيقٌ، أَوْ لا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِمَّا هُوَ رَاجِعٌ إِلَى تَخْيِيرِ الْقَارِئِ فِيهِ فَوَجْهٌ. وسبق أن مثلت لذلك بـ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ (وعليهمو).

الرَّابِعُ مِنْ أَقْسَامِ الْعُلُوِّ: تَقَدُّمُ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَنْ قَرِينِهِ الَّذِي أَخَذَ عَنْ شَيْخِهِ.

يَقْصِدُ أن هناك شيخًا له ثلاثة من التلاميذ مثلًا؛ الأول من التلاميذ مات قبل الثاني بعشرين سنةً، والثاني مات قبلَ الثالثِ بثلاثينَ سنةً مثلًا، فهناك إسنادٌ للأول، وإسنادٌ للثاني، وإسنادٌ للثالث، فلو أُخِذَ بإسناد الأول الذي مات قبل عشرين سنة من الثاني فهذا الإسناد يُسَمَّى: عاليًا بالنسبة إلى الإسناد الثاني، ولو أخذ بإسناد الثاني الذي مات قبل الثالث بثلاثين سنةً فآخذُ هذا الإسنادَ يقع أعلى من الآخذ بإسناد الثالث الذي مات بعدَه بثلاثين سنةً، وإن كانوا كلُّهم قد اشْتَرَكُوا في الرواية على شيخ واحدٍ، هذا مراد المؤلف.

فَالأَخْذُ -مَثَلًا- عَنِ التَّاجِ بْنِ مَكْتُومٍ[1] أَعْلَى مِنَ الأَخْذِ عَنْ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ

---

(١) أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم بن مجلي تاج الدين القيسي =

اللَّبَّانِ(١) وَعَنِ ابْنِ اللَّبَّانِ أَعْلَى مِنَ الْبُرْهَانِ الشَّامِيِّ وَإِنِ اشْتَرَكُوا فِي الأَخْذِ عَنْ أَبِي حَيَّانَ؛ لِتَقَدُّمِ وَفَاةِ الأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي، وَالثَّانِي عَلَى الثَّالِثِ.

الْخَامِسُ: الْعُلُوُّ بِمَوْتِ الشَّيْخِ لا مَعَ الْتِفَاتٍ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ أَوْ شَيْخٍ آخَرَ مَتَى يَكُونُ. وذلك نحو أن يكون للحديث إسناد من قِبَلِ الشيخ أحمد وهناك إسناد من قبل الشيخ عبد الله مثلًا، لكن أحمد أعلى من عبد الله؛ لأنه تُوُفِّيَ قَبْلَهُ؛ فلذا أَخْذُ هذا الإسناد عن طريقه أعلى من الآخَرِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ: يُوصَفُ الإِسْنَادُ بِالْعُلُوِّ إِذَا مَضَى عَلَيْهِ مِنْ مَوْتِ الشَّيْخِ خَمْسُونَ سَنَةً. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَهْ(٢): ثَلَاثُونَ؛ فَعَلَى هَذَا الأَخْذُ عَنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْجَزَرِيِّ عَالٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَمَانِمِائَةٍ؛ لأَنَّ ابْنَ الْجَزَرِيِّ آخِرُ مَنْ كَانَ سَنَدُهُ عَالِيًا، وَقَدْ مَضَى عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ مَوْتِهِ ثَلَاثُونَ سَنَةً. لأَنَّهُ تُوُفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وَثَمَانِمِائَةٍ، فبعد ثلاثينَ سنةً من وفاته تكون السنةُ ثلاثًا وستينَ وَثَمَانِمِائَةٍ؛ فكُلّ مَنْ أخذ عن ابن الجزري وعاش بعد سنةِ ثلاثٍ وستينَ وَثَمَانِمِائَةٍ يكون إسنادُه عاليًا.

= الدمشقي، ثم القاهري الحنفي، إمام، عالم، نحوي، أستاذ، ولد في أوائل ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وسمع الكثير وكتب وجمع، وتصدر للإقراء بالجامع الظاهري بالحسينية بعد موسى بن علي القطبي، توفي في السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٧٠).

(١) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع، أبو المعالي ابن اللبان الدمشقي، أستاذ، محرر ضابط، ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة، وطلب القراءات سنة سبع وعشرين وما بعدها.
توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الجمعة ثاني ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٧٢).

(٢) هو الحافظ المسند أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن الحافظ الشيخ أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده الأصبهاني المتوفى سنة ٥١١ هـ. تذكرة الحفاظ (٤/ ٣٣).

فَهَذَا مَا حَرَّرْتُهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْحَدِيثِ وَفَرَّعْتُ عَلَيْهِ قَوَاعِدَ الْقِرَاءَاتِ، وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالْحَمْدُ.

وَإِذَا عَرَفْتَ الْعُلُوَّ بِأَقْسَامِهِ عَرَفْتَ النُّزُولَ؛ فَإِنَّهُ ضِدُّهُ، وَحَيْثُ ذُمَّ النُّزُولُ فَهُوَ مَا لَمْ يَنْجَبِرْ بِكَوْنِ رِجَالِهِ أَعْلَمَ أَوْ أَتْقَنَ أَوْ أَجَلَّ أَوْ أَشْهَرَ أَوْ أَوْرَعَ.

فلو كان الحديث بسند فيه -مثلا- الإمام أحمد عن الإمامِ الشافعيِّ عن الإمامِ مالكٍ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ عن رسول الله ﷺ. فهذا إسنادٌ طويلٌ لكنه إسناد جليلٌ. جَمَعَ ثلاثةً من الأئمة الكبار وجمع أيضًا سلسلةً ذهبية، فإن كان النزول كذلك فلا يضر إن شاء الله، بل هو إسناد جليل.

أَمَّا إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ وَلَا مَفْضُولٍ.

وَالْعَالِي مَا صَحَّ إِسْنَادُهُ وَلَوْ بَلَغَتْ رُوَاتُهُ مِائَةً، واللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.



النوع التاسع والعشرون: المسلسل(١)

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَالْمُسَلْسَلُ(٢): مَا تَوَارَدَتْ رُوَاتُهُ عَلَى صِفَةٍ أَوْ كَيْفِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَسَّمَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ إِلَى أَقْسَامٍ لا يَتَأَتَّى غَالِبُهَا هُنَا؛ وَمِنْهُ مَا تَسَلْسَلَ فِي أَوَّلِهِ وَانْقَطَعَ، وَلَوِ اعْتَنَى الْقُرَّاءُ بِهِ كَاعْتِنَاءِ الْمُحَدِّثِينَ لاتَّصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ التَّسَلْسُلُ هُنَا بِاتِّفَاقِ الرُّوَاةِ كَالتَّسَلْسُلِ بِالْقُرَّاءِ الْحُفَّاظِ.

المسلسل هو: أن يتسلسل للرواةِ في إسنادٍ لحديثٍ مُعَيَّنٍ صفاتٌ أو أحوالٌ أو كيفيات لِلتَّلَقِّي أو أزمنةٌ أو أمكنةٌ.

مثل الحديث المسلسل بالروايةِ يومَ العيدِ(٣)، فَكُلُّ رجلٍ في الإسناد يقول: حَدَّثَنِي فلانٌ يومَ العيد، وأخبرني فلانٌ يومَ العيدِ، فيأتي تلاميذُه يومَ العيد فيأخذونَ عنه ذلك الحديثَ فيقولون: حدثنا شيخُنا يومَ العيدِ. وهكذا تتكون سلسلةٌ طويلةٌ كُلُّهَا مختصةٌ بتلقي ذاك الحديث يومَ العيد.

وكذلك حديث أخذ رسولُ الله ﷺ بيد مُعَاذٍ وَقَالَ لَهُ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي**

(١) انظر: تدريب الراوي (٢/ ٦٤٠).

(٢) قال الحافظ في النزهة (١٥٥): وإن اتفق الرواة في إسنادٍ من الأسانيد في صيغ الأداء: كسمعت فلانًا، قال: سمعت فلانًا، أو: حدثنا فلانٌ، قال: حدثنا فلان، وغير ذلك من الصيغ، أو غيرها من الحالات القولية، كسمعت فلانًا يقول: «أشهد بالله لقد حدثني فلان... »، إلى آخره، أو الفعلية كقوله: «دخلنا على فلانٍ فأطعمنا تمرًا... » إلى آخره، أو القولية والفعلية معًا كقوله: «حدثني فلان وهو آخذ بلحيته قال: آمنت بالقدر... »، إلى آخره، فهو المسلسل.

(٣) أخرجه الكتاني في مسلسل العيدين (٢١) وأبو القاسم الشحامي في تحفة عيد الفطر (٦٣) والأحاديث العيدية المسلسلة للسلفي (٣٢): عن أبي معمر في يوم عيد أو أضحىً بين الصلاة والخطبة، ثنا عبد الوارث في يوم عيد فطرٍ أو أضحىً بين الصلاة والخطبة، ثنا محمد بن جحادة في يوم فطرٍ أو أضحىً بين الصلاة والخطبة، نا مصعب بن سعدٍ في يوم عيد أو أضحىً بين الصلاة والخطبة [عن أبيه] قال: قال لنا رسول الله ﷺ في يوم عيد أو أضحىً بين الصلاة والخطبة: «كلكم قد أصاب خيرًا، فمن أراد أن يسمع الخطبة، ومن أراد أن ينصرف».

لأُحِبُّكَ؛ فَلَا تَدَعَنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(١). فمعاذٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندَما حَدَّثَ به أبَا إدريسَ الخولانيَّ(٢) وكان ريحانةَ التابعينَ بالشام أَخَذَ بيدِه أيضًا وقال: واللهِ إني لأحبُّك فلا تَدَعَنَّ دبرَ كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. وهكذا حتى وَصَلَ إلينا اليومَ بهذه الطريقة، وبهذه الكيفية، كلُّ راوٍ يأخذ يدَ طالب الحديث ويقول له: واللهِ إني لأحبك. فهذا مسلسلٌ بكيفية التَّلَقِّي، وهذا يجمعُ بينَ التسلسلِ بالفعلِ والتسلسل بالقولِ؛ أي: حديثٌ مسلسلٌ بالحالةِ الفعليةِ، وبالقوليةِ؛ لأن رسولَ الله ﷺ أَخَذَ بيدِ معاذٍ وقال: «**وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ**» وكلُّ راوٍ بعدَ معاذٍ أَخَذَ بيدِه وقال: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ.

ومنه أيضًا المسلسلُ بقراءة سورة الصف(٣)؛ فإن رسولَ الله ﷺ قَرَأَهَا على عبدالله بن سَلَامٍ رضي الله عنه وأرضاه ومعه جماعة. ثم إن عبد الله بنَ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قرأها على بعض التابعين من أولها إلى آخِرها وهكذا حتى وصل إلينا اليومَ على هذه الكيفية. كُلُّ راوٍ يقرأها على تلاميذه.

وهناك مسلسل يسمى: المسلسل بِالأَوَّلِيَّةِ؛ أي: أن الراويَ عن الصحابي كان أولَ حديثٍ أَخَذَهُ عن الصحابي: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣) وفي الكبرى (١٢٢٧) (٩٨٥٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٧) وغيرهم من طرق: عن معاذ بن جبلٍ، أن رسول ﷺ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك»... الحديث.

(٢) أبو إدريس الخولاني: عائذ الله بن عبد الله، ويقال فيه: عيذ الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة، قاضي دمشق، وعالمها، وواعظها. قال الحافظ: قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء. توفي سنة (٨٠ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٨٦).

(٣) سيأتي قريبًا.

وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١)، وإن كان في هذا التسلسل انقطاعٌ إلا أن الحديثَ مشهورٌ، وأول حديث يرويه تابع التابعي عن التابعي هو هذا الحديث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»، وهكذا حتى وصل إلينا اليومَ على هذه الكيفيةِ، فعندَ مقابلتِك شيخًا ما اطلب منه حديثَ الأَوَّلِيَّةِ، قبلَ أن يحدثك بأي حديثٍ آخرَ.

والمسلسلات كثيرةٌ؛ وفيها كتابُ مؤلف اسمه: «المناهلُ السَّلْسَلَةُ في الأحاديثِ المسلسلةِ» للشيخ الأنصاري، هذا الكتاب فيه اثنا عشر وثلاثمائة حديث كلها مسلسلاتٌ إلى رسول الله ﷺ إما بصفةٍ أو مكانٍ أو زمانٍ، أو أن يكون مَثَلًا جميعُ رواةِ الحديث من الشافعية، أو من دمشقَ، أو من مصرَ.

وعلة المسلسلاتِ هي أن كثيرًا منها منقطع لا يتصل سندُه بالكامل، لكن يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ(٢): إن كان المسلسلُ بالحُفَّاظِ المُتْقِنِينَ؛ فهو يُفيد العلمَ القطعيَّ؛ لأن الأحاديثَ تنقسم إلى متواترٍ وآحادٍ:

والآحادُ ينقسم إلى: مشهور، ومستفيض، وعزيز، وغريب... إلى آخِرِه.

أما أحاديث الآحادِ فلا تُفيد القطعَ بالعِلْمِ عند كثيرٍ من العلماء؛ أي: ليست كالقرآنِ في المرتبة، وليست مرتبتُها كالحديثِ المتواترِ، فأحاديثُ الآحادِ تفيدُ العلمَ الظنيَّ، يعنى: إذا كان هناك حديث حكم كثيرٌ من العلماء بصحته فيَجوز

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤) والدارمي في الرد على الجهمية (٤٨) والحميدي في مسنده (١/ ٥٠٣-٥٠٤) وغيرهم من طرق عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرٍو قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنةٌ من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله». وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) سبق التعريف به.

عقلًا أن يكون غيرَ صحيحٍ، مثل أن يكون وَهِمَ الرَّاوِي فيه، أو يجوز أن يكون حديثًا صحيحا قد صَدَقَ ذلك الكاذبُ أو ضَبَطَ ذلك الواهمُ في روايته ذلك الحديثَ، لَكِنَّا لا نستطيع أن نُحِيلَ على هذه الجائزات، إنما نقول: لِلْمُحَدِّثِينَ ضوابطُ وَضَعُوهَا لقبولِ هذه الأحاديثِ، فما قالوا عنه: صحيحٌ فهو صحيحٌ، وما قالوا عنه: ضعيفٌ فهو ضعيفٌ. لكن أقول: يجوزُ أن يكون الصحيحُ ضعيفًا على قِلَّةٍ، ويجوز أن يكونَ الضعيفُ أو الموضوع -الذي في سنده كاذبٌ لكنه صَدَقَ في روايته في هذا الحديث- صحيحًا على قِلَّةٍ؛ لذلك أحاديثُ الآحادِ تُفِيدُ العلمَ الظنيَّ. والأحاديثُ المتواتراتِ تفيد العلمَ القَطْعِيَّ اليقينيَّ؛ فابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في: «شرح النخبة»[1] يقول: الأحاديث المسلسلةُ بروايةِ الحُفَّاظِ؛ أَيْ: أن كُلَّ رجلٍ في إسنادها حافظٌ مُتْقِنٌ معروفٌ مشهورٌ تفيد العلمَ القطعيَّ؛ لقوةِ رجالها وشهرتِهم وحفظهم.

وأصحّ مسلسل يُرْوَى في الدنيا في تقدير الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ المسلسل بقراءةِ سورةِ الصَّفِّ.

وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ التَّسَلْسُلُ هُنَا بِصِفَاتِ الرُّوَاةِ، كَالتَّسَلْسُلِ بِالقُرَّاءِ الْحُفَّاظِ. لأن كلَّ الأسانيدِ تقريبًا مرويةٌ على هذا الوجه؛ قراء حفاظ متقنون.

وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَإِنَّهُ نَقَلَهُ قَارِئٌ عَنْ قَارِئٍ إِلَى مُنْتَهَاهُ؛ أي: فإنه نَقَلَهُ قارئٌ حافظٌ متقنٌ ثَبْتٌ عن مثله إلى منتهاه، **وَكَأَنْ يَكُون رِجَالُ الإِسْنَادِ كُلّهمْ مُعَمَّرِينَ أَوْ شَافِعِيِّينَ أَوْ أَنْدَلُسِيِّينَ أَوْ دِمَشْقِيِّينَ أَوْ مَكِّيِّينَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَقَدْ وَقَعَتْ لَنَا سُورَةُ الصَّفِّ مُسَلْسَلَةً بِقِرَاءَةِ كُلِّ شَيْخٍ عَلَى الرَّاوِي، وَأَخْبَرَنِي الْمُسْنِدُ الْمُعَمِّرُ**

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر (٦٢).

أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَاكِمُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقْرِي قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الصَّالِحِيُّ قَالَ: أَخْبَرْنَا أَبُو الْمُنَجَّى بْنُ اللَّتِّي.

أبو المنجى عبد الله بن عمر بن علي بن اللَّتِّيِّ البغدادي رَحِمَهُ اللهُ الذي توفي سنةَ ٦٣٥هـ(١).

قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَقْتِ السِّجْزِيُّ. السِّجْزِيُّ -بِكَسْرِ السينِ- نسبةً إلى سِجِسْتَانَ. وهي نسبةٌ سَمَاعِيَّةٌ غيرُ قياسيةٍ؛ كالمنسوب إلى هراة فتقول: الهَرَوِيُّ. بخلاف السجستاني فهي نسبة على الجادة، حيث تُضيف الياء إلى سجستان فتصير سجستانيا، وأبو الوقت السجزي رَحِمَهُ اللهُ اسمه عَبْدُ الأَوَّلِ السجزي. وسِجِسْتَانُ مدينةٌ قربَ كابل في أَفْغَانِسْتَانَ.

قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّاوُدِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ، -نسبةً إلى سَرَخْسَ وهي في إيرانَ- أَخْبَرَنَا أَبُو عِمْرَانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أبي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ فَتَذَاكَرْنَا، فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الأَعْمَالِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ ﷻ لَعَمِلْنَاهُ. فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ① يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ١-٢] حَتَّى خَتَمَهَا(٢).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٥).

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (٢٤٣٥) والترمذي (٣٣٠٩) وأبو يعلى (١٣/ ٤٨٧) وابن حبان (١٠/ ٤٥٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٩-٢٤٨-٥٢٨) وغيرهم من طرق عن عبد الله بن سلامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: اجتمعنا فتذاكرنا فقلنا...». وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

هذا الحديثُ أَخْرَجَهُ الحاكمُ في المستدرك[(١)] وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين، وقد ذكرنا قول ابن حجر أن أَصَحَّ مسلسلٍ يُرْوَى في الدنيا هو المسلسل بقراءة سورة الصف.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فقرَأَهَا عَلَيْنَا ابْنُ سَلام، قَالَ يَحْيَى: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو سَلَمَةَ، قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: فقرَأَهَا عَلَيْنَا يَحْيَى، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا الأَوْزَاعِيُّ -كلُّ قارئٍ يقول: قرأها علينا، هذا هو المسلسلُ بقراءة سورة الصف- قَالَ الدَّارِمِيُّ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابْنُ كَثِيرٍ - الدَّارِمِيُّ: هو الإمامُ المشهورُ أبو سعيد عثمان بن سعيدٍ الدارمي[(٢)].

قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: فقرَأَهَا عَلَيْنَا الدَّارِمِيُّ، قَالَ السَّرَخْسِيُّ: فَقَرَأَهَا السَّمَرْقَنْدِيُّ، قَالَ الدَّاوُدِيُّ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا السَّرْخَسِيُّ، قَالَ أَبُو الْوَقْتِ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا الدَّاوُدِيُّ، قَالَ ابْنُ اللَّيْثِ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو الْوَقْتِ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابن اللّتِّيِّ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فقرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: فقرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو إِسْحَاقَ، قُلْتُ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ.

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسْطَنْطِينَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: وَالضُّحَى قَالَ: كَبِّرْ عِنْدَ خَاتِمَةِ كُلِّ سُورَةٍ حَتَّى تَخْتِمَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ مُجَاهِدٌ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ أُبَيٌّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَرَوَاهُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ مُتَّصِلَ السِّلْسِلَةِ

---

(١) مستدرك الحاكم (٢٧٩-٢٤٨-٥٢٨).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ٥٧٤).

إِلَى عِكْرِمَةَ[١].

مسألةُ التكبيرِ حالَ الختمِ: إذا وصلتَ إلى سورة الضحى فبَيْنَ كل سُورَتَيْنِ إلى نهاية الخَتْمَةِ قُل: الله أكبر، والبعض يضيف عليها: لا إله إلا الله، والله أكبر، والبعض يضيف عليها: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد.

وهناك أيضًا مسألةُ التكبيرِ العامِّ؛ وهي من طريقٍ آخَرَ غير الطُّرُقِ التي نقرأ بها، طريق الطيبة لابن الجَزَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ يُكَبِّرُ تَكْبِيرًا عَامًّا بين كل سورتين من أول القرآنِ إلى آخِرِهِ، وهذه المسألة قد تَكَلَّمَ فيها عددٌ من الفضلاءِ في هذا العصر وقالوا: إن الحديث لم يَثْبُتْ عن رسول الله ﷺ، وَاحْتَجُّوا بأن أَحَدَ القُرَّاءِ ضعيفٌ[٢] في الحديث، وأقول بإيجاز رَدًّا على من يقول هذا: أسانيدُ القراء تختلف عن أسانيدِ

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٤٢٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٤) وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وأخرجه المخلص في «الفوائد» ومن طريقه الذهبي في «الميزان» (١/ ١٤٥) من طريق ابن صاعد، ثنا البزي أحمد بن محمد بن القاسم به. قال الذهبي: «هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البزي، قال أبو حاتم: هذا حديث منكر». ومعنى كلام الذهبي أن البزي تفرد به. وقد صرح بذلك ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٣) فقال: «فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم ابن أبي بزة، وكان إمامًا في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذا أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث».

فلم يتفرد به البزى ؛ فقد تابعه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ؛ قال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين. فذكر مثله. أخرجه أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (ص ٤٢٧- ٤٢٨) عن الشافعي، به، وإسناده جيدٌ. و قال ابن كثير أيضًا: «حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلًا يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال: أحسنت وأصبت السنة.. وهذا يقضي صحة هذا الحديث». قلت: فواضح أن ابن كثير لم يقف على رواية الشافعي المسندة فى ذلك، وإنما صحح الحديث بناء على قول الشافعى: «أصبت السنة»، وتصحيح الحديث بمثل هذا القول فيه نظر لا يخفى على من تأمله. والله أعلم. انظر: تنبيه الهاجد، للحويني (١/ ٤٤١).

(٢) وهو: أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي. قال الذهبى: « هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البزي، قال أبو حاتم: هذا حديث منكر».

المحدثين. وهُنَاكَ مثالٌ واضح جِدًّا وهو حَفْصٌ رَحِمَهُ اللَّهُ(١) تلميذ عاصم إمامُ المتقنينَ، وكان الإمامُ أحمدُ يحب قراءةَ عاصمٍ ويحب قراءةَ أبي عمرو بن العلاء، فحفصٌ ليس قَوِيًّا في الحديث، فعندما تَرْجِعُ إلى تهذيب التهذيب للإمام الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ وترجع إلى التقريب تجد أن حَفْصًا قد تُكلِّمَ فيه من جهة الحديث، لكنه جبلٌ في القرآن، يقول الشاطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَحَفْصٌ وَبِالإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلا)، أي: على شُعْبَةَ، وكِلَاهُمَا راوٍ عن عاصم، وكان جَبَلًا كبيرًا ثَبْتًا في كتاب الله تبارك وتعالى، لكنه لم يكن فَنُّهُ في الحديث. وهذا ليس بعيب؛ لأنه ليس تخصصه.

قوله: (**وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ**)؛ أي: شعب الإيمان، هذا الكتاب ما زال في طَوْرِ الطباعة، أجزاؤه تخرج تَتْرَا أظنه وصل اليوم إلى أربعة عشر جزءًا أو أكثرَ من ذلك.

قلت: لعل في هذا الحديث مَطْعَنًا من جهةِ بعضِ الرواةِ، هذا من جهة عِلْمِ الحديثِ، لكن نقول: لِلْقُرَّاءِ أَسَانِيدُهُمْ، فالبزّي من كبارِ القُرَّاءِ المتقنينَ، ومن الأئمة الأثباتِ رحمهم الله، وهو الذي رُوِيَ هذا التكبيرُ من جهته، فنقول: هذا رجلٌ إمامٌ ثَبْتٌ في كتاب الله تعالى، وابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أورد كلامَ الشافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة التكبير حالَ خَتْمِ كتابِ الله في تفسير سورة الضحى وفى تفسير سورة الشرح، وكلامُ الشافعي كلامٌ جميلٌ في هذا الباب، إذ قال: إِنْ تَرَكْتَ التكبيرَ تَرَكْتَ سُنَّةَ نَبِيِّكَ ﷺ(٢). هذا نَصُّ الشافعيِّ، والمسألةُ تَطُولُ، وفي هذا كفاية.



---

(١) سبق التعريف به.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٠) ط. دار الكتب العلمية، وقال فيه: «عن الشافعي أنه سمع رجلًا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال له: أحسنت وأصبت السنة».

النوع الثلاثون والحادي والثلاثون
الابتداء والوقف(١)

هذا نوعٌ مُهِمٌّ جِدًّا. مَتَى يَحْسُنُ الْوَقْفُ؟ وَمَتَى يَحْسُنُ الابْتِدَاءُ؟ ومتى يكون الوقفُ تَامًّا؟ ومتى يكون كَافِيًا أو حَسَنًا؟ هذه المسألةُ يَحْسُنُ التوسعُ فيها كما تَوَسَّعَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه المسألةُ تلاحظ كثيرًا عندَ الأئمةِ في قراءة التراويح؛ فيقول الإمام مثلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]. ثم يرجع فيقول: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ﴾، ثم يرجع ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾. وهكذا تطول الآيةُ جِدًّا؛ فالآيةُ عبارةٌ عن عشرينَ كلمةً -مثلًا- لكنه يقرأها في أربعينَ أو خمسينَ كلمةً؛ بكثرة إعادته لألفاظ الآيات؛ لأنه لا يَتَفَطَّن إلى مواضع الوقفِ الصحيحة، وهذا يُفْقِدُ القراءةَ رَوْنَقَهَا، وَيُكْسِبُ المصلينَ المللَ؛ لأنه يُكْثِرُ الرجوعَ، والمصلونَ يُستحب لهم أن يَسْمَعُوا ختمةً في رمضان كما استحب الإمامُ أحمدُ وكثيرٌ من السلف أن يُسْمِعَ الأئمةُ الناسَ ختمةً كاملةً، فإذا ما عَادُوا وَزَادُوا في كلماتٍ كثيراتٍ فإن هذا يُفْقِدُ القراءةَ رونقَها ويطيلها؛ فَيَجِب أن تَعْرِفَ أين تَقِفُ، وكيف تقفُ أيها الإمامُ. فهذه مسألةٌ مهمةٌ للأئمة.

هَذَانِ نَوْعَانِ مُهِمَّانِ(٢)، وَلأَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ فِيهِمَا تَصَانِيفُ، وَالْكَلَامُ فِي ذَلِكَ فِي أَمْرَيْنِ: مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ وَيُبْتَدَأُ بِهِ، وَكَيْفِيَّةُ الْوَقْفِ. وَالْحَاجَةُ إِلَى الأَمْرِ الأَوَّلِ أَهَمُّ

---

(١) انظر: مواقع العلوم، للبلقيني (٨٢).

(٢) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٢٤): وأما الوقوف والابتداء فلهما حالتان: (الأولى) معرفة ما يوقف عليه وما يبتدأ به، (والثانية) كيف يوقف وكيف يبتدأ، وهذه تتعلق بالقراءات...».

مِنَ الثَّانِي كَمَا لَا يَخْفَى، وَعَجِبْتُ لِلْبُلْقِينِيِّ كَيْفَ تَرَكَهُ وَتَكَلَّمَ فِي الثَّانِي.

فمن المهم أن نعرف أين نقف ومن أين نبتدئ، ومن المهم أيضًا أن نعرفَ كيف نقفُ، هل بالسكونِ، أم بالحركة، أم بالرَّوْمِ والإشمام، أم بالاختلاس؟ إلى آخِره. لكن الأولَ هو الأهمُّ بكثير؛ لأنه يُعْطِي القراءةَ رونقَها، وَيُفْهِمُ المصلينَ كتابَ الله تبارك وتعالى.

الأَوَّلُ: الأَفْضَلُ الْوَقْفُ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ آيَةٍ؛ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ فِي النَّوْعِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ[1]. وَمِمَّنِ اخْتَارَهُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ وَخَلَائِقُ.

ثُمَّ الْكَلَامُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَامًّا بِأَنْ لَا يَكُونَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَا بَعْدَهُ أَلْبَتَّةَ.

هو هنا يُقَسِّمُ الوقفَ؛ فالوقفُ مُنْقَسِمٌ إلى: تَامٍّ وَكَافٍ وَحَسَنٍ[2]، إن وقفتَ

---

(١) عن أم سلمة ذكرت -أو كلمةً غيرها- قراءة رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقطع قراءته آيةً آيةً. سبق تخريجه والكلام عليه.

(٢) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٢٦): وأقرب ما قلته في ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختياريٍ واضطراريٍ؛ لأن الكلام إما أن يتم أولًا، فإن تم كان اختياريًا، وكونه تامًا لا يخلو إما أن لا يكون له تعلقٌ بما بعده ألبتة - أي: لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى - فهو الوقف الذي اصطلح عليه الأئمة (بالتام)؛ لتمامه المطلق، يوقف عليه ويبتدأ بما بعده، وإن كان له تعلقٌ فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط، وهو الوقف المصطلح عليه (بالكافي)؛ للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه، وهو كالتام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده، وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو الوقف المصطلح عليه (بالحسن)؛ لأنه في نفسه حسنٌ مفيدٌ يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده؛ للتعلق اللفظي، إلا أن يكون رأس آيةٍ، فإنه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء؛ لمجيئه عن النبي ﷺ في حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آيةً آيةً يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف، ثم يقول: الحمد لله رب العالمين ثم يقف، ثم يقول: الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. رواه أبو داود ساكتًا عليه، والترمذي وأحمد وأبو عبيدة وغيرهم، وهو حديثٌ حسنٌ وسنده صحيحٌ. وكذلك عد بعضهم الوقف على رءوس الآي في ذلك سنةً، وقال أبو عمرٍو: وهو أحب إلي. واختاره أيضًا البيهقي في شعب الإيمان، وغيره من العلماء، وقالوا: الأفضل الوقوف على رءوس الآيات، وإن
=

عندَ آيَةٍ أو في بعض آيَةٍ وكان ما بعدَها ليس له تَعَلُّقٌ بما قَبْلَهَا لا تَعَلُّقٌ إعرابِيٌّ - أَيْ: لَفْظِيٌّ- ولا تَعَلُّقٌ معنويٌّ في المعنى؛ فهذا الوقف تَامٌّ؛ مثلَ قوله تعالى في أواخر الآيات الخمس من البقرة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ...﴾ [البقرة: ٥-٦]. فالوقفُ على (الْمُفْلِحُونَ) وَقْفٌ تَامٌّ باتفاق القراء؛ لأنه ليس له تَعَلُّقٌ بما بعدَه؛ لا تعلق إعرابي لفظي ولا تَعَلُّقٌ مَعْنَوِيٌّ، فإن كان الوقفُ على موضعٍ ليس له بما بعدَه تَعَلُّقٌ لَفْظِيٌّ لكن له تَعَلُّقٌ معنويٌّ كأكثرِ آياتِ القرآنِ؛ لأنها قصة واحدة، فيُسَمَّى: وَقْفًا كَافِيًا، أَمَّا إن كان هناك تعلقٌ معنويٌّ ولفظيٌّ فَيُسَمَّى: وَقْفًا حَسَنًا، وستأتي أنواعُه وأمثلةٌ عليه إن شاء الله.

ثُمَّ الْكَلَامُ إِمَا أَنْ يَكُونَ تَامًّا بِأَلَّا يَكُونَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَا بَعْدُ أَلْبَتَّةَ لَا مَعْنًى وَلَا لَفْظًا، فَالْوَقْفُ عَلَيْهِ يُسَمَّى بِالتَّامِّ، وَيُبْتَدَأُ بِمَا بَعْدَهُ، وَأَكْثَرُهُ فِي رُؤُوسِ الآيِ وَانْقِضَاءِ الْقَصَصِ[(١)].

وَقَدْ يَكُونُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الآيَةِ نَحْوَ: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، فِيهِ انْقِضَاءُ حِكَايَةِ كَلَامِ بِلْقِيسَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

هي تتكلم عن الملوك وأنهم: ﴿إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ

= تعلقت بما بعدها. قالوا: واتباع هدي رسول الله ﷺ وسنته أولى. وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريًا، وهو المصطلح عليه (بالقبيح)، لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورةٍ من انقطاع نفسٍ ونحوه؛ لعدم الفائدة، أو لفساد المعنى.

(١) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٢٦): نحو الوقف على ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والابتداء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونحو الوقف على ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والابتداء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ونحو ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والابتداء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]. هنا انقضى كلامُ بلقيسَ. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تأكيدٌ من الله تبارك وتعالى لهذه المسألةِ، فالوقفُ على: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ ليس برأسِ آيةٍ، لكنه وَقْفٌ تَامٌّ، هكذا يُقَرِّرُ السيوطيُّ هنا لكنه أشار إلى أن في المسألة خلافًا. كذا قال ابن الجزري: (فِيهِ بَحْثٌ)، يعني: أنه لم يَرْتَحْ إلى هذه المسألة، وأنا كذلك ما ارتحتُ أن يكون الوقفُ تَامًّا؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ما زال المعنى فيه صلةٌ بِمَا قَبْلَهُ؛ فلا يَصِحُّ أن يكون الوقفُ هنا تَامًّا، والله أعلم، وإنما الوقفُ على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ وَقْفٌ كَافٍ. فإذا لم تَنْقَضِ القصةُ ولم ينقَضِ الكلامُ كُلُّهُ فالوقفُ يدورُ بين الكفايةِ والحُسْنِ، أما إذا انقضت القصةُ فالوقفُ تَامّ.

وَقَدْ يَكُونُ وَسَطَ الآيَةِ نَحْو: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]. فإن كنتَ تربطُ في ذهنكَ بين قولِه: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ وبين: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ فهذا الوقفُ وَقْف كافٍ. لكن إذا فهمنا أن قولَه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ أن هذه قاعدةٌ مُطَّرِدَةٌ في علاقة الشيطان بالإنسان فيكون الوقفُ هنا وَقْفًا تَامًّا؛ أي: ليس هناك تَعَلُّقٌ معنويٌّ قَوِيٌّ بقوله: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾، لكني -أيضًا- أَمِيلُ هنا إلى أن الوقفَ وقفٌ كافٍ(١).

---

(١) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٢٧): وقد يكون وسط الآية؛ نحو ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ =

وَبَعْدَ الآيَةِ بِكَلِمَةٍ نَحْو: ﴿مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ﴾(١) [الكهف: ٩٠-٩١].

وَقَدْ يَكُونُ تَامًّا عَلَى تفسيرٍ وإعرابٍ غيرَ تَامٍّ عَلَى آخَرَ. يعني: اخْتَلَفَتِ الأنظارُ فيه، فإن عرضتَه بطريقة كان تَامًّا، وإن عرضتَه بطريقةٍ أخرى كان كَافِيًا أو حَسَنًا، كَآيَةِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. فعلى ما اختاره كثيرٌ من علماءِ السلفِ والخَلَفِ، يكون الوقفُ على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ تَامًّا، وهذه الواوُ في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ تكون اسْتِئْنَافِيَّةً ابتدائيةً، وليست حرفَ عطفٍ. أما إن وقفنا على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ يكون الوقفُ وَقْفًا حَسَنًا؛ لأن هناك تَعَلُّقًا إِعْرَابِيًّا لفظيًّا بينَ: (إِلَّا اللهُ) وبينَ: (وَالرَّاسِخُونَ) بالعطف بواو العطفِ(٢).

جَآءَنِي﴾ هو تمام حكاية قول الظالم، وهو (أبي بن خلفٍ)، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

(١) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٢٧): وقد يكون بعد انقضاء الآية بكلمةٍ نحو: (لم نجعل لهم من دونها سترًا...) آخر الآية. أو كذلك كان خبرهم، على اختلافٍ بين المفسرين في تقديره، مع إجماعهم على أنه التمام.

(٢) فصل ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة في النشر (١/ ٢٢٧) فقال: وقد يكون الوقف تامًا على التفسير، أو إعرابٍ، ويكون غير تامٍ على آخر؛ نحو: وما يعلم تأويله إلا الله؛ وقفٌ تامٌ على أن ما بعده مستأنفٌ، وهو قول ابن عباسٍ وعائشة وابن مسعودٍ وغيرهم، ومذهب أبي حنيفة وأكثر أهل الحديث به، وقال نافعٌ والكسائي ويعقوب والفراء والأخفش وأبو حاتمٍ وسواهم من أئمة العربية، قال عروة: والراسخون في العلم لا يعلمون التأويل، ولكن يقولون آمنا به، وهو غير تامٍ عند آخرين، والتمام عندهم على والراسخون في العلم؛ فهو عندهم معطوفٌ عليه، وهو اختيار ابن الحاجب وغيره. ونحو ﴿الٓمٓ﴾ ونحوه من حروف الهجاء فواتح السور؛ الوقف عليها تامٌ، على أن يكون المبتدأ، أو الخبر محذوفًا؛ أي: هذا ألم، أو ألم هذا، أو على إضمار فعلٍ، أي: قل ألم على استئناف ما بعدها، وغير تامٍ على أن يكون ما بعدها هو الخبر، وقد يكون الوقف تامًا على قراءةٍ وغير تامٍ على أخرى؛ نحو: ﴿مَثَابَةً

وَإِنْ كَانَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَقَطْ فَالْوُقُوفُ عَلَيْهِ يُسَمَّى بِالْكَافِي، وَيُبْتَدَأُ بِمَا بَعْدَهُ أَيْضًا.

في الوقفِ التامِّ والوقفِ الكافِي يجوز أن تقفَ وتبدأَ بما بعدَه بدونِ رجوعٍ، وهذه مزيةُ الإمامِ الذي يَعْرِفُ كيف يقفُ، وكيف يَبْتَدِئُ، فَيحاول الوقوف في مواضعِ الوقفِ التي لا رجوعَ فيها، وإن ضاق نَفَسُهُ أو اضْطُرَّ للوقفِ لسببٍ مَا فإنه يقف على حروفِ العطفِ: حتى، وما، أو على، ويبدأ بحتى، وما، وعلى، لا بأسَ في هذا.

أَوْ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَقَطْ؛ فَهُوَ الْحَسَنُ يُوقَفُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ الابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَأْسَ آيَةٍ. عدمُ الجوازِ هنا عدمُ جوازٍ صناعي وليس شَرْعِيًّا، أي: غير جائز عندَ أهلِ الصنعةِ وأهلِ التجويدِ، وهذا ليس جوازًا شرعيًّا يُبْنَى عليه الحرامُ والحلالُ.

وليس في القرآن مِنْ وَقْفٍ وَجَب وَلَا حَرَامٌ غَيْرُ مَا لَهُ سَبَب

وَقَدْ يَكُونُ كَافِيًا وَحَسَنًا عَلَى تَأْوِيلٍ، وَغَيْرَهُمَا عَلَى آخَرَ، نَحْوُ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] كافٍ إِنْ جُعِلَتْ (مَا) بَعْدَهُ نَافِيَةً، وَحَسَنٌ إِنْ جُعِلَتْ مَوْصُولَةً. ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. إِنْ جَعَلْتَ (مَا) موصولة يكون تقديرُ الكلامِ: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَيُعَلِّمُونَهُمْ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مِنَ السِّحْرِ أيضًا. وإن

= ﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ تامٌ على قراءة من كسر خاء ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾، وكافيًا على قراءة من فتحها، ونحو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ تامٌ على قراءة من رفع الاسم الجليل بعدها، وحسنٌ على قراءة من خفض.

كنتَ من الفريق الذي يَنْفِي ذاك عن المَلَكَيْنِ فتقول: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ؛ أَيْ: وَمَا أُنْزِلَ عليهم شيءٌ من السحر. فإن كنتَ من الفريقِ النافِي فيكون الوقفُ هنا كافِيًا؛ لأنكَ تقول: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ، ثم تنفي فتقول: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ من السحر شيء. لكن إن كنتَ من الفريق الذي يقول: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَيُعَلِّمُونَهُمْ ما أُنْزِلَ على الملكينِ أو ما عُلِّمَ الملكانِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مِنَ السِّحْرِ، فتقول: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، ثم تَبْدَأُ فتقول: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا لَهُ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ. وما هذه موصولة؛ أي: وَيُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ، فالوقفُ هنا وَقْفٌ حَسَنٌ.

وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ الْكَلَامُ فَهُوَ الْوَقْفُ الْقَبِيحُ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ ضَرُورَةً بِانْقِطَاعِ النَّفَسِ كَالْوَقْفِ عَلَى الْمُضَافِ وَالْمُبْتَدَأِ أَوِ الْمَوْصُولِ وَالنَّعْتِ دُونَ مُتَمِّمَاتِهَا، وَبَعْضُهُ أَقْبَحُ مِنْ بَعْضٍ. أي: الوقف على المضافِ دونَ المضافِ إليه، والمبتدأِ دونَ خبره والموصولِ دونَ صِلَتِهِ، والنعتِ دونَ منعوتِه وهكذا، فهذه أوقافٌ لا تَنْبَغِي.

وَالْمُرَادُ بِالْقُبْحِ مِنْ جِهَةِ الأَدَاءِ لَا الشَّرْعِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلا مَكْرُوهٍ إِلَّا إِنْ قُصِدَ تَحْرِيفُ الْمَعْنَى عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَخِلافُ مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَحْرُمُ.

وَمِنَ الْوَقْفِ مَا يَتَأَكَّدُ اسْتِحْبَابُهُ، وَهُوَ مَا لَوْ وُصِلَ طَرَفَاهُ لأَوْهَمَ غَيْرَ الْمُرَادِ، وَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْوَاجِبِ، وَمُرَادُهُ مَا تَقَدَّمَ نَحْو: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]. **وَيَبْتَدِئُ: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾** [يونس: ٦٥]؛ **لِئَلَّا يُوهِمَ أن ذلك مَقُولُ**

الْقَوْلِ. أي: لئلا يوهم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ من قولهم الذي أَحْزَنَ النبيَّ ﷺ، فلا بد أن نقفَ على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ كلامًا مبتدأً.

وَقَدْ تَحَرَّى قَوْمٌ الْوَقْفَ عَلَى حَرْفٍ وَآخَرُونَ عَلَى آخَرَ، وَيَمْتَنِعُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؛ كَالْوَقْفِ عَلَى (رَيْبَ) وَعَلَى (فِيهِ)، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى أَحَدِهِمَا إِلَّا بِشَرْطِ وَصْلِ الآخَرِ[1]. وذلك من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. فلا يصح الوقفُ على أحدهما إلا بوصلِ الآخَرِ؛ لئلا تفقدَ القراءةُ رونقَها.

وَيُغْتَفَرُ مُخَالَفَةُ مَا تَقَدَّمَ فِي طُولِ الْفَوَاصِلِ وَالْقَصَصِ وَنَحْوِهَا، وَحَالَةِ جمع الْقِرَاءَاتِ. فإذا كانت الآياتُ طويلةً مثلَ آيَةِ الدَّيْنِ وغيرِها فإنه قد يُغْتَفَرُ لِعَامَّةِ الناسِ أن يقفوا في أَيِّ مكانٍ شَاءُوهُ، ومِثْلُها حالة جَمْعِ القراءاتِ، فجامع القراءة محتاج إلى مكانٍ يَقِفُ عليه تكون كلماتُه قليلةً معدودةً حتى يستطيع جمع مواضع الخلاف في ذِهْنِهِ والتيقُّظ لمن يقْرَأ له، وكلما طَالَ المقطع صَعُبَ الجمع، فيُغْتفر في حال جَمْعِ القراءات الوقوف على مثل ما تَقَدَّمَ، وهذا يعرفه المتخصصون في هذا الفن.

أَمَّا الابْتِدَاءُ فَلا يَكُونُ إِلَّا اخْتِيَارِيًّا[2]، فَلَا يَجُوزُ إِلَّا بِمُسْتَقِلٍّ، -أي: في

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٣٧).

(٢) قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢٣٠): وقد يكون الوقف حسنًا والابتداء به قبيحًا؛ نحو ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ الوقف عليه حسنٌ؛ لتمام الكلام، والابتداء به قبيحٌ؛ لفساد المعنى؛ إذ يصير تحذيرًا من الإيمان بالله تعالى. وقد يكون الوقف قبيحًا والابتداء به جيدًا نحو: (من بعثنا من مرقدنا هذا) فإن الوقف على هذا قبيحٌ عندنا؛ لفصله بين المبتدأ وخبره، ولأنه يوهم أن الإشارة إلى مرقدنا وليس كذلك عند أئمة التفسير، والابتداء بـ (هذا) كافٍ أو تامٌ؛ لأنه وما بعده جملةٌ مستأنفةٌ رد بها قولهم.

المعنى- وَيَكُونُ أَيْضًا تَامًّا وَكَافِيًا وَحَسَنًا وَقَبِيحًا بِحَسَبِ التَّمَامِ وَعَدَمِهِ، وَفَسَادِ الْمَعْنَى وَإِحَالَتِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الْوَقْفُ قَبِيحًا وَالابْتِدَاءُ جَيِّدًا نَحْوَ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢].

فالوقف على ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢] كأنه يُشِيرُ بـ(هذا) إلى (مَرْقَدِنا)، وليس المقصودُ مِنْ (هَذَا) أن تكونَ اسمَ إشارةٍ للمرقد. فَالْوَقْفُ عَلَى الإِشَارَةِ قَبِيحٌ؛ لأَنَّهُ مُبْتَدَأٌ. (هَذَا) مبتدأ، أي: هَذَا الذي وَعَدَ الرَّحْمَن. وَلإِيهَامِهِ الإِشَارَةَ إِلَى الْمَرْقَدِ.

وَالابْتِدَاءُ بِهِ مَعَ مَا بَعْدَهُ كَافٍ أَوْ تَامٌّ.

وَالْقُرَّاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْوَقْفِ وَالابْتِدَاءِ؛ فَنَافِعٌ كَانَ يُرَاعِي مَحَاسِنَهُمَا بِحَسَبِ الْمَعْنَى، وَابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ حَيْثُ يَنْقَطِعُ النَّفَسُ، وَاسْتَثْنَى ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ من قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بكسر همزة إن، فابن كثير يقرأ: (وما يشعركم) ويتوقف، ثم يقول: (إنها إذا جاءت لا يؤمنون)، وكذلك ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾ من قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النَّحْل: ١٠٣] فَتَعَمَّدَ الْوَقْفَ عِنْدَهَا، وَأَبُو عَمْرٍو يَتَعَمَّدُ رُؤُوسَ الآيِ، وَعَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ حَيْثُ تَمَّ الْكَلامُ، وَالْبَاقُونَ رَاعَوْا أَحْسَنَ الْحَالَتَيْنِ وَقْفًا وَابْتِدَاءً.

قال ابن الجزري: لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أُصُولِ مَذَاهِبِ الْأَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ فِي الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ؛ لِيُعْتَمَدَ فِي قِرَاءَةِ كُلٍّ مَذْهَبُهُ، فَنَافِعٌ كَانَ يُرَاعِي مَحَاسِنَ الْوَقْفِ

وَالِابْتِدَاءِ بِحَسَبِ الْمَعْنَى كَمَا وَرَدَ عَنْهُ النَّصُّ بِذَلِكَ، وَابْنُ كَثِيرٍ رُوِّينَا عَنْهُ نَصًّا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا وَقَفْتُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وعَلَى قَوْلِهِ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ، وَعَلَى إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) لَمْ أُبَالِ بَعْدَهَا وَقَفْتُ أَمْ لَمْ أَقِفْ. وَهَذَا يَدُلُّ أَنَّهُ يَقِفُ حَيْثُ يَنْقَطِعُ نَفَسُهُ...»(١).

الثَّانِي: قِسْمَانِ: الأَوَّلُ: الْوَقْفُ عَلَى أَوَاخِرِ الْكَلِمِ، فَالْمُتَحَرِّكُ يُوقَفُ عَلَيْهِ بِالسُّكُونِ وَهُوَ الأَصْلُ(٢).

القاعدة في كلام العرب أنك لا تَقِفُ إلا على ساكنٍ، ولا تبدأ إلا بمتحرك.

وَوَرَدَتِ الرِّوَايَةُ عَنِ الْكُوفِيِّينَ وَأَبِي عَمْرٍو بِالإِشَارَةِ إِلَى الْحَرَكَةِ، وَلَمْ يَأْتِ عَنِ الْبَاقِينَ شَيْءٌ، وَاسْتَحْسَنَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الأَدَاءِ فِي قِرَاءَتِهِمْ أَيْضًا، وَالإِشَارَةُ إِمَّا رَوْمٌ(٣) وَهِيَ: النُّطْقُ بِبَعْضِ الْحَرَكَةِ، وَقِيلَ: تَضْعِيفُ الصَّوْتِ بِهَا حَتَّى يَذْهَبَ مُعْظَمُهَا. قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَالْقَوْلَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. قيل: يذهب معظمُها، يعني: يذهب ثُلُثَاهَا وَيَبْقَى الثُّلُثُ: فتقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. (لُ) حركة الضمة ضعيفة يسمعها القريبُ المُصْغِي

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٣٨).

(٢) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ١٢٠): فاعلم « أن للوقف في كلام العرب أوجهًا متعددةً، والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعةٌ، وهو: السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق.

(٣) (الروم) عند القراء عبارةٌ عن النطق ببعض الحركة. وقال: بعضهم هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، وكلا القولين واحدٌ، وهو عند النحاة عبارةٌ عن النطق بالحركة بصوتٍ خفيٍ. وقال الجوهري في صحاحه: روم الحركة الذي ذكره سيبويه هو حركةٌ مختلسةٌ مخفاةٌ بضربٍ من التخفيف قال: وهي أكثر من الإشمام لأنها تسمع، وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسةً مثل همزة بين بين. انتهى. انظر النشر (١/ ١٢١).

دونَ البعيدِ السامعِ، وهذه الحركة الضعيفة فائدتُها الإشارةُ إلى أن هذه الكلمةَ لو وُصِلَتْ لكان حَقُّهَا أن تُضَمَّ. وهي تُفِيدُ في الإعراب وفي الإشارة إلى أصلِ الحركةِ... إلى آخِرِهِ.

وَيَكُونُ فِي الضَّمِّ وَالْكَسْرِ. ولم يكن في الفتح؛ لأن الفتحَة حركةٌ ضعيفةٌ، هي أضعفُ الحركاتِ. فلو أَذْهَبْنَا ثُلُثَي الْفَتْحَةِ ما بَقِيَ منها شيءٌ؛ فلا يكونُ الرَّوْمُ في الفتح أبدًا، إنما يكون في الضَّمِّ والكسر.

وَإِمَّا إِشْمَامٌ[1]، وَهُوَ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِلَا تَصْوِيتٍ بِأَنْ تَجْعَلَ شَفَتَيْكَ عَلَى صُورَتِهَا إِذَا لَفَظْتَ بِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي الضَّمِّ سَوَاءٌ فِيهِمَا حَرَكَةُ الْبِنَاءِ وَالإِعْرَابِ إِذَا كَانَتْ لازِمَةً. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧] عندما تقف على اللَّامِ من (إسماعيل) تَضُمُّ الفَمَ؛ إشارةً إلى الإشمام.

يقول العلماءُ: على هيئة الْمُقَبِّل، وليس في الإشمام صوتٌ يُسْمَعُ؛ لذلك فالإشمامُ لا يُؤْتَى به في حضرةِ العُمْيَانِ، ولا حالَ أن يكون الإمامُ ظَهْرُهُ للناسِ؛ لأنهم لا يَرَوْنَهُ، وإنما الإشمامُ يكون للْمُبْصِرِينَ الذين يَرَوْنَ وجهَ فَاعِلِهِ.

أَمَّا الْعَارِضَةُ وَمِيمُ الْجَمْعِ عِنْدَ مَنْ ضَمَّ، وَهَاءُ التَّأْنِيثِ فَلَا رَوْمَ فِي ذَلِكَ وَلَا إِشْمَامَ.

الرَّوْمُ والإشمامُ من دقائقِ القراءاتِ، ولا نأتي بهما في ثلاثةِ مواضعَ:

الموضعُ الأولُ: في هاء التأنيث فلا تأتِي نحو (ورحمةٌ).

---

(١) (الإشمام) عبارةٌ عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويتٍ، وقال بعضهم: أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة. وكلاهما واحدٌ، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف. وهذا مما لا يختلف فيه...». النشر (١/ ١٢١).

الموضعُ الثاني: لا تأتِي في الحركة العارضة؛ مثل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فلا يصح الرَّوْم في لامِ (قلِ)؛ لأن هذه الحركةَ ليست أصليةً وإنما هي حركةٌ عارضةٌ لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ، وفي حال الوقف لا بد من السكون.

مثالٌ آخرُ للحركة العارضة: ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ ففي حالة الوصل لا بُدَّ أن نُحَرِّكَ الميمَ حركةً عارضةً لالتقاءِ الساكنينِ، أما في الوقف فتسكن الميم فلا روم.

وَقَيَّدَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ هَاءَ التَّأْنِيثِ بِمَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ، بِخِلَافِ مَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ لِلرَّسْمِ، وَيُوقَف عَلَى إِذَنْ وَالْمُنَوَّنِ الْمَنْصُوبِ بِالأَلِفِ.

هاءُ التأنيثِ تارةً تُكتب بالتاء المبسوطة، وتارةً تُكتب بالتاء المربوطة ويوقف عليها بالهاء، مثل: (رَحْمَةْ) تُكْتَبُ تارةً بالتاء المربوطة ويوقف عليها بهاءٍ في كتاب الله مثل: (رَحْمَة)، وَتَارَةً تُكْتَبُ بالتاءِ المبسوطة مثل: (رَحْمَتْ) ويوقف عليها بالتاء، فالموضعُ المكتوبُ بالهاءِ هو الذي لا يجوزُ فيه الرَّوْمُ والإشمامُ، والموضعُ المكتوبُ بالتاء يجوز فيه الرومُ والإشمامُ؛ وهي مسألةٌ دقيقةٌ من مسائلِ القراءاتِ.

الموضع الثالث: في ميم الجمع، فلا يدخله روم ولا إشمام.

ثَانِيهِمَا: الْوَقْفُ عَلَى الرَّسْمِ[1]: قَالَ الدَّانِيُّ[2]: وَقَفَ الْجُمْهُورُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُرْوَ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ فِيهِ شَيْءٌ، وَاخْتَارَ الأَئِمَّةُ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ فِي مَذْهَبِهِمَا مُوَافَقَةً لِلْجُمْهُورِ، وَقَدِ اخْتُلِفَ عَنْهُمْ فِي مَوَاضِعَ مِنْهَا الْهَاءُ الْمَرْسُومَةُ تَاءً[3]،

---

(١) عقد له ابن الجزري بابًا في النشر (٢/ ١٢٨): باب الوقف على مرسوم الخط.

(٢) هو أبو عمرو. سبق ذكره.

(٣) كل هاء التأنيث رسمت تاءً نحو «رحمت»، و«نعمت»، و«شجرت»، و«جنت» و«كلمت». النشر (٢/ ١٢٩).

فَوَقَفَ عَلَيْهَا أَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةِ الْبَزِّيِّ بِالْهَاءِ، وَكَذَا الْكِسَائِيُّ فِي مَرْضَات وَاللَّات وَذَات بَهْجَة وَلَاتَ حِينَ وَهَيْهَاتْ[١]، وَتَابَعَهُ الْبَزِّيُّ عَلَى هَيْهَاتْ فَقَطْ. وَكَذَا وَقَفَ ابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ كَثِيرٍ عَلَى يَا أَبَتِ: يَا أَبَه حَيْثُ وَقَعَتْ[٢]. وَوَقَفَ الْبَاقُونَ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِالتَّاءِ، وَوَقَفَ الْكِسَائِيُّ فِي رِوَايَةِ الدُّورِيِّ عَلَى الْيَاءِ مِنْ: وَيْ كَأَنَّ اللهَ. وَيْ: للتَّعَجُّب، (وَيْ كَأَنَّ اللهَ)، أَوْ: (وَيْك أَنَّ الله) كُلُّ ذلك قد رُوِيَ روايةً صحيحةً عن هؤلاء القُرَّاءِ رحمهم الله.

وَرُوِيَ عَنِ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى الْكَافِ وَالْبَاقُونَ عَلَى الْكَلِمَةِ بِأَثْرِهَا، وَوَقَفُوا عَلَى لامِ نَحْوِ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ [الفرقان:٧][٣]. وَعَنِ الْكِسَائِيِّ رِوَايَةً عَلَى (مَا) وَعَلَى (اللَّامِ)، وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو عَلَى (مَا) فَقَطْ.

وَوَقَفَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ عَلَى أَيًّا فِي ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾، من قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. هذه كلها أوقافٌ عند القُرَّاءِ المذكورين. وَالْبَاقُونَ عَلَى مَا.

وَوَقَفَ أَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ عَلَى الأَلِفِ فِي: أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ، يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ، أَيُّهَ الثَّقَلَانِ، هذه المواضع الثلاثةُ التي ذَكَرَهَا السيوطيُّ رَحِمَهُ اللهُ هي المواضعُ الوَحِيدَةُ في القرآن التي هي مكتوبةٌ بالهاء دون الألف، ويُوقَفُ عليها بالهاء بدون ألف في روايةِ حفصٍ، تقول: أَيُّه -هي مكتوبة هكذا في المصحف العثماني- وبعضُ

(١) وأما هيهات، وهو الحرفان في المؤمنون فوقف عليها بالهاء الكسائي والبزي. واختلف عن قنبلٍ...». النشر (٢/ ١٣١).

(٢) أما ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، وهي في يوسف. ومريم. والقصص. والصافات. فوقف عليها بالهاء؛ خلافًا للرسم: ابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوب. ووقف الباقون بالتاء على الرسم. النشر (٢/ ١٣١).

(٣) انظر تفصيل الكلام فيها: النشر في القراءات العشر (٢/ ١٤٦).

القراء يُسَاوُونَهَا بالمواضعِ الباقيةِ فيقف عليها بالألف: أَيُّهَا. **وَالْبَاقُونَ بِلَا أَلِفٍ.**

وَالْكِسَائِيُّ: عَلَى وَادِي النَّمْلِ خَاصَّةً بِالْيَاءِ، كلمة (وادي) من قوله تعالى: ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ خاصةً، يَقِفُ عليها الكسائي بالياءِ. **وَالْبَاقُونَ بِدُونِهَا.**

وَتَفَرَّدَ الْبَزِّيُّ بِزِيَادَةِ هَاءِ السَّكْتِ فِي الْوَقْفِ عَلَى مَا الاسْتِفْهَامِيَّةِ مَجْرُورَةً بِحَرْفٍ، وَسَكَّنَهَا غَيْرُهُ.

مثلُ قولِهِ تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [عم:١]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥] القاعدةُ: إذا دَخَلَ حرفُ الجَرِّ على ما الاستفهامية تُحْذَفُ أَلِفُهَا(١)، ويقف البَزِّيُّ بهاء السكت فتصير: عَمَّهْ، لِمَهْ، بِمَهْ، فِيمَهْ... هكذا إذا وقفتَ عليها كلها (٢).

ومثلها -أي: في هاء السكت- في رواية حفص قوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٨]. إذ أَصْلُهَا: مَالِي، سُلْطَانِي. ودَخَلَتْ عليها هاءُ السكتِ لِحكَمٍ؛ لَعَلَّ أحدَها مراعاةُ الفاصلة.

وَلِلْبَابِ تَتِمَّاتٌ تُعْرَفُ مِنْ كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ. والله أعلم.



---

(١) قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما في الاستفهام إنْ جُرَّتْ حُذِفْ ... أَلِفُهَا وأَوْلِهَا الْهَا إنْ تَقِفْ

انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٧٢).

(٢) قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي مَهْ وَمِمَّهْ قِفْ وَعَمَّهْ لِمَهْ بِمَهْ ... بِخُلْفٍ عَنِ البَزِّيِّ وادْفَعْ مُجَهَّلا

انظر: متن الشاطبية ص ٣٢.

الفهــرس

